

الكتاب : تفسير المنتخب  
المؤلف : لجنة من علماء الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10) قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأَمَرْتُ لَأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13) قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْحَاسِرِينَ الَّذِينَ هَسَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15)

- 1- تبتدئ باسم الله الذي لا معبود بحق سواه ، والمتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، وهو صاحب الرحمة الذي يفيض بالنعم جليلها ودقيقها ، عامها وخاصها ، وهو المتصف بصفة الرحمة الدائمة .
- 2- الثناء الجميل بكل أنواعه وعلى كل حال لله وحده ، ونثنى عليه الثناء كله لأنه منشئ المخلوقات والقائم عليها .
- 3- وهو صاحب الرحمة الدائمة ومصدرها ، ينعم بكل النعم صغيرها وكبيرها .
- 4- وهو وحده المالك ليوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة ، يتصرف فيه لا يشاركه أحد في التصرف ولو في الظاهر .
- 5- لا نعبد إلا إياك ، ولا نطلب المعونة إلا منك .
- 6- نسألك أن توفقنا إلى طريق الحق والخير والسعادة .
- 7- وهو طريق عبادك الذين وفقتهم إلى الإيمان بك ، ووهبت لهم نعمتي الهداية والرضا ، لا طريق الذين استحقوا غضبك وضلوا عن طريق الحق والخير لأنهم أعرضوا عن الإيمان بك والإذعان لهديك .

(1/1)

الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)

- 1- ألف لام ميم : هذه حروف ابتداء الله سبحانه وتعالى بها ليشير بها إلى إعجاز القرآن الكريم المؤلف من حروف كالحروف التي يؤلف منها العرب كلامهم ، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، وهى مع ذلك تنطوى على التنبيه للاستماع لتمييز جرسها .
- 2- هذا هو الكتاب الكامل وهو القرآن الذى نزله لا يرتاب عاقل منصف فى كونه من عند الله ، ولا فى صدق ما اشتمل عليه من حقائق وأحكام ، وفيه الهداية الكاملة للذين يستعدون لطلب الحق ، ويتوقون الضرر وأسباب العقاب .
- 3- وهؤلاء هم الذين يصدقون - فى حزم وإذعان - بما غاب عنهم ، ويعتقدون فيما وراء المحسوس كالملائكة واليوم الآخر ، لأن أساس التدين هو الإيمان بالغيب ، ويؤدون الصلاة مستقيمة بتوجه إلى الله وخشوع حقيقى له ، والذين ينفقون جانبا مما يرزقهم الله به فى وجوه الخير والبر .

4- والذين يصدقون بالقرآن المنزل عليك من الله ، وبما فيه من أحكام وأخبار ، ويعملون بمقتضاه ، ويصدقون بالكتب الإلهية التي نزلت على من سبقك من الأنبياء والرسل كالتوراة والإنجيل وغيرهما ، لأن رسالات الله واحدة فى أصولها ، ويتميزون بانهم يعتقدون اعتقاداً جازماً بمجئ يوم القيامة وبما فيه من حساب وثواب وعقاب .

(1/2)

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) حَتَّمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)

- 5- هؤلاء الموصوفون بما سبق من صفات ، متمكنون من أسباب الهداية الإلهية ، مستقرون عليها ، أولئك هم وحدهم الفائزون بمطلوبهم ومرغوبهم ثواباً لسعيهم واجتهادهم وامثالهم الأوامر واجتنابهم النواهي .
- 6- هذا شأن المهتدين ، أما الجاهلون الذين فقدوا الاستعداد للإيمان إعراضاً منهم وعناداً ، فلن يستجيبوا لله ، فيستوى عندهم تخويفك لهم وعدم تخويفك .
- 7- هؤلاء قد تمكن الكفر منهم حتى كان قلوبهم مختوم عليها بحجاب لا يدخلها غير ما فيها ، وكان أسماهم مختوم عليها كذلك ، فلا تسمع وعده الحق ، وكان أبصارهم قد غشيها غطاء فهي لا تدرك آيات الله الدالة على الإيمان ، ولذلك استحقوا أن ينالهم العذاب الشديد .
- 8- ومن الكافرين قوم آخرون من الناس يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، يظهرن الإيمان فيقولون : إننا آمننا بالله ويوم القيامة ، وليسوا بصادقين فى قولهم ، فلا يدخلون فى جماعة المؤمنين .
- 9- إنهم يخدعون المؤمنين بما يصنعون ، ويظنون أنهم يخادعون الله ، إذ يتوهمون أنه غير مطلع على خفاياهم ، مع أنه يعلم السر والنجوى ، وهم فى الواقع يخدعون أنفسهم لأن ضرر عملهم لا حق بهم ، عاجلاً وأجلاً ، ولأن من يخدع غيره ويحسبه جاهلاً - وهو ليس كذلك - إنما يخدع نفسه .
- 10- هؤلاء فى قلوبهم مرض الحسد والحقد على أهل الإيمان مع فساد العقيدة ، وزادهم الله على مرضهم مرضاً بنصره للحق ، إذ كان ذلك مؤذياً لهم بسبب حسدهم وحقدهم وعنادهم ، ول هؤلاء عذاب أليم فى الدنيا والآخرة بسبب كذبهم وجحودهم .

(1/3)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا

الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)

11- وإذا قال أحد من المهتدين لهؤلاء المنافقين : لا تفسدوا فى الأرض بالصدِّ عن سبيل الله ، ونشر الفتنة وإيقاد نار الحرب برأوا أنفسهم من الفساد ، وقالوا : ما نحن إلا مصلحون . وذلك لفرط غرورهم ، وهذا شأن كل مفسد خبيث مغرور يزعم فساده إصلاحاً .

12- ألا فتنهوا أيها المؤمنون إلى أنهم هم أهل الفساد حقاً ، ولكنهم لا يشعرون بفسادهم لغرورهم ، ولا بسوء العاقبة التى ستصيبهم بسبب هذا النفاق .

13- وإذا قال قائل لهم ينصحهم ويرشدهم : أقبلوا على ما يجب ، وهو أن تؤمنوا إيماناً مخلصاً مثل إيمان الناس الكاملين المستجيبين لصوت العقل؛ سخروا وتهكموا وقالوا : لا يليق بنا أن نتبع هؤلاء الجهلاء ضعاف العقول . فرد الله عليهم تطاولهم وحكم عليهم بأنهم - وحدهم - الجهلاء الحمقى . ولكنهم لا يعلمون علماً يقيناً أن الجهل ونقص الإدراك محصور فيهم مقصور عليهم .

14- وإذا لقى هؤلاء المنافقون المؤمنين المخلصين قالوا : آمنا بما أنتم به مؤمنون من صدق الرسول ودعوته ، ونحن معكم فى الاعتقاد ، وإذا انصرفوا عنهم واجتمعوا بأصحابهم الذين يشبهون الشياطين فى الفتنة والفساد قالوا لهم : إنا معكم على طريقتكم وعملكم ، وإنما كان قولنا للمؤمنين ما قلنا : استخفافاً بهم واستهزاءً .

15- والله سبحانه يجازيهم على استهزائهم ، ويكتب عليهم الهوان الموجب للسخرية والاحتقار ، فيعاملهم بذلك معاملة المستهزئ ، ويمهلهم فى ظلمهم الفاحش الذى يجعلهم فى عمى عن الحق ، ثم يأخذهم بعذابه .

16- وهؤلاء إذ اختاروا الضلالة بدل الهداية كانوا كالتاجر الذى يختار لتجارته البضاعة الفاسدة الكاسدة فلا يربح فى تجارته ، ويضيع رأس ماله ، وهم فى عملهم غير مهتدين .

(1/4)

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) ضُمُّ بُكْمٍ عُمِّيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْءِ عِجٍ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)

17- حال هؤلاء فى نفاقهم كحال من أوقد ناراً لينتفع بها مع قومه ، فلما أنارت ما حوله من الأشياء ذهب الله بنورهم وترك موقديها فى ظلمات كثيفة لا يبصرون معها شيئاً ، لأن الله قدّم إليهم أسباب الهداية فلم يتمسكوا بها فصارت بصائرهم مطموسة ، فاستحقوا أن يبقوا فى الحيرة والضلال .

18- هؤلاء كالصم ، لأنهم قد فقدوا منفعة السمع ، إذ لا يسمعون الحق سماع

قبول واستجابة ، وهم كالبُكم الحُرس؛ لأنهم لا ينطقون بالهدى أو الحق ، وهم كالذين فقدوا أبصارهم لأنهم لا ينتفعون بها فى اعتبار أو انزجار ، فهم لا يرجعون عن ضلالتهم .

19- أو حالهم فى حيرتهم وشدة الأمر عليهم وعدم إدراكهم لما ينفعهم ويضرهم ، كحال قوم نزل عليهم مطر من السماء ورعد وصواعق ، يضعون أطراف أصابعهم فى آذانهم كى لا يسمعوا أصوات الصواعق خائفين من الموت ، زاعمين أن وضع الأصابع يمنعهم منه .  
وهؤلاء إذا نزل القرآن - وفيه بيان لظلمات الكفر والوعيد عليه ، وبيان الإيمان ونوره المتألق ، وبيان النذر وألوان العذاب - أعرضوا عنه وحاولوا الخلاص منه زاعمين أن إعراضهم عنه سيعفيهم من العقاب ولكن الله عليم بالكافرين مسيطر عليهم من كل جهة بعلمه وقدرته .  
20- إن هذا البرق الشديد يكاد يخطف منهم أبصارهم لشدته ، وهو يضى لهم الطريق حيناً فيسيرون خطوات مستعينين بضوئه ، فإذا انقطع البرق واشتد الظلام يقفون متحيرين ضالين ، وهؤلاء المنافقون تلوح لهم الدلائل والآيات فتبهرهم أضواؤها فيهمون أن يهتدوا ، ولكنهم بعد قليل يعودون إلى الكفر والنفاق . إن الله واسع القدرة إذا أراد شيئاً فعله ، لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء .

(1/5)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)  
الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)

21- يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى أنشأكم وخلقكم ونماكم كما خلق الذين سبقوكم ، فهو خالق كل شئ ، لعلكم بذلك تعدون أنفسكم وتهيئونها لتعظيم الله ومراقبته ، فتتطهر بذلك نفوسكم وتذعن للحق ، وتخاف سوء العاقبة .  
22- إنه وحده هو الذى مهد لكم الأرض بقدرته ، وبسط رقعته ليسهل عليكم الإقامة فيها والانتفاع بها ، وجعل ما فوقكم من السماء وأجرامها وكواكبها كالبنيان المشيد ، وأمدكم بسبب الحياة والنعمة - وهو الماء - أنزله عليكم من السماء فجعله سبباً لإخراج النباتات والأشجار المثمرة التى رزقكم بفوائدها ، فلا يصح مع هذا أن تتصوروا أن لله نظراء تعبدونهم كعبادته لأنه ليس له مثل ولا شريك ، وأنتم بفطرتكم الأصلية تعلمون أنه لا مثل له ولا شريك ، فلا تحرفوا هذه الطبيعة .

23- وإن كنتم فى ريب من صدق هذا القرآن الذى تتابع إنزالنا له على عبدنا محمد ، فحاولوا أن تأتوا بسورة مماثلة من سور هذا القرآن فى بلاغتها وأحكامها وعلومها وسائر هدايتها ، ونادوا الذين يشهدون لكم أنكم أتيتم بسورة مماثلة له فاستعينوا بهم ولن تجدوهم ، وهؤلاء الشهداء هم غير الله ، لأن الله يؤيد عبده بكتابه ، ويشهد له بأفعاله ، هذا إن كنتم صادقين فى ارتيابكم فى هذا

القرآن .

24- فإن لم تستطيعوا الإتيان بسورة مماثلة لسور القرآن - ولن تستطيعوا ذلك بحال من الأحوال - لأنه فوق طاقة البشر ، إذ القرآن كلام الخالق فالواجب عليكم أن تتجنبوا الأسباب التي تؤدي بكم إلى عذاب النار فى الآخرة ، التي سيكون وقودها وحطبها من الكافرين ومن الأصنام ، ولقد هيئت هذه النار لتعذيب الجاحدين المعاندين .

(1/6)

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا جَالِدُونَ (25) إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْحَاسِرُونَ (27)

25- وإذا كان هذا عقاب الفجار الجاحدين ، فالجنة مثوى المؤمنين ، فأخبر الذين صدَّقوا بالله ورسوله وكتابه ، وأذعنوا للحق دون شك أو ارتياب ، وعملوا الأعمال الصالحة الطيبة - أخبرهم بخبر يسرهم وبشرح صدورهم ، وهو أن الله أعد لهم عنده جنات مثمرة تتخللها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها ، كلما رزقهم الله وهم فى هذه الجنات - رزقاً من بعض ثمارها قالوا : إن هذا يشبه ما رزقنا من قبل ، لأن هذه الثمرات التى ينالونها تشابه أفرادها فى الصورة والجنس ولكنها تتمايز فى الطعم واللذة ، ولهم فيها أيضاً زوجات كاملات الطهارة ليس فيهن ما يعاب . وسيبقون فى هذه الجنة فى حياة أبدية لا يخرجون منها .

26- يضرب الله الأمثال للناس لبيان الحقائق العالية ، ويضرب بصغائر الأحياء ، وكبار الأشياء ، وقد عاب من لا يؤمنون ضرب المثل بصغائر الأحياء كالذباب والعنكبوت ، فبين الله سبحانه أنه لا يعتربه ما يعترى الناس من الاستحياء ، فلا يمنع أن يصور لعباده ما يشاء من أمور باي مثل مهما كان صغيراً ، فيصح أن يجعل المثل بعوضة أو ما فوقها ، والذين آمنوا يعلمون وجه التمثيل وأن هذا حق من الله ، والذين كفروا يتلقونه بالاستنكار ويقولون : ما الذى أراد الله بهذا المثل؟ وأن هذا المثل يكون سبباً لإضلال الذين لا يطلبون الحق ولا يريدونه ، ويكون سبباً لهداية المؤمنين بالحق الذى يطلبونه ، فلا يُضِلُّ به إلا المنحرفين المتمردين .

27- الذين ينقضون عهد الله - وهم الذين لم يلتزموا عهد الله القوي الذى أنشأه فى نفوسهم بمقتضى الفطرة موثقاً بالعقل المدرك ومؤيداً بالرسالة - ويقطعون ما أمر الله به أن يكون موصولاً كوصل ذوى الأرحام ، والتواد والتعارف والتراحم بين بنى الإنسان ، ويفسدون فى الأرض بسوء المعاملات وبإثارة الفتن وإيقاد الحروب وإفساد العمران ، أولئك هم الذين يخسرون بإفسادهم فطرتهم وقطعهم ما بينهم وبين الناس ما يجب أن يكون من تواد وتعاطف وتراحم ، ويكون مع ذلك لهم الخزي فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)

28- إن حالكم تثير العجب! كيف تكفرون ولا توجد شبهة تعتمدون عليها في كفركم؟ ونظرة إلى حالكم تأبى هذا الكفر ولا تدع لكم عذراً فيه ، فقد كنتم أمواتاً فخلقكم الله ووهبكم الحياة وحسن التقويم ، ثم هو الذي يعيدكم أمواتاً عند انتهاء أجلكم ، ثم يعثكم أحياء مرة أخرى للحساب والعقاب ثم إليه - لا إلى غيره - تعودون فيحاسبكم ويجازيكم على أعمالكم .

29- وإن الله الذي تجب عبادته وإطاعته هو الذي تفضل عليكم فخلق لمنفعتكم وفائدتكم كل النعم الموجودة في الأرض ، ثم قد توجهت إرادته مع خلقه الأرض بمنافعها إلى السماء فجعل منها سبع سموات منتظمات فيها ما ترون وما لا ترون ، والله محيط بكل شيء عالم به .

30- بين - سبحانه - أنه هو الذي أحيا الإنسان ومكن له في الأرض ، ثم بين بعد ذلك أصل تكوين الإنسان وما أودع فيه من علم الأشياء وذكره به ، فاذا ذكر يا محمد نعمة أخرى من نعم ربك على الإنسان ، وهى أنه قال للملائكة : إنى جاعل في الأرض من أمكنه منها وأجعله صاحب سلطان فيها وهو آدم وذريته ، استخلفهم الله في عمارة الأرض .

وإذ ذكر قول الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي ، ومن يسفك الدماء بالعدوان والقتل لما في طبيعته من شهوات ، بينما نحن ننزهك عما لا يليق بعظمتك ، ونظهر ذكرك ونمجِّدك؟ فأجابهم ربهم : إنى أعلم ما لم تعلموا من المصلحة فى ذلك .

31- وبعد أن خلق الله آدم وعلمه أسماء الأشياء وخواصها ليتمكن فى الأرض وينتفع بها ، عرض الله هذه الأشياء على الملائكة وقال لهم : أخبرونى بأسماء هذه الأشياء وخواصها إن كنتم صدقتم فى ظنكم أنكم أحق بخلافة الأرض ولا يوجد أفضل منكم بسبب طاعتكم وعبادتكم .

32- وقد ظهر للملائكة عجزهم فقالوا : إننا ننزهك يا ربنا التنزيه اللائق بك ، ونقر بعجزنا وعدم اعتراضنا ، فلا علم عندنا إلا ما وهبتنا إياه ، وأنت العالم بكل شيء ، الحكيم فى كل أمر تفعله .

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ )

(34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)

33- قال الله لآدم : أخبر الملائكة يا آدم بهذه الأشياء ، فأجاب وأظهر فضله عليهم ، وهنا قال الله لهم مذكراً لهم بإحاطة علمه : ألم أقل لكم إنى أعلم كل ما غاب فى السموات والأرض ولا يعلمه غيرى ، وأعلم ما تُظهرون فى قولكم وما تُخفون فى نفوسكم؟ .

34- واذكر - يا أيها النبى - حين قلنا للملائكة : اخضعوا لآدم تحية له وإقراراً بفضله ، فاطاع الملائكة كلهم إلا إبليس ، امتنع عن السجود وصار من العصيين له والكافرين بنعم الله وحكمته وعلمه .

35- ثم أمر الله آدم وزوجه أن يعيشا فى جنة النعيم فقال له : اسكن أنت وامراتك الجنة وكلا منها ما تشاءان أكلاً هنيئاً وافرأ من أى مكان ومن أى ثمر تريدان ، ولكن الله ذكر لهما شجرة معينة وحذرهما الأكل منها وقال لهما : لا تدنوا من هذه الشجرة ولا تأكلا منها ، وإلا كنتما من الظالمين العصيين .

36- ولكن إبليس الجاسد لآدم والحاقد عليه أخذ يحتال عليهما وبغريهما بالأكل من الشجرة حتى زلاً فأكلا منها ، فأخرجهما الله مما كانا فيه من النعيم والتكريم ، وأمرهما الله تعالى بالنزول إلى الأرض ليعيشا هما وذريتهما فيها ، ويكون بعضهم لبعض عدواً بسبب المنافسة وإغواء الشيطان ، ولكم فى الأرض مكان استقرار وتيسير للمعيشة ، وتمتع ينتهى بانتهاء الأجل .

37- وأحس آدم هو وزوجته بخطئهما وظلمهما لأنفسهما ، فألهم الله تعالى آدم كلمات يقولها للتوبة والاستغفار ، فقالها ، فتقبل الله منه وغفر له لأنه كثير القبول للتوبة ، وهو الرحيم بعباده الضعفاء .

(1/9)

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيبَايَ فَأَرْهَبُونَ (40) وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيبَايَ فَاتَّقُونَ (41) وَلَا تَلْسُبُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)

38- وقلنا لآدم وزوجته ومن سيكون من ذريته وإبليس : اهبطوا إلى الأرض وستكلفون تكاليفات فيها ، فإن جاءكم ذلك من عندى - وسيأتيكم حتماً -

فالذين يستجيبون لأمرى ويتبعون هداى لا يشعرون بخوف ، ولا يصيبهم حزن لفوات ثواب ، لأن الله لا يضع أجر من أحسن عملاً .

39- والذين جحدوا وكذبوا برسلى الله وكتبه ، أولئك أهل النار ، يظلون فيها أبداً لا يخرجون ولا يفنون .

40- يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى تفضلت بها عليكم أنتم وآباؤكم بالتفكير

فيها والقيام بواجب شكرها ، وأوفوا بعهدى الذى أخذته عليكم وأقررتموه على أنفسكم ، وهو الإيمان ، والعمل الصالح ، والتصديق بمن يجيئ بعد موسى من الأنبياء ، حتى أوفى بوعدى لكم وهو حسن الثواب والنعيم المقيم ، ولا تخافوا أحداً غيرى ، واحذروا من أسباب غضبى عليكم .

41- وصدّقوا بالقرآن الذى أنزلت مصدقا لما عندكم من كتاب وعلم من التوحيد وعبادة الله ، والعدل بين الناس ، ولا تسارعوا إلى جحود القرآن فتكونوا أول الكافرين به من حيث ينبغى أن تكونوا أول المؤمنين به ، ولا تتركوا آيات الله لتأخذوا عن ذلك عوضاً قليلاً زائلاً من متاع الحياة الدنيا ، وخصّونى بالخوف فاتبعوا طريقي ، وأعرضوا عن الباطل .

42- ولا تخلطوا الحق المُنزّل من عندى بالباطل المفترى من عندكم ، حتى لا يشتهب هذا بذاك ، ولا تكتموا الحق ومنه صدق محمد ، وأنتم تعلمون أنه حق وصدق .

43- واستجيبوا للإيمان . فأدّوا الصلاة مستقيمة الأركان ، وأعطوا الزكاة لمستحقها ، وصلوا مع جماعة المسلمين لتنالوا ثواب الصلاة وثواب الجماعة ، وهذا يستلزم أن تكونوا مسلمين .

(1/10)

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثَلَاثُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)  
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَطُئُونَ  
أَنْفُسَهُمْ مَلَأُوا رِبَّهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي  
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ فَضَلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ  
نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (48) وَإِذْ  
تَجَنَّبَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْتَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ  
نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)

44- أتطلبون من الناس أن يتوسعوا فى الخير ، وأن يلتزموا الطاعة ويتجنبوا المعصية ، ثم لا تعملون بما تقولون ، ولا تلتزمون بما تطلبون؟ ، وفى ذلك تضيق لأنفسكم كأنكم تنسونها ، مع أنكم تفرعون التوراة وفيها التهديد والوعيد على مخالفة القول للعمل ، أليس لديكم عقل يردعكم عن هذا التصرف الذمى؟

45- واستعينوا على أداء التكليفات بالصبر وحبس النفس على ما تكره ، ومن ذلك الصوم ، وبالصلاة العظيمة الشأن التى تنقى القلب وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذلك كانت ثقيلة شاقة إلا على الخاضعين المحبين للطاعة ، الذين اطمانت قلوبهم لذكر الله .

46- أولئك هم الخاضعون المطمئنة قلوبهم ، الذين يؤمنون باليوم الآخر ويوقنون بأنهم سيلاقون ربهم عند البعث ، وإليه - وحده - يعودون ليحاسبهم على ما قدمت أيديهم ويشبههم عليه .

47- يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت بها عليكم ، من إخراجكم من ظلم فرعون وهدايتكم وتمكينكم فى الأرض بعد أن كنتم مستضعفين فيها ، واشكروا واهبها بطاعتكم له ، واذكروا أننى أعطيت آباءكم الذين انحدرتم منهم ما لم أعطه أحداً من معاصريكم ، والخطاب لجنس اليهود وموجه كذلك



للمعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم .

48- وخافوا يوم الحساب الشديد : يوم القيامة الذي لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا تغنى فيه نفس عن نفس أخرى شيئاً ، ولا يقبل من أى نفس تقديم أى شفيح ، كما لا يقبل أى فداء تفدى به الذنوب ، ولا يستطيع أحد أن يدفع العذاب عن مستحقه .

49- واذكروا من نعمنا عليكم أن نجيناكم من ظلم فرعون وأعوانه الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب ، فهم يذبحون الذكور من أولادكم لتوهم أن يكون منهم من يذهب بملك فرعون ويستبقون الإناث ليستخدموهن ، وفى هذا العذاب والتعرض للفناء ابتلاءً شديد من ربكم واختبار عظيم لكم .

(1/11)

وَإِذْ قَرَّبْنَا بَكْمُ الْبَحْرِ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50) وَإِذْ وَأَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52) وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)

50- واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن أجلكم البحر - وفصلنا ماءه بعضه عن بعض لتسيروا فيه - ففتخلصوا من ملاحقة فرعون وجنوده ، وفضلنا نجوتهم ، وانتقمنا لكم من عدوكم ، فأغرقناهم أمام أبصاركم ، فأنتم ترونهم وهم يغرقون والبحر ينطبق عليهم عقب خروجكم منه .

51- واذكروا حين واعد ربكم موسى أربعين ليلة لمناجاته ، فلما ذهب إلى ميغاده وعاد ، وجدكم قد انحرفتم واتخذتم العجل الذى صنعه السامرى معبوداً لكم ، وكنتم ظالمين باتخاذكم العجل شريكاً لله الذى خلقكم ونجاكم .

52- ثم عفونا عنكم ومحونا عقوبتكم حين تبتتم واستغفرتم من إثمكم ، لعلكم تشكرون ربكم على صفحه وعفوه وفضله .

53- واذكروا نعمتنا عليكم إذ أنزلنا على نبيكم موسى كتابنا التوراة ، وهو الذى يفرق بين الحق والباطل ، ويميز الحلال من الحرام ، لكى تسترشدوا بنورها وتهتدوا من الضلال بتدبر ما فيها .

54- واذكروا يوم قال لكم رسولكم موسى : يا قوم ، لقد ظلمتم أنفسكم باتخاذكم عجل السامرى معبوداً ، فتوبوا إلى ربكم خالقيكم من العدم ، بأن تغضبوا على أنفسكم الشريرة الآمرة بالسوء وتذلوها ، لتتجدد بنفوس مطهرة ، فأعانكم الله على ذلك ووقفكم له وكان ذلك خيراً لكم عند خالقيكم ، ولهذا قيل توبتكم وعفا عنكم ، فهو كثير التوبة على عباده ، واسع الرحمة بهم .

55- واذكروا قولكم لموسى : إنا لن نقر لك بالإيمان حتى نرى الله جهاراً عياناً بحاسة البصر لا يحجبه عنا شئ ، فانقضت عليكم صاعقة ونار من السماء زلزلتكم جزاء عنادكم وظلمكم وطلبكم ما يستحيل وقوعه لكم ، وأنتم تنظرون حالكم وما أصابكم من بلاء وعذاب فى الصاعقة .

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56) وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57) وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)

56- ثم أيقظناكم من غشيتكم وهمودكم ، وعلمناكم لكى تشكروا نعمتنا فى ذلك ، وتؤيدوا حق الله عن طريق هذا الشكر .

57- ومن فضلنا عليكم أننا جعلنا السحاب لكم كالظلة ليصونكم من الحر الشديد ، وأنزلنا عليكم المن ، وهو مادة حلوة لزجة كالعسل تسقط على الشجر من طلوع الشمس ، كما أنزلنا عليكم السلوى وهو الطائر المعروف بالسمان ، فهو ياتيكم بأسرابه بكرة وعشيا لتأكلوا وتتمتعوا ، وقلنا لكم : كلوا من طيبات رزقنا . فكفرتم بالنعمة ، ولم يكن ذلك بضائرننا ، ولكنكم تظلمون أنفسكم لأن ضرر العصيان واقع عليكم .

58- واذكروا - يا بنى إسرائيل - حين قلنا لكم : ادخلوا المدينة الكبيرة التى ذكرها لكم موسى نبيكم ، فكلوا مما فيها كما تشاءون ، كثيرا واسعا ، على أن يكون دخولكم بخشوع وخضوع من الباب الذى سمّاه لكم نبيكم ، واسألوا الله عند ذلك أن يغفر لكم خطاياكم ، فمن يفعل ذلك بإخلاص نغفر له خطاياه ، ومن كان محسنا مطيعا زدناه ثوابا وتكريما فوق العفو والمغفرة .

59- ولكن الذين ظلموا خالفوا أمر ربهم ، فقالوا غير ما أمرهم بقوله ، استهزاء وتمردا ، فكان الجزاء أن أنزل الله على الظالمين عذابا من فوقهم جزاء فسقهم وخروجهم على أوامر ربهم .

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالَ آتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَصُرْبْتُمْ عَلَيْهِمُ الدَّهْلُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعَصَبِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّالِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)

60- واذكروا - يا بنى إسرائيل - يوم طلب نبيكم موسى السقيا لكم من ربه حين اشتد بكم العطش فى التيه ، فرحمناكم وقلنا لموسى : اضرب بعصاك الحجر . فانفجر الماء من اثنتى عشرة عينا ، فصار لكل جماعة عين - وكانوا

انتى عشرة جماعة - فعرفت كل قبيلة مكان شربها ، وقلنا لكم : كلوا من المن والسلوى ، واشربوا من هذا الماء المتفجر ودعوا ما أنتم عليه ، ولا تسرفوا فى الإفساد فى الأرض بل امتنعوا عن المعاصى .

61- واذكروا - أيها اليهود - أيضاً يوم سيطر البطر على أسلافكم ، ولم يؤدوا لنعمة الله حقها فقالوا لموسى : إننا لن نصبر على طعام واحد ( وهو المن والسلوى ) فادع لنا ربك كى يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقولها وقتائها وعدسها وثومها وبصلها ، فتعجب موسى من ذلك ، وأنكره عليهم فقال لهم : أنفضلون هذه الأصناف على ما هو أفضل وأحسن ، وهو المن والسلوى ؟ . .

فانزلوا إذن من سيناء وادخلوا مدينة من المدن فإنكم ستجدون فيها ما تريدون ، وبسبب ذلك البطر والعناد أحاطت بهؤلاء اليهود المذلة والفقر والخنوع ، واستحقوا غضب الله عليهم لما ألفوه من العناد والعصيان ، وما جروا عليه من الكفر بآيات الله وبقتلهم الأنبياء مخالفين بذلك الحق الثابت المقرر ، وقد جرأهم على ذلك - الكفر وهذا القتل - ما رُكب فى نفوسهم من التمرد والعدوان ومجاوزة الحد فى المعاصى .

62- إن الذين آمنوا من الأنبياء من قبل ، واليهود والنصاري ، ومن يقدسون الكواكب والملائكة ، من آمن برسالة محمد بعد بعثته ، ووحّد الله تعالى وأمن بالبعث والحساب يوم القيامة ، وعمل الأعمال الصالحة فى دنياه ، فهؤلاء لهم ثوابهم المحفوظ عند ربهم ، ولا يلحقهم خوف من عقاب . ولا ينالهم حزن على فوات ثواب ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

(1/14)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64) وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَلَمَّا لَّهُمْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ يَتْلُو عَلَيْهِمْ وَكَانَ يُعَذِّبُهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ آيَاتُ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (65) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَذْبَحُوا بِحُورٍ مَغْرُوبٍ أَمْ ذَبْحُهَا يَكُونُ أَهْلًا لِيَوْمِ الْحَافِظِ (66) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَذْبَحُوا بِحُورٍ مَغْرُوبٍ أَمْ ذَبْحُهَا يَكُونُ أَهْلًا لِيَوْمِ الْحَافِظِ (67)

63- اذكروا حين أخذنا عليكم العهد والميثاق رافعين جبل الطور ، وجعلناه بقدرتنا كالظلة فوقكم حتى خفتم وأذعنتم وقلنا لكم : خذوا ما آتيناكم من هدى وإرشاد بجد واجتهاد ، واذكروا ما فيه ذكر من يستجيب له ويعمل به كى تصونوا بذلك أنفسكم من العقاب .

64- ثم إنكم أعرضتم بعد ذلك كله ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وتأخيره العذاب عنكم لكنتم من الضالين الهالكين .

65- وأنتم بلا ريب قد عرفتم أولئك الذين تجاوزوا الحد منكم فى يوم السبت ، بأن صادوا السمك فيه - مع أنه يوم راحة وعيد والعمل محرم فيه - فمسخ الله قلوب المخالفين ، وصاروا كالقردة فى نزواتها وشهواتها ، وجعلناهم مبعدين من رحمتنا ينفر الناس من مجالستهم ويشمئزون من مخالطتهم .

66- وقد جعل الله هذه الحال التى ألوا إليها عبرة وتحذيرا لغيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم ، جعلها عبرة لمعاصريهم ومن يأتى بعدهم ، كما جعلناها موعظة للذين يتقون ربهم ، لأنهم هم الذين ينتفعون بنذير العظات والعبر .

67- واذكر - يا محمد - حين قال موسى لقومه وقد قُتل فيهم قتيل لم يعرفوا قاتله : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ليكون ذلك مفتاحاً لمعرفة القاتل ، ولكنهم استغربوا أن تكون هناك صلة بين قتل القتيل وذبح البقرة قائلين : أتسخر منا يا موسى؟ ، فرد عليهم قائلاً : إنى أعتصم بتأديب الله لى أن أكون من الجاهلين الذين يستهزئون بعباده .

(1/15)

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوثُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهَيِّدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْنَا بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72)

68- هنا قالوا لموسى - مترددين فى أمر البقرة : اطلب لنا من ربك أن يبين لنا صفة تلك البقرة ، فقال لهم : إن الله أخبرنى بأنها ليست كبيرة وليست صغيرة ، بل هى وسط بين الكبر والصغر ، فنفذوا ما أمركم الله به .  
69- ولكنهم استمروا فى ترددهم فقالوا : اطلب لنا من ربك أن يبين لنا لون هذه البقرة ، فأجابهم موسى : بأن الله يقول : إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة مع صفاء ، تُعجِبُ الناظر إليها لصفاء لونها ووضوحه .  
70- ثم لجوا فى أسئلتهم فقالوا : ادع لنا ربك يبين لنا شأن هذه البقرة ، لأن البقر تشابه علينا ، وسنهندي إليها بمشيئة الله .  
71- فقال لهم : إن الله يقول إنها بقرة لم تذلل بالعمل فى حرث الأرض وقلبها للزراعة ، ولا فى سقى الأرض المهيأة للزراعة أو ما فيها من نبات ، وهى بريئة من العيوب ، سالمة من الآفات ، لا لون فيها يخالف سائر جسدها ، فقالوا له : الآن جئت بالبيان الواضح ، وبحثوا عن البقرة المتصفة بهذه الأوصاف فذبحوها ، وقد قاربوا ألا يفعلوا ذلك لكثرة أسئلتهم وطول لجاجهم .  
72- واذكروا يوم قتلتم نفسا وتخاصتم وتدافعتم الجريمة ، فاتَّهم بعضهم بعضا بقتلها ، والله يعلم الحقيقة وهو كاشفها ومظهرها مع كتمانكم لها .

(1/16)

فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَبُرْيَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقِقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74) أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)

73- فقلنا لكم على لسان موسى : اضربوا القتل بجزء من هذه البقرة ، ففعلتم : فأحيا الله القتيل وذكر اسم قاتله ، ثم سقط ميتاً ، وكانت معجزة من الله لموسى .

لأن الله قادر على كل شئ ، وبقدرته هذه يحيى الموتى يوم القيامة ، ويربكم دلائل قدرته لعلكم تعقلونها وتعتبرون بها .  
74- ثم إنكم بعد هذه الآيات كلها لم تستجيبوا ولم تستقيموا ، ولم تلن قلوبكم أو تخشع ، بل غلظت وتصلبت وبقيت على قسوتها ، بل إنها أشد قسوة من الحجارة ، لأن الحجارة قد تتأثر وتنفعل ، فهناك أحجار تتفجر منها المياه الكثيرة فتجرى أنهاراً ، وهناك أحجار تتشقق فيخرج منها الماء عيوناً فوارة ، ومنها ما يتأثر بقدره الله وينقاد لمشيئته فيتردى من أعلى الجبال انقياداً لما أرادته الله تعالى به ، أما قلوبكم أيها اليهود فإنها لا تتأثر ولا تلين ولكم الويل على ذلك ، فالله ليس بغافل عن أعمالكم ، وهو سيؤدبكم بألوان النقم إذا لم تشكروا أنواع النعم .

75- ما كان ينبغي لكم أيها المؤمنون أن تطمعوا في أن يؤمن اليهود بدينكم وينقادوا لكم وقد اجتمعت في مختلف فرقهم أشتات الرذائل التي تباعد بينهم وبين الإيمان بالحق ، فقد كان فريقاً منهم - وهم الأحرار - يسمعون كلام الله في التوراة ويفهمونه حق الفهم ثم يتعمدون تحريفه وهم يعلمون أنه الحق ، وأن كتب الله المنزلة لا يجوز تغييرها .

(1/17)

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذْتُمُوهُمْ بِيَمَانٍ فَتَحَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78) قَوْلِ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشِيرُوا بِهِ تَمَّ قَلِيلًا قَوْلِ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79) وَقَالُوا لَنْ تَمْسَسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81)

76- وكان فريق من منافقيهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا مخادعين لهم : آمنا بأنكم على الحق وأن محمداً هو النبي الذي جاء وصفه في التوراة ، وإذا خلا بعضهم إلى بعض عاتبهم الفريق الآخر على غفلتهم ، إذ تنزلق ألسنتهم في أثناء خداعهم للمؤمنين بعبارات تفيد خصومهم ولا يستدعيها الخداع ، فيذكرون لهم ما ورد في التوراة من أوصاف محمد ويعطونهم بذلك حجة عليهم يوم القيامة .

77- وهل غاب عن هؤلاء وأولئك أن الله ليس في حاجة إلى مثل هذه الحجة لأنه يعلم ما يخفون وما يبذون؟ .

78- ومن اليهود فريق جهلة أميون لا يعرفون عن التوراة إلا أكاذيب تتفق مع أمانيتهم ، لققها لهم أحرارهم ، وألقوا في ظنهم أنها حقائق من الكتاب .

79- فالهلاك والعذاب لهؤلاء الأحرار الذين يكتبون كتباً بأيديهم ، ثم يقولون للأمية : هذه هي التوراة التي جاءت من عند الله ، ليصلوا من وراء ذلك إلى

غرض تافه من أغراض الدنيا فيشتروا التافه من حطام الدنيا بثمن غال وعزيز هو الحقيقة والصدق ، فويل لهم مما تقوّلوه على الله ، وويل لهم مما يكسبون من ثمرات افترائهم .

80- ومن اختلاقاتهم وأكاذيبهم ما يتلقونه من أحبارهم من أن النار لن تمس يهودياً مهما ارتكب من المعاصي إلا أياماً معدودة ، فقل لهم يا محمد : هل تعاهدتم مع الله على ذلك فاطمأنتم ، لأن الله لا يخلف عهده ، أم أنكم تفترون الكذب عليه ؟ .

81- الحق أنكم تفترون الكذب على الله ، فحكم الله العام نافذ في خلقه جميعاً لا فرق بين يهودي وغير يهودي ، لأن من ارتكب سيئة وأحاطت به آثامه حتى سدت عليه منافذ الخلاص ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون .

(1/18)

---

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (83) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَسْهَدُونَ (84)

82- والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ، لأنهم آمنوا وأدوا ما يفرضه عليهم إيمانهم من صالح الأعمال ، فهم فيها خالدون .

83- وإن لكم معشر اليهود بجانب هذا كله ماضياً حافلاً بالإثم ونقض المواثيق ، وتعدّي ما وضعه الله لكم من حدود ، فلتذكروا إذ أخذنا عليكم في التوراة ميثاقاً ألا تعبدوا إلا الله ، وأن تحسنوا إلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ، وتستخدموا في حديثكم مع الناس القول الطيب الذي يؤلف بينكم وبينهم ولا ينفركم منكم ، وتؤدوا ما فرض عليكم من صلاة وزكاة ، ولتذكروا ما كان من مسلككم حيال هذا الميثاق إذ نقضتموه وأعرضتم عنه إلا قليلاً منكم ممن أذعن للحق .

84- وإذ أخذنا ميثاقاً عليكم في التوراة ألا يسفك بعضكم دماء بعض ، ولا يخرج بعضكم بعضاً من ديارهم ، وهو ميثاق تقررون أنه في كتابكم وتشهدون على صحته .

(1/19)

---

ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسَكُمْ وَيُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ آسَارَىٰ تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبُؤْسُ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَسَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (86) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا

عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْتَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى  
أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)

85- وها أنتم أولاء يقتل بعضكم بعضا ، ويخرج فريق منكم فريقاً آخر من ديارهم متعاونين فى ذلك عليهم مع غيركم بالإثم والعدوان ، ثم إن وقع فريق منكم أسرى لدى من تتعاونون معهم تعملون على إنقاذهم من الأسر بافتدائهم ، وإن سئلتهم عما حملكم على افتدائهم قلتهم : لأن أسفارنا أمرتنا أن نفدى أسرانا من اليهود ، أو لم تأمركم أسفاركم كذلك ألا تسفكوا دماء إخوانكم ، وألا تخرجوهم من ديارهم ؟ ، أفتذعنون لبعض ما جاء فى الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردهم الله - المطلاع على أعمالهم وسرائرهم - إلى أشد العذاب .

86- وذلك لأنهم قد آثروا أعراض الدنيا الزائلة على نعيم الآخرة الدائم ، وكانوا بهذا كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، فلن يخفف عنهم عذاب جهنم ، ولن يجدوا من ينقذهم منه .

87- ولتذكروا كذلك - معشر اليهود - مواقفكم الضالة الآثمة حيال موسى ومن بعثناه من بعده إليكم من المرسلين . فلقد أرسلنا إليكم موسى وأتيناه التوراة وبعثنا إليكم على آثاره عدة رسل ، منهم عيسى ابن مريم الذى أمددناه بالمعجزات وأيدناه بروح القدس ، وهو جبريل رسول الوحي الأمين ، فكنتم كلما جاءكم رسول من هؤلاء بما لا تهوى أنفسكم تستكبرون عن اتباعه ، وفريق كذبتموه وفريق آخر قتلتموه .

(1/20)

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (88) وَلَمَّا جَاءَهُمْ  
كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ  
كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89) بَيِّنَاتٍ  
اِشْتَرَوْا بِهِنَّ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ قَوْلِهِ عَلَى  
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَائِلًا يَعَصِبَ عَلَى عَصَبِ الْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)  
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَبِكُفْرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ  
وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ  
(91)

88- وكذلك كان موقفكم حيال رسولنا - محمد - خاتم النبيين . فلقد قلتهم له حينما دعاكم إلى الإسلام : إن قلوبنا مغطاة بأغشية لا تنفذ إليها دعوتك ، فلا نكاد نفقه شيئاً مما تقول . ولم تكن قلوبهم كما يزعمون ، ولكنهم استكبروا وآثروا الضلالة على الهدى ، فلعنهم الله بكفرهم وأوهن يقينهم وأضعف إيمانهم .

89- ولما جاءهم رسولنا بالقرآن - وهو كتاب من عند الله مصدق لما أنزل عليهم من التوراة ، وعرفوا من التوراة نفسها صدق ما فى هذا الكتاب - كفروا به عناداً وحسداً لأنه قد جاءهم به رسول من غير شعبهم بنى إسرائيل ، مع أنهم كانوا من قبل إذا اشتبكوا مع المشركين فى صراع حربى أو جدلى ذكروا أن الله سينصرهم بإرسال خاتم النبيين الذى بشر به كتابهم ، والذى تتفق

صفاته كل الاتفاق مع صفات محمد . ألا لعنة الله على أمثالهم من المعاندين الجاحدين .

90- ولبئس ما باعوا به أنفسهم بغياً وعدواناً ، إذ مالوا مع أهوائهم وتعصبهم لشعبهم فكفروا بما أنزلنا ، ناقمين على غيرهم أن خصهم الله دونهم بإرسال رسول منهم منكرين على الله أن يكون له مطلق الخيرة في أن ينزل من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب على غضب لكفرهم وعنادهم وحسداهم ، وعذبوا بكفرهم وللكافرين عذاب عظيم .

91- هذا هو ما كانت تنطوى عليه نفوسهم ، ولكنهم كانوا يبررون أمام الخلق عدم إيمانهم بالقرآن حينما يطلب منهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون إلا بما أنزل عليهم هم ويكفرون بغيره ، ولقد كذبوا فيما يدعون من إيمانهم بما أنزل عليهم من التوراة ، لأن كفرهم بهذا الكتاب المصدق لما في كتابهم هو كفر بكتابهم نفسه ، ولأنهم قد قتلوا الأنبياء الذين دعواهم إلى ما أنزل عليهم ، وقتلهم لهؤلاء أقطع دليل على عدم إيمانهم برسالتهم .

(1/21)

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92)  
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمِعُوا قَالُوا  
سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَا مُرْكُم بِهِ  
إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93) قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً  
مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَيَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94) وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا  
قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ  
وَمِنَ الَّذِينَ إِشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أَخَذْتُمُ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَّخٍ رِّجِهِ مِنَ الْعَذَابِ  
أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)

92- بل لقد كفرتم - أيها اليهود - كفراً صريحاً بكتبكم ، ورجعتم إلى الشرك في عهد موسى نفسه ، فلقد جاءكم موسى بالبينات والمعجزات الناطقة بصدقه ، لكنكم حين تغيب موسى لمناجاة ربه عبدتم العجل ورجعتم إلى سابق وثنيكم وأنتم ظالمون مبطلون .

93- وحينما جاءكم بالتوراة ، ورأيتم ما فيها من تكاليف شاقة ، فاستثقلتم أعباءها واربتتم فيها ، أراكم الله أية على صدق هذا الكتاب وفائدة تعاليمه لكم ، فرفع جبل الطور فوق رؤوسكم حتى صار كأنه ظلّة وطنتم أنه واقع بكم ، وحينئذ أعلنتم القبول والطاعة ، فأخذنا عليكم ميثاقاً ألا يأخذكم هوى في الامتثال لما جاء في هذا الكتاب ، فقلتم : أمنا وسمعنا ، ولكن أعمالكم تكشف عن عصيانكم وتمردكم ، وأن الإيمان لم يخالط قلوبكم ، ولا يمكن أن يكون الإيمان قد خالط قلوب قوم شغفوا حياً بعبادة العجل . فلبئس ما دفعكم إليه إيمانكم إن كنتم مؤمنين .

94- ولقد زعمتم أن الله سيخصكم من بين سائر الناس بنعيم الجنة بعد الممات ، فإن كنتم مؤمنين حقاً بما تقولون فليكن الموت محبباً إليكم ، ولتتمنوه حتى لا يبطل عنكم هذا النعيم الذي تدعون .

95- ولكنهم في الواقع لا يرغبون في الموت أبداً لما اقتترفوه من ظلم لا يخفى أمره على الله ، الذي يعلمهم أنهم كاذبون فيما يدعون ، وأن النعيم يوم



القيامة للمتقين ، لا للفجار أمثالهم .  
96- بل إنك لتجدنهم أحرص الناس جميعاً على حياتهم على أى شكل عزيزة أو ذليلة ، وحرصهم أكثر من حرص المشركين الذين لا يؤمنون ببعث ولاجنة ، ولذلك يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، ولن يبعد عنه تعميره - مهما طال - ما ينتظر من عذاب الله ، إنه عليم بالظالمين وسيذيقهم جزاء ما اقترفوه .

(1/22)

---

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99) أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمُ لَا يَعْلَمُونَ (101)

97- ولقد زعم بعضهم أنهم يعادونك ويكفرون بكتابك لأنهم أعداء لجبريل الذى يبلغك هذا الكتاب ، فقل أيها النبى لهم : من كان عدواً لجبريل فهو عدو الله ، لأن جبريل ما يجئ بهذا الكتاب من عنده ، وإنما ينزله بأمر الله مصدقاً لما سبقه من الكتب السماوية ، ومصداقاً لكتابهم نفسه ، وهدى وبشرى للمؤمنين

98- فمن كان عدواً لجبريل أو ميكائيل أو لآى ملك أو رسول من ملائكة الله ورسله الذين لا يفعلون ولا يبلغون إلا ما يأمرهم به الله ، فإنه بذلك يكون عدواً وكافراً به ، والله عدو الكافرين .

99- وما ينزل جبريل على قلبك إلا بآيات بينات لا يسع طالب الحق إلا الإيمان بها ، وما يكفر بمثلها إلا المعاندون الخارجون عن سنة الفطرة .  
100- وكما تذبذبوا فى العقيدة والإيمان ، تذبذبوا كذلك فيما يبرمونه من عهود ، فكانوا كلما عاهدوا المسلمين وغيرهم عهداً نبذوه فريق منهم . لأن معظمهم لا يؤمن بحرمة عهد ولا بقداسة ميثاق .

101- ولما جاءهم رسول من عند الله مطابقة أوصافه لما فى أسفارهم - وهو محمد صلى الله عليه وسلم - نبذ فريق منهم ما ذكر فى كتبهم عن هذا الرسول ، كأنه لم يرد فيها ولم يعلموا شيئاً عنه .

(1/23)

---

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِتَأْيِيدِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا تَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ

عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا  
أَنْظِرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)

102- ولقد صدَّقوا ما تتَقَوَّلوه شياطينهم وفجرتهم على ملك سليمان ، إذ زعموا أن سليمان لم يكن نبياً ولا رسولاً ينزل عليه الوحي من الله ، بل كان مجرد ساحر يستمد العون من سحره ، وأن سحره هذا هو الذي وطد له الملك وجعله يسيطر على الجن والطير والرياح ، فنسبوا بذلك الكفر لسليمان ، وما كفر سليمان ، ولكن هؤلاء الشياطين الفجرة هم الذين كفروا ، إذ تقوَّلوا عليه هذه الأقاويل ، وأخذوا يعلمون الناس السحر من عندهم ومن آثار ما أنزل بيابيل على الملكين هاروت وماروت ، مع أن هذين الملكين ما كانا يعلمان أحداً حتى يقولوا له : إنما نعلمك ما يؤدي إلى الفتنة والكفر فاعرفه واحذره وتوقَّ العمل به . ولكن الناس لم ينتصحو بهذه النصيحة ، فاستخدموا ما تعلموه منهما فيما يفرقون به بين المرء وزوجه . نعم كفر هؤلاء الشياطين الفجرة إذ تقوَّلوا هذه الأقاويل من أقاويلهم وأساطيرهم ذريعة لتعليم اليهود السحر ، وما هم بضارين بسحرهم هذا من أحد ، ولكن الله هو الذي يأذن بالضرر إن شاء ، وأن ما يؤخذ عنهم من سحر سيضر من تعلمه في دينه ودنياه ولا يفيد شياً ، وهم أنفسهم يعلمون حق العلم أن من اتجه هذا الاتجاه لن يكون له حظ في نعيم الآخرة ، وليئس ما اختاروه لأنفسهم لو كانت بهم بقية من علم .

103- وليوأنهم آمنوا بالحق وخافوا مقام ربهم لأثابهم الله ثواباً حسناً ، وكان ذلك خيراً مما يلقونه من أساطير ويضمرونه من خبث لو كانوا يميزون النافع من الضار .

104- يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم من هؤلاء اليهود فلا تقولوا للرسول حينما يتلوا عليكم الوحي : ( راعنا ) قاصدين أن يجعلكم موضع رعايته ، ويتمهل عليكم في تلاوته حتى تعوه وتحفظوه ، لأن خبثاء اليهود يتظاهرون بمحاكاتكم في ذلك ، ويلوون ألسنتهم بهذه الكلمة حتى تصير مطابقة لكلمة سباب يعرفونها ويوجهونها للرسول ليسخروا منه فيما بينهم ، ولكن استخدموا كلمة أخرى لا يجد اليهود فيها مجالاً لخثهم وسخريتهم : فقولوا : ( انظرننا ) وأحسنوا الإصغاء إلى ما يتلوه عليكم الرسول ، وأن الله ليدخر يوم القيامة عذاباً أليماً لهؤلاء المستهزئين بالرسول .

(1/24)

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ  
رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105) مَا تَسْخُ  
مِنْ آيَةٍ أَوْ نُسْخَهَا تَأْتِي خَيْرٌ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ )  
(106) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ  
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ  
وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَبِيلَ السَّبِيلِ (108) وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ لَوْ يَرُّدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسِيدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا  
تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ (109)

105- ولتعلموا أن هؤلاء الكافرين من اليهود والمشركين من عبدة الأصنام لا يرجون إلا ضرركم ولا يودون أن ينزل عليكم خير من ربكم ، والله لا يقيم وزناً لما يرجون وما يكرهون . فالله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

106- ولقد طلبوا منك - يا محمد - أن تأتيهم بالمعجزات التي جاءهم بها موسى وأنبياء بنى إسرائيل ، وحسبنا أننا أيدناك بالقرآن ، وأنا إذا تركنا تأييد نبي متأخر بمعجزة كانت لنبي سابق ، أو أنسينا الناس أثر هذه المعجزة فإننا نأتى على يديه بخير منها أو مثلها فى الدلالة على صدقه ، فالله على كل شئ قدير .

107- وهو الذى بيده ملكوت السموات والأرض ، وليس لكم - أيها الناس - من دونه ولى يعينكم ، ولا سند ينصركم .

108- لعلكم تريدون باقتراحكم معجزات معينة على رسولكم - محمد - أن تحاكو بنى إسرائيل المعاصرين لموسى ، إذ طلبوا إليه معجزات خاصة . إن اقتراحكم هذا ليخفى وراءه العناد والجنوح إلى الكفر ، كما كان يخفى ذلك اقتراح بنى إسرائيل على رسولهم . ومن يؤثر العناد والكفر على الإخلاص للحق والإيمان ، فقد حاد عن الطريق السوى المستقيم .

109- ولقد تمنى كثير من اليهود أن يردوكم - أيها المسلمون - إلى الكفر بعد إيمانكم ، مع أنه قد تبين لهم من كتابهم نفسه أنكم على الحق ، وما ذلك إلا لأنهم يحسدونكم ويخشون أن ينتقل إليكم السلطان ويفلت من أيديهم ، فأعرضوا عنهم ، واعفوا واصفحوا حتى يأذن الله لكم بمسلك آخر حيالهم ، فهو القادر على أن يمكنكم منهم ، وهو على كل شئ قدير .

(1/25)

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110) وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارًا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَبِستِ النَّصَارَى لَبِستِ الْيَهُودَ عَلَى سَنِيءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)

110- وحافظوا على شعائر دينكم ، فأقيموا الصلاة ، وأعطوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من أعمال طيبة وصدقة تجدوا ثوابه عند الله . إن الله بما تعملون عليم ، علم من يبصر ويرى .

111- ومن أباطيل اليهود والنصارى وأمانيتهم الكاذبة ما يزعمه كل منهم : من أن الجنة لن يدخلها إلا من كان على دينهم ، فلتطلبوا إليهم أن يأتوا ببرهان على ذلك إن كانوا صادقين .

112- ولن يجدوا على ذلك برهاناً ، فالحق أن الذين يدخر لهم الله تعالى نعيم الجنة ويثيبهم يوم القيامة ويطيبهم الخوف والحزن ، هم الذين يخلصون لله

ويتبعون الحق ، ويحسنون ما يؤدونه من أعمال .  
113- ومن عجب أنهم كما يعادون الإسلام يعادى بعضهم بعضاً ، فيقول اليهود : ليست النصرى على شئ من الحق ، ويقول النصرى فى اليهود مثل ذلك ، وكلاهما يستدل بأسفاره ، ويقول المشركون من العرب الذين لا يعلمون شيئاً عن الكتب المنزلة فى اليهود والنصرى معاً ما يقوله كلاهما فى الآخر ، ولقد صدقوا جميعاً فى ذلك ، فليس منهم فريق على حق ، وسيتبين ذلك حينما يحكم الله بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون .  
114- ومن مظاهر عدائهم بعضهم لبعض؛ وعدائهم للمسلمين ، أن بعض طوائفهم خربت معابد الطوائف الأخرى ، وأن المشركين منعوا المسلمين من المسجد الحرام ، وليس ثمة أحد أشد ظلماً ممن يحول دون ذكر الله فى أماكن العبادة ويسعى فى خرابها ، فأولئك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . وما كان لهم أن يقترفوا مثل هذا الجرم الخطير ، وإنما كان ينبغي أن يحفظوا للمعابد حرمتها ، فلا يدخلوها إلا خاشعين ، ولا يمنعوا غيرهم أن يذكر فيها اسم الله .

(1/26)

وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْتَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)  
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (116)  
وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119)

115- وإذا كان المشركون قد منعوا المسلمين من الصلاة فى المسجد الحرام ، فلن يمنعهم هذا من الصلاة وعبادة الله ، فجميع الجهات وجميع البقاع فى الأرض لله ، وإن الله ليتقبل من المسلم صلاته ويقبل عليه برضاه أياً كانت البقعة التى يؤدى فيها عبادته ، فالله واسع لا يضيق على عباده ، وهو عليم بنية من يتجه إليه .

116- ومن كان هذا شأنه ، وكان جميع ما فى الكون مسخراً لأمره ، خاضعاً لمشيئته ، فهو أرفع وأجل من أن يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً كما يقول هؤلاء اليهود والنصرى والمشركون .

117- وكيف يحتاج لنسل أو يتخذ ولداً من أبدع السموات والأرض وأذعن كل ما فيها لإرادته فلا يستعصى شئ عليه ، وإذا أراد أمراً فإنما يقول له : كن ، فيكون؟ .

118- هذا وبمعنى المشركون من العرب فى عنادهم لمحمد ، فيطلبون إليه مثل ما طلبته الأمم السابقة من أنبيائهم ، فقد قالوا : إنهم لم يؤمنوا به إلا إذا كلمهم الله وجاءتهم آية حسية تدل على صدقه ، كما قال بنو إسرائيل لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله ويكلمنا ، وكما طلب أصحاب عيسى منه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ، وما ذلك إلا لأن قلوب الكفار والمعاندين فى كل أمة متشابهة ، وأنه لا يستبين الحق إلا من صفت بصائرهم وأذعنت عقولهم لليقين ، وطلبت الحق .

119- وقد أرسلناك بحقائق يقينية بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين ، وليس عليك إلا تبليغ رسالتنا ، ولن تُسأل عن عدم إيمان من لم يؤمن بك من أصحاب الجحيم .

(1/27)

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى  
وَلَكِنَّ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا  
تَصِيرُ (120) الَّذِينَ اتَّبَعْتَهُمْ كَتَبَ يَلُوتُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْجَائِسُونَ (121) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ  
عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ كُفَرْتُمْ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ  
شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (123) وَإِذْ ابْتَلَى  
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ  
لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

120- فلا ترهق نفسك فى استرضاء المعاندين من اليهود والنصارى ، فإن هؤلاء لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم التي يزعمون أنها الهدى ، وليس ثمة هدى إلا هدى الله فى الإسلام ، ومن يتبع أهواء هؤلاء من بعد أن علم ما أنزلناه إليك من الحق ، فلن يكون له يوم القيامة من دون الله ولى يعينه ، ولا نصير يدفع عنه العذاب .

121- غير أن ثمة فريقاً من اليهود والنصارى قد تفقهوا فى أسفارهم الأصلية ، وتلوها حق التلاوة ، وفطنوا إلى ما دخلها من تحريف ، فأولئك يؤمنون بحقائقها ويؤمنون تبعاً لذلك بالقرآن ، ومن يكفر بكتاب منزل فأولئك هم الخاسرون .

122- يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى العظيمة التى أنعمت بها عليكم بإخراجكم من ظلم فرعون وإغراقه ، وإعطائكم المن والسلوى ، وبعث الأنبياء فيكم ، وتعليمكم الكتاب . . وغير ذلك مما شرفتكم به ، وأنى فضلتكم - وقتاً من الزمان - على الناس فى جعل مصدر النبوات منكم .

123- وخافوا عقاب الله فى يوم لا تدفع فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا يقبل منها فداء ، ولا تنفعها شفاعة ، ولا يجد فيه الكافرون نصيراً لهم من دون الله .

124- واذكروا إذ ابتلى الله جدكم إبراهيم بتكاليف ، فقام بها على أتم وجه ، فقال له : إنى جاعلك للناس إماماً يتبعونك ويقتدون بك ، فطلب إبراهيم من ربه أن يجعل من ذريته أئمة كذلك ، فأجابته بأن هذا لن يصل إليه منهم الظالمون ، وأشار أنه سيكون من ذريته الأبرار والفجار .

(1/28)

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِنَا لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)  
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ  
يَاللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ  
الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128)

125- واذكروا كذلك قصة بناء إبراهيم مع ابنه إسماعيل لبيت الله الحرام بمكة ، وفى هذه القصة عظة بالغة لمن كان له قلب سليم ، فلتذكروا إذ جعلنا هذا البيت ملاذاً للخلق ومأمناً لكل من يلجأ إليه ، وإذ أمرنا الناس بأن يتخذوا من موضع قيام إبراهيم لبناء الكعبة مكاناً يصلون فيه ، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن يصونا البيت مما لا يليق بحرمته ، وأن يهيئاه تهيئةً سالحةً لمن يُوَّهُمُهُ من الطائفين والمعتكفين والمصلين .

126- واذكروا إذ طلب إبراهيم من ربه أن يجعل البلد الذى سينشأ حول البيت بلداً آمناً ، وأن يرزق من ثمرات الأرض وخيراتها من آمن من أهله بالله واليوم الآخر ، فأجابه الله بأنه لن يضرَّ على الكافر نفسه بالرزق فى أثناء حياته القصيرة ، ثم يلجئه يوم القيامة إلى عذاب جهنم . ولبنس المصير . . مصير هؤلاء .

127- وإذ يرفع إبراهيم هو وابنه إسماعيل قواعد البيت وهما يدعوان الله : ربنا يا خالقنا وبارئنا تقبل منا هذا العمل الخالص لوجهك ، فأنت السميع لدعائنا العليم بصدق نياتنا .

128- ربنا وفقنا واجعلنا مخلصين لك واجعل من ذريتنا جماعة مخلصه لك ، وعلمنا طريقة عبادتنا لك فى بيتك الحرام وما حوله ، وتب علينا إن نسينا أو أخطأنا إنك أنت كثير القبول لتوبة عبادك ، الغافر لهم بفضلك ورحمتك .

(1/29)

رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) وَمَنْ يَرْعَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْثُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)

129- ربنا وابعث فى ذريتنا رسولا منهم يقرأ عليهم آياتك ويعلمهم ما يوحى إليه به من كتاب وعلم نافع وشرعية محكمة ، ويطهرهم من ذميم الأخلاق ، إنك أنت الغالب القاهر الحكيم فيما تفعل وما تأمر به وما تنهى عنه .

130- ولنعيم ما فعله إبراهيم وما دعا به ربه ، وما اتبعه من ملة قويمه ، وأنه لا يعرض عن ملة إبراهيم إلا من امتهن إنسانيته وعقله ، ولقد اصطفاه الله فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين المقربين .

131- ولقد استجاب إبراهيم لأمر ربه حينما طلب الله إليه أن يدعن ، فقال : أذعنت لرب العالمين جميعاً من جن وإنس وملائكة .

132- ولم يكتف بذلك بل أوصى بنيه بأن يسيروا على هديه ، وحاكاه حفيد يعقوب فأوصى هو الآخر بنيه كذلك أن يتبعوا هذه السنن ، ويبن لأبنائه أن الله

اصطفى لهم دين التوحيد وأخذ عليهم العهد ألا يموتوا إلا وهم مسلمون ثابتون على هذا الدين .

133- ولقد زعمتم - أيها اليهود - أنكم تسرون على الدين الذي مات عليه يعقوب ، فهل كنتم شهداء إذ حضره الموت فعرفتكم الملة التي مات عليها؟ ألا فلتعلموا أن يعقوب وأبناءه كانوا مسلمين موحدين ولم يكونوا يهوداً مثلكم ولا نصارى ، وأن يعقوب حينما حضره الموت جمع بنيه وقال لهم : ما تعبدون من بعدى؟ فأجابوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له خاضعون .

(1/30)

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ( 134 ) وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ( 135 ) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ( 136 ) قَالُوا آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ( 137 ) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ( 138 )

134- ثم ما لكم - أيها اليهود - والجدل في هؤلاء! فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ، ثم لهم - وحدهم - ما كسبوا في حياتهم ، فلن تسألوا عن أعمالهم ، ولن يفيدكم شيء منها ، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال .  
135- ولكنهم لا ينفكون يمعنون في لجاجهم ، ويزعم كل فريق منهم أن ملته هي الملة المثلى ، فيقول لكم اليهود : كونوا يهوداً تهتدوا إلى الطريق القويم ، ويقول النصارى : كونوا نصارى تهتدوا إلى الحق المستقيم ، فلتردوا عليهم بأننا لا نتبع هذه الملة ولا تلك ، لأن كليهما قد حُرِّقَتْ وخرجت عن أصولها الصحيحة ، ومازجها الشرك ، وبعدت عن ملة إبراهيم ، وإنما نتبع الإسلام الذي أحيا ملة إبراهيم نقية طاهرة .

136- قولوا لهم : آمنا بالله وما أنزل إلينا في القرآن ، وآمنا كذلك بما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبنيه الأسباط ، وبالتوراة التي أنزلها الله على موسى غير محرّفة ، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى غير محرّف ، وبما أوتى جميع النبيين من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم - فنكفر ببعضهم ونؤمن ببعض - ونحن في هذا كله مدعون لأمر الله .  
137- فإن آمنوا إيماناً مطابقاً لإيمانكم فقد اهتدوا ، وإن تمادوا في عنادهم وإعراضهم فإنما هم في نزاع مستمر وخلاف معكم ، وسيكفيك الله أمرهم - يا أيها النبي - ويرحك من لجاجهم وشقاقهم ، فهو السميع لما يقولون ، العليم بما عليه صدورهم .

138- قولوا لهم : إن الله قد هدانا بهدائه ، وأرشدنا إلى حجته ، ومن أحسن من الله هداية وُحْجَةً ، وأننا لا نخضع إلا لله ، ولا نتبع إلا ما هدانا وأرشدنا إليه .

(1/31)

قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَتَحْنُ لِي مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)

139- قولوا لهم : أتجادلوننا فى الله زاعمين أنه لا يصطفى أنبياء إلا منكم! وهو ربكم ورب كل شئ ، لا يختص به قوم دون قوم ، يصيب برحمته من يشاء ، ويجزى كل قوم بأعمالهم ، غير ناظر إلى أنسابهم ولا أحسابهم ، وقد هدانا الطريق المستقيم فى أعمالنا ، ورزقنا صفة الإخلاص له .  
140- قولوا لهم : أتجادلوننا فى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأبنائه الأسباط زاعمين أنهم كانوا يهودا أو نصارى مثلكم؟ ، مع أنه ما أنزلت التوراة والإنجيل اللذان قامت عليهما اليهودية والنصرانية إلا من بعد هؤلاء ، وقد أخبرنا الله بذلك ، أفأنتم أعلم أم الله؟ ، بل إن الله قد أخبركم أنتم بذلك فى أسفاركم فلا تكتنموا الحق المدون فى أسفاركم هذه ، ومن أظلم ممن كتم حقيقة يعلمها من كتابه وسيجازيكم الله على ما تلجون فيه من باطل ، فليس الله بغافل عما تعملون .  
141- ثم ما لكم أيها اليهود والنصارى والجدل فى هؤلاء؟ فأولئك قوم قد مضوا لسبيلهم ، لهم ما كسبوا فى حياتهم ، ولن تسألوا عن أعمالهم ولن يفيدكم شئ منها ، ولن يكون لكم إلا ما كسبتم أنتم من أعمال .

(1/32)

بَيِّقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَتِهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ (143)

142- إن ضعف العقول الذين أضلّتهم أهواؤهم عن التفكير والتدبر من اليهود والمشركين والمنافقين سينكرون على المؤمنين تحوّلهم من قبلة بيت المقدس التى كانوا يصلون متجهين إليها إلى قبلة أخرى وهى الكعبة ، فقل لهم أيها النبى : إن الجهات كلها لله ، لا فضل لجهة على أخرى بذاتها ، بل الله هو الذى يختار منها ما يشاء ليكون قبلة للصلاة ، وهو يهذى بمشيئته كل أمة من الأمم إلى طريق قويم يختاره لها وبخصها به ، وقد جاءت الرسالة المحمدية فنسخت ما قبلها من الرسالات ، وصارت القبلة الحقة هى الكعبة .  
143- ولهذه المشيئة هديناكم إلى الطريق الأقوم ، وجعلناكم أمة عدولاً خياراً بما وفقناكم إليه من الدين الصحيح والعمل الصالح لتكونوا مقررى الحق بالنسبة للشرائع السابقة ، وليكون الرسول مهيمناً عليكم ، يسدّدكم بإرشاده فى حياته ، وبنهجه وسنته بعد وفاته . وأما عن قبلة بيت المقدس التى



شرعناها لك حيناً من الدهر ، فإنما جعلناها امتحاناً للمسلمين لتمييز من يدعن فيقبلها عن طواعية ، ومن يغلب عليه هوى تعصبه العربي لتراث إبراهيم فيعصى أمر الله ويضل عن سواء السبيل . ولقد كان الأمر بالتوجه إلى بيت المقدس من الأمور الشاقة إلا على من وفقه الله بهدايته ، وكان امتثال هذا الأمر من أركان الإيمان ، فمن استقبل بيت المقدس عند الأمر باستقباله - إيماناً منه وطاعة - فلن يضيع عليه ثواب إيمانه وطاعته .

(1/33)

---

قَدْ تَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلْيَتُوبِيَنَّكَ قِبَلَهُ تَرَ صَاحَا قَوْلٍ يُوْجِّهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَاُولَئِكَ قِبَلُهُ وَإِنَّ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةِ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)

144- ولقد رأينا كيف كنت تتطلع إلى السماء عسى أن ينزل الوحي بتغيير قبلة بيت المقدس إلى الكعبة التي تحبها لأنها قبلة إبراهيم أبى الأنبياء ، وأبى اليهود والعرب ، وبها مقام إبراهيم ، فهي - لهذا - القبلة الجامعة وإن كانت تخالف قبلة اليهود ، فها نحن أولاء نؤتيك سؤالك فاستقبل في صلاتك المسجد الحرام ، واستقبلوه كذلك أيها المؤمنون في أي مكان تكونون ، وإن أهل الكتاب الذين ينكرون عليكم التحول عن قبلة بيت المقدس قد عرفوا في كتبهم أنكم أهل الكعبة ، وعلموا أن أمر الله جار على تخصيص كل شريعة بقبلة ، وأن هذا هو الحق من ربهم ، ولكنهم يريدون فتننكم وتشكيكنكم في دينكم ، والله ليس غافلاً عنهم وهو يجزيهم بما يعملون .

145- وما كان إنكار أهل الكتاب عليكم لشبهة تزييلها الحجة ، بل هو إنكار عناد ومكابرة فلئن جئتهم - أيها الرسول - بكل حجة قطعية على أن قبلك هي الحق ما تبعوا قبلك ، وإذا كان اليهود منهم يطمعون في رجوعك إلى قبلتهم ويعلقون إسلامهم على ذلك فقد خاب رجاؤهم وما أنت بتابع قبلتهم ، وأهل الكتاب أنفسهم يتمسك كل فريق منهم بقبلته : فلا النصراني يتبعون قبلة اليهود ولا اليهود يتبعون قبلة النصراني ، وكل فريق يعتقد أن الآخر ليس على حق ، فاثبت على قبلك ولا تتبع أهواءهم ، فمن اتبع أهواءهم - بعد العلم بطلانها والعلم بأن ما عليه هو الحق - فهو من الظالمين الراسخين في الظلم .

146- وإن أهل الكتاب ليعلمون أن التحول إلى قبلة البيت الحرام بمكة هو الحق ، ويسلمون أنك النبي المنعوت في كتبهم بنعوت من جملتها أنه يصلى إلى الكعبة ، ومعرفتهم ثبوتك وقبلك كمعرفتهم أبناءهم في الوضوح والجلء ، ولكن بعضهم يخفون هذا الحق على علم اتباعاً لهواهم ، وتعصباً باطلا لملتهم حفاظاً على سلطانهم ، ويحاولون تضليلكم .

(1/34)

---

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147) وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا  
الْحَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148)  
وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا  
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149)

147- وإنما الحق هو ما صدر لك من الله تعالى لا ما يضلُّ به أهل الكتاب ،  
فكونوا على يقين منه ، ولا تكونوا من أهل الشك والتردد ، ومن ذلك الحق أمرُ  
تحول القبلة إلى البيت الحرام فامضوا عليه ولا تبالوا بالمعارضين .  
148- إن هذه القبلة التي حولناك إليها هي قبلك وقبلة أمتك ، وكذلك لكل أمة  
قبلة تتجه إليها في صلاتها حسب شريعته السابقة ، وليس في ذلك شيء من  
التفاضل ، وإنما التفاضل في فعل الطاعات وعمل الخيرات ، فسارعوا إلى  
الخيرات وتنافسوا فيها ، وسيحاسبكم الله على ذلك ، فإنه سيجمعكم يوم  
القيامة من أي موضع كنتم ، ولن يفلت منه أحد ، وييده كل شيء بما في ذلك  
الإماتة والإحياء والبعث والنشور .  
149- فَاسْتَبِقُوا - يا محمد - ومن اتبعك المسجد الحرام في صلاتك من كل  
مكان كنت فيه ، سواء كان ذلك في حال إقامتك أم في حال سفرك وخروجك  
من مكان إقامتك ، وإن هذا لهو الحق الموافق لحكمة ربك الرفيق بك ،  
فاحرص عليه أنت وأمتك ، فإن الله سيجازيكم أحسن الجزاء ، والله عالم علماً  
لا يخفى عليه شيء من عملكم .

(1/35)

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا  
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا  
تَحْسَبُوهُمْ وَآخِشُونِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150) كَمَا أَرْسَلْنَا  
فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمُ  
مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ )  
(152) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)

150- والتزم أمر الله في القبلة واحرص عليه أنت وأمتك ، فاجعل وجهك في  
ناحية المسجد الحرام من كل مكان خرجت إليه في أسفارك ، واستقبلوه  
حيثما كنتم من أقطار الأرض مسافرين أو مقيمين ، لينقطع ما يحاجكم به  
المخالفون ويجادلونكم به ، وإذا لم تمثلوا لأمر هذا التحويل فسيقول اليهود :  
كيف يصلى محمد إلى بيت المقدس والنبى المنعوت فى كتبنا من أوصافه  
التحول إلى الكعبة؟ وسيقول المشركون العرب كيف يدعى ملة إبراهيم  
ويخالف قبلته؟ على أن الظالمين الزائعين عن الحق من الجانبين لن ينقطع  
جدالهم وضلالهم ، بل سيقولون : ما تحوّل إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه  
وحباً لبلده ، فلا تبالوا بهم فإن مطاعنهم لا تضركم ، وآخِشُونِ فلا تخالفوا أمرى  
، وقد أردنا بهذا الأمر أن تتم النعمة عليكم وأن تكون هذه القبلة التي وجهناكم  
إليها أدعى إلى ثباتكم على الهداية والتوفيق .

151- وإن توجيهكم إلى المسجد الحرام بإرسالنا فيكم رسولا منكم يتلو  
عليكم آيات من إتمام نعمتنا عليكم كما أتممنا عليكم النعمة - القرآن - ويطهر

نفوسكم عملياً من دنس الشرك وسيئ الأخلاق والعادات ويكملكم علمياً بمعارف القرآن والعلوم النافعة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فقد كنتم فى جاهلية جهلاء وضلالة عمياء .

152- فاذكرونى - أيها المؤمنون - بالطاعة أذكركم بالثواب ، واشكروا لى ما أسبغت عليكم من النعم ولا تجحدوا هذه النعم بعصيان ما أمرتكم به .  
153- واستعينوا - أيها المؤمنون - فى كل ما تأتون وما تذكرون بالصبر على الأمور الشاقة والصلاة التى هى أم العبادات ، إن الله بقدرته القاهرة مع الصابرين فهو وليهم وناصرهم .

(1/36)

---

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154)  
وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ  
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مَصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ  
(156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157) إِنَّ  
الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ  
يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)

154- ولن يؤدى الصبر إلا إلى الخير والسعادة فى الدارين ، فلا تقعدوا عن الجهاد فى سبيل الله ، ولا ترهبوا الموت فيه ، فمن مات فى الجهاد فليس بميت بل هو حى حياة عالية وإن كان الأحياء لا يحسون بها .

155- والصبر درع المؤمن وسلاحه الذى يتغلب به على الشدائد والمشاق ، وسيصادفكم كثير من الشدائد فسنمتحنكم بكثير من خوف الأعداء والجوع وقلة الزاد والنقص فى الأموال والأنفس والثمرات ، ولن يعصمكم فى هذا الامتحان القاسى إلا الصبر ، فبشر - يا أيها النبى - ( الصابرين ) بالقلب وباللسان .

156- الذين إذا نزل بهم ما يؤملهم يؤمنون أن الخير والشر من الله ، وأن الأمر كله لله فيقولون : إِنَّا لِلَّهِ - تعالى - وراجعون إليه ، فليس لنا من أمرنا شئ ، وله الشكر على العطاء وعلينا الصبر عند البلاء ، وعنده المثوبة والجزاء .

157- فهؤلاء الصابرون المؤمنون بالله لهم البشارة الحسنة بغفران الله وإحسانه ، وهم المهتدون إلى طريق الخير والرشاد .

158- وكما أن الله رفع شأن الكعبة جعلها قبلة الصلاة ، رفع أمر الجبلين اللذين يُشَارَفَانِهَا وهما « الصفا » « والمروة » فجعلهما من مناسك الحج ، فيجب بعد الطواف السعى بينهما سبع مرات ، وقد كان منكم من يرى فى ذلك حرجاً لأنه من عمل الجاهلية ، ولكن الحق أنه من معالم الإسلام ، فلا حرج على من ينوى الحج أو العمرة أن يسعى بين هذين الجبلين ، وليأت المؤمن من الخير ما استطاع فإن الله عليم بعمله ومثيبه عليه .

(1/37)

---

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُمْ قَوْلِيكَ أَنُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (162) وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)

159- وأولئك الذين أنكروا عليكم أمر دينكم فريقان : فريق من أهل الكتاب الذين يعرفون الحق ويخفونه على علم وعناد ، وفريق المشركين الذين عميت قلوبهم عن الحق ، فاتخذوا أرباباً من دون الله ، فاهل الكتاب الذين عرفوا براهين صدقك تبينوا الحق فى دينك ثم أخفوا هذه الدلائل وكتموها عن الناس ، أولئك يصب الله عليهم غضبه ويبعدهم عن رحمته ، ويدعو عليهم الداعون من الملائكة ومؤمنى الثقليين - الجن والإنس - بالطرد من رحمة الله .  
 160- ولا يستثنى من أهل الكتاب إلا من تاب وأحسن فرجع عن الكتمان ، وتدارك أمره بإظهار ما كان يخفيه من وصف الرسول والإسلام ، فإن الله يتقبل توبته ويمحو ذنبه ، فهو الذى يقبل التوبة من عباده رافة منه ورحمة .  
 161- أما الذين استمروا على الكفر ، وماتوا على ذلك دون توبة ولا ندم ، فجزاؤهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .  
 162- وسيستمرون فى هذه اللعنة وفى النار لا يخفف عنهم العذاب ، ولن يمهلوا أو يؤخروا ، ولو طلبوا الإمهال والتأخير لن يجابوا إليه .  
 163- إن إلهكم الذى ينفرد بالعبودية واحد ، فلا إله غيره ، ولا سلطان لسواه ، ثم هو قد اتصف بالرحمة فهو رحيم بعباده فى إنشائهم وتكوينهم .

(1/38)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشِدُّ حُبًا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166)

164- وقد أقام الله سبحانه وتعالى دلائل وآيات لكل ذى عقل على وجوده وألوهيته ، ومن ذلك السموات التى ترونها تسير فيها الكواكب بانتظام دون تزاحم ولا صدام تبعث الحرارة والنور لهذا العالم ، والأرض وما فيها من البر والبحر ، وتعاقب الليل والنهار وما فى ذلك من المنافع ، وما يجرى فى البحر من السفن تحمل الناس والمتاع ، ولا يسيرها إلا الله ، فهو الذى يرسل الرياح التى يسير بها المطر ينزل فيحىي الحيوان ويسقى الأرض والنبات ، والرياح وهبوبها فى مهاها المختلفة ، والسحاب المعلق بين السماء والأرض ، فهل هذه الأشياء كلها بهذا الاتقان والإحكام من تلقاء نفسها أم هى صنع العليم القدير؟ .

165- ومع هذه الدلائل الواضحة اتخذ بعض الناس ممن ضلّت عقولهم أرباباً غير الله يطيعونهم ويعبدونهم كعبادة الله ويجعلونهم مثل الله ، والمؤمن يسلم القيادة لله وحده وطاعته له لا تنقطع ، أما هم فإن ولاءهم لآلهتهم يتزلزل عند النوائب فيلجأون إلى الله سبحانه ، وهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم لو عاينوا ما سينالهم من العذاب يوم الجزاء حين ينكشف ملك الله وتكون الطاعة له وحده ، لانتهوا عن جرمهم وأقلعوا عن إثمهم .

166- في ذلك اليوم يرجو الأتباع أن ينجيهم رؤسائهم من الضلال فيتنكرون لهم وينبذونهم ويقولون : ما دعوناكم لطاعتنا فى معصية ربكم ، وإنما هو هواكم وسوء تصرفكم ، وتنقطع بينهم الصلات والمودات التى كانت بينهم فى الدنيا ، وبصير بعضهم لبعض عدواً .

(1/39)

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167) يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّبُوِّ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَؤُكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170) وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)

167- وهنا يتبين الأتباع أنهم كانوا فى ضلال حين اتبعوا رؤسائهم فى الباطل ويتمنون أن يعودوا إلى الدنيا فيتنكروا لرؤسائهم كما تبرأوا منهم فى هذا اليوم ، وتبدو لهم أعمالهم السيئة فتكون حسرات عليهم ويندمون ، وقد ألقى بهم فى النار فلا يبرحونها .

168- يا أيها الناس كلوا مما خلق الله فى الأرض من الحلال الذى لم ينزل تحريمه ، المستطاب الذى تستسيغه النفوس ، ولا تسيروا وراء الشيطان الذى يزين لكم أكل الحرام أو تحريم الحلال ، فقد علمتم عداوة الشيطان ، وبأن قبيح ما يأمركم به .

169- وإنما يزين لكم الشيطان ما هو سيئ فى ذاته ، ويضركم فى عافيتكم وما يقبح فعله ، وتسировن بسببه وراء الظنون والأوهام ، فتنسبون إلى الله من التحريم والتحليل ما لم يأت دليل عليه من العلم اليقين .

170- وقد اعتاد الضالون عن سبيل الهدى أن يتمسكوا بما توارثوا عن آبائهم فى العقيدة والعمل ، وإذا دعوا إلى ما جاء من هدى الله قالوا : لا نعدل عما وجدنا عليه آبائنا ، ومن أكبر الجهل ترجيح اتباع طاعة الآباء على إطاعة الله واتباع هدايته ، فكيف إذا كان أبائهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يستنيرون بنور الهداية والإيمان ؟

171- وإن مثل من يدعو أولئك الكافرين الجاحدين إلى الحق والهدى - فلا يستجيبون له ولا يفقهون ما يدعوهم إليه - كمثل راعى الغنم يناجيهما ، فلا تفقه منه شيئاً ولا يقرع سمعها إلا الصوت ولا تعى غيره ، فهم كذلك عن الحق صم الآذان ، عمى البصائر ، حُرس الألسنة ، لا ينطقون بخير ، ولا يصدرون عن عقل .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لَعْنَةُ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (173) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ الْكُتُبِ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174)

172- لقد أبحنا للناس كل حلال خلقناه لهم فى الأرض ، ونهيناهم أن يتبعوا خطوات الشيطان ، فإن فعلوا اهتدوا ، وإن أبوا فإننا نخص المؤمنين بهدايتنا ونبيّن الحلال والحرام ، فى أيها الذين آمنوا أبيع لكم أن تأكلوا من لذيذ الطعام الطيب غير الخبيث ، فاشكروا الله على ما أولاكم من نعمة التمكين من الطيبات وإباحتها ، ومن نعمة الطاعة والامتثال لأمره لتتم عبادتكم .

173- وليس المحرم ما زعمه المشركون وما زعمه اليهود ، وإنما المحرم عليكم - أيها المؤمنون - الميتة التى لم تذبح من الحيوان ، ومن الدم المسفوح ، ومثله فى التحريم لحم الخنزير ، وما ذكر على ذبحه اسم غير الله من الوثن ونحوه ، على أن من اضطر إلى تناول شئ من هذه المحظورات لجوع لا يجد ما يدفعه غيرها أو لإكراه على أكله فلا بأس عليه ، وليتجنب سبيل الجاهلية من طلب هذه المحرمات والرغبة فيها ولا يتجاوز ما يسد الجوع .

174- هذا وقد كان من العالمين بما أنزل الله فريقٌ يخفى بعض الوحي لقاء عراض من أعراض الدنيا ، فإن اليهود كتموا كثيراً مما جاء فى التوراة من نعت الرسول خشية أن يسلم أهل ملتهم فيزول أمرهم وتضيع مكاسبهم ولذيذ مطاعهم ، وإن مطاعهم من هذا السبيل لهى كالنار يأكلونها ، لأنها ستقودهم إلى النار ، وسيعرض الله عنهم يوم القيامة ، ولا يطهرهم من دنسهم ، وأمامهم عذاب شديد موجه .

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175) ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ تَزَلَّ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176) لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)

175- وأولئك هم الآثمون الذين اختاروا الضلالة على الهدى فاستحقوا العذاب فى الآخرة بدل الغفران ، فكانوا كمن يشتري الباطل بالحق ، وما فيه ضلال بما فيه هداية ، وإن حالهم لتدعو إلى العجب ، إذ يصبرون على موجبات العذاب ويستطيون ما يؤدى بهم إليه .

176- ولقد استوجبوا ما قدر لهم من الجزاء لكفرهم بكتاب الله الذى أنزله

بالحق والصدق ، ولقد اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً ، دفع إليه حب الجدل ومجانبة الحق والانقياد للهوى ، فحرفوه وأفسدوه وفسروه بغير معانيه .  
 177- لقد أكثر الناسُ الكلام في أمر القبلة كأنها هي وحدها الخير ، وليس هذا هو الحق ، فليس استقبال جهة معينة في المشرق أو المغرب هو قوام الدين وجماع الخير ، ولكن ملاك الخير عدة أمور بعضها من أركان العقيدة الصحيحة ، وبعضها من أمهات الفضائل والعبادات ، فالأول هو : الإيمان بالله ويوم البعث والنشور والحساب وما يتبعه يوم القيامة ، والإيمان بالملائكة وبالكتب المنزلة على الأنبياء وبالأنبياء أنفسهم . والثاني هو : بذل المال عن رغبة وطيب نفس للفقراء من الأقارب واليتامى ، ولمن اشتدت حاجتهم وفاقتهم من الناس ، وللمسافرين الذين انقطع بهم الطريق فلا يجدون ما يبلغهم مقصدهم ، وللسائلين الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال ، ولغرض عتق الأرقاء وتحرير رقابهم من الرق . والثالث : المحافظة على الصلاة . والرابع : إخراج الزكاة المفروضة . والخامس : الوفاء بالعهد في النفس والمال . والسادس : الصبر على الأذى ينزل بالنفس أو المال ، أو وقت مجاهدة العدو في مواطن الحروب فالذين يجمعون هذه العقائد والأعمال الخيرة هم الذين صدّقوا في إيمانهم ، وهم الذين اتقوا الكفر والردائل وتجنبوها .

(1/42)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ  
 وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ  
 بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178)  
 (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)

178- ومن الشرائع التي فرضناها على المؤمنين أحكام القتل العمد ، فقد فرضنا عليكم القصاصَ بسبب القتل ، ولا تأخذوا بظلم أهل الجاهلية الذين كانوا يقتلون الحر غير القاتل بالعبد ، والذكر الذي لم يقتل بالأنثى ، والرئيس غير القاتل بالمرعوس القاتل دون مجازاة القاتل نفسه ، فالحر القاتل يقتل بالحر المقتول ، وكذلك العبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فأساس القصاص هو دفع الاعتداء في القتل بقتل القاتل للتشفى ومنع البغى ، فإن سَمَت نفوس أهل الدم ودفَعوا بالتي هي أحسن فأثروا العفو عن إخوانهم وجب لهم دية قتلهم ، وعلى أولياء الدم اتباع هذا الحكم بالتسامح دون إجهاد للقاتل أو تعنيف ، وعلى القاتل أداء الدين دون مماطلة أو بخس ، وفي حكم القتل الذي فرضناه على هذا الوجه تخفيف على المؤمنين بالنسبة إلى حكم التوراة الذي يوجب في القتل القصاص ، كما فيه رحمة بهم بالنسبة إلى الذين يدعون إلى العفو من غير تعرض للقاتل ، فمن جاوز هذا الحكم بعد ذلك فله عذاب أليم في الدنيا والآخرة .

179- وإن رحمة الله بكم لعظيمة في فرض القصاص عليكم ، فيفضل القصاص عليكم تتحقق للمجتمع حياة أمنة سليمة . وذلك أن من يهم بالقتل إذا علم أن في ذلك هلاك نفسه لم ينفذ ما هم به ، وفي ذلك حياته وحياة من هم بقتله ، وإذا قتل الرئيس بالمرعوس وغير المذنب بالمذنب - كما هو شأن الجاهلية - كان ذلك مثاراً للفتن واختلال النظام والأمن . فليتدبر أولو العقول

مزية القصاص فإن ذلك يحملهم على إدراك لطف الله بهم إلى سبيل التقوى  
وامتثال أوامر الله سبحانه .

(1/43)

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأَقْرَبِينَ وَالْأَقْرَبِينَ  
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى  
الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا  
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182)

180- وكما شرع الله القصاص لصالح الأمة وحفظ المجتمع ، كذلك شرع الله  
شريعة فيها صلاح الأسرة وحفظ كيانها وهي شريعة الوصية ، فعلى من ظهرت  
أمامه إمارات الموت وعلم أنه ميت لا محالة ، وكان ذا مال يعتد به أن يجعل  
من ماله نصيباً لمن يدرك من والديه وأقاربه - الأقربين غير الوارثين - وليراع  
فى ذلك ما يحسن ويقبل فى عرف العقلاء فلا يعطى الغنى ويدع الفقير ، بل  
يؤثر ذوى الحاجة ولا يسوى إلا بين المتساوين فى الفاقة ، وكان ذلك الفرض  
حقاً واجباً على من أثر التقوى واتبع أوامر الدين .

181- وإذا صدرت الوصية عن الموصى كانت حقاً واجباً لا يجوز تغييره ولا  
تبديله ، إلا إذا كانت الوصية مجافية للعدل ، فمن بدل هذا الحق فغير الوصية  
العادلة القويمة بعد ما علم هذا الحكم وثبت عنده فقد ارتكب ذنباً عظيماً ينال  
عقابه ، وقد برئ الموصى من تبعته ، ولا يظن أحد أن يفعل ذلك ولا يجازى  
عليه ، فإن الله سميع عليم لا تخفى عليه خافية .

182- أما إذا كانت الوصية زائغة عن العدل وعن الصراط القويم الذى بيّناه  
بأن حرم الموصى الفقير وأعطى الغنى ، أو ترك الأقربين وراعى الفقراء غير  
الوارثين الأجانب ، فسعى ساع فى سبيل الخير وأصلح بين الموصى إليهم ليرد  
الوصية إلى الصواب ، فلا إثم عليه فيما يحدثه من تغيير الوصية وتبديلها على  
هذا الوجه ، ولا يؤاخذ الله على ذلك ، فإن الله غفور رحيم .

(1/44)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ (183) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ  
أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ  
وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)

183- وكما شرع الله لكم القصاص والوصية لصالح مجتمعكم ، والحفاظ على  
أسركم ، شرع الله كذلك فريضة الصيام تهدياً لنفوسكم ، وتقويماً لشهواتكم ،  
وتفضيلاً لكم على الحيوان الأعجم الذى ينقاد لغرائزه وشهواته ، وكان فرض  
الصيام عليكم مثل ما فرض على من سبقكم من الأمم فلا يشق عليكم أمره .  
لأنه فرض على الناس جميعاً ، وكان وجوب الصيام والقيام به ، لتتربى فيكم  
روح التقوى ، ويقوى وجدانكم ، وتتهذب نفوسكم .



184- وفرض الله عليكم الصيام فى أيام معدودة قليلة لو شاء سبحانه لأطال مدته ولكنه لم يطلها ، ولم يكلفكم فى الصوم ما لا تطيقون ، فمن كان مريضاً مرضاً يضر معه الصوم ، أو كان فى سفر ، فله أن يفطر ويقضى الصوم بعد برئه من المرض أو رجوعه من السفر ، أما غير المريض والمسافر ممن لا يستطيع الصوم إلا بمشقة لعذر دائم كشيخوخة ومرض لا يرجى برؤه فله الفطر حينئذ ، وعليه أن يطعم مسكيناً لا يجد قوت يومه ، ومن صام متطوعاً زيادة على الفرض فهو خير له ، لأن الصيام خير دائماً لمن يعلم حقائق العبادات .

(1/45)

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِِبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)

185- وهذه الأيام هى شهر رمضان الجليل القدر عند الله ، لقد أنزل فيه القرآن يهدى جميع الناس إلى الرشيد بيِّناته الواضحة الموصلة إلى الخير ، والفاصلة بين الحق والباطل على مَرِّ العصور والأجيال ، فمن أدرك هذا الشهر سليماً غير مريض ، مقيماً غير مسافر فعليه صومه ، ومن كان مريضاً مرضاً يضر معه الصوم أو كان فى سفر فله أن يفطر وعليه قضاء صيام ما أفطره من أيام الصوم ، فإن الله لا يريد أن يَشُقَّ عليكم فى التكاليف وإنما يريد لكم اليسر ، وقد بين لكم شهر الصوم وهداكم إليه لتكملوا عدة الأيام التى تصومونها وتكبروا الله على هدايته إياكم وحسن توفيقه .

186- وإنى مطلع على العباد ، عليم بما يأتون وما يذرون ، فإذا سألك - يا محمد - عبادى قائلين : هل الله قريب منا بحيث يعلم ما نخفى وما نعلن وما نترك؟ فقل لهم : إنى أقرب إليهم مما يظنون ، ودليل ذلك أن دعوة الداعى تصل فى حينها ، وأنا الذى أجيبها فى حينها كذلك ، وإذا كنت استجبت لها فليستجيبوا هم لى بالإيمان والطاعة فإن ذلك سبيل إرشادهم وسدادهم .

(1/46)

أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبِغُوا مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)

187- أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّوْمِ إِتْيَانَ نَسَائِكُمْ لِاخْتِلَاطِكُمْ بِهِنَ وَاخْتِلَاطِهِنَّ بِكُمْ فِي النَّهَارِ وَالْمَيْتِ ، وَلَعَسَ رَبُّكُمْ تَعَادَلَكُمْ عَنْهُنَّ وَتَخْفِيَنَّ عَلَيْكُمْ . وَقَدْ عَلَّمَ اللهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَنْقُصُونَ حِطَّ نَفْسِكُمْ وَتُظْلِمُونَهَا ، فَتَحْرَمُونَ عَلَيْهَا إِتْيَانَ النِّسَاءِ فِي لَيْلِ رَمَضَانَ فَتَابَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْغَلْوِ وَعَفَا عَنْكُمْ ، وَالآنَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ ذَلِكَ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْ مَبَاشِرَتِهِنَّ ، وَتَمْتَعُوا بِمَا أَبَاحَ اللهُ لَكُمْ وَكَلُوا وَاشْرَبُوا فِي لَيْلِ رَمَضَانَ حَتَّى يَظْهَرَ لَكُمْ نَوْرُ الْفَجْرِ ، مُمْتِيزاً مِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ ، كَمَا يُمْتِيزُ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ، وَإِذَا ظَهَرَ ذَلِكَ فَصُومُوا وَأَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ .

وإذا كان الصيام من العبادات التي يجب التفرغ لها والتجرد فيها من شهوات النفس ومقاربة النساء في نهار الصوم ، فكذلك عبادة الاعتكاف في المساجد وملازمتها توجب الخلو لها وعدم التمتع بالنساء ما دام المرء ملتزماً بها . وما شرع الله لكم في الصوم والاعتكاف حدود وضعها الله لكم فحافظوا عليها ولا تقربوها لتجاوزوا وأمرها ، وقد أوسع الله في بيانها للناس على هذا النحو ليتقوها ويتجنبوا تبعاتها .

188- وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَكْلَ مَا لَيْسَ بِكُمْ مِنْ حَقِّهِ دَائِماً ، فَلَا يَسْتَحِلُّ أَحَدُكُمْ مَا لَيْسَ لَهُ إِلَّا بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهَا اللهُ كَالْمِيرَاثِ وَالْهَبَةِ وَالْعَقْدِ الصَّحِيحِ الْمُبِيحِ لِلْمَلِكِ ، وَقَدْ يَنْزَعُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ مَبْطُلٌ ، وَيَرْفَعُ أَمْرَهُ إِلَى الْحَاكِمِ أَوْ الْقَاضِيِّ لِيَحْكُمَ لَهُ وَيَنْتَزِعَ مِنْ أَخِيهِ مَا لَهُ بِشَهَادَةِ بَاطِلَةٍ أَوْ بَيِّنَةٍ كَاذِبَةٍ ، أَوْ رِشْوَةِ خَبِيثَةٍ ، فَبئسَ مَا يَفْعَلُ وَمَا يَجْرُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ سُوءِ الْجَزَاءِ .

(1/47)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)

189- وَيَسْأَلُكَ قَوْمٌ عَنِ الْهِلَالِ يَبْدُو دَقِيقاً مِثْلَ الْخَيْطِ ثُمَّ يَزِيدُ حَتَّى يَكْتُمَلَ وَيَسْتَوِي ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَنْقُصُ حَتَّى يَعُودُ كَمَا بَدَأَ ، وَلَا يَكُونُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ كَالشَّمْسِ . فَمَا وَرَاءَ هَذَا التَّغْيِيرِ ، حَتَّى صَارَ فِي كُلِّ شَهْرِ هِلَالٌ وَصَارَتْ هُنَاكَ أَهْلَةٌ ؟ . فَقُلْ لَهُمْ : إِنْ لَتَكَرَّرَ هَذِهِ الْأَهْلَةُ وَاخْتَلَفَ نَمُوهَا حِكْماً وَمِصَالِحَ دِينِيَّةٍ وَدُنْيَوِيَّةٍ ، فَهِيَ أَمَارَاتٌ تَحَدِّدُ أَوْقَاتَ الْمَعَامَلَاتِ فِي مَعَاشِكُمْ ، وَتَعَيِّنُ أَوْقَاتَ الْحَجِّ الَّذِي هُوَ مِنْ أَرْكَانِ دِينِكُمْ ، وَلَوْ اسْتَقَرَّ الْهِلَالُ عَلَى حَالِهِ كَالشَّمْسِ مَا اسْتَقَامَ لَكُمْ تَوْقِيْتُ مَعَاشِكُمْ وَحُجَّتِكُمْ ، وَلَيْسَ جَهْلُكُمْ بِحِكْمَةِ اخْتِلَافِ الْهِلَالِ مَدْعَاةً لِلشُّكِّ فِي حِكْمَةِ الْخَالِقِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ، مُمْتِيزِينَ بِذَلِكَ عَنِ النَّاسِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ هُوَ تَقْوَى الْقُلُوبِ وَإِخْلَاصُهَا وَأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا كَمَا يَأْتِي كُلُّ النَّاسِ ، وَأَنْ تَطْلُبُوا الْحَقَّ وَالذَّلِيلَ الْمُسْتَقِيمَ ، فَاطْلُبُوا رِضَا اللَّهَ ، وَاتَّقُوا عَذَابَهُ ، وَارْجُوا بِذَلِكَ فَلَا حَكْمَ وَفُوزَ وَمَنْجَاتِكُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ .

190- وَمِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَحْمِلُ الْمَشَاقِقَ فِي طَاعَتِهِ ، وَأَشَدُّ الْمَشَاقِقِ عَلَى النَّفْسِ هُوَ قِتَالُ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَلَكِنْ إِذَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَقَاتِلُوا الْمُعْتَدِينَ ، وَقَدْ أُذِنَ لَكُمْ بِرَدِّ

اعتداءاتهم ، ولكن لا تعتدوا بمبادئهم أو بقتل من لا يقاتل ولا رأى له فى القتال فإن الله لا يحب المعتدين .

(1/48)

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191) فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ وَعَفْوٌ رَحِيمٌ (192) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194) وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)

191- واقتلوا أولئك الذين بدأوكم بالقتال حيث وجدتموهم ، وأخرجوكم من مكة وطنكم الذى حملوكم على الخروج منه ، ولا تتخرجوا من ذلك فقد فعلوا ما هو أشد من القتل فى المسجد الحرام إذ حاولوا فتنة المؤمنين عن دينهم بالتعذيب فى مكة حتى فروا بدينهم من وطنهم ، ولكن للمسجد الحرام حرمة فلا تنتهكوها إلا إذا انتهكوها هم بقتالكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم وأنتم الغالبون بفضل الله ، وكذلك جزاء الكافرين يفعل بهم ما يفعلونه بغيرهم .

192- فإن رجعوا عن الكفر ودخلوا فى طاعة الإسلام ، فإن الإسلام يجب ما قبله ، والله يغفر لهم ما سلف من كفرهم بفضل منه ورحمة .

193- وقاتلوا هؤلاء الذين حاولوا قتلكم وصدكم عن دينكم بالإيذاء والتعذيب ، حتى تستأصل جذور الفتنة ويخلص الدين لله . فإن انتهوا عن كفرهم فقد نجوا أنفسهم وخلصوا من العقاب ، فلا ينبغي الاعتداء عليهم حينئذ وإنما العدوان على من ظلم نفسه وأوبقها بالمعاصى وتجاوز العدل فى القول والفعل .

194- فإذا اعتدوا عليكم فى الشهر الحرام فلا تقعدوا عن قتالهم فيه فإنه حرام عليهم ، كما هو حرام عليكم ، وإذا انتهكوا حرمة عندكم فقابلوا ذلك بالدفاع عن أنفسكم فيه ، وفى الحرمات والمقدسات شرع القصاص والمعاملة بالمثل ، فمن اعتدى عليكم فى مقدساتكم فادفعوا هذا العدوان بمثله ، واتقوا الله فلا تسرفوا فى المجازاة والقصاص ، واعلموا أن الله ناصر المتقين .

195- جهاد الكفار يكون ببذل النفس كما يكون ببذل المال ، فأنفقوا فى الإعداد للقتال ، واعلموا أن قتال هؤلاء فى سبيل الله ، فلا تقعدوا عنه ، وابدلوا الأموال فيه فإنكم إن تقاعدتم وبخلتم ركبكم العدو وأذلكم فكأنما ألقىتم أنفسكم بأيديكم إلى الهلاك ، فافعلوا ما يجب عليكم بإحسان وإتقان ، فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يحسنه .

(1/49)

وَأْتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِفُوا  
رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ آدَى مِنْ رَأْسِهِ  
فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا  
اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ  
تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ  
الْحَجَّ فَلَا رِقَّتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ  
وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197)

196- وأدوا الحج والعمرة لله على وجه التمام والكمال قاصدين بهما وجه الله ، ولا تقصدوا بهما إصابة عَرَضِ دنيوى من شهرة ونحوها . وإذا قصدتم الحج والعمرة وأحرمتهم بهما فممنعكم عدو فى الطريق فلكم أن تتحللوا من إحرامكم بحلق رؤوسكم ، ولكن عليكم قبل ذلك ذبح ما تيسر لكم - من شاة أو بعير أو بقرة - والتصدق به على المساكين ، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى تقوموا بهذه النسك ، ومن كان مُحْرِمًا وأذاه شعر رأسه لمرض أو هوام فى رأسه فلا بأس أن يحلق رأسه ، وعليه حينئذ أن يفدى عن ذلك بصيام ثلاثة أيام ، أو التصدق على ستة مساكين بقوت يوم ، أو ذبح شاة والتصدق بها على الفقراء والمساكين . وإذا كنتم فى دار الأمان والسلام ولم يعترض طريقكم عدو ، وقصدتم الحج والعمرة وتمتعتم أولا بالعمرة إلى أن يحين وقت الحج فتحرموا ، فعليكم ذبح شاة لمساكين الحرم وفقرائه ، فمن لم يجد شاة أو لم يقدر على ثمنها صام ثلاثة أيام فى مكة وسبعة أيام إذا رجع إلى أهله ، وهذا على من لم يكن من أهل مكة ، فمن كان من أهلها فلا شئ عليه إذا تمتع .

197- والحج يقع فى أشهر معلومة لكم ، إذ كان أمره معروفاً عندكم من عهد إبراهيم - عليه السلام - وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، فمن فرض الحج على نفسه فى هذه الأشهر ودخل فيه فليراع آدابه ، ومن آداب الحج أن يتنزه المحرم عن مباشرة النساء ، وعن المعاصى من السباب وغيره ، وعن الجدل والمرء مع غيره من الحجيج ، وعن كل ما يجر إلى الشحناء والخصام حتى يخرج المحرم مهذب النفس ، وليجتهد فى فعل الخير ، وطلب الأجر من الله بالعمل الصالح فإن الله عليم بذلك ومجاز عليه ، وتزودوا لآخرتكم بالتقوى والائتمار بأوامر الله واجتناب نواهيه ، فإن ذلك خير الزاد ، واستشعروا خشية الله فيما تاتون وما تذرون كما هو مقتضى العقل والحكمة ، فلا تشوبوا أفعالكم بدواعى الهوى والغرض الدنيوى .

(1/50)

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَاقَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ  
عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ )  
(198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ )  
(199) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ  
النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (200) وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201)

- 198- ولقد كان منكم من يجد حرجاً فى مزاوله التجارة وابتغاء الرزق فى موسم الحج ، فلا حرج عليكم فى ذلك ، بل لكم أن تزاولوا التكسب بطرقه المشروعة وتبتغوا فضل الله ونعمته ، وإذا صدر الحجاج راجعين من عرفات بعد الوقوف بها ، ووصلوا المزدلفة ليلة عيد النحر فليذكروا الله عند المشعر الحرام - وهو جبل المزدلفة - بالتهليل والتلبية والتكبير ، وليمجدوه وليحمدوه على هدايته إياهم إلى الدين الحق والعبادة القويمه فى الحج وغيره ، وقد كانوا من قبل ذلك فى ضلال عن صراط الهدى والرشاد .
- 199- وقد كان قوم من العرب - وهم قريش - لا يقفون مع الناس فى عرفات مع علمهم أنه موقف أبيهم إبراهيم ، وذلك ترفعاً أن يساووا غيرهم وهم أهل بيت الله وقطان حرمه ، وزعماً منهم أن ذلك تعظيم للحرم الذى لا يريدون الخروج منه إلى عرفات ، وهى من الحلال لا من الحرام ، فطالبهم الله بأن يقلعوا عن عادات الجاهلية ويقفوا بعرفات ويصدروا عنها كما يصدر جمهور الناس ، فلا فضل لأحد على الآخر فى أداء العبادة ، وعليهم أن يستغفروا الله فى هذه المواطن المباركة فذلك أدعى أن يغفر الله لهم ما فرط منهم من الذنوب والآثام ويرحمهم بفضله .
- 200- وإذا فرغتم من أعمال الحج وشعائره فدعوا ما كنتم عليه فى الجاهلية من التفاخر بالآباء وذكر ماثرهم ، وليكن ذكركم وتمجيدكم لله فاذكروه كما كنتم تذكرون آباءكم ، بل اذكروه أكثر من ذكر آبائكم لأنه ولى النعمة عليكم وعلى آبائكم ، ومواطن الحج هى مواطن الدعاء وسؤال الفضل والخير والرحمة من عند الله ، وقد كان فريق من الحجاج يقصر دعاءه على عرض الدنيا وخيراتها ولا يلقى يالاً للآخرة فهذا لا نصيب له فى الآخرة .
- 201- ومن الناس من وفقه الله فاتجه بقلبه إلى طلب خيرى الدنيا والآخرة ، ودعا الله أن يجنبه شر النار وعذابها .

(1/51)

أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (202) وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْبَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَيْسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (206)

- 202- فهؤلاء يعطون ما قُدِّر لهم مما كسبوه بالطلب والركون إلى الله . والله يجزى كلاً بما يستحق ، وهو سريع الحساب والجزاء .
- 203- واذكروا الله بالتكبير والتهليل والتحميد فى أيام معدودات هى أيام رمى الجمار بمنى وهى : الحادى عشر . والثانى عشر . والثالث عشر . وليس بلازم لأن قوام الخير تقوى الله لا مقدار العدد ، واتقوا الله دائماً واعلموا أنكم إليه تحشرون مسئولون عن أعمالكم .
- 204- وإذا كانت تقوى الله هى الأساس فالخسران لفريق من الناس يختلف الذى تضمه قلوبهم عن الذى تنطق به ألسنتهم ، أوتوا حلاوة فى صوغ الكلام

، يعجبك قولهم فيما يحتالون به على جلب المنفعة فى الحياة الدنيا ، ويؤيدون لك بزعمهم بأن الله يعلم صدق قلوبهم فيما تقوله ألسنتهم ، وإنهم لأشد الناس خصومة لك وأقساهم عليك .

205- وإذا تولى ولاية يكون له فيها سلطان لا يكون سعيه للإصلاح ، بل للإفساد وإهلاك الزرع والنسل ، والله لا يحبه ، لأن الله تعالى لا يحب الفساد .

206- وإذا نصحت له حينئذ بالخوف من الله تارت فى نفسه الحمية وطن ذلك هدماً لعزته ، وحمله على ارتكاب الإثم فيما نهته عنه لاجاة وعناداً ، فحسبه على ذلك عذاب جهنم وليئس المستقر .

(1/52)

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ (207) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (208) فَإِن رَلَلْتُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَالِى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210)

207- فما أبعء الفرق بين هؤلاء المنافقين وبين المؤمنين الصادقين الذين يبيع أحدهم نفسه فى سبيل مرضاة الله ، وإعلاء كلمة الحق ، ويكون هذا النوع من الناس مقابلاً للنوع الأول ، ويكون تولية أمراً من أمور الناس من رافة الله بعباده ، والله تعالى يرحمهم بجعل الولاية لهؤلاء ليدفع بهم أذى الأشرار .

208- يا أيها الذين آمنوا كونوا جميعاً مسالمين فيما بينكم ، ولا تثيروا العصبية الجاهلية وغيرها من أسباب النزاع والخلاف ، ولا تسيروا فى طريق الشيطان الذى يدفعكم إلى الشقاق فإنه لكم عدو مبين .

209- فإن انحرفتم عن هذا الطريق الذى دعيتم إليه جميعاً من بعد ظهور الحجج القاطعة على أنه طريق الحق ، فاعلموا أنكم مؤاخذون بهذا الانحراف لأن الله عزيز يعاقب من يعرض عن سبيله ، حكيم يقدر العقوبة بقدرها .

210- وهل ينتظر هؤلاء المعرضون عن الإسلام ليقتنعوا أن يروا الله تعالى جهرة فى غمام مع الملائكة وقد قضى الأمر بقطع مطامعهم ، لأن الشئون جميعاً فى قبضة الله يصرفها هو حيث يشاء وقد قضى فيها قضاءه الذى سينفذ لا محالة .

(1/53)

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (211) رَبُّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (212) كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)

211- سل بنى إسرائيل كم سقنا إليهم الأدلة القاطعة على صدق الرسول ، وفى ذلك نعمة هدايتهم إلى الله ، فكفروا بهذه الأدلة ، وعمدوا بتكذيبهم لها إلى تبديل الغرض منها ، فبعد أن كانت هذه الآيات للهداية أصبحت بالنسبة لكفر هؤلاء بها سبباً فى زيادة ضلالهم وإثمهم ، ومن يبذل نعم الله بهذه الصورة يحق عليه العذاب لأن الله شديد العقاب .

212- وإنَّ السبب فى الانحراف والكفر هو طلب الدنيا ، فقد زين للذين كفروا شهوات الحياة الدنيا فمضوا يسخرون من الذين آمنوا لانشغالهم بالحياة الآخرة ، والله جاعل الذين آمنوا أعلى مكاناً منهم فى الآخرة . فأما توفر المال وزينة الحياة الدنيا لدى الكفار فلا تدل على أفضليتهم ، لأن رزق الله لا يُقدَّر على حساب الإيمان والكفر بل يجرى تبعاً لمشيئته ، فمن الناس من يزداد له فى الرزق استدرجاً ومنهم من يقتر عليه اختباراً .

213- وإنَّ الناس طبيعة واحدة فيها الاستعداد للضلالة ، ومنهم من تستولى عليه أسباب الهداية ، ومنهم من تغلب عليه الضلالة ، ولذلك اختلفوا ، فبعث الله إليهم الأنبياء هداة ومبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتب مشتملة على الحق ، لتكون هى الحكم بين الناس فينقطع التنازع ، ولكن الذين انتفعوا بهدى النبیین هم الذين آمنوا فقط ، والذين هداهم الله فى موضع الاختلاف إلى الحق ، والله هو الذى يوفق أهل الحق إذا أخلصوا .

(1/54)

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّيْتُمْ  
 الْبُيُوتَ وَالضَّرَائِعَ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا  
 إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ  
 فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ  
 اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (215) كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا  
 وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ )  
 (216)

214- فهل حسبتُم أن تدخلوا الجنة بمجرد إقراركم بكلمة الإسلام بدون أن تصابوا بمثل ما أصاب الذين من قبلكم ، فقد أصابتهم الشدائد والنوازل وزلزلوا حتى بلغ بهم الأمر أن قال رسولهم نفسه وقالوا معه : متى نصر الله؟ فيبشرونهم بوعدته فيجابون عندئذ بأن نصر الله قريب .

215- يسألك المؤمنون فى شأن الإنفاق فقل لهم : إن الإنفاق يكون من المال الطيب ، ويعطى للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين ومن انقطع عن ماله وأهله ، وما تفعلوا من عمل خير فإن الله يعلمه وهو يثيبكم عليه .

216- فإذا كان فى الإنفاق على اليتامى والمساكين وغيرهم حماية للمجتمع فى داخله فإن القتال حماية له من أعدائه فى الخارج ، ولذلك فرض عليكم - أيها المسلمون - القتال لحماية دينكم والدفاع عن أنفسكم ، وأن نفوسكم بحكم جبلتها تكره القتال كرهاً شديداً ، ولكن ربما كرهتم ما فيه خيركم وأحببتم ما فيه شركم ، والله يعلم ما غاب من مصالحكم عنكم ، وأنتم لا تعلمون فاستجيبوا لما فرض عليكم .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ  
وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ  
الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ  
مِنْكُمْ عَن دِينِهِ قَيْمٌتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)

217- وقد كره المسلمون القتال فى الشهر الحرام فسألوك عنه ، فقل لهم :  
نعم إن القتال فى الشهر الحرام إثم كبير ، ولكن أكبر منه ما حدث من  
أعدائكم من صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، وإخراج المسلمين من  
مكة ، وقد كان إيذاؤهم للمسلمين لإخراجهم من دينهم أكبر من كل قتل ،  
ولذلك أبيض القتال فى الشهر الحرام لقمع هذه الشرور ، فهو عمل كبير يتقى  
به ما هو أكبر منه . واعلموا - أيها المسلمون - أن سبيل هؤلاء معكم سبيل  
التجنى والظلم ، وأنهم لا يقبلون منكم العدل والمنطق ، ولا يزالون يقاتلونكم  
حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يضعف أمام هجماتهم ويرتد عن  
دينه حتى يموت على الكفر فأولئك بطلت أعمالهم الصالحة فى الدنيا والآخرة  
، وأولئك أهل النار هم فيها خالدون .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ  
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (218) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ  
وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)

218- وإن الذين آمنوا إيماناً صادقاً دفعهم إلى الهجرة لنصرة الدين والجهاد  
لإعلاء كلمته فأولئك ينتظرون عظيم ثواب الله لهم ، وإن قصرُوا فى شئ ، لأن  
الله غفور يغفر الذنوب ، رحيم يرحم عباده بالهداية والثواب .  
219- ويسألونك - يا محمد - عن حكم الخمر والقمار ، فقل : إن فيهما ضرراً  
كبيراً من إفساد الصحة وذهاب العقل والمال وإثارة البغضاء والعدوان بين  
الناس ، وفيهما منافع وبعض المنافع الصحية والربح السهل ، ولكن ضررهما  
أكبر من نفعهما فاجتنبوهما . ويسألونك عما ينفقون ، فأجبهم أن ينفقوا فى  
ذات الله السهل اليسير الذى لا يشق عليكم إنفاقه ، كذلك يبين الله لكم الآيات  
لعلكم تتفكرون فيما يعود عليكم من مصالح الدنيا والآخرة .



فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الِيتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَآخِوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَامَهُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)

220- ويسألونك بشأن اليتامى والذي يوجهه الإسلام حيالهم ، فقل : إن الخير لكم ولهم فى إصلاحهم ، وأن تضمّوهم إلى بيوتكم ، وأن تخالطوهم بقصد الإصلاح لا الفساد ، فهم إخوانكم فى الدنيا يستدعون منكم هذه المخالطة ، والله يعلم المفسد من المصلح منكم فاحذروا . ولو شاء الله لشق عليكم ، فألزمكم رعاية اليتامى من غير مخالطة لهم ، أو تركهم من غير بيان الواجب لهم ، فيربون على بغض الجماعة ويكون ذلك إفساداً لجماعتكم وإعناتاً لكم ، إذ إن قهرهم وذلك يجعل منهم المبغضين للجماعة المفسدين فيها ، وإن الله عزيز غالب على أمره ، ولكنه حكيم لا يشرع إلا ما فيه مصلحتكم .

221- وإذا كانت مخالطة اليتامى لا حرج فيها فإن الحرج فى مخالطة أهل الشرك ، فلا ينكح المؤمن مشركة لا تدين بكتاب سماوى ، ولا يحمل المرء منكم على زواج المشركة مالها وجمالها وحسبها ونسبها . فالمؤمنة التى وقع عليها الرق خير من المشركة الحرة ذات المال والجمال والحسب والنسب ، ولا يزوج المرء منكم من له عليه ولاية من النساء مشركاً لا يؤمن بالكتب السماوية ، ولا يبعث أحدكم على إثارة المشرك غناه وشرفه ، فخير منه العبد المؤمن ، فأولئك المشركون يجتذبون عشراءهم إلى المعصية والشرك فيستوجبون النار . والله إذ يدعوكم إلى اعتزال المشركين فى النكاح يدعوكم إلى ما فيه صلاحكم ورشادكم لتنالوا الجنة والمغفرة ، وتسيروا فى طريق الخير بتيسيره ، والله يبين شرائعه وهديه للناس لعلهم يعرفون صلاحهم ورشادهم .

222- ويسألونك عن إتيان الزوجات زمن المحيض ، فأجبهم : أن المحيض أذى فامتنعوا عن إتيانهن مدته ، ولا تأتوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن فى المكان الطبيعى ، ومن كان وقع منه شئ من ذلك فليتب ، فإن الله يحب من عباده كثرة التوبة والطهارة من الأقدار والفحش .

(1/58)

نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَابْتَغُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَلَأُ قُورَهُ وَيُنَزِّلُ الْمُؤْمِنِينَ (223) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْصَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (225) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227)

223- زوجاتكم هن موضع النسل كموضع البذر ينبت النبات ، فيباح لكم أن تأتوهن على أية طريقة تشاءون إذا كان ذلك فى موضع نسل ، واتقوا الله أن تعصوه فى مخالطة المرأة ، واعلموا أنكم ملاقوه ومستولون عنده ، والبشرى للذين يقفون عند حدوده تعالى فلا يتعدونها .

224- لا تجعلوا اسم الله معرّضاً لكثرة الحلف به ، لأن ذلك ينافى تعظيم اسم الله ، وأن الامتناع عن كثرة الحلف باسم الله يؤدى إلى البر والتقوى والقدرة على الإصلاح بين الناس ، إذ يكون الممتنع جليل القدر فى أعين الناس موثقاً به بينهم فيقبل قوله ، والله سميع لأقوالكم وأيمانكم ، عليم بنياتكم .

225- عفا الله عنكم فى بعض الأيمان ، فما جرى على الألسنة من صور الأيمان ولم يصحبه قصد ولا عقد قلب ، أو كان يحلف على شئ يعتقدده حصل وهو لم يحصل فإن الله لا يؤاخذ عليه ، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من عزم على إيقاع فعل أو عدم إيقاعه . وعلى الكذب فى القول مع التوثيق باليمين ، فالله غفور لمن يتوب ، حلیم يعفو عما لا يكتسبه القلب .

226- وهؤلاء الذين حلفوا ألا يقربوا نساءهم يُمهلون أربعة أشهر ، فإن أتوا نساءهم فى أثنائها استمر الزواج وعليهم كفارة اليمين وغفر لهم وتقبل منهم الكفارة رحمة بهم .

227- وإن لم يأتوا نساءهم فى هذه المدة كان ذلك إضراراً بالمرأة ، فليس إلا الطلاق ، والله سميع لأيمانهم عليم بأحوالهم ومحاسبهم على ذلك يوم القيامة .

(1/59)

وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِرْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)

228- وعلى المطلقات أن ينتظرن دون التطلع إلى زواج يستأنف مدة ثلاث حيضات ، استبراء للرحم ، وفسحة لاحتمال المراجعة ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما يكون فى أرحامهن من جنين أو دم حيض ، وذلك شأن المؤمنات بالله ولقائه فى اليوم الآخر ، وأزواجهن لهم الحق فى إرجاعهن للزوجية ثانياً مدة العدة ، وعلى الأزواج عند استعمال هذا الحق أن يقصدوا إلى الإصلاح لا المضرة ، وللزوجات من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات بما لا ينكره الشرع الشريف ، وللرجال عليهن درجة الرعاية والمحافظة على الحياة الزوجية وشئون الأولاد والله سبحانه فوق عباده يشرع لهم ما يتفق مع الحكمة .

(1/60)

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229)

229- الطلاق مرتان يكون للزوج بعد كل واحدة منها الحق فى أن يمسك زوجته برجعتها فى العدة أو إعادتها إلى عصمته بعقد جديد ، وفى هذه الحال يجب أن يكون قصده الإمساك بالعدل والمعاملة بالحسنى ، أو أن ينهى الحياة الزوجية مع المعاملة الحسنة وإكرامها من غير مجافاة . ولا يحل لكم - أيها الأزواج - أن تأخذوا مما أعطيتموهن شيئاً إلا عند خشية عدم إقامة حقوق الزوجية التى بينها الله سبحانه وتعالى وألزم بها . فإن خفتم - يا معشر المسلمين - ألا تؤدى الزوجات حقوق الزوجية سليمة كما بينها الله فقد شرع للزوجة أن تقدم مالا فى مقابل افتراقها عن زوجها ، وهذه هى أحكام الله المقررة فلا تخالفوها وتتجاوزوها لأن من يفعل ذلك ظالم لنفسه وظالم للمجتمع الذى يعيش فيه .

(1/61)

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَتَّخِذَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ بَيْنَهُمَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَابْلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُهْسِكُوهُنَّ صِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)

230- فإن طلق الزوج امرأته مرة ثالثة بعد التطبيقين السابقتين فلا تحل له حينئذ إلا بعد أن تتزوج زوجاً غيره ويدخل بها ، فإن طلقها من بعد ذلك الزوج الثانى وصارت أهلاً لأن يعقد عليها عقداً جديداً فلا إثم عليها ولا على زوجها الأول فى أن يستأنفا حياة زوجية جديدة بعقد جديد ، وعليهما أن يعتزما إقامة حياة زوجية صالحة تراعى فيها كل الأحكام الشرعية التى حددها الله سبحانه وتعالى ، وقد بيئت هذه الحدود لمن يؤمن بالشرع الإسلامى ويريد العلم والعمل به .

231- وإذا طلقتم النساء فشارفن انتهاء عدتهن ، فلكم أن تراجعوهن قاصدين إقامة العدل وحسن الصحبة وعدم المضارة ، ولكم أن تتركوهن لتتقضى عدتهن ملاحظين المعاملة اللائقة عند الفراق من غير جفوة ، ولا يجوز أن يكون القصد من المراجعة مضارة المرأة وتطويل عدتها ، ومن يفعل ذلك فقد حرم نفسه سعادة الحياة الزوجية وثقة الناس به واستحق سخط الله عليه ، ولا تتخذوا أحكام الله فى الأسرة - التى جاءت بها الآيات وجعلت زمام الأسرة بيد الوكيل - سخرية ولهواً وعبثاً ، تطلقون لغير سبب وترجعونها مضارة وإيذاء . واذكروا نعمة الله عليكم بتنظيم الحياة الزوجية تنظيماً عالياً ، وبما أنزل عليكم من كتاب مبين للرسالة المحمدية والعلوم النافعة والأمثال والقصص التى بها تتعظون وتهتدون ، واتخذوا بينكم وبين غضب الله وقاية واعلموا أن الله يعلم سرركم وجهركم ونياتكم وأعمالكم وهو مجازيكم بما كنتم تعملون .

(1/62)

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاصُوا  
بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ  
أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232) وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ  
أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ  
وَكَسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ وَالدَّهْ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ  
لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِنْ ذَلِكَ قَانَ إِنْ أَرَادَا فَضَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا  
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا  
آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (233)

232- وإذا طلقتم النساء وأتمتم عدتهن ، وأرادت إحداهن أن تستأنف زواجاً  
جديداً من المطلق أو من رجل آخر غيره ، فلا يحل للأولياء ولا للزوج المطلق  
أن يمنعوه من ذلك إذا تراضى الطرفان على عقد جديد وإرادة حياة كريمة  
تؤدي إلى حسن العشرة بينهما ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله  
وباليوم الآخر ، ذلكم أدرى إلى تنمية العلاقات الشريفة في مجتمعكم وأطهر  
في نفوسكم من الأدناس والعلاقات المريية ، والله يعلم من مصالح البشر  
وأسرار نفوسهم ما يجهلون الوصول إليه .

233- وعلى الأمهات أن يقمن بإرضاع أولادهن مدة عامين تامين مراعاة  
لمصلحة الطفل ، إذا طلب أحد الوالدين أو كلاهما استيفاء مدة الرضاعة تامة  
لاحتياج الولد إليها ، ويلزم الوالد - باعتبار الولد منسوباً إليه - بالإنفاق على  
الأمهات حينئذٍ بإطعامهن وكسوتهن على قدر طاقته بلا إسراف ولا تقتير . ولا  
ينبغي أن يهضم حق الأم في نفقتها أو حضانه ولدها ، كما لا ينبغي أن يكون  
الولد سبياً في إلحاق الضرر بأبيه بأن يكلف فوق طاقته أو يحرم حقه في ولده  
، وإذا مات الأب أو كان فقيراً عاجزاً عن الكسب كانت النفقة على وارث الولد  
لو كان له مال ، فإن رغب الوالدان أو كلاهما في فطام الطفل قبل تمام  
العامين وقد تراضيا على ذلك ونظرا إلى مصلحة الرضيع فلا تبعه عليهما ، وإذا  
شئتم - أيها الآباء - أن تتخذوا مراضع للأطفال غير أمهاتهم فلا تبعه عليكم في  
ذلك ، ولتدفعوا إليهن ما اتفقتم عليه من الأجر بالرضا والمحاسنة ، وراقبوا الله  
في أعمالكم ، واعلموا أنه مطلع عليها ومجازيكم بها .

(1/63)

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا  
بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا  
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ  
أَكْتَبْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذَكَّرُوهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ  
تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرُضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ  
اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ (235)

234- والذين يتوفون منكم ويتركون أزواجاً يترصدن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا  
فعلين أن يمكن بعدهم دون تعرض للزواج مدة أربعة أشهر هلالية وعشر  
ليال بإيامها استبراء للرحم . فإذا انتهت هذه المدة فلا تبعه عليكم أيها الأولياء

لو تركتموهن يأتين من شريف الأعمال التي يرضاها الشرع ليصلن بها إلى الزواج . فلا ينبغي أن تمنعهن من ذلك ولا يجوز لهن أن يأتين من الأعمال ما ينكره الشرع ويأباه ، فإن الله مطلع على سرائركم ويعلم أعمالكم فيحاسبكم على ما تعملون .

235- ولا إثم عليكم - أيها الرجال - فى مدة العدة إذا ألمحتم للمعتدات من وفاة بالزواج وأضمرت ذلك فى قلوبكم ، فإن الله يعلم أنكم لا تصبرون عن التحدث فى شأنهن لميل الرجال إلى النساء بالفطرة ، ولهذا أباح لكم التلويح دون التصريح ، فلا تعطوهن وعداً بالزواج إلا أن يكون ذلك إشارة لا نكر فيها ولا فحش ، ولا تبرموا عقد الزواج حتى تنقضى العدة ، وأيقنوا أن الله مطلع على ما تخفونه فى قلوبكم ، فخافوا عقابه ولا تقدموا على ما نهاكم عنه ، ولا تياسوا من رحمته إن خالفتم أمره فإنه واسع المغفرة يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ، كما أنه حليم لا يعجل بالعقوبة لمن انتهك المحرمات .

(1/64)

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَعْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237) حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) قَانَ حِفْظٌ فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239)

236- ولا إثم عليكم - أيها الأزواج - ولا مهر إذا طلقتم زوجاتكم قبل الدخول بهن وقبل أن تُقدِّروا لهن مهراً ، ولكن أعطوهن عطية من المال يتمتعن بها لتخفيف آلام نفوسهن ، ولتكن عن رضا وطيب خاطر ، وليدفعها الغنى بقدر وسعه والفقير بقدر حاله ، وهذه العطية من أعمال البر التي يلتزمها ذوو المروءات وأهل الخير والإحسان .

237- وإذا طلقتم النساء قبل الدخول بهنَّ بعد تقدير مهورهن ، فقد وجب لهن نصف المهر المقدر ويدفع إليهن ، إلا إذا تنازلت عنه الزوجة ، كما أنَّهنَّ لا يعطين أكثر من النصف إلا إذا سمحت نفس الزوج فأعطاه المهر كله ، وسماحة كل من الزوجين أكرم وأرضى عند الله وأليق بأهل التقوى فلا تتركوها ، واذكروا أن الخير فى التفضل وحسن المعاملة ، لأن ذلك أجلب للمودة والتحاب بين الناس ، والله مطلع على ضمائركم وسيجازيكم على ما تتفضلون .

238- احرصوا على إقامة الصلوات كلها ، وداوموا عليها ، واحرصوا على أن تكون صلواتكم هى الصلاة الفضلى بإقامة أركانها والإخلاص الكامل لله فيها ، وأتموا طاعة الله تعالى وذكره مخلصين له خاشعين لجلاله ، والصلاة الوسطى هى صلاة الفجر أو العصر على خلاف فى الاجتهاد .

239- فإذا أدركتم الصلاة وأنتم خائفون فلا تتركوها بل صلوا كما استطعتم مشاة أو راكبين ، فإذا زال الخوف عنكم فصلوا الصلاة مستوفية الأركان كما

علمتموها ذاكرين الله فيها شاكرين له ما علمكم إياه وما منَّ به عليكم من  
نعمة الأمن .

(1/65)

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ  
إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ  
عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240) وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241)  
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ  
دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُوُ  
فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)

240- والذين يتوفون منكم ويتركون زوجات لهم ، فقد أوصى الله بهن أن  
يقمن فى بيت الزوجية عاماً كاملاً مواساة لهن وإزالة لوحشتهن . ولا يحق  
لأحد أن يخرجهن ، فإن خرجن بأنفسهن فى أثناء العام فلا إثم عليكم - أيها  
الأولياء - أن تتركوهن يتصرفن فى أنفسهن بما لا ينكره الشرع الشريف عليهن  
، وأطيعوا الله فى أحكامه واعملوا بما شرع لكم فإنه قادر على أن ينتقم ممن  
يخالف أمره ، وهو ذو حكمة بالغة لا يشرع لكم إلا ما فيه المصلحة وإن غابت  
حكمتها عن علمكم .

241- وللنساء اللاتى يطلقن بعد الدخول حق فى أن يعطين ما يتمنعن به من  
المال جبراً لخاطرهن ، يدفع إليهن بالحسنى على قدر غنى الزوج وفقره لأن  
ذلك مما توجبه تقوى الله ويلزم به أهل الإيمان .

242- يمثل هذه البيانات والتشريعات الواضحة المحققة للمصلحة ، يبين الله  
لكم أحكامه ونعمه وآياته لتتدبروها وتعملوا بما فيها من الخير .

243- تنبه أيها النبى إلى القصة العجبية واعلمها ، وهى حالة القوم الذين  
خرجوا من ديارهم فراراً من الجهاد خشية الموت فيه وهم ألوفاً كثيرة فقضى  
الله عليهم بالموت والهوان من أعدائهم ، حتى إذا استبسلت بقتهم وقامت  
بالجهاد أحيا الله جماعتهم به ، وإن هذه الحياة العزيزة بعد الذلة المميتة من  
فصل الله الذى يستوجب الشكران ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون .

244- وإذا علمتم أن الفرار من الموت لا ينجى منه ، فجاهدوا وابدلوا أنفسكم  
لإعلاء كلمة الله ، وأيقنوا أن الله يسمع ما يقول المتخلفون وما يقول  
المجاهدون ، ويعلم ما يضمركل فى نفسه فيجازى بالخير خيراً وبالشر شراً .

(1/66)

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ  
وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245) أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى  
إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ إِبْعَثْ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ  
عَلَيْكُمْ الْقِتَالَ أَنْ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ  
دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ )

(246) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)

245- والجهاد فى سبيل الله يحتاج إلى المال فقدموا أموالكم ، فأى امرئ لا يبذل أمواله لله طيبة بها نفسه وقد وعده الله أن يردّها عليه مضاعفة أضعافاً كثيرة؟ والرزق بيد الله فيضيق على من يشاء ويوسع لمن يشاء لما فيه مصلحتكم ، وإليه مصيركم فيجازيكم على ما بذلتم ، ومع أن الرزق من فضل الله وعنايته وأنه هو الذى يعطى ويمنع ، سمي المنفق مقرضاً للحث على الإنفاق والتحيب فيه ، وتأکید الجزاء المضاعف فى الدنيا والآخرة .

246- تنبه إلى النبا العجيب عن جماعة من بنى إسرائيل بعد عهد موسى طلبوا من نبيهم فى ذلك الوقت أن يجعل عليهم حاكماً يجمع شملهم بعد تفرق ويقودهم تحت لوائه إعلاء لكلمة الله واسترداداً لعزتهم ، سألهم ليستوثق من جدّهم فى الأمر : ألن تجبنوا عن القتال إذا فرض عليكم؟ . . فانكروا أن يقع ذلك منهم قائلين : وكيف لا نقاتل لاسترداد حقوقنا وقد طردنا العدو من أوطاننا؟ . . فلما أجاب الله رغبتهم وفرض عليهم القتال أحجموا إلا جماعة قليلة منهم ، وكان إحجامهم ظلماً لأنفسهم ونيهم ودينهم ، والله يعلم ذلك منهم وسيجزئهم جزاء الظالمين .

247- وقال لهم نبيهم : إن الله استجاب لكم فاختار طالوت حاكماً عليكم . فاعترض كبارهم على اختيار الله قائلين : كيف يكون ملكاً علينا ونحن أولى منه ، لأنه ليس بذى نسب ولا مال ، فرد عليهم نبيهم قائلاً : إن الله اختاره حاكماً عليكم لتوافر صفات القيادة فيه ، وهى سعة الخبرة بشئون الحرب ، وسياسة الحكم مع قوة الجسم؛ والسلطان بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ولا يعتمد على وراثة أو مال ، وفضل الله وعلمه شامل ، يختار ما فيه مصالحكم .

(1/67)

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (248) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ بِيَدِهِ فَبَشَّرُوا بِمُنَّةٍ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلَاقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ عَلَيَّتْ رَبَّنَا أَفِرغَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250)

248- وقال لهم نبيهم : إن دليل صدقى على أن الله اختار طالوت حاكماً لكم هو أن يعيد إليكم صندوق التوراة الذى سلب منكم تحمله الملائكة ، وفيه بعض آثار آل موسى وآل هارون الذين جاءوا بعدهما ، وفى إحضاره تطمئن قلوبكم ، وإن فى ذلك لدليلاً يدفعكم إلى اتباعه والرضا به إن كنتم تدعون للحق

وتؤمنون به .  
 249- فلما خرج بهم طالوت قال لهم : إن الله مختبركم بنهر تمرُّون عليه في طريقكم فلا تشربوا منه إلا غرفة ، فمن شرب منه أكثر من ذلك فليس من جيشنا ولا من جمعنا لخروجه عن طاعة الله ، ولن يصحبنى إلا من لم يشرب منه أكثر من غرفة ، فلم يصبروا على هذا الاختبار وشربوا منه كثيراً إلا جماعة قليلة ، فاصطحب هذه القلة الصابرة واجتاز بها النهر ، فلما ظهرت لهم كثرة عدد عدوهم قالوا : لن نستطيع اليوم قتال جالوت وجنوده لكثرتهم وقتلنا . فقال نفر منهم - ثبت الله قلوبهم لرجائهم في ثواب الله عند لقائه - لا تخافوا فكثيراً ما انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة ، فاصبروا فإن نصر الله يكون للصابرين .  
 250- ولما تقدم المؤمنون لقتال جالوت وجيشه اتجهوا إلى الله ضارعين داعين له : أن يملأهم بالصبر ، ويقوى عزائمهم ويثبتهم في ميدان القتال ، وأن ينصرهم على أعدائهم الكافرين .

(1/68)

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (252) تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)

251- فهزموا عدوهم بإذن الله تعالى وقتل داود - وهو أحد جنود طالوت - جالوت قائد الكفار ، وأعطاه الله الحكم بعد طالوت والنبوة والعلم النافع وعلمه مما يشاء ، وسنة الله أن ينصر الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون ، ولولا أن الله يسلط جنوده على المفسدين لمحو فسادهم ، ويسلط الأشرار بعضهم على بعض ، ما عمرت الأرض ، ولكن الله دائم الإحسان والفضل على عباده .

252- تلك القصة من العبر التي نقصها عليك بالصدق لتكون أسوة لك ودليلاً على صدق رسالتك ، ولتعلم أننا سننصرك كما نصرنا من قبلك من الرسل .  
 253- هؤلاء الرسل الذين ذكرنا فريقاً منهم وقد فضلنا بعضهم على بعض ، فمنهم من كلمه الله دون سفير كموسى ، ومنهم من رفعه الله درجات فوق درجاتهم جميعاً وهو محمد الذي اختص بعموم الرسالة ، وكمال الشريعة ، وختمه الرسالات . ومنهم عيسى ابن مريم الذي أمددناه بالمعجزات كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص وأيدناه بجبريل روح القدس . وقد جاء هؤلاء الرسل بالهدى ، ودين الحق ، والبيئات الهادية ، وكان مقتضى هذا أن يؤمن الناس جميعاً ، ولا يختلفوا ولا يقتتلوا ، ولو شاء الله ألا يقتتل الناس من بعد مجئ الرسل إليهم بالآيات الواضحة الدالة على الحق ما حدث اقتتال ولا اختلاف ، ولكن الله لم يشأ ذلك ، ولهذا اختلفوا ، فمنهم من آمن ومنهم من



كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولا اختلفوا بل يكونون جميعاً على الحق ، ولكنه يفعل ما يريد لحكمة قدرها .

(1/69)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا يَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

254- يا أيها المؤمنون بالله وباليوم الآخر أنفقوا بعض ما رزقكم الله في وجوه الخير ، وبادروا بذلك قبل أن يأتي يوم القيامة الذي يكون كله للخير ولا توجد فيه أسباب النزاع ، لا تستطيعون فيه تدارك ما فاتكم في الدنيا ، ولا ينفع فيه بيع ولا صداقة ولا شفاعة أحد من الناس دون الله ، والكافرون هم الذين يظهر ظلمهم في ذلك اليوم ، إذ لم يستجيبوا لدعوة الحق .

255- الله هو الذي يستحق أن يُعبد دون سواه ، وهو الباقي القائم على شئون خلقه دائماً ، الذي لا يغفل أبداً ، فلا يصيبه فتور ولا نوم ولا ما يشبه ذلك لأنه لا يتصف بالنقص في شيء ، وهو المختص بملك السموات والأرض لا يشاركه في ذلك أحد ، وبهذا لا يستطيع أي مخلوق كان أن يشفع لأحد إلا بإذن الله ، وهو - سبحانه وتعالى - محيط بكل شيء عالم بما كان وما سيكون ، ولا يستطيع أحد أن يدرك شيئاً من علم الله إلا ما أراد أن يعلم به من يرتضيه ، وسلطانه واسع يشمل السموات والأرض ، ولا يصعب عليه تدبير ذلك لأنه المتعالي عن النقص والعجز ، العظيم بجلاله وسلطانه .

256- لا إجبار لأحد على الدخول في الدين ، وقد وضح بالآيات الباهرة طريق الحق ، وطريق الضلال ، فمن اهتدى إلى الإيمان وكفر بكل ما يطغى على العقل ، وبصرفه عن الحق ، فقد استمسك بأوثق سبب يمنعه من التردى في الضلال ، كمن تمسك بعروة متينة محكمة الرباط تمنعه من التردى في هوة ، والله سميع لما تقولون ، عليم بما تفعلون ومجازيكم على أفعالكم .

(1/70)

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

257- الله متولى شئون المؤمنين وناصرهم ، يخرجهم من ظلمات الشرك والحيرة إلى نور الحق والاطمئنان ، والكافرون بالله تستولى عليهم الشياطين ودعاة الشر والضلال ، فهم يخرجونهم من نور الإيمان الذى فطروا عليه والذى وضح بالأدلة والآيات إلى ظلمات الكفر والفساد ، هؤلاء الكافرون هم أهل النار مخلدون فيها .

258- ألم تر إلى من عمى عن أدلة الإيمان وجادل إبراهيم خليل الله فى ألوهية ربه ووحدانيته ، وكيف أخرجه غروره بملكه - الذى وهبه ربه - من نور الفطرة إلى ظلام الكفر فعندما قال له إبراهيم : إن الله يحيى ويميت ، بنفخ الروح فى الجسم وإخراجها منه ، قال : أنا أحيى وأميت بالعفو والقتل ، فقال إبراهيم ليقطع مجادلته : إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب إن كنت إلها كما تدعى . فتحير وانقطع جدله من قوة الحجة التى كشفت عجزه وغروره ، والله لا يوفق المصرين المعاندين لاتباع الحق .

(1/71)

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَيْسْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)

259- ثم تدبّر فى مثل هذه القصة العجيبة ، قصة الذى مرّ على قرية متهدمة سقطت سقوفها وهدمت حيطانها وهلك أهلها ، فقال : كيف يحيى الله أهل هذه القرية بعد موتهم؟ فأماته الله وأبقاه على موته مائة عام ثم بعثه ليظهر له سهولة البعث ويزول استبعاده ، ثم سئل أى مدة مكثتها ميتاً؟ قال - غير شاعر بطول المدة - : يوماً أو بعض يوم ، قيل له بل مكثت على هذه الحالة مائة عام ، ثم لفت الله نظره إلى أمر آخر من دلائل قدرته فقال له : فانظر إلى طعامك لم يفسد ، وإلى شرابك لم يتغير ، وانظر إلى حمارك أيضاً ، وقد فعلنا ذلك لتعابن ما استبعده من إحياء بعد الموت ولنجعلك آية ناطقة للناس تدل على صدق البعث ، ثم أمره الله أن ينظر إلى عجيب خلقه للأحياء ، وكيف يركب عظامها ، ثم يكسوها لحماً ، ثم ينفخ فيها الروح فتتحرك ، فلما وضحت له قدرته وسهولة البعث ، قال : أعلم أن الله قادر على كل شئ .

260- واذكر كذلك قصة إبراهيم إذ قال إبراهيم : رب أرني كيفية إحياء الموتى ، فسأله ربه عن إيمانه بإحياء الموتى ليجيب إبراهيم بما يزيل كل الشك فى إيمانه ، فقال الله له : أو لم تؤمن بإحياء الموتى؟ قال : إني أمنت ولكنى طلبت ذلك ليزداد اطمئنان قلبى . قال : فخذ أربعة من الطير الحى فضعها إليك لتعرفهن جيداً ، ثم جزّهن بعد ذبحهن ، واجعل على كل جبل من الجبال المجاورة جزءاً منهن ، ثم نادهن فسيأتينك ساعيات وفيهن الحياة كما هى ، واعلم أن الله لا يعجز عن شئ ، وهو ذو حكمة بالغة فى كل أمر .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ  
 سُنبُلَةٍ مِمَّنْهُ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ  
 أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
 وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ  
 يَتَّبِعُهَا آدَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ  
 وَالْأَدَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ  
 صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا  
 وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)

- 261- إن حال الذين يبذلون أموالهم في طاعة الله ووجوه الخير ، وينالون على ذلك ثواب الله المضاعف أضعافاً كثيرة ، كحال من يبذر حبة في الأرض طيبة فتنتب منها شجيرة فيها سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة ، وهذا تصوير لكثرة ما يعطيه الله من جزاء على الإنفاق في الدنيا ، والله يضاعف عطاءه لمن يشاء فهو واسع الفضل ، عليم بمن يستحق وبمن لا يستحق .
- 262- إن الذين ينفقون أموالهم في وجوه البر المشروعة دون من أو تفاخر أو تناول على المحسن إليه . لهم أجرهم العظيم الموعود به عند ربهم ، ولا يصيبهم خوف من شيء ولا حزن على شيء .
- 263- قول تطيب به النفوس وتستر معه حال الفقير فلا تذكره لغيره ، خير من عطاء يتبعه إيذاء بالقول أو الفعل ، والله - سبحانه وتعالى - غنى عن كل عطاء مصحوب بالأذى ، ويمكن الفقراء من الرزق الطيب ، ولا يعجل بعقوبته من لا يعطى رجاء أن يهتدى إلى العطاء .
- 264- لا تضيعوا ثواب صدقاتكم - أيها المؤمنون - بإظهار فضلكم على المحتاجين وإيذائهم فتكونوا كالذين ينفقون أموالهم بدافع الرغبة في الشهرة وحب الثناء من الناس ، وهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، فإن حال المرأى في نفقته كحال حجر أملس عليه تراب ، هطل عليه مطر شديد فأزال ما عليه من تراب . . فكما أن المطر الغزير يزيل التراب الخصب المنتج من الحجر الأملس ، فكذلك المن والأذى والرياء تبطل ثواب الصدقات . . فلا ينتفع المنتفعون بشيء منها ، وتلك صفات الكفار فتجنبوها ، لأن الله لا يوفق الكافرين إلى الخير والإرشاد .

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ اتِّبَاعًا مَرَصَاةَ اللَّهِ وَتَشِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ  
 يَرْبُوَةٌ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أَكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا  
 تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265) أَيَوَّدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ  
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعْفَاءُ فَأَصَابَهَا  
 إِعْصَارٌ فِيهِ تَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266) يَا  
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا

تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
عَنِّي حَمِيدٌ (267)

- 265- حال الذين ينفقون أموالهم طلباً لمرضاة الله وتشبيهاً لأنفسهم على الإيمان ، كحال صاحب بستان بارض خصبة مرتفعة يفيده كثير الماء وقليله ، فإن أصابه مطر غزير أثمر مثلين ، وإن لم يصبه المطر الكثير بل القليل فإنه يكفى لإثماره لجودة الأرض وطبيها ، فهو مثمر فى الحالتين ، فالمؤمنون المخلصون لا تبور أعمالهم ، والله لا يخفى عليه شئ من أعمالكم .
- 266- إنه لا يحب أحد منكم أن يكون له بستان من نخيل وأعناب تجرى خلالها الأنهار وقد أثمر له البستان من كل الثمرات التى يريدھا ، وأصابه ضعف الكبر وله ذرية ضعاف لا يقدرّون على الكسب ولا يستطيع هو لكبره شيئاً ، وجفّ بستانه فى هذه الحال العاجزة بسبب ريح شديدة فيها نار فأحرقته ، وصاحبه وذريته أحوج ما يكونون إليه ، وكذلك شأن من ينفق ويتصدق ثم يعقب النفقة والصدقة بالمن والأذى والرياء فيبطل بذلك ثواب نفقته ولا يستطيع أن يتصدق من بعد ذلك طيبة نفسه ، ومثل هذا البيان يبين الله لكم الآيات لتتفكروا فيها وتعملوا بها .
- 267- يا أيها المؤمنون أنفقوا من جيّد ما تحصلونه بعملكم ، ومما يتيسر لكم إخراجة من الأرض من زروع ومعادن وغيرها ، ولا تتعمدوا الإنفاق من ردئ المال وخبيثه أنكم لن تقبلوا هذا الخبيث لو قُدّم إليكم إلا على إغماض وتساهل صارفين النظر عما فيه من خبث ورداءة ، واعلموا أن الله غنى عن صدقاتكم ، مستحق للحمد بما أرشدكم إليه من خير وصلاح .

(1/74)

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269) وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271) لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272)

- 268- الشيطان يخوفكم من الفقر ويشطكم عن كل عمل صالح لتصرفوا عن الإنفاق فى وجوه الخير وبغريكم بالمعاصى ، والله واسع المغفرة قادر على إغنائكم ، لا يخفى عليه شئ من أموركم .
- 269- يعطى صفة الحكمة من إصابة الحق فى القول والعمل من يشاء من عباده ، ومن أعطى ذلك فقد نال خيراً كثيراً لان به انتظام أمر الدنيا والآخرة ، وما ينتفع بالعبطة والاعتبار بأعمال القرآن إلا ذوو العقول السليمة التى تدرك الحقائق من غير طغيان الأهواء الفاسدة .
- 270- وما أنفقتم من نفقة فى الخير أو الشر ، أو التزمت بنفقة فى طاعة فإن الله يعلمه وسيجزىكم عليه ، وليس للظالمين الذين ينفقون رياء أو يؤذون فى

نفقتهم أو ينفقون فى المعاصى أعوان يدعون عنهم عذاب الله فى الآخرة .  
271- إن تظهروا صدقاتكم خالية من الرياء فذلك محمود لكم مرضى منكم ،  
ممدوح من ربكم ، وإن تعطوها الفقراء سراً منعاً لحرصهم وخشية الرياء فذلك  
خير لكم ، والله يغفر لكم من ذنوبكم بسبب إخلاصكم فى صدقاتكم ، والله  
يعلم ما تسرون وما تعلنون ويعلم نياتكم فى إعلانكم وإخفائكم .  
272- ليس عليك - يا محمد - هداية هؤلاء الضالين أو حملهم على الخير ، وإنما  
عليك البلاغ ، والله يهدى من يشاء ، وما تبدلونه من معونة لغيركم ففائدته  
عائدة عليكم ، والله مثيبكم عليه ، وهذا إذا كنتم لا تقصدون بالإنفاق إلا رضاء  
الله ، وأى خير تنفقونه على هذا الوجه يعود إليكم ، ويصلكم ثوابه كاملاً دون أن  
ينالكم ظلم .

(1/75)

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ  
الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا  
مِنْ خَيْرٍ قَانَ اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ (273) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا  
وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)

273- وذلك الإنفاق والبذل يكون للفقراء الذين كانوا بسبب الجهاد فى سبيل  
الله غير قادرين على الكسب ، أو لأنهم أصيبوا فى الجهاد بما أقعدهم عن  
السعى فى الأرض ، وهم متعففون عن السؤال يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء  
، ولكنك إذا تعرفت حالهم عرفت هذه الحالة بعلامتها . وما تبدلونه من معروف  
فإن الله عليم به ، سيجزيكم عليه الجزاء الأوفى .  
274- الذين من طبعهم السخاء تطيب نفوسهم للإنفاق فى الليل والنهار وفى  
العلانية والسر ، لهم جزاؤهم عند ربهم ، لا ينالهم خوف من أمر مستقبلهم ، ولا  
حزن على شئ فاتهم .

(1/76)

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ  
مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ  
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزْبِئُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
كَفَّارٍ آثِمٍ (276)

275- الذين يتعاملون بالربا لا يكونون فى سعيهم وتصرفهم وسائر أحوالهم إلا  
فى اضطراب وخلل ، كالذى أفسد الشيطان عقله فصار يتعثر من الجنون الذى  
أصابه ، لأنهم يزعمون أن البيع مثل الربا فى أن كلا منهما فيه معاوضة وكسب  
، فيجب أن يكون كلاهما حلالاً ، وقد رد الله عليهم زعمهم فبين لهم أن التحليل  
والتحريم ليس من شأنهم ، وأن التماثل الذى زعموه ليس صادقاً ، والله قد  
أحل البيع وحرم الربا ، فمن جاءه أمر ربه بتحريم الربا واهتدى به ، فله ما أخذه

من الربا قبل تحريمه ، وأمره موكول إلى عفو الله . ومن عاد إلى التعامل بالربا باستحلاله بعد تحريمه ، فأولئك يلازمون النار خالدين فيها .  
276- إن الله يُذهب الزيادة المأخوذة من الربا ، ويبارك فى المال الذى تؤخذ منه الصدقات ، ويشيب عليها أضعافاً مضاعفة . والله لا يحب الذين يصرون على تحليل المحرمات كالربا ، ولا الذين يستمرون على ارتكابها .

(1/77)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)

277- إن الذين آمنوا بالله ، وامتلوا وأمره فعملوا الصالحات التى أمر بها ، وتركوا المحرمات التى نهى عنها ، وأدوا الصلاة على الوجه الأكمل ، وأعطوا الزكاة لأهلها ، لهم ثوابهم العظيم المدخر عند ربهم ، ولا خوف عليهم من شئ فى المستقبل ، ولا هم يحزنون على شئ فاتهم .  
278- يا أيها الذين آمنوا خافوا الله واستشعروا هيئته فى قلوبكم ، واتركوا طلب ما بقى لكم من الربا فى ذمة الناس إن كنتم مؤمنين حقاً .  
279- فإن لم تفعلوا ما أمركم الله به من ترك الربا فكونوا على يقين من أنكم فى حرب من الله ورسوله لمعاندتكم لأمره ، فإن أردتم توبة مقبولة فلكم رؤوس أموالكم فلا تأخذوا زيادة عليها قلت أو كثرت وأيا كان سبب الدين ومصرفه ، لأن الزيادة التى تأخذونها ظلم لغيركم ، كما أن ترك جزء من رؤوس الأموال ظلم لكم .  
280- وإن وُجد ذو عسرة فأعطوه وأمهلوه عند انقضاء أجل الدين إلى وقت ميسرته ، وتصدقكم عليه بالتنازل عن الدين أو بعضه خير لكم إن كنتم من أهل العلم والفهم لخطاب الله الذى يعلمكم المروءة والإنسانية .  
281- وخافوا أهوال يوم تعودون فيه إلى الله ، ثم تستوفى كل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر .

(1/78)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا يَدَّيْتُمْ بِيَدِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَكُتِبَ عَلَيْكُمُ اتِّقَاتُ عَهْدِكُمْ إِذَا عٰهَدْتُمْ وَلَا يَحْسِبُ مِنَ الْجَهْلِ مِثْلُ شَيْءٍ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيحًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ بَرَّصُونَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَن يَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْتِ الشَّهَدَاءُ إِذًا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْبَىٰ إِلَّا تَرَابُوهَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوتَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَإِشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَأَنْفُوا اللَّهَ وَبِعَلْمِكُمُ اللَّهَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)

282- يا أيها الذين آمنوا إذا دأبنا بعضكم بعضاً بدين مؤجل إلى أجل ، ينبغي أن يكون الأجل معلوماً ، فاكْتُبُوهُ حفظاً للحقوق تفادياً للنزاع ، وعلى الكاتب أن يكون عادلاً في كتابته ، ولا يمتنع عن الكتابة ، شكراً لله الذي علمه ما لم يكن يعلم ، فليكتب ذلك الدين حسب اعتراف المدين وعلى المدين أن يخشى ربه فلا ينقص من الدين شيئاً ، فإن كان المدين لا يحسن التصرف ولا يقدر الأمور تقديراً حسناً ، أو كان ضعيفاً لصغر أو مرض أو شيخوخة ، أو كان لا يستطيع الإملاء لخرس أو عقدة لسان أو جهل بلغة الوثيقة ، فليُتَبَّ عنه وليه الذي عينه الشرع أو الحاكم ، أو اختاره هو في إملاء الدين على الكاتب بالعدل التام .  
وأشهدوا على ذلك الدين شاهدين من رجالكم ، فإن لم يوجد فليشهد رجل وامرأتان تشهدان معاً لتؤدبا الشهادة معاً عند الإنكار ، حتى إذا نسيت إحداهما ذكرتها الأخرى ، ولا يجوز الامتناع عن أداء الشهادة إذا ما طلب الشهود ، ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً كان أو كبيراً ما دام مؤجلاً لأن ذلك أعدل في شريعة الله وأقوى في الدلالة على صحة الشهادة ، وأقرب إلى درء الشكوك بينكم ، إلا إذا كان التعامل على سبيل التجارة الحاضرة ، تتعاملون بها بينكم ، فلا مانع من ترك الكتابة إذ لا ضرورة إليها . ويطلب منكم أن تشهدوا على المبايعة حسماً للنزاع ، وتفادوا أن يلحق أي ضرر بكاتب أو شاهد ، فذلك خروج على طاعة الله ، وخافوا الله واستحضروا هيبته في أوامره ونواهيه ، فإن ذلك يلزم قلوبكم الإنصاف والعدالة ، والله يبين ما لكم وما عليكم ، وهو بكل شيء - من أعمالكم وغيرها - عليم .

(1/79)

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ أَمْتٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (283) لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهُ يُخَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُفْرَاتِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)

283- وإذا كنتم في سفر فلم تجدوا كاتباً من يكتب لكم الدين ، فليكن ضمان الدين رهناً يأخذه الدائن من المدين . وإذا أودع أحدكم عند آخر وديعة تكون أمانة عنده ، وقد اعتمد على أمانته ، فليؤد المؤتمن الأمانة عند طلبها ، وليتق عقوبة الله له إن خان الأمانة أو غش في الشهادة . ولا تكتُموا الشهادة عند طلبها ، ومن يكتُمها فهو أتم خبيث القلب ، والله بما تعملون عليم ، سيجزيكم عليه بحسب ما تستحقون .

284- واعلموا أن لله ما في السموات وما في الأرض قد أحاط به قدرة وعلماً

، وسواء أظهرتم ما فى أنفسكم أو أخفيتموه فإن الله عليم خبير ، سيحاسبكم عليه يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو تعالى على كل شئ قدير .

285- إن ما أنزل إلى الرسول - محمد - هو الحق من عند الله ، وقد آمن به وآمن معه المؤمنون كل منهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وهم يسوون بين رسل الله فى الإيمان بهم وتعظيمهم قائلين : لا نفرق بين أحد من رسله ، وأكدوا إيمانهم القلبي بقولهم اللسانى متجهين إلى الله فى خطابهم : ربنا سمعنا تنزيلك المحكم واستجبنا لما فيه ، فامنحنا اللهم مغفرتك ، وإليك - وحدك - المصير والمرجع .

(1/80)

---

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

286- إن الله لا يكلف عباده إلا ما يستطيعون تأديته والقيام به ، ولذلك كان كل مكلف مجزياً بعمله : إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فاضرعوا إلى الله - أيها المؤمنون - داعين : ربنا لا تعاقبنا إن وقعنا فى النسيان لما كلفتنا إياه ، أو تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ ، ربنا ولا تُشدد علينا فى التشريع كما شددت على اليهود بسبب تعنتهم وظلمهم ، ولا تكلفنا ما لا طاقة لنا به من التكليف ، واعف عنا بكرمك ، واعف لنا بفضلك ، وارحمنا برحمتك الواسعة . إنك مولانا ، فانصرنا يا رب - من أجل إعلاء كلمتك ونشر دينك - على القوم الجاحدين .

(1/81)

---

الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) تَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (3)

1- الم ، حروف صوتية سبقت لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف .  
2- الله واحد لا إله غيره ، وكل ما فى العالم من تنسيق وإبداع يشهد بذلك ، وهو الحى الذى لا يموت ، القائم بأمر العالم يدبره ويصرفه .  
3- تَزَّلَ عَلَيْكَ - يا محمد - القرآن مشتملا على الحق فى كل ما تضمنه من أصول الشرائع السماوية فى الكتب السابقة ، ولقد أنزل الله من قبله التوراة على موسى والإنجيل على عيسى .

(1/82)

---



مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرْكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَعٍ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7)

- 4- أنزلهما قبل القرآن لهداية الناس ، فلما انحرفوا أنزل القرآن فارقاً بين الحق والباطل ، ومبيناً الرشد من الغي ، فهو الكتاب الصادق الدائم ، وكل من ترك ما أنزله الله فيه وكفر بآياته فله عذاب شديد ، والله قادر لا يغلبه شيء ، منتقم ممن يستحق الانتقام .
- 5- إن الله عليم بكل شيء ، فهو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، صغيراً كان أو كبيراً ، ظاهراً أو باطناً .
- 6- وهو الذي يصوركم وأنتم أجنة في الأرحام بصور مختلفة حسبما يريد ، لا إله إلا هو العزيز في ملكه ، الحكيم في صنعه .
- 7- وهو الذي أنزل عليك القرآن ، وكان من حكمته أن جعل منه آيات محكمات محددة المعنى بيّنة المقاصد ، هي الأصل وإليها المرجع ، وأخر متشابهات يدق معناها على أذهان كثير من الناس ، وتشبته على غير الراسخين في العلم ، وقد نزلت هذه المتشابهات لتبعث العلماء على العلم والنظر ودقة الفكر في الاجتهاد ، وفي البحث في الدين ، وشأن الزائغين عن الحق أن يتبعوا ما تشابه من القرآن رغبة في إثارة الفتنة ، ويؤوّلوها حسب أهوائهم . وهذه الآيات لا يعلم تأويلها الحق إلا الله والذين تثبتوا في العلم وتمكنوا منه ، وأولئك المتمكنون منه يقولون : إنا نوقن بأن ذلك من عند الله ، لا نفرق في الإيمان بالقرآن بين محكمه ومتشابهه ، وما يعقل ذلك إلا أصحاب العقول السليمة التي لا تخضع للهوى والشهوة .

(1/83)

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ (9) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُعْطِيَهُمْ أَموَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَنُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12)

- 8- وأولئك العلماء العاقلون يقولون : ربنا لا تجعل قلوبنا تنحرف عن الحق بعد إذ أرشدتنا إليه ، وامنحنا اللهم رحمة من عندك بالتوفيق والتثبيت إنك أنت المانع المعطى .
- 9- ربنا إنك جامع الناس ليوم لا شك فيه لتجازى كلاً على ما فعل ، فقد وعدت بذلك وأنت لا تخلف الميعاد .
- 10- إن الكافرين لن تدفع عنهم في ذلك اليوم أموالهم مهما عظمت ، ولا

- أولادهم مهما كثرت ، وسيكونون حطباً للنار تشتعل بهم .  
 11- وشأن هؤلاء قوم فرعون والكافرين من قبلهم ، كذبوا بآيات الله مع وضوحها فنكل الله بهم بسبب ما ارتكبه من الذنوب ، والله شديد العقاب .  
 12- قل - يا أيها النبي - لهؤلاء الذين كفروا إنكم فى الدنيا ستهزمون وفى الآخرة ستعذبون ، وتكون جهنم فراشاً لكم وبئس الفراش .

(1/84)

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَبِتُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (13)  
 رُبَّنَّ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أُوْتِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15)

- 13- لقد كان لكم آية بيّنة وعبرة ظاهرة فى طائفتين من المحاربين التقيا يوم بدر ، إحداهما مؤمنة تحارب لإعلاء كلمة الله ونشر الحق ، والأخرى كافرة تحارب فى سبيل الأهواء والشهوات ، فكان من تأييد الله للمؤمنين أن جعل الكافرين يرونهم ضعف عددهم الحقيقى ، وبذلك وقع الرعب فى قلوب الكفار فانهزموا ، والله يمنح نصره لمن يشاء . وإن فى ذلك لعبرة لأصحاب البصائر الرشيدة التى لا تنحرف فى إدراكها عن الحق .  
 14- إن البشر جبلوا على حب الشهوات التى تتمثل فى النساء والبنين والكثرة من الذهب والفضة ، والخيال الحسان المعلمة ، والأنعام التى منها الإبل والبقر والغنم ، وتتمثل أيضاً فى الزرع الكثير . لكن ذلك كله متاع الحياة الدنيا الزائلة الفانية ، وهو لا يُعد شيئاً إذا قيس بإحسان الله إلى عباده الذين يجاهدون فى سبيله عند أوبتهم إليه فى الآخرة .  
 15- قل يا أيها النبي : أخبركم بما هو خير من ذلك الذى رُبِّنَ للناس فى الدنيا؟ ، إن للذين اتقوا ثواباً مضموناً - عند ربهم ، هو جنات تجرى من تحت ظلال أشجارها الأنهار ، يتمتعون بالحياة الطيبة فيها لا يساورهم خوف من زوال نعيمها إذ كتب لهم الخلود فيها ، وأزواج طاهرة نقيه من كل ما يشين نساء الدنيا ، ورضاء من الله يشعرون فى ظلّه بنعيم أكبر ، والله مطلع على أحوال عباده لا يخفى عليه أمر أو سر من أمورهم وأسرارهم .

(1/85)

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمَمٌ فَأَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَوَقْنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَشْجَارِ (17) سَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) قَانَ

جَاجُوكَ قُلِّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ  
أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ  
(20)

- 16- ينال هذا الجزاء أولئك الذين ملأ الإيمان قلوبهم وأعلنوا ذلك بألسنتهم فقالوا - صارعين إلى الله - : ربنا إنا آمننا استجابة لدعوتك فاعف عن ذنوبنا ، واحفظنا من عذاب النار .
- 17- وهم الذين يتحملون المشقة فى سبيل الطاعة وتجنب المعصية واحتمال المكروه ، ويصدقون فى أقوالهم وأفعالهم ونياتهم ، المداومون على الطاعة فى خشوع وضراعة ، الباذلون ما يستطيعون من مال وجاه وغيره فى وجوه التأمل والتفكير فى عظمة الخالق .
- 18- شهد الله أنه المتفرد بالألوهية ويَبِّن ذلك - بما بث فى الكون من دلائل وآيات لا ينكرها ذو عقل - وأنه واحد لا شريك له ، قائم على شئون خلقه بالعدل ، وأقَرَّت بذلك ملائكته الأطهار ، وَعَلِمَهُ أهل العلم موقنين به ، وأنه - جل شأنه - المتفرد بالألوهية الذى لا يغلبه أحد على أمره ، وشملت حكمته كل شئ .
- 19- إن الدين الحق المرضى عند الله هو الإسلام ، فهو التوحيد والخضوع لله فى إخلاص ، وقد اختلف كل من اليهود والنصارى فى هذا الدين فحزَّبوا وبدَّلوا ولم يكن اختلافهم عن شبهة أو جهل إذ جاءهم العلم ، بل كان للتحاسد والتناول ، ومن يجحد بايات الله فلينتظر حساب الله السريع .
- 20- فإن جادلك هؤلاء فى هذا الدين بعد أن أقمت لهم الحجج ، فلا تجارهم فى الجدل ، وقل : أخلصت عبادتى لله - وحده - أنا ومن اتبعنى من المؤمنين ، وقل لليهود والنصارى ومشركى العرب : قد بانبت لكم الدلائل فأسلموا ، فإن أسلموا فقد عرفوا طريق الهدى واتبعوه ، وإن أعرضوا فلا تبعه عليك فى إعراضهم ، فليس عليك إلا أن تبلغهم رسالة الله ، والله مطلع على عباده لا يخفى عليه شئ من أحوالهم وأعمالهم .

(1/86)

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ  
بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22) أَلَمْ يَتَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ  
الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ  
(23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّ النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَعَرَّهَتْهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا  
كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُقِفَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا  
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25)

- 21- إن الذين يجحدون آيات الله الكونية والمنزلة ، ويقتلون من بعثهم الله لهدايتهم من الأنبياء ، ظلماً بغير حق ، ويقتلون دعاة الناس إلى القسط والعدل يستحقون العذاب الأليم فيشرهم به .
- 22- أولئك المتصفون بتلك الصفات بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة فلا يقبل لهم عمل وما لهم من ناصر ينصرهم من عذاب الله .

23- ألم تعلم حال الذين أُعطوا حظاً من الكتاب والعلم يدعون إلى كتاب الله وهو القرآن ليفصل الحق من الباطل فيما شجر بينهم من خلاف فلا يسارعون إلى إجابة الداعى ، بل يعرض عنه فريق منهم شأنه الإعراض عن دعوة الخير .  
 24- إن أولئك المعرضين من اليهود رَيْنَ لهم ذلك الإعراض أنهم يُمْتُونُ أنفسهم بالأمانى الباطلة ، فيزعمون أن النار لن تسمهم إلا أياماً معدودات ودفعمهم إلى ذلك الغرور وتلك الأمانى افتراءاتهم المستمرة فى دينهم .  
 25- فكيف يكون حالهم وقت أن يجمعهم الله فى الآخرة التى لا شك فى وجودها ولا حسابها فكل نفس تعطى جزاءها وافيأ ، وهم مستحقون لما نالهم من جزاء .

(1/87)

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)

26- قل - يا أيها النبي - ضارعاً إلى الله مقراً بجبروته : اللهم أنت - وحدك - مالك التصرف فى الأمر كله ، تمنح من تشاء من الحكم والسلطان ، وتنزعه ممن تشاء ، وتهب العزة من تريد من عبادك بتوفيقه إلى الأخذ بأسبابها ، وتضرب الذل والهوان على من تشاء ، فأنت - وحدك - تملك الخير ، لا يعجزك شئ عن تنفيذ مرادك ، وما تقتضيه حكمتك فى نظام خلقك .  
 27- وأنت بما أنشأت ووضعت من الأسباب والسنن ، تُدْخِلُ من الليل فى النهار ما يزيد به النهار طولاً ، وتدخل من النهار فى الليل ما يزيد به الليل طولاً ، وتخرج المتصف بمظاهر الحياة من فاقدها ، كما تخرج فاقد الحياة من الحى المتمكن من أسباب الحياة ، وتهب عطاءك الواسع من تشاء كما تريد على نظام حكمتك ، فلا رقيب يحاسبك ، ومن كان هذا شأنه لا يعجزه أن يمنح رسوله وأصفياه السيادة والسلطان والغنى واليسار كما وعدهم .

(1/88)

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28) قُلْ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوهُ يَعْزِمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْصَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْهَادِينَ (30) قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)

28- إذا كان الله - سبحانه وتعالى - هو - وحده - مالك الملك ، ويعز وبذل ،  
وبيده وحده الخير والخلق والرزق ، فلا يصح للمؤمنين أن يجعلوا لغير المؤمنين  
ولاية عليهم ، متجاوزين نصرة المؤمنين؛ لأن في هذا خذلانا للدين وإيذاء لاهله  
، وإضعافاً للولاية الإسلامية ، ومن يسلك هذا المسلك فليس له من ولاية الله  
مالك الملك شئ ، ولا يرضى مؤمن بولايتهم إلا أن يكون مضطراً لذلك ، فيتقي  
أذاهم بإظهار الولاء لهم . وعلى المؤمنين أن يكونوا في الولاية الإسلامية دائماً  
وهي ولاية الله ، وليحذروا أن يخرجوا إلى غير ولايته فيتولى عقابهم بنفسه  
بكتابة الذلة عليهم بعد العزة . وإليه - وحده - المصير فلا مفر من سلطانه في  
الدنيا ولا في الآخرة .

29- قل - يا أيها النبي - إن تخفوا ما في صدوركم أو تظهروه في أعمالكم  
وأقوالكم فإن الله يعلمه ، ويعلم جميع ما في السموات وما في الأرض ما ظهر  
منه وما استتر ، وقدرته نافذة في جميع خلقه .

30- فليحذر الذين يخالفون أمره يوم تجد كل نفس عملها من الخير مهما قلَّ  
مشاهداً حاضراً ، وما اقترفته من سوء تتمنى أن يكون بعيداً عنها بُعداً شاسعاً  
حتى لا تراه استقباحاً له وخوفاً من الوقوع في مغبته ، ويحذركم الله عقابه إذا  
خرجتم من ولايته التي هي رافة ورحمة بالعباد .

31- قل : إن كنتم صادقين في دعواكم أنكم تحبون الله وتريدون أن يحبكم  
الله فاتبعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه ، لأنني مبلغ عن الله ، فإن ذلك  
يحبكم الله به ، ويشيكم الله عليه بالإحسان إليكم والتجاوز عن خطاياكم ، والله  
كثير الغفران والرحمة لعباده .

32- قل : أطيعوا الله ورسوله ، فإن أعرضوا عنكم فهم كافرون بالله ورسوله ،  
والله لا يحب الكافرين .

(1/89)

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً  
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ  
لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَصَعَتْهَا  
قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي  
سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَالِدَتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا  
بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ  
وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ  
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)

33- كما اصطفى الله محمداً لتبليغ رسالته ، وجعل اتباعه وسيلة لحب الله  
ومغفرته ورحمته ، كذلك اصطفى آدم وجعله من صفوة العالمين ، واصطفى  
نوحاً بالرسالة ، واصطفى إبراهيم وآله إسماعيل وإسحاق والأنبياء من  
أولادهما ، ومنهم موسى - عليهم السلام - ، واختار آل عمران واختار منهم  
عيسى وأمه ، فعيى جعله الله رسولا لبني إسرائيل ، ومريم جعلها أما  
لعيسى من غير أب .

34- اختارهم ذرية طاهرة ، فهم يتوارثون الطهر والفضيلة والخير . والله  
سميع لأقوال عباده ، عليم بأفعالهم وما تُكته صدورهم .

- 35- واذكر - أيها النبي - حال امرأة عمران إذ نذرت وقت حملها تقديم ما تحمله خالصاً لعبادة الله وخدمة بيته ، قائلة : يا رب ، إنى نذرت ما فى بطنى خالصاً لخدمة بيتك فاقبل منى ذلك ، إنك السميع لكل قول ، العليم بكل حال .
- 36- فلما وضعت حملها قالت - معذرة تناجى ربها - : إنى وُلدت أنثى والله عليم بما ولدت ، وأن مولودها وهو أنثى خير من مطلوبها وهو الذكر . وقالت : إنى سميتها مريم وإنى أسألك أن تحصنها هى وذريتها من غواية الشيطان الرجيم .
- 37- فتقبل الله مريم نذراً لأمها ، وأجاب دعاءها ، فأنبأها نبأاً حسناً ، وربها فى خيره ورزقه وعنايته تربية حسنة مقومة لجسدها ، وشأنه أن يرزق من يشاء من عباده رزقاً كثيراً ، كلما دخل عليها زكريا فى معبدها وجد عندها رزقاً غير معهود فى وقته . قال - متعجباً - : يا مريم من أين لك هذا الرزق؟ قالت : هو من فضل الله ، وجعل زكريا - عليه السلام - كافلاً لها . وكان رزقها بغير عدد ولا إحصاء .

(1/90)

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَةُ أُنْتُكَ أَلا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلا رَمْرًا وَإِذْ كُرِّرْتُ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)

38- لما رأى زكريا - عليه السلام - ما رآه من نعمة الله على مريم ، اتجه إلى الله ضارعاً أن يهبه من فضله وكرمه ويقدرته ولداً ، فهو يسمع دعاء الضارعين ، وهو القدير على الإجابة وإن وقفت الأسباب العادية من شيخوخة أو عقم دون تحقيقها .

39- فاستجاب الله دعاءه ، فنادتة الملائكة وهو قائم فى معبده متجهاً إلى ربه ، بأن الله يبشرك بولد اسمه يحيى ، يؤمن بعيسى - عليه السلام - الذى سيوجد بكلمة من الله فيكون على غير السنة العامة فى التوالد ، ويجعله ( أى يحيى ) يسود قومه بالعلم والصلاة ، يعزف عن الشهوات والأهواء ، ويجعله من الأنبياء والصالحين .

40- ولما سيقت إليه هذه البشرى ، اتجه إلى ربه متشوقاً إلى معرفة الكيفية التى يكون بها هذا الغلام ، مع عدم توافر الأسباب العادية لكبر سنه وعقم زوجه ، ورد الله عليه بأنه متى شاء أمراً أوجد له سببه ، أو خلقه بغير الأسباب المعروفة . فهو يفعل ما يشاء .

41- فدعا زكريا ربه أن يجعل له علامة لتحقق هذه البشرى ، فأجابه الله بأن علامتك أن تعجز عن كلام الناس ثلاثة أيام إلا بالإشارة إليهم بما تريد ، وثابر على ذكر ربك وتنزيهه فى المساء والصبح .

42- واذكر - أيها النبي - إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله اختارك لتكونى أم

نبيه ، وطهرك من كل دنس ، وخصك بأمومتك لعيسى بفضل على كل نساء العالمين .  
43- وهذا يا مريم يستوجب منك الشكر لربك ، فالزمت طاعته ، وصلى له ، وشاركى الذين يعبدونه ويصلون له .

(1/91)

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (48)

44- ذلك الذى قصه القرآن عليك يا محمد من الأخبار العظيمة عمّن اصطفاهم الله ، هو من الغيب الذى أوحى الله به إليك . وما كنت حاضراً معهم وهم يقتربون بالسهم ليعلم بالقرعة من يقوم بشئون مريم ، وما كنت معهم وهم يختصمون فى نيل هذا الشرف العظيم .  
45- اذكر - أيها النبى - إذ بشرت الملائكة مريم بمولود خلقه الله بكلمة منه على غير السنته العادية فى التوالد ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وقد خلقه الله ذا مكانة فى الدنيا بالنبوة والبراءة من العيوب ، وفى الآخرة بعلو درجته مع الصفوة المقربين إلى الله من النبيين أولى العزم .  
46- وميزه الله بخصائص ، فكان يكلم الناس وهو طفل فى مهده كلاماً مفهوماً حكيماً ، كما يكلمهم وهو رجل سوى ، من غير تفاوت بين حالتي الطفولة والكهولة . وكان ممن منحهم الله الصلاح .  
47- قالت مريم - متعجبة من وجود الولد على غير نظام التوالد- : من أين يكون لى ولد ولم يمسنى رجل ؟ فذكر الله تعالى لها أنه يخلق ما يشاء بقدرته غير مقيد بالأسباب العادية ، فإنه إذا أراد شيئاً أوجده بتأثير قدرته فى مراده من غير افتقار إلى موجب آخر .  
48- والله يُعلم هذا الوليد الكتابة ، والعلم الصحيح النافع ، والتوراة ( كتاب موسى ) والإنجيل الذى أوحاه الله إليه .

(1/92)

وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَتَّبِعُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ يَعْصَى الَّذِي خَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَحِجَّتُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَاذْفُقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ

الْكَفَرِ قَالِ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ تَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ أَمَّا بِاللَّهِ  
وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ  
الشَّاهِدِينَ (53) وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54)

- 49- وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل ، مستدلا على صدق رسالته بمعجزات من  
الله ، هى أن يصور لكم من الطين صورة مثل صورة الطير ، ينفخ فيها فتحل  
فيها الحياة وتتحرك طائراً بإرادة الله ، ويشفى بتقدير الله من وُلْدٍ أعمى  
فيبصر ، ومن به برص فيزول برصه ، ويعيد الحياة إلى من فقدها . كل ذلك  
بإذن الله وإرادته ، ويخبرهم بما يذخرون فى بيوتهم من مأكول وغيره ، ويقول  
لهم : إن هذه الآيات التى أظهرها الله على يدى حجة على أن رسالتى حق إن  
كنتم ممن يذعنون له ويصدقون به .
- 50- وأرسلت إليكم مصدقاً لشريعة التوراة التى نزلت على موسى ، ولأبيح  
لكم بأمر الله بعض ما حُرِّمَ عليكم من قبل ، وقد جئناكم بأية من الله على  
صدق رسالتى . فاتقوا الله وأطيعوا .
- 51- إن الله الذى أدعوكم إليه هو - وحده - ربي وربكم فاعبدوه وأخلصوا  
العبادة له ، فإن هذا هو الطريق الذى لا عوج فيه .
- 52- ولما جاء عيسى - عليه السلام - دعا قومه إلى الصراط المستقيم ، فأبى  
أكثرهم ، فلما علم منهم ذلك اتجه إليهم منادياً : من يناصرنى فى هذا الحق  
الذى أدعو إليه ؟ فأجابه خاصة المؤمنين بالله وبه : نحن نؤيدك وننصرك لأنك  
داع إلى الله ، واشهد بأننا مخلصون لله منقادون لأمره .
- 53- ونحن نقول : يا ربنا ، صدّقنا بكتابك الذى أنزلته على نبيك ، وامثلنا أمر  
رسولك عيسى - عليه السلام - فاكتبنا من الشاهدين لرسولك بالتبليغ ، وعلى  
بنى إسرائيل بالكفر والجحود .
- 54- أما الجاحدون فقد دَبَّرُوا تديراً خفياً يحاربون به دعوة عيسى ، فأبطل  
الله كيدهم فلم ينجحوا فيما أرادوا ، والله أحكم المدبرين وأقواهم .

(1/93)

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُوقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّْ مَرْجِعُكُمْ  
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا  
شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ  
الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ  
ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60)

- 55- واذكر - أيها النبي - إذ قال الله : يا عيسى إنى مستوفٍ أجلك ، ولا أمكن  
أحداً من قتلك ، وإنى رافعك إلى محل كرامتى ، ومنجيك من أعدائك الذين  
قصدوا قتلك ، وجاعل المتبعين لك ، الذين لم ينحرفوا عن دينك ظاهرين  
بالقوة والسلطان على الذين لم يهتدوا بهديك إلى يوم القيامة ، ثم إلى  
مصيركم فى الآخرة فأقضى بينكم فى الذى تنازعتم فيه من أمر الدين .
- 56- فأما الجاحدون ، فأذيقهم عذاب الخزي والنكال بتسليط الأمم عليهم فى



الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى . وليس لهم من ينقذهم من عذاب الله .  
 57- وأما المهتدون بهدى الله ، العاملون على سنن الخير ، فيعطيه الله جزاء أعمالهم وافياً . والله لا يمنح ثوابه المتجاوزين لحدود الله الطاعين على دعوته وإحسانه ، ولا يرفع لهم قدراً .  
 58- ذلك الذى قصصناه عليك من الحجج الدالة على صدق رسالتك ، هو من القرآن الكريم المشتمل على العلم النافع .  
 59- ضلَّ قوم في أمر عيسى ، فزعموا أنه ابن الله لأنه ولد من غير أب ، فقال الله لهم : إن شأن عيسى فى خلقه من غير أب كشأن آدم فى خلقه من تراب من غير أب ولا أم ، فقد صورته وأراد أن يكون فكان بشراً سوياً .  
 60- هذا البيان فى خلق عيسى هو الصدق الذى بين الواقع بإخبار رب الوجود قدم على يقينك ، ولا تكن من الشاكين .

(1/94)

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاكُمْ  
 وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَتُّهُلُ فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ( 61 )  
 إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ( 62 )  
 فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ( 63 ) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى  
 كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا  
 أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ( 64 ) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ  
 لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ( 65 )

61- فمن جادلك - يا أيها النبى - فى شأن عيسى من بعد ما جاءك من خبر الله الذى لا شبهة فيه ، فقل لهم قولا يظهر علمك اليقيني وباطلهم الزائف :  
 تعالوا يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه ، ثم نضرع إلى الله أن يجعل غضبه ونقمته على من كذب فى أمر عيسى من كونه خلق من غير أب وأنه رسول الله وليس ابن الله .  
 62- وذلك هو الحق الذى لا مرية فيه ، فليس فى الوجود إله إلا الله الذى خلق كل شئ وأنه لهو المنفرد بالعزة فى ملكه والحكمة فى خلقه .  
 63- فإن أعرضوا عن الحق بعدما تبين لهم ، ولم يرجعوا عن ضلالتهم فهم المفسدون ، والله عليم بهم .  
 64- قل - يا أيها النبى : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة عادلة بيننا وبينكم نذكرها على السواء ، وهى أن نخص الله بالعبادة ولا نجعل غيره شريكاً له فيها ، ولا يطيع بعضنا بعضاً وينقاد له فى تحليل شئ أو تحريمه ، تاركاً حكم الله فيما أحلَّ وحرم ، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الحققة فقولوا لهم : اشهدوا بأننا منقادون لأحكام الله ، مخلصون له الدين لا ندعو سواه .  
 65- يا أهل الكتاب لماذا تتنازعون وتجادلون فى دين إبراهيم ، كل منكم يدعى أنه على دينه فى حين أن إبراهيم سابق فى الوجود على التوراة والإنجيل بشرية خاصة ، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده ، فكيف يكون على شريعة واحدة منهما؟ . أليست لكم عقول تدركون بها بطلان هذا الكلام الذى يناقض الواقع؟

هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ  
حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (69) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ  
لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَنْهَدُونَ (70) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ  
بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71)

- 66- ها أنتم يا هؤلاء جادلتم في أمر عيسى وموسى الذى لكم بهما معرفة -  
كما تزعمون - فكيف تجادلون فى كون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً وليس لكم  
بذلك علم؟ . والله يعلم حقيقة ما تنازعتم فيه ، وأنتم لا علم لكم بذلك .
- 67- إن إبراهيم - عليه السلام - ما كان على دين اليهود ولا على دين النصارى ،  
ولكن كان منصرفاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق ، منقاداً لله ، مخلصاً  
فى طاعته ، وما كان من الذين يشركون مع الله غيره فى العبادة .
- 68- إن أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم ودينه هم الذين أجابوا دعوته  
واهتدوا بهديه فى زمنه ، وكذا محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن آمن معه ،  
فإنهم أهل التوحيد الخالص وهو دين إبراهيم ، والله يحب المؤمنين وينصرهم  
لأنهم أولياؤه ، ويجازيهم بالحسنى وزيادة .
- 69- إن فريقاً من أهل الكتاب يتمنون إضلال المؤمنين وفتنهم عن دينهم ،  
بالقاء الشبه التى توهن الاعتقاد ، وهم فى عملهم هذا لا يضلون إلا أنفسهم  
بإصرارهم على الضلال الذى يحيق بهم - وحدهم - ولا يعلمون إن عاقبة سعيهم  
هذا لاحقة بهم ولا تضر المؤمنين .
- 70- يا أهل الكتاب لم تكذبون بآيات الله المنزلة الدالة على صدق نبوة محمد -  
صلى الله عليه وسلم - وأنتم تعلمون أنها حق؟ .
- 71- يا أهل الكتاب لم تخلصون الحق الذى جاء به الأنبياء ونزلت به الكتب بما  
جئتم به من شبهات واهية ، وتأويلات باطلة ، ولا تذكرون الحق صريحاً واضحاً  
بعيداً عن التخليط ، وأنتم تعرفون أن عقاب الله على مثل هذا الفعل عظيم؟ .

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ  
وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ الْهُدَى  
هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ  
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصِمِي بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو  
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74) وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ  
مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ  
عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) بَلَى مَنْ  
أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)

72- وأن أهل الكتاب - فى سبيل إضلال المؤمنين - قالوا لإخوانهم : آمنوا بالقرآن الذى نزل على محمد واتبعه فيه المؤمنون أول النهار ، واكفروا فى آخره لعلكم تستطيعون بهذا فتنتهم ببث الريب والشك فيهم ، فيرجعون عن دينهم .

73- وقالوا أيضاً : لا تدعناو إلا لمن تبع دينكم ، خشية أن يدعى أحد أنه أوتى مثل ما عندكم ، أو يحتج عليكم بإذعانكم عند ربكم ، قل لهم - أيها النبى : إن الهدى ينزل من عند الله ، فهو الذى يفيض به ويختار له من يشاء ، وقل لهم - أيها النبى - إن الفضل من عند الله يعطيه من يريد من عباده ، وهو واسع الفضل ، عليم بمن يستحقه ومن ينزله عليه .

74- فهو يمنح من يشاء النبوة والرسالة ، ومن خصه بذلك فإنما هو محض فضله ، والله صاحب الفضل العظيم ، لا ينازعه فيه غيره ، ولا يحجر عليه فى عطائه .

75- هذا سلوك أهل الكتاب فى الاعتقاد ، أما سلوكهم فى المال فمنهم من إن استأمنته على قنطار من الذهب أو الفضة أذاه إليك لا ينقص منه شيئاً ، ومنهم من إن استأمنته على دينار واحد لا يؤديه إليك إلا إذا لازمته وأخرجته ، وذلك لأن هذا الفريق يزعم بأن غيرهم أميون ، وأنهم لا ترعى لهم حقوق ، ويدعون أن ذلك حكم الله ، وهم يعلمون أن ذلك كذب عليه سبحانه وتعالى .

76- حقاً لقد افتروا على الله الكذب ، فإن من أدّى حق غيره ووفاه فى وقته كما عاهده عليه وخاف الله فلم ينقص ولم يماطل فإنه يفوز بمحبة الله لأنه اتقاه .

(1/97)

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمًّا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)  
وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)

77- إن الذين يتركون عهد الله الذي عاهدهم عليه من أداء الحقوق والقيام بالتكليفات ، ويتركون أيمانهم التى أقسموا بها على الوفاء - لثمن قليل من أعراض الدنيا - مهما عظم فى نظرهم - هؤلاء لا نصيب لهم فى متاع الآخرة ، ويُعرض عنهم ربهم ، ولا ينظر إليهم يوم القيامة نظرة رحمة ، ولا يغفر لهم أثامهم ، ولهم عذاب مؤلم مستمر الإيلام .

78- وإن من هؤلاء فريقاً يميلون ألسنتهم فينطقون بما ليس من الكتاب ، محاولين أن يكون شبيهاً له ، ليحسبه السامع من الكتاب وما هو منه فى شئ ، ويدّعون أن هذا من عند الله وما هو من الوحي فى شئ وهم بهذا يكذبون على الله ، وهم فى أنفسهم يعلمون أنهم كاذبون .

79- وما كان معقولا ولا سائغاً لبشر ينزل الله عليه الكتاب ، ويؤتية العلم

النافع والتحدث عن الله أن يطلب من الناس أن يعبدوه من دون الله . ولكن المعقول والواقع أن يطلب منهم أن يكونوا خالصين لربهم الذى خلقهم بمقتضى ما علمهم من علم الكتاب وما يدرسونه منه .  
80- ولا يمكن أن يأمركم بأن تجعلوا الملائكة أو النبيين أرباباً من دون الله ، وإن ذلك كفر ليس من المعقول أن يأمركم به بعد أن صرتم مُسلمين وجوهكم لله .

(1/98)

---

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82) أَفَعَبَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83) قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84) وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)

81- واذكر لهم - أيها النبي : أن الله أخذ العهد والميثاق على كل نبي أنزل عليه الكتاب وأتاه العلم النافع ، أنه إذا جاءه رسول توافق دعوته دعوتهم ليؤمّننّ به وينصرنّه . وأخذ الإقرار من كل نبي بذلك العهد ، وأقروا به وشهدوا على أنفسهم وشهد الله عليهم ، وبلغوه لأممهم أن ذلك العهد يوجب عليهم الإيمان والنصرة إن أدركوه وإن لم يدركوه ، فحق على أممهم أن يؤمنوا به وينصروه وفاء واتباعاً لما التزم به أنبياءهم .

82- فمن أعرض عن الإيمان بالنبي بعد هذا الميثاق المؤكد ، فهو الفاسق الخارج عن شرع الله ، الكافر بالأنبياء أولهم وآخرهم .

83- أيطلبون ديناً غير دين محمد وهو دين الأنبياء وهو - وحده - دين الله - الذى خضع له كل من فى السموات والأرض طوعاً بالإرادة والاختيار ، أو كرهاً بالخلق والتكوين ، وإليه - وحده - يرجع الخلق كله ؟ .

84- أكد الله وحدة الألوهية والرسالة ، فأمر نبيه ومن معه بأن يقولوا صدّقنا بالله المعبود وحده ، ومرسل رسله ، وأمنا بما أنزل الله علينا من القرآن والشريعة ، وما نزله من كتب وشرائع على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاده الأسباط الإثنى عشر ، وما أنزل الله على موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل ، وما أنزل على سائر النبيين لا فرق فى الإيمان بين أحد منهم . ونحن بذلك قد أسلمنا وجهنا لله .

85- فمن يطلب بعد مبعث محمد ( صلى الله عليه وسلم ) ديناً وشريعة غير دين الإسلام وشريعته فلن يرضى الله منه ذلك ، وهو عند الله فى دار جزائه من الذين خسروا أنفسهم فاستوجبوا العذاب الأليم .

(1/99)

---

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعَدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ  
الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَئِكَ حَزَّوهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ  
يُنظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89)  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعَدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الضَّالُّونَ (90) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ  
الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَاصِرِينَ (91) لَنْ  
تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)

86- إن الله لا يوافق قوماً شهدوا بأن الرسول حق ، وجاءتهم الأدلة على ذلك ،  
ثم بعد ذلك كفروا به ، وبمعجزاته ، فكان ذلك ظلماً منهم ، والله لا يوفق  
الظالمين .

87- أولئك عقوبتهم عند الله استحقاق غضبه عليهم ، ولعنته ، ولعنة صفوة  
الخلق جميعاً من ملائكة وبشر .

88- لا تفارقهم اللعنة ، ولا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم يمهلون .

89- لكن الذين أقلعوا عن ذنوبهم ، ودخلوا في أهل الصلاح وأزالوا ما أفسدوا ،  
فإن الله تعالى يغفر لهم برحمته ذنوبهم ، لأن المغفرة والرحمة صفتان من  
صفات ذاته العلية .

90- وإن قبول التوبة والرحمة بالغفران شرطهما الاستمرار على الإيمان ،  
فالذين يجحدون الحق بعد الإذعان والتصديق ، ويزدادون بهذه الردة جحوداً  
وفساداً وإيذاء للمؤمنين ، لن يقبل الله سبحانه وتعالى - توبتهم لأنها لا يمكن  
أن تكون صادقة خالصة ، وقد صاروا بعملهم بعيدين عن الحق منصرفين عنه .  
91- وإن الذين جحدوا الحق ولم يذعنوا له واستمروا عليه حتى وهم جاحدون ،  
لن يستطيع أحدهم أن يفتدى نفسه من عذاب الله - سبحانه وتعالى - شيئاً ،  
ولو كان الذي يقدمه فدية له ما يملأ الأرض من الذهب إن استطاع ، وعذابهم  
مؤلم شديد الإيلام .

92- لن تتألوا - أيها المؤمنون - الخير الكامل الذي تطلبونه وبرضاه الله تعالى  
، إلا إذا بذلتم مما تحبون وأنفقتموه في سبيل الله المتنوعة ، وإن كان الذي  
تتفقونه قليلاً أو كثيراً ، نفيساً أو غيره ، فإن الله يعلمه لأنه العليم الذي لا  
يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

(1/100)

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِيَّي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
تُنزَّلَ التَّوْرَةُ فَلْ قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93) فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَيَّ  
اللَّهُ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ  
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ  
مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (96)

93- اعترض اليهود على استحابة المسلمين بعض الأطعمة كلحوم الإبل  
وألبانها ، وادعوا أن ذلك حرمة شريعة إبراهيم . فرد الله سبحانه دعواهم  
ببيان أن تناول كل المطعومات كان مباحاً لبنى يعقوب من قبل نزول التوراة ،

إلا ما حرمه يعقوب على نفسه لسبب يختص به فحرموه على أنفسهم . وأمر الله نبيه أن يطلب منهم أن يأتوا من التوراة بدليل يثبت أن شريعة إبراهيم تحرم ذلك إن كانوا صادقين ، فعجزوا وأفحموا .  
 94- وإذ ثبت عجزهم ، فمن اختلق منهم الكذب على الله من بعد لزوم الحجة فهم المستمرون على الظلم المتصفون به حقاً .  
 95- وبعد تعجيزهم ، أمر الله النبي أن يبين لهم أنه بعد إفحامهم ثبت صدق الله فيما أخبر ، فأتبعوا شريعة إبراهيم التي يدعوكم إليها وتكذبون عليها ، فإنها الحق الذي لا شك فيه ، وما كان إبراهيم من أهل الشرك بالله .  
 96- وإن من اتباع ملة إبراهيم الاتجاه في الصلاة إلى البيت الذي بناه والحج إليه ، وقد بين الله تعالى ذلك فذكر : إن أول بيت في القدم والشرف جعله الله متعبداً للناس لهو الذي في مكة ، وهو كثير الخيرات والثمرات ، وأودع الله - سبحانه وتعالى - البركة فيه ، وهو مكان هداية الناس بالحج والاتجاه في الصلاة إليه .

(1/101)

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَإِلَهُهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَتَرَدَّدُوا بِكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (101)

97- وفيه دلائل واضحة على حرمة ومزيد فضله ، منها مكان قيام إبراهيم للصلاة فيه ، ومن دخله يكون آمناً لا يتعرض له بسوء ، وحج هذا البيت واجب على المستطيع من الناس ، ومن أبى وتمرد على أمر الله وجدد دينه فالخسران عائد عليه ، وأن الله غنى عن الناس كلهم .  
 98- أمر الله - سبحانه وتعالى - رسوله بتوبيخ أهل الكتاب على استمرارهم على الكفر والضلال والتضليل فقال : قل لهم : يا أهل الكتاب لا وجه لكفركم ، فلاي سبب تكفرون بدلائل الله الدالة على نبوة محمد وصدقه ، والله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها .  
 99- يا أهل الكتاب كيف تحاولون صرف من آمن بالله ورسوله وأذعن للحق عن سبيل الله الحق المستقيمة ، وتحاولون أن تصوروها معوجة ، وأنتم عالمون أنها حق ، وليس الله غافلاً عن أعمالكم وسيجازيكم عليها .  
 100- وقد حذر المؤمنين مما يثيره بعض أهل الكتاب من شبهة قائلا : إن تطيعوا بعض أهل الكتاب فيما يثبونه من الشبه في دينكم تعودوا إلى الضلال بعد الهداية ، ويردوكم جاحدين بعد الإيمان .  
 101- وتصوروا حالكم العجيبة وأنتم تصلون وتكفرون بعد الإيمان ، والقرآن يتلى عليكم ، ورسول الله بينكم ، يبين لكم ويدفع الشبه عن دينكم ، ومن يلجأ

إلى ربه ويستمسك بدينه فنعم ما فعل ، فقد هداه ربه إلى طريق الفوز والفلاح

(1/102)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (102)  
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً  
قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ  
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ  
(104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ  
عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ  
وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106)

102- وإن باب النار مفتوح إذا لم تتقوا الله ، في أيها الذين آمنوا خافوا الله  
الخوف الواجب بامتنال المأمورات واجتناب المنهيات ، ودوموا على الإسلام  
حتى تلقوا الله .

103- وتمسكوا بدين الله مجتمعين عليه ، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى فرقتكم ،  
وتذكروا نعمة الله عليكم حين كنتم في الجاهلية متعادين ، قالف بين قلوبكم  
بالإسلام فصرتم متحابين ، وكنتم - بسبب كفركم وتفرقكم - على طرف حفرة  
من النار فخلصكم منها بالإسلام ، يمثل ذلك البيان البديع بين الله لكم دائماً  
طرق الخير لتدوموا على الهدى .

104- وإن السبيل للاجتماع الكامل على الحق في ظل كتاب الله ورسوله أن  
تكونوا أمة يدعون إلى كل ما فيه صلاح ديني أو دنيوي ، ويأمرون بالطاعة ،  
وينهون عن المعصية ، وأولئك هم الفائزون فوزاً كاملاً .

105- ولا تكونوا بإهمالكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يجمعانكم  
على الخير والدين الحق ، كأولئك الذين أهملوا الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر فتفرقوا شيعاً ، واختلَفوا في دينهم من بعد ما جاءتهم الحجج الواضحة  
المبينة للحق ، وأولئك المتفرقون المختلفون لهم عذاب عظيم .

106- ذلك العذاب العظيم في اليوم الذي تبيض بالسرور فيه وجوه المؤمنين ،  
وتسود بالكآبة والحزن وجوه الكافرين ، ويقال لهم توبيخاً : أكفرتم بعد أن  
فطرتم على الإيمان والإذعان للحق وجاءتكم البيئات عليه؟ ، فذوقوا العذاب  
بسبب كفركم .

(1/103)

وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَبِئْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107) تِلْكَ آيَاتُ  
اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ الْحَقُّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعَالَمِينَ (108) وَلِلَّهِ مَا فِي  
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (109) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ  
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ  
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) لَنْ يَصْرُوكُمْ

إِلَّا أَدَىٰ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ (111) ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ  
 آيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا يُحْبِلْ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِنَ النَّاسِ وَيَأْؤُوا بِعَصَبِ اللَّهِ وَضَرَبَتْ  
 عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأْتَهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ  
 ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)

- 107- وأما الذين ابيضت وجوههم سروراً بما بشروا به من الخير ، ففي الجنة  
 التي رحمهم الله بها هم فيها خالدون .  
 108- وإن تلك الآيات الواردة بجزء المحسن والمسئ نتلوها عليك مشتملة  
 على الحق والعدل ، وما الله يريد ظلماً لأحد من الناس والجن .  
 109- ولله - وحده - ما فى السموات وما فى الأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً ،  
 وإليه مصير أمورهم ، فيجازى كلأ بما يستحقه .  
 110- أتمم - يا أمة محمد - أفضل أمة خلقها الله لنفع الناس ، ما دمتم تأمرون  
 بالطاعات وتنهون عن المعاصى ، وتؤمنون بالله إيماناً صحيحاً صادقاً ، ولو  
 صدق أهل الكتاب فى إيمانهم مثلكم لكان خيراً لهم مما هم عليه ، ولكن منهم  
 المؤمنون وأكثرهم خارجون عن حدود الإيمان وواجباته .  
 111- لن يضركم هؤلاء الفاسقون بضرر ينالونكم به ، ويكون له أثر فيكم ، إلا  
 أذى لا يبقى له أثر مثل ما يؤذى أسماعكم من ألفاظ الشرك والكفر وغير ذلك  
 ، وإن يُقاتلوكم ينهزموا فارين من لقاءكم ، ثم لا تكون لهم نصرة عليكم ما  
 دمتم متمسكين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .  
 112- وأخبر - سبحانه - بأنه ألزمهم المهانة فى أى مكان وجدوا فيه ، إلا بعقد  
 الذمة الذى هو عهد الله وعهد المسلمين ، وأنهم استوجبوا غضب الله وألزمهم  
 الاستكانة والخضوع لغيرهم ، وذلك بسبب كفرهم بآيات الله الدالة على نبوة  
 محمد ، وقتلهم الأنبياء الذى لا يمكن أن يكون بحق ، بل هو عصيان منهم  
 واعتداء .

(1/104)

لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ  
 (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
 وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ  
 يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا  
 أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ بَشِيئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (116) مَثَلُ مَا  
 يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا  
 أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَنَّهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ  
 مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ )  
 (118)

- 113- وإن أهل الكتاب ليسوا متساوين ، فإن منهم جماعة مستقيمة عادلة  
 يقرءون كتاب الله فى ساعات الليل وهم يصلون .  
 114- لا يعبدون إلا الله ويصدقون بوجوده ووحدانيته وبالرسل ومجئ يوم  
 القيامة ، ويأمرون بالطاعات وينهون عن المعاصى ، ويبادرون إلى فعل



الخيرات ، وهؤلاء عند الله من عداد الصالحين .  
115- وما يفعلوا من خير فلن يحرموا ثوابه ، والله محيط بأحوالهم ومجازيهم عليها .

116- إن الذين كفروا لن تدفع عنهم أموالهم لو افتدوا بها أنفسهم ، ولا أولادهم لو استعانوا بهم شيئاً ولو يسيراً من عذاب الله فى الآخرة . وهؤلاء هم الملازمون للنار ، الباقون فيها .

117- إن حال ما ينفقه الكفار فى الدنيا وما يرجون عليه من ثواب فى الآخرة ، كحال زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ، أصابته ريح فيها برد شديد فأهلكته عقوبة لهم . وما ظلمهم الله بضياع أجور أعمالهم ، ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما أوجب ضياعها ، وهو جحود دلالات الإيمان والكفر بالله .

118- يا أيها الذين آمنوا : لا تتخذوا أصفياء تستعينون بهم من غير أهل دينكم ، تطلعونهم على أسراركم ، لأنهم لا يقصرون فى إفساد أموركم . إذ هم يودون أن يرهقوكم ويضروكم أشد الضرر . وقد ظهرت أمارات البغضاء لكم من فلتات السننهم ، وما تضره قلوبهم أعظم مما بدا ، قد أظهرنا لكم العلامات التى يتميز بها الولى من العدو إن كنتم من أهل العقل والإدراك الصحيح .

(1/105)

هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْآتَامِلَ مِنَ الْعَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضُكُمْ عَلَى الْبَعْضِ بَدَاتِ الصُّدُورِ (119) إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمُ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ إِلَهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120) وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (121) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122) وَلَقَدْ تَصَرَّكُمُ اللَّهُ بَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123)

119- ها أنتم أولاء - أيها المؤمنون - تحبون هؤلاء الكفار المنافقين لقرابة أو صداقة أو مودة ، ولا يحبونكم لتعصبهم لدينهم ، وأنتم تؤمنون بجميع كتب الله المنزل ، وإذا لقوكم أظهروا الإيمان خداعاً لكم ، وإذا فارقوكم عصوا لأجلكم أطراف الأصابع غيظاً وأسفاً . قل - أيها النبي - : دوموا على غيظكم إلى الموت ، وإن الله عليم بما تخفيه الصدور ، ويجازيكم عليه .

120- إن جاءتكم نعمة كنصر وغنيمة تحزنهم ، وإن تصبكم مساءة كجذب وهزيمة يُسَرُّوا بإصابتكم ، وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا ما نهيتهم عنه من موالاتهم لا يضرركم مكرهم وعداوتهم أى ضرر ، لأنه تعالى عالم بما يعملونه من الكيد ، فلا يعجزه رده عنكم .

121- واذكر - أيها النبي - حين خرجت مبكراً من عند أهلك إلى أجد قاصداً إنزال المؤمنين فى مراكز القتال . والله سميع لأقوالكم ، عليم بنياتكم .

122- حين خطر لطائفتين من المؤمنين - وهما بنو مسلمة وبنو حارثة - أن تفشلا وترجعا ، فعصمهم الله ، فثبتوا ومضوا للقتال لأنه متولى أمرهما بالعصمة والتوفيق ، فليأخذ المؤمنون من هذا عبرة ، وليتوكلوا عليه لينصرهم .  
123- ذكر الله المؤمنين بنعمة النصر فى غزوة بدر حين صبروا ، فأكد لهم أنه نصرهم فيها وهم قليلو العدد والعدة ، وطلب منهم طاعته لشكر هذه النعمة .

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يَرْبِحُوا بِأَمْوَالِهِمْ أَلَمْ يَكْفِيكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (124) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ قُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) لِيَقْطَعَ طَرَقًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (127) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128)

- 124- وكان النصر حين قال الرسول للمؤمنين : أَلَنْ يَكْفِيكُمْ فِي طَمَئِنَةِ نَفْسِكُمْ إِعَانَةُ رَبِّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْسَلِينَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَتَقْوِيَنَّكُمْ .
- 125- بلى يكفيكم ذلك الإمداد ، وإن تصبروا على القتال ، وتلتزموا التقوى ، ويأتكم أعداؤكم على الفور يزد ربكم الملائكة إلى خمسة آلاف مرسلين من عند الله لتقويتكم .
- 126- وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر ، ولتسكن به قلوبكم ، ليس النصر إلا من عند الله الذي يضع الأشياء في مواضعها ، ويدير الأمور لعبادة المؤمنين .
- 127- وقد نصركم ليهلك طائفة من الذين كفروا بالقتل ، أو يذلهم ويغيظهم بالهزيمة والعار والخزي ، فيرجعوا خائبين .
- 128- ليس لك من التصرف في أمر عبادي شيء ، بل الأمر لله ، فإما أن يتوب عليهم بالإيمان ، أو يعذبهم بالقتل والخزي والعذاب يوم القيامة لأنهم ظالمون .

وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ بِغَفْرِ لِمَنْ يَتَّوَاتَىٰ وَوَعَدُ مَنْ يَنْشَأُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (129) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)

- 129- إن لله - وحده - ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً ، وهو القادر على كل شيء ، وفي يده كل شيء ، يغفر لمن يريد له المغفرة ، ويعذب من يريد تعذيبه ، ومغفرته أقرب ، ورحمته أرجى لأنه كثير المغفرة والرحمة .
- 130- يا أيها الذين آمنوا لا تأخذوا في الدين إلا رهوس أموالكم ، فلا تزيدوا عليها زيادة تحي سنة بعد أخرى فتتضاعف وخافوا الله ، فلا تأكلوا أموال الناس بالباطل ، فإنكم تفلحون وتفوزون باجتناكم الربا قليلة وكثيره .
- 131- واحذروا النار التي هيئت للكافرين باجتنا ما يوجبها من استحلال الربا .
- 132- وأطيعوا الله والرسول في كل أمر ونهى لترحموا في الدنيا والآخرة .
- 133- وبادروا بالأعمال الصالحة ، لتنالوا مغفرة عظيمة لذنوبكم من الله مالك

أمركم ، وجنة واسعة عرضها كعرض السموات والأرض هيئت لمن يتقون الله  
وعذابه .

(1/108)

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ  
فَاسْتَعْفَرُوا لِدُنُوهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ (135) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
جَالِدِينَ فِيهَا وَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (137) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى  
وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ )  
(139)

134- الذين ينفقون أموالهم إرضاء لله فى أحوال اليسر والعسر ، والقدرة  
والضعف ، ويحبسون أنفسهم عن أن يؤدى غيظهم إلى إنزال عقوبة بهم أساء  
إليهم خاصة ، ويتجاوزون عن المسئ ، إنهم بهذا يعدون محسنين ، والله تعالى  
يثيب المحسنين ويرضى عنهم .

135- والذين إذا ارتكبوا كبيرة ، أو تحملوا ذنباً صغيراً ، تذكروا الله وجلاله ،  
وعقابه وثوابه ، ورحمته ونعمته ، فندموا ، وطلبوا مغفرته ، حيث إنه لا يغفر  
الذنوب إلا الله ، ولم يقيموا على قبيح فعلهم وهم يعلمون قبحه .

136- أولئك المتصفون بهذه الصفات أجرهم مغفرة عظيمة من ربهم مالك  
أمرهم ، وجنات تجرى الأنهار بين أشجارها لا يبرحونها . ونعم ذلك ثوابا  
للعاملين بأمر الله .

137- قد مضت من قبلكم - أيها المؤمنون - سنن الله فى الأمم المكذبة ،  
بإمهالهم ، ثم أخذهم بذنوبهم ، فتأملوا كيف كان عاقبة أمر المكذبين .

138- وهذا المذكور من صفات المؤمنين وسنن الله فى الماضين فيه بيان  
للناس وإرشاد لهم إلى طريق الخير ، وزجر عن طريق الشر .

139- ولا تضعفوا عن الجهاد فى سبيل الله بسبب ما ينالكم فيه ، ولا تحزنوا  
على من يقتل منكم ، وأنتم - بتأييد الله وإيمانكم ، وقوة الحق الذى تدافعون  
عنه - الأعلون ، ولكم الغلبة إن صدق إيمانكم ودمتم عليه .

(1/109)

إِنْ يَمْسَسِيكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِنْهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدُلُوهَا بَيْنَ النَّاسِ  
وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)  
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ  
وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَتُّونَ  
الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا  
رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ  
يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)

140- إن يكن قد مسَّكم بأحدٍ قتل أو جراح عميقة فى أجسامكم ، وأثَّرت فى نفوسكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ، لأنه قد أصاب خصومكم مثله يوم يدر . وإن أوقات النصر يصرفها الله بين الناس ، فيكون النصر لهؤلاء أحياناً ولأولئك أخرى ، اختباراً للمؤمنين ، ولتمييز الله الثابتين على الإيمان ، وليكرم قوماً بالاستشهاد فى سبيله ، والله لا يحب المشركين الظالمين ولو ظفروا بنصر من غيرهم .

141- وينقى الله بهذه الهزيمة الوقتية جماعة المؤمنين ، ويطهرهم من مرضى القلوب وضعفاء الإيمان ، ودعاة الهزيمة والتردد ، ويستأصل بذلك الكفر وأهله .

142- لا تظنوا - أيها المؤمنون - أنكم تدخلون الجنة دون أن يتبين منكم المجاهدون الصابرون الذين تطهرهم المحن والشدائد .

143- لقد كنتم تطلبون الموت فى سبيل الله من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هوله ، فقد رأيتم الموت حين قتل إخوانكم بين أيديكم وأنتم تنظرون .

144- لما أشيع قتل محمد فى غزوة أحد ، همَّ بعض المسلمين بالارتداد ، فأنكر الله عليهم ذلك قائلاً : ليس محمد إلا رسول قد مات من قبله المرسلون أمثاله ، وسيموت كما ماتوا ، وسيمضى كما مضوا ، أفإن مات أو قتل رجعتم على أعقابكم إلى الكفر؟ ، ومن يرجع إلى الكفر بعد الإيمان فلن يضر الله شيئاً من الضرر ، وإنما يضر نفسه بتعريضها للعذاب ، وسيثيب الله الثابتين على الإسلام الشاكرين لنعمه .

(1/110)

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) وَكَأَيُّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبُّهُوَ كَثِيرٌ قَمًا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا حَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150)

145- لا يمكن أن تموت نفس إلا بإذن الله ، وقد كتب الله ذلك فى كتاب مشتمل على الآجال . ومن يرد متاع الدنيا يؤته منها ، ومن يرد جزاء الآخرة يؤته منها ، وسيجزى الله الذين شكروا نعمته فأطاعوه فيما أمرهم به من جهاد وغيره .

146- وكم من الأنبياء قاتل مع كل منهم كثيرون من المؤمنين المخلصين لربهم ، فما جنت قلوبهم ولا فترت عزائمهم ، ولا خضعوا لأعدائهم بسبب ما أصابهم فى سبيل الله ، لأنهم فى طاعته ، والله يثيب الصابرين على البلاء .

147- وما كان قولهم عند شدائد الحرب إلا أن قالوا : ربنا تجاوز عمَّا يكون منا من صغائر الذنوب وكبائرها ، وثبتنا فى مواطن الحرب وانصرنا على أعداء دينك الكافرين بك وبرسالة رسلك .

148- فأعطاهم الله النصر والتوفيق فى الدنيا ، وضمن لهم الجزاء الحسن فى

الآخرة ، والله يثيب الذين يحسنون أعمالهم .  
 149- يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الكفار أعداءكم الذين أعلنوا الكفر أو أخفوه فيما يدعونكم إليه من قول أو فعل يقلبكم إلى الكفر فتخسروا الدنيا والآخرة .  
 150- والله هو ناصركم ، ولا تخشوهم لأن الله أعظم الناصرين .

(1/111)

سَنُفِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبئسَ مَنَوى الظَّالِمِينَ (151) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِأِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ قَاتِلِكُمْ عَمَّا بَعَثَ لِكَيْلًا تَحْزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153)

151- ولا يضعفكم ما أصابكم يوم أحد ، فسنقذف الخوف والفرع في قلوب أعدائكم ، لإشراكهم بالله الهة لم ينزل الله بعبادتها حجة ، لأنها لا تنفع ولا تضر ، ومستقرهم النار في الآخرة وبئس هذا المكان للظالمين مقاماً .  
 152- وإن نصر الله محقق واقع ، ولقد صدقكم الله الوعد بالنصر حين قتلتم كثيرين منهم أول الأمر بإرادته ، حتى إذا ضعف رأيكم في القتال ، واختلفتم في فهم أمر النبي إياكم بالمقام في مراكزكم ، فرأى بعضكم ترك موقعه حيث ظهر النصر ، ورأى البعض البقاء حتى النهاية ، وعصى فريق منكم أمر الرسول فمضى لطلب الغنيمة من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر ، وصرتم فريقين منكم من يريد متاع الدنيا ، ومنكم من يريد ثواب الآخرة ، لما كان ذلك ، منعكم نصره ثم ردكم بالهزيمة عن أعدائكم ، ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره .  
 ولقد تجاوز عنكم لما ندمتم . والله ذو الفضل عليكم بالعفو وقبول التوبة .  
 153- اذكروا - أيها المؤمنون - حالكم وقت أن كنتم تبعدون في الأرض هارين ، ولا تلتفتون لأحد من شدة الهرب ، والرسول يناديكم من ورائكم لترجعوا ، فجازاكم الله حزناً غامراً كالغمة ، توالى على نفوسكم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وما أصابكم من الهزيمة ، والله عليم بمقاصدكم وأعمالكم .

(1/112)

بِمَ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْعَمِّ أَمَنَةً نُعَايِبًا يَغْتَسِي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ (155) يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا صَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ  
كَانُوا عُرَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكُمْ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ  
وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (156)

154- ثم أسبغ الله عليكم من بعد الغم نعمة أمن ، وكان مظهرها نعاساً يغشى فريق الصادقين فى إيمانهم وتفويضهم لله ، أما الطائفة الأخرى فقد كان همهم أنفسهم لا يعنون إلا بها ، ولذلك ظنوا بالله الظنون الباطلة كظن الجاهلية ، يقولون مستنكرين : هل كان لنا من أمر النصر الذى وعدنا به شئ؟ قل - أيها النبى : - الأمر كله فى النصر والهزيمة لله ، يصرف الأمر فى عباده إن اتخذوا أسباب النصر ، أو وقعوا فى أسباب الهزيمة . وهم إذ يقولون ذلك يخفون فى أنفسهم أمراً لا يدونه . إذ يقولون فى أنفسهم : لو كان لنا اختيار لم نخرج فلم نغلب . قل لهم : لو كنتم فى منازلكم وفيكم من كتب عليهم القتل لخرجوا إلى مصارعهم فقتلوا . وقد فعل الله ما فعل فى أحد لمصالح جمّة ، ليختبر ما فى سرائركم من الإخلاص وليطهر قلوبكم ، والله يعلم ما فى قلوبكم من الخفايا علماً بليغاً .

155- إن الذين انصرفوا منكم عن الثبات فى أماكنهم - يا معشر المسلمين - يوم التقى جمعكم وجمع الكفار للقتال بأحد ، إنما جرّهم الشيطان إلى الزلل والخطأ بسبب ما ارتكبوا من مخالفة الرسول ، ولقد تجاوز الله عنهم لأنه كثير المغفرة واسع الحلم .

156- يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا فى شأن إخوانهم - إذا أبعدوا فى الأرض لطلب العيش فماتوا أو كانوا غزاة فقتلوا - : لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، فقد جعل الله ذلك القول والظن حسرة فى قلوبهم ، والله هو الذى يحيى ويميت ، ويبدئ مقادير كل شئ ، وهو مطلع على ما تعملون من خير أو شر ، ومجازيكم عليه .

(1/113)

وَلَيْنُ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ حَيْرٌ مِّمَّا يَحْمِلُونَ (157)  
وَلَيْنُ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158) فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَقَضْتَهُمْ لَأَنْقَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)  
إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)

157- ولئن قتلتم فى الجهاد أو متم فى أثنائه ، لمغفرة من الله لذنوبكم ورحمة منه لكم ، خير مما تجمعونه من متاع الدنيا لو بقيتم .

158- ولئن متم أو قتلتم فى الجهاد فلن تضع أعمالكم ، بل ستحشرون إلى الله فيثبكم على جهادكم وإخلاصكم .

159- كان رحمة من الله بك وبهم أن لنت لهم ولم تغلظ فى القول بسبب خطئهم ، ولو كنت جافى المعاملة قاسى القلب ، لتفرقوا من حولك ، فتجاوز عن خطئهم ، واطلب المغفرة لهم ، واستشرهم فى الأمر متعرفاً آراءهم مما لم ينزل عليك فيه وحى ، فإذا عقدت عزمك على أمر بعد المشاورة فامض فيه

متوكلاً على الله ، لأن الله يحب من يفوض أموره إليه .  
160- إن يؤيدكم الله بنصره - كما حصل يوم بدر - فلن يغلبكم أحد ، وإن قدر لكم الخذلان لعدم اتخاذكم أسباب النصر - كما حصل يوم أحد - فلا ناصر لكم سواه ، وعلى الله - وحده - يجب أن يعتمد المؤمنون ويفوضوا أمرهم إليه .

(1/114)

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مَن بَعَثَ بِتِلْكَ آيَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161) أَفَمَن أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن يَأْتِ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَنَسِيَ الْمَصِيرَ (162) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (163) لَهْدٌ مِّنَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (164) أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْيَبُهُ قَدْ أَصَابْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ قَبَاذِنَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166)

161- ما صح لنبى أن يخون فى المغنم كما أشاع المنافقون الكذابون ، لأن الخيانة تنافى النبوة ، فلا تظنوا به ذلك ، ومن يخن يأت يوم القيامة بإثم ما خان فيه ، ثم تُعطى كل نفس جزاء ما عملت وافياً ، وهم لا يظلمون بنقصان الثواب أو زيادة العقاب .

162- ليس من سعى فى طلب رضا الله بالعمل والطاعة مثل الذى باء بغضب عظيم من الله بسبب المعصية . ومصير العاصى جهنم وبئس ذلك المصير .  
163- ليس الفريقان سواء ، بل هم متفاوتون عند الله تفاوت الدرجات والله عالم بأحوالهم ودرجاتهم ، فيجازيهم على قدرها .

164- لقد تفضل الله على المؤمنين الأولين الذين صحبوا النبى ، بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الكتاب ، ويطهرهم من سوء العقيدة ، ويعلمهم علم القرآن والسنة . وقد كانوا من قبل بعثه فى جهالة وحيرة وضياح

165- أجزعتم وتخاذلتم وقتلتم مستغربين حين أصابكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم ضعفيها يوم بدر : من أين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟ . قل - يا محمد - : الذى أصابكم من عند أنفسكم بسبب مخالفتكم الرسول والله قادر على كل شئ ، وقد جازاكم بما عملتم .  
166- إن الذى أصابكم - أيها المؤمنون - يوم التقى جمعكم وجمع المشركين بأحد واقع بقضاء الله ، وليظهر للناس ما علمه من إيمان المؤمن حقاً .

(1/115)

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ تَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لِّتَبْعَاتِكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قُتِلُوا قُلْ قَادَرُوا عَن أَنفُسِكُمُ الْمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168) وَلَا

تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ (169)  
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ  
أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَقَصَلٍ وَأَنَّ  
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)

167- وليظهر نفاق الذين نافقوا ، وهم الذين قيل لهم حين انصرفوا يوم أحد  
عن القتال : تعالوا قاتلوا لأجل طاعة الله ، أو قاتلوا دفاعاً عن أنفسكم ، قالوا  
: لو نعلم أنكم ستلقون قتالاً لذهبنا معكم ، وهم حين قالوا هذا القول أقرب  
للكفر منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم : ليس هناك حرب ، مع أنهم يعتقدون  
فى قلوبهم أنها واقعة . والله أعلم بما يضمرون من النفاق .  
168- وإنهم هم الذين تخلفوا عن القتال وقعدوا عنه ، وقالوا فى شأن إخوانهم  
الذين خرجوا وقتلوا : لو أطاعونا وقعدوا كما قعدنا لنجوا من القتل كما نجونا .  
قل : فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين فى أن الحذر كان يمنعكم  
من القدر .

169- ولا تظن الذين قُتِلُوا فى سبيلِ الله أَمْوَاتًا بل هم أحياء حياةً استأثر الله  
بعلمها ، يرزقون عند ربهم رزقاً حسناً يعلمه هو .  
170- يتألق السرور بالبشر من وجوههم بما أعطاهم الله بسبب فضله من  
المزايا ، ويفرحون بإخوانهم الذين تركوهم فى الدنيا أحياء مقيمين على منهج  
الإيمان والجهاد ، وبأنه لا خوف عليهم من مكروه ، ولا هم يحزنون لفوات  
محبوب .

171- تتألق وجوه الشهداء بما منَّ الله به عليهم من نعمة الشهادة ونعيم الجنة  
وعظيم الكرامة ، وبأنه لا يضيع أجر المؤمنين .

(1/116)

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ  
وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ  
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ  
مِنَ اللَّهِ وَقَصَلٌ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174)  
(174) إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ  
(175) وَلَا يَحْزَنُ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا إِلَهِ سَبِيلاً يُرِيدُ اللَّهُ  
أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطَاءً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا  
الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَصُرُوا إِلَهِ سَبِيلاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177)

172- الذين لبوا دعوة الرسول إلى استئناف الجهاد من بعد ما أصابهم فى  
غزوة أحد من الجرح العميق ، وبذلك أحسنوا ، واتقوا عصيان أمر الله ورسوله  
، فاستحقوا الأجر العظيم فى دار الجزاء والنعيم .

173- الذين خوفهم الناس بأن قالوا لهم : إن أعداءكم قد جمعوا لكم جيشاً  
كثيفاً فخافوهم ، فما ضعفوا وما وهنوا ، بل ازدادوا إيماناً بالله وثقة بنصره ،  
وكان ردهم : الله كافينا ، وهو المتولى أمورنا ، وهو نِعَمٌ من يفوض إليه الأمر  
كله .

174- ثم خرجوا للجهاد ولقاء الجيش الكثيف ، ولكن المشركين جنبوا عن



اللقاء ، فعاد المؤمنون فائزين بنعمة السلامة مع الرغبة فى الجهاد ، وفوزهم بثوابه وفضل الله عليهم فى إلقاء الرعب فى قلوب عدوهم فلم ينلهم أذى .  
 وابتغوا رضوان الله فصاروا أهلاً لفضله ، والله صاحب الفضل العظيم .  
 175- يبين الله سبحانه للمؤمنين أن أولئك الذين يخوفونكم بأعدائكم لتجنبوا عن لقاءهم ليسوا إلا أعواناً للشيطان الذى يخوف أتباعه فيجعلهم جناء ولستم منهم . فلا تحفلوا بتخويفهم وخافوا الله - وحده - إن كنتم صادقى الإيمان ، قائمين بما يفرضه عليكم هذا الإيمان .  
 176- لا تحزن - أيها النبى - إذا رأيت الذين يزدادون كفراً ويسرعون بالانتقال من سيئ إلى أسوأ ، فهم لن ينالوا الله بأى ضرر ، لأنه القاهر فوق عباده ، بل يريد الله ألا يجعل لهم نصيباً من ثواب الآخرة ، ولهم فوق حرمانهم هذا الثواب الكريم عذاب عظيم .  
 177- إن هؤلاء الذين استبدلوا الكفر بالإيمان ، فابتغوا الكفر وتركوا الإيمان ، لن يضروا الله شيئاً ، ولهم فى الآخرة عذاب مؤلم شديد الإيلام .

(1/117)

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ حَيِّرَ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا  
 إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (178) مَا كَلِمَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ  
 يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي  
 مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ( )  
 179) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنبَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ حَيْرًا لَّهُمْ يَلْ هُوَ  
 سَخَّرَ لَهُمْ سَيِّطُوفُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180) لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ  
 وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقِيلَ لَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِعَبْرٍ حَقٍّ وَتَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ  
 الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (182)

178- لا يحسبن هؤلاء الكافرون أن إمهالنا لهم - حين تُمدُّ فى أعمارهم ، ونهيت لهم أسباب النعيم فى حياتهم الدنيا - خير لهم ، فإن إطالة العمر وسعة الرزق يفضيان بهم إلى الاستمرار فى اكتساب الإثم واستحقاق ما أعد الله لهم من عذاب مهين .  
 179- ما كان الله ليترككم - يا معشر المؤمنين - على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق ، حتى يميز بينكم بالمنحة والتكليف لتروا المنافق الخبيث والمؤمن الطيب ، ولم تجر سنة الله بإطلاع أحد من خلقه على شئ من غيبه ، ولكن الله يصطفى من يشاء بإطلاعه على ما يشاء من غيبه ، وإن تؤمنوا وتتقوا ربكم بالتزام طاعته يدخلكم الجنة جزاء ، ونعم الجزاء إذ هى جزاء عظيم .  
 180- لا يظن الذين يبخلون بما أنعم الله عليهم من المال تفضلاً منه ، ولا يبذلونه فى الواجبات وسبل الخير أن البخل خير لهم ، بل إنه شر سيئ العقابة عليهم ، سيجزون عليه شر الجزاء يوم القيامة ، وسيكون العذاب ملازماً لهم ملازمة الطوق للعنق . وإن كل ما فى الوجود يؤول لله - سبحانه وتعالى - وهو المالك له ، وهو - سبحانه - يعلم كل ما تعملون ، وسيجازيكم عليه .  
 181- ومع أن الله له ملك السموات والأرض وميراثهما ، فقد قال بعض اليهود

متهمين : إن الله فقير يطلب منا أن نقرضه بالإففاق ، ونحن أغنياء ننفق أو لا ننفق ، لقد سمع الله قولهم هذا وسجل عليهم ذلك القول كما سجل عليهم قتلهم الأنبياء ظلماً وإثماً وعدواناً ، وسيقول لهم يوم القيامة : ذوقوا عذاب النار المحرقة .  
182- وذلك العذاب بما قدمت أيديهم من الآثام ، وعقاب الله لا يكون إلا عدلاً ، فهو لا يظلم العباد أبداً .

(1/118)

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183) فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ عَنْ رَبِّكُمْ فَكُلُّكُمْ نَافِثٌ خَائِبٌ (184) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورُ (185) لِيُثَبِّتُوا فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلِتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاسْتَرَوْا بِهِ تَمَتًّا قَلِيلًا فَيَسِّرَ لِمَنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ (187)

183- إنهم هم الذين قالوا : إن الله أمرنا في التوراة ألا نؤمن مدعين لرسول إلا إذا دل على صدقه بأن يأتينا بشئ يقربه لوجه الله وتنزل نار من السماء فتأكله ، فقل لهم - أيها النبي - : إن رسلا من الله قد جاءوا من قبل بالأدلة الواضحة ، وجاءوا بما اقترحتم ، ومع ذلك كذبتموهم وقتلتموهم . فلم فعلتم ذلك إن كنتم صادقين في وعدكم بالإيمان عندما يتحقق ما تريدون ؟  
184- وإن كذبوك - أيها النبي - فلا تحزن ، فقد سبق قبلك كثيرون كذبهم أقوامهم تعنتاً وعناداً ، مع أنهم جاءوا بالأدلة الساطعة والكتب السماوية الدالة على صدق رسالتهم .

185- كل نفس تذوق الموت لا محالة ، وإذا أصابتكم آلام في الدنيا فإنما توفون ثوابكم كاملاً يوم القيامة ، ومن قارب النار وزحج عنها فقد نال الفوز ، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل يغرر ولا يبقى .

186- تأكدوا - أيها المؤمنون - أنكم ستختبرون في أموالكم بالنقص أو الإففاق ، وفي أنفسكم بالجهاد والأمراض والآلام . وأنكم ستسمعون من اليهود والنصارى والمشركين كثيراً مما يؤذيكم من السب والطعن ، فعليكم أن تقابلوا ذلك بالصبر وتقوى الله ، لأن ذلك من الأمور الصالحة التي يجب العزم على تنفيذها .

187- واذكر - أيها النبي - إذ أخذ الله العهد المؤكد على أهل الكتاب أن يوضحوا معانيه ، وألا يخفوا شيئاً من آياته عن الناس ، فألقوه وراء ظهورهم نابذين له ، واستبدلوا به متاع الدنيا طالبين له ، ومتاع الدنيا مهما يكن كالثمن البخس الحقيق في مقابل الهداية والإرشاد فقبحاً لما فعلوا .

(1/119)

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190)

188- لا تظنن الذين يفرحون دائماً بما يأتون من أفعال قبيحة وبيحون الثناء بما لم يفعلوه ، لا تظنن هؤلاء بمنجاة من العذاب ، لأن من شأنهم أن يغلقوا على أنفسهم باب الإيمان والحق كاليهود ، ولهم عذاب مؤلم يوم القيامة .  
189- الله - وحده - هو المالك لأمر السموات والأرض ، وهو القادر على كل شئ ، فيؤاخذ المذنبين بذنوبهم ويثيب المحسنين على إحسانهم .  
190- إن فى خلق الله للسموات والأرض مع ما فيهما من إبداع وإحكام ، واختلاف الليل والنهار نوراً وظلمة وطولاً وقصراً لدلائل بينات لأصحاب العقول المدركة على وحدانية الله وقدرته .

(1/120)

---

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قِنَّا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192)

191- وشأن أولى الألباب أنهم يستحضرون فى نفوسهم عظمة الله وجلاله فى كل مكان ، قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم ، ويتدبرون فى خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب قائلين : ربنا ما خلقت هذا إلا لحكمة قدرتها وأنت منزه عن النقص ، بل خلقته دليلاً على قدرتك ، وعنواناً لبالغ حكمتك ، فاحفظنا من عذاب النار بتوفيقك لنا إلى طاعتك .  
192- يا خالقنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا إن من يستحق النار وتدخله فيها فقد أخزيت به ، وليس للظالم الذى استحق النار من نصير يمنعه منها .

(1/121)

---

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195) لَا يَغْرَبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَنِيسَ الْمِهَادُ (197)

193- يا خالقنا والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا إننا سمعنا رسولك يدعو إلى الإيمان بك فأطعناه وأمنا به ، ربنا اغفر لنا كبائر ذنوبنا وامح عنا صفائر سيئاتنا ،

- واجعلنا بعد وفاتنا مع عبادك الأخيار .
- 194- يا خالقنا ، والقائم على أمورنا ، والحافظ لنا ، أعطنا الذى وعدتنا على السنة رسلك من نصر وتأييد فى الدنيا ، ولا تدخلنا النار فتخزنا - يوم القيامة - فشأنك ألا تخلف الميعاد .
- 195- فأجاب ربهم دعاءهم ، مبيناً لهم أنه لا يضيع على عامل منهم ثواب عمله ، سواء كان ذكراً أم أنثى ، فالأنثى من الذكر ، والذكر من الأنثى . فالذين هاجروا يريدون وجه الله وأخرجوا من ديارهم ونالهم الأذى فى سبيل الله وقاتلوا وتعرضوا للقتل ، وقتل منهم من قتل ، كتب الله على نفسه أنه سيمحو عنهم سيئاتهم ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار جزاءً كريماً عالياً من عند الله ، والله - وحده - عنده الثواب الحسن الجميل .
- 196- لا تتأثر - أيها النبى - بما ترى فيه الذين كفروا من تقلب فى النعيم والتصرف فى التجارة والمكاسب .
- 197- فإن ذلك متاع زائل ، وكل زائل قليل ، ثم يكون المأوى الذى ينتهون إليه جهنم ، وبئس منزلاً جهنم .

(1/122)

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَائِضِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)

- 198- ذلك جزاء الكافرين ، أما الذين آمنوا وخافوا ربهم فلهم جنات تجري من تحتها الأنهار مخلدين فيها ، نازلين فى كرم الله سبحانه وما عند الله خير للأبرار مما يتقلب فيه الكافرون من متاع زائل .
- 199- إن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على محمد وبما أنزل على الرسل من قبله ، تراهم خاضعين لله ضارعين إليه ، لا يستبدلون بالبينات الظاهرة عرضاً من أعراض الدنيا مهما عظم فهو قليل ، هؤلاء لهم الجزاء الأوفى فى دار الرضوان عند ربهم والله سريع الحساب لا يعجزه إحصاء أعمالهم ومحاسبتهم عليها ، وهو قادر على ذلك وجزاؤه نازل بهم لا محالة .
- 200- يا أيها المؤمنون تمسكوا بالصبر ، وغالبوا أعداءكم به ، ولازموا الثغور لحمايتها ، وخافوا ربكم ، ففى كل ذلك رجاء فلاحكم .

(1/123)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَلَقَ مِنْهَا رَوْحَهَا وَتَنَزَّلَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1) وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (2)

- 1- يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى أوجدكم من نفس واحدة ، وأنشأ من هذه النفس زوجها ، وخلق منهما رجالاً كثيراً ونساء ، فأنتم جميعاً تنتهون إلى تلك النفس الواحدة ، واتقوا الله الذى تستعينون به فى كل ما تحتاجون ، ويسأل باسمه بعضكم بعضاً فيما تتبادلون من أمور ، واتقوا الأرحام فلا تقطعوها قريبها وبعيدها ، إن الله دائم الرقابة على أنفسكم ، لا تخفى عليه خافية من أموركم ، ومجازيكم عليها .
- 2- ومَلِكُوا الْيَتَامَى مَا يَسْتَحِقُونَ مِنْ مَالٍ ، واحفظوه لهم ، ولا تعطوهم الردى وتحرموهم الجيد ، ولا تأخذوا أموالهم وتضيفوها إلى أموالكم ، إن ذلك كان إثماً كبيراً .

(1/124)

---

وَأَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَثَلَاثَ وَرُبَاعٍ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (3)

- 3- وإن شعرتم بالخوف من ظلم اليتامى لأنه ذنب كبير ، فخافوا كذلك ألم نساءكم بعدم العدل بينهن ، والزيادة على أربع ، فتزوجوا منهن اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً إذا وثقتن بالقدرة على العدل ، فإن خفتن عدم العدل فتزوجوا واحدة ، أو استمتعنوا بما تملك أيديكم من الإماء ، ذلك أقرب إلى عدم الوقوع فى الظلم والجور ، وأقرب ألا تكثر عيالكم فتعجزوا عن الإنفاق عليهم .

(1/125)

---

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (4) وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (5) وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا يُأْكَلُهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (6) لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (7)

- 4- وأعطوا النساء مهورهن عطية خالصة ، وليس لكم حق فى شئ من هذه المهور ، فإن طابت نفوسهن بالنزول عن شئ من المهر فخذوه وانتفعوا به طيباً محمود العاقبة .
- 5- ولا تعطوا ضعاف العقول ممن لا يحسنون التصرف فى المال أموالهم التى هى أموالكم ، فإن مال اليتيم وضعيف العقل مالكم ، يعينكم أمره وإصلاحه حتى لا يضيع المال ، فقد جعله الله قوام الحياة ، وأعطوهم من ثمراتها النصيب الذى يحتاجون إليه فى الطعام ، واكسوهم وعاملوهم بالحسنى ، وقولوا لهم : قولاً يرضيهم ولا يؤذيهم ولا يذلهم .
- 6- واختبروا عقول اليتامى وتبينوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ،

حتى إذا أصبحوا صالحين للزواج وتبينتم رشدكم وسدادهم فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها مسرفين مستعجلين الانتفاع بها قبل أن يبلغوا وتُردَّ إليهم . ومن كان من الأوصياء عليهم غنياً فليتعفف عن أموال اليتامى ، ومن كان فقيراً فليكتف بقدر ما يكفيه عُزفاً ، فإذا سلمتموهم أموالهم فأشهدوا عليهم ، والله من ورائكم هو المحاسب والمراقب ، وكفى به حسيباً ومراقباً .  
7- للرجال نصيب من الأموال التي يتركها الوالدان والأقربون - ميراثاً - وللنساء أيضاً نصيب مما ترك هؤلاء دون منع أو بخرس ، وهذه الأنصبة الثابتة مفروضة ومقدرة سواء قُلت الأموال أو كثرت .

(1/126)

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (8) وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا (10) يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ ۚ وَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيٍّ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)

8- وإذا حضر قسمة التركة بعض الأقارب الذين لا يرثون من اليتامى والمساكين فأكرمهم بإعطائهم شيئاً من هذه التركة تطيباً لنفوسهم ، ونزعاً للحسد من قلوبهم ، ويحسن أن يشفع هذا العطاء بلين القول وحسن الاعتذار .  
9- وعلى الناس ألا يظلموا اليتامى ، وليخافوا على ذريتهم الضعاف أن ينالهم من الظلم ما يفعلونه مع اليتامى ، وليتقوا الله فيهم ، وليقولوا قولاً مسدداً نحو الحق ، غير ظالم لأحد .  
10- إن الذين يظلمون اليتامى بأخذ أموالهم في غير حق ، إنما يأكلون ما يؤدي بهم إلى النار ، فسيعذبون يوم القيامة بنار شديدة الإيلام .  
11- يأمركم الله في شأن توريث أولادكم وأبويكم - إذا مُتُّم - بما يحقق العدل والإصلاح وذلك بأن يكون للذكر مثل نصيب الأنثيين إذا كان الأولاد ذكوراً وإناثاً . فإن كان جميع الأولاد إناثاً يزيد عددهن على اثنتين فلهن الثلثان من التركة . ويفهم من مضمون الآية أن الاثنتين نصيبهما كنصيب الأكثر من اثنتين . وإن ترك بنتاً واحدة فلها نصف ما ترك . وإن ترك أباً وأماً فلكل منهما السدس إن كان له ولد معهما - ولد ذكر أو أنثى - فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فقط فلأمه الثلث والباقي للأب . فإن كان له إخوة فلأمه السدس والباقي للأب ولا شئ للإخوة . تُعطى هذه الأنصبة لمستحقيها بعد أداء ما يكون عليه من دين ، وتنفيذ ما وصى به في حدود ما أجازته الشارع . هذا حكم الله فإنه عدل وحكمة ، وأنتم لا تدرون الأقرب لكم نفعاً من الآباء والأبناء ، والخير فيما أمر الله ، فهو العليم بمصالحكم ، الحكيم فيما فرض لكم .

(1/127)

---

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَرْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَحٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُصَارٍّ وَصِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ (12) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13)

12- للزوج نصف ما تركت الزوجة إن لم يكن لها ولد منه أو من غيره فإن كان لها ولد فلزوجها الربع من بعد وصية يُوصى بها أو دين . وللزوجة - واحدة أو متعددة - الربع مما ترك الزوج إن لم يكن له منها أو من غيرها ولد ، فإن كان له منهن أو من غيرهن فللزوجة أو الزوجات الثمن من بعد وصية يُوصى بها أو دين ، وولد الابن كالولد فيما تقدم . وإن كان الميت رجلاً أو امرأة ولا ولد له ولا والد وترك أماً أو أختاً لأم فلكل واحد منهما السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث يستوى في ذلك ذكراً وأنثاهم بمقتضى الشركة من بعد أداء الديون التي عليه وتنفيذ الوصية التي لا تضرب بالورثة ، وهى التي لا تتجاوز ثلث الباقي بعد الدين ، فالزموا - أيها المؤمنون - ما وصاكم الله به ، فإنه عليم بمن جار أو عدل منكم ، حليم لا يعاجل الجائر بعقوبة .

13- تلك الأحكام المذكورة فى بيان الموارث وما سبقها ، شرائع الله التى حددها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها ، ومن يطع الله ورسوله فيما حكم به كان جزاؤه الجنة التى تجرى فيها الأنهار خالداً فيها وذلك الفوز العظيم .

(1/128)

---

وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14) وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15)

14- ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدود ما شرعه مستباحاً ذلك التعدى ، يجزه ناراً مخلداً فيها ، يعذب بها بدنه ، إلى جانب عذاب مهين تتألم به روحه .

15- واللاتى يأتين الزنا من النساء إن شهد عليهن أربعة من الرجال العادلين يمسكن فى البيوت محافظة عليهم ودفعاً للفساد والشر حتى يأتين الموت أو يفتح الله لهن طريقاً للحياة المستقيمة بالزواج والتوبة .

(1/129)

---

وَالَّذَانَ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (16) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ جَنَى إِذَا حَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجَلْ لَكُمْ أَنْ تَرْتُبُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19)

- 16- والرجل والمرأة اللذان يزنيان وهما غير متزوجين فلهما عقوبة محدودة - إذا ثبت الزنا بشهادة شهود أربعة عدول - فإن تابا بعد العقوبة فلا تذكرهما بما ارتكبا ولا تعيروهما به ، إن الله يقبل برحمته توبة التائبين .
- 17- إنما يقبل الله التوبة من الذين يرتكبون المعاصي والذنوب بجهل منهم لعاقبتها ، ثم يبادرون بالتوبة قبل حضور الموت ، فهؤلاء يقبل الله توبتهم وهو عليم لا يخفى عليه صدق التوبة ، حكيم لا يخطئ في تقدير الأحكام والأمور .
- 18- وليس قبول التوبة للذين يرتكبون الذنوب ويستمررون في ممارستها ولا يبادرون بالأفلاع عنها والندم عليها ، إلى أن يحضر أحدهم الموت فيقول : إني أعلن الندم والتوبة الآن ، كما لا تقبل التوبة من الذين يموتون على الكفر ، وقد أعد الله للفريقين عذاباً أليماً في دار الجزاء .
- 19- يا أيها الذين آمنوا لا يجوز لكم أن تجعلوا النساء كالممتع ، فترثوهن زوجات لكم من غير صداق ، وهن كارهات ، ولا تظلموهن بالتضييق عليهن لينزلن عن بعض ما آتيتموهن من مهور ، ولا تضيقوا عليهن لتستردوا بعض ما آتيتموهن من مال إلا أن يرتكبن إثماً بيناً بنشوز أو سوء خلق أو فجور ، فلكم أن تضيقوا عليهن أو تأخذوا بعض ما آتيتموهن عند الفراق ، وعليكم - أيها المؤمنون - أن تحسنوا عشرة نساءكم قولاً وعملاً فإن كرهتموهن لعيب في الخلق أو الخلق أو غيرهما فاصبروا ولا تتعجلوا فراقهن فعسى أن يجعل الله في المكروه لكم خيراً كثيراً ، وعلم الأمور كلها عند الله .

(1/130)

وَلِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ فِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (21) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22)

- 20- وإن أردتم أن تستبدلوا زوجة مكان أخرى وكنتم قد أعطيتهم من تريدون طلاقها مالاً كثيراً فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً ، تأخذونه على وجه البطلان والإثم المبين؟ .
- 21- وكيف يسوغ لكم أن تستردوا ما أعطيتهم من مهر وقد امتزج بعضكم ببعض وأخذن منكم عقداً قوياً موثقاً أحل الله به العشرة الزوجية .
- 22- ولا تتزوجوا - أيها الأبناء - ما تزوج آباؤكم من النساء ، إنه كان أمراً فاحش



القبح ، يمقته الله والناس ، وهو أسوأ سبيل ومقصد ، وأن الله يعفو عما قد سلف منكم فى زمن الجاهلية .

(1/131)

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَضْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ قَرِيبَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاصَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْقَرِيبَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24)

23- حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتَزَوَّجُوا أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّاتِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتِ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتِكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتِ نِسَائِكُمْ ، وَالْمَحْرَمَاتِ لِغَيْرِ النَّسَبِ : أُمَّهَاتِ الرَّضَاعَةِ ، وَالْأَخَوَاتِ مِنَ الرَّضَاعَةِ ، وَأُمَّهَاتِ الزَّوْجَاتِ وَبَنَاتِ الزَّوْجَاتِ مِنْ غَيْرِ الْأَزْوَاجِ إِذَا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ، وَزَوْجَاتِ أَبْنَاءِ الصُّلْبِ ، وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ، وَمَا سَلَفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَعْفُوعُهُ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لَمَّا سَلَفَ قَبْلَ هَذَا النَّهْجِ ، رَحِيمٌ بِكُمْ فِيمَا شَرَعَ لَكُمْ .

24- وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ نِكَاحَ الْمُتَزَوِّجَاتِ مِنَ النِّسَاءِ عَامَةً ، حَرَائِرَ وَغَيْرَ حَرَائِرَ ، إِلَّا مَنْ سَبَيْتُمْ وَمَلَكَتُمْ مِنْهُنَّ فِي حَرْبٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْكُفَّارِ ، فَإِنْ نَكَحْتَهُنَّ السَّابِقَ يَنْفَسَخُ بِالسَّبْيِ ، فَيَصْرُنَ حَلَالًا لَكُمْ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ أَرْحَامِهِنَّ ، فَالزَّمُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ ، وَلَكُمْ فِيمَا عَدَا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ الْمَحْرَمَاتِ أَنْ تَطْلُبُوا بِأَمْوَالِكُمْ نِسَاءً تَتَزَوَّجُونَ بِهِنَّ ، لَا تَقْصِدُونَ الزَّوْجَةَ أَوْ الْمُخَادِمَةَ ، فَأَيُّ نِسَاءٍ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِنَّ بَعْدَ الزَّوْجِ مِنْهُنَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ الدَّخُولَ بِهِنَّ فَوْقَهُنَّ مَهْرَهُنَّ الَّتِي قَدَّرْتُمْ لَهُنَّ حَقًّا عَلَيْكُمْ لَا تَسَامِحَ فِيهِ تَوَدُّونَهُ فِي مَوْعِدٍ ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَمَّ بَيْنَكُمْ عَنْ تَرَاصُحٍ مِنْ تَنَازُلِ زَوْجَةٍ عَنْ بَعْضِ مَهْرِهَا أَوْ زِيَادَةِ زَوْجٍ فِيهِ ، إِنْ كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَزَلْ مُطْلِعًا عَلَى شَأْنِ الْعِبَادِ ، مُدَبِّرًا لَهُمْ فِي أَحْكَامِ مَا يَصْلِحُ بِهِ أَمْرَهُمْ .

(1/132)

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ قَبَائِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أَتَيْتُمْ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصِيرُوا حَبِيرًا لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ

عَلَيْمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ  
تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)

25- ومن لم يستطع منكم نكاح الحرائر المؤمنات فله أن يتجاوزهن إلى ما يستطيع من المملوكات المؤمنات ، والله أعلم بحقيقة إيمانكم وإخلاصكم ، ولا تستنكفوا من نكاحهن ، فأنتم وهن سواء فى الدين ، فتزوجوهن بإذن أصحابهن وأدوا إليهن مهورهن التى تفرضونها لهن حسب المعهود بينكم فى حسن التعامل وتوفية الحق ، واختاروهن عفيفات ، فلا تختاروا زانية معلنة ولا خلية ، فإن أتت الزنا بعد زواجهن فعقوبتهن نصف عقوبة الحرة . وإباحة نكاح المملوكات عند عدم القدرة جائز لمن خاف منكم المشقة المفضية إلى الزنا وصبركم عن نكاح المملوكات مع العفة خير لكم ، والله كثير المغفرة ، عظيم الرحمة .

26- يريد الله أن يوضح لكم أصلح السبل ، ويدلكم على سنن الأنبياء والصالحين فى الحلال والحرام ، ويتوب عليكم بالرجوع بكم إلى طريق طاعته ، والله مُطلع على شئونكم ، مدبر فى أحكامه لما يصلح أمركم .  
27- والله يريد أن يرجع بكم إلى طاعته ، ويريد الذين يتبعون ملاذهم ورغباتهم الفاجرة من الكفار والعصاة أن تبتعدوا عن طريق الحق بعداً شديداً .  
28- يريد الله أن يُيسِّرَ عليكم بتشريع ما فيه سهولة لكم ، وتخفيف عليكم ، وقد خلق الله الإنسان ضعيفاً أمام غرائزه وميوله ، فيناسبه من التكاليف ما فيه يسر وسعة . وذلك هو ما يكلف الله عباده فضلاً وتيسيراً .

(1/133)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ  
مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا  
وَظُلْمًا فَسُوفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) إِنْ تَجَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا  
نُهِيَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلِكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا (31) وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ  
اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا  
اِكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمًا (32) وَلِكُلِّ جَعَلْنَا  
مَوَالِيَكُمْ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَأَنَّهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ  
اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (33)

29- يا أيها الذين آمنوا لا يأخذ بعضكم مال بعض بغير الحق . ولكن تجوز لكم التجارة بالتراضى منكم ، ولا تهلكوا أنفسكم بمخالفة أوامر ربكم ، ولا يجنى أحدكم على أخيه وإنما هى نفس واحدة ، إن الله دائم الرحمة بكم .  
30- ومن يُقْدِمُ على فعل ما حرَّم الله اعتداءً وتجاوزاً لحقه فسوف ندخله ناراً يحترق فيها ، وكان ذلك على الله هيناً ميسوراً .  
31- إن تبتعدوا عن الذنوب العظيمة التى ينهاكم الله عنها نمنع عنكم ما دونها من السيئات والصغائر ما دمتم باذلين جهدكم فى الاستقامة ، وننزلكم فى الدنيا والآخرة منزلاً فيه إحسان لكم وتكريم .  
32- ولا يتطلع الرجال إلى ما ميَّز الله به النساء ، ولا النساء إلى ما ميز الله به الرجال ، فإن لكل فريق حظاً ملائماً لما طبع عليه من العمل وما أضيف إليه

من الحقوق ، فليتجه كل إلى رجاء الاستزادة من فضل الله بتنمية مواهبه والاستعانة على ما نيط به . إن الله كان عالماً أتم العلم بكل شئ ، وقد أعطى كل نوع ما يصلح له .

33- ولكل من الرجال والنساء جعلنا مستحقين لتركتهم يكونون خلفاء لهم ، وهم الوالدان والأقربون والذين عقد المتوفى لهم عقداً مقتضاه أن يرثوه إذا مات من غير قرابة ، وينصروه إذا احتاج إلى نصرتهم فى مقابل ذلك ، فاتوا كل ذى حق حقه ولا تنقصوه شيئاً ، إن الله كان رقيباً على كل شئ ، حاضراً معكم ، يشهد ما تتصرفون به .

(1/134)

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ قَالَ الصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَحَافُونَ تُشَوْرَهُنَّ قِعَظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرُبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا (34) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَنِيهِمَا فَلَا تَبْغُوا مِنْ أَهْلِهِمْ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (35) وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا (36)

34- الرجال لهم حق الرعاية للنساء ، والقيام بشئونهن بما أعطاهم الله من صفات تهينهم للقيام بهذا الحق ، وبسبب أنهم هم الذين يكفون ويكدون ويكدجون لكسب المال الذى ينفقونه على الأسرة ، فالصالحات مطيعات لله ولأزواجهن ، حافظات لكل ما يغيب عن أزواجهن بسبب أمر الله بهذا الحفظ وتوفيقه لهن . والزوجات اللاتي تظهر منهن بوادر العصيان ، فانصحوهن بالقول المؤثر ، واعتزلوهن فى الفراش ، وعاقبوهن بضرب خفيف غير مبرح ولا متهين عند التمرد ، فإن رجعن إلى طاعتكم فى أى سبيل من هذه السبل الثلاث ، فلا تتطلبوا السبيل التى هى أشد منها بغياً عليهن ، إن الله فوقكم وينتقم منكم إذا أذيتموهن أو بغيتن عليهن .

35- وإن حدث خلاف بين الزوجين وخفتن منه حدوث انشقاق بينهما يعرضهما للانفصال ، فاخترتا حكيمين : أحدهما من أهله والآخر من أهلها ، إن يريدان إصلاحاً يوفى الله بينهما فى الوصول إلى ما هو خير للزوجين من معايشة بالمعروف أو تسريح بإحسان . إن الله كان مطلعاً على ظواهر العباد وبواطنهم .

36- واعبدوا الله - وحده - ولا تجعلوا معه شريكاً فى الألوهية والعبادة ، وأحسنوا إلى الوالدين إحساناً لا تقصير فيه ، وإلى أقربائكم وإلى اليتامى ، والذين افتقروا بسبب عجزهم أو ذهاب الكوارث بأموالهم ، وبالجار القريب النسب والجار الأجنبى ، والرفيق لك فى عمل أو طريق أو جلوس ، والمسافر المحتاج الذى لا قرار له فى بلد معين ، وبما ملكتم من الأرقاء فتياناً وفتيات . إن الله لا يحب من كان متعالياً على الناس ، لا تأخذه بهم رحمة ، كثير التمدح بنفسه .

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38) وَمَا دَا عَالِيَهُمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (39) إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَبْضَاعُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40) فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ بِشَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ لِلَّهِ حَدِيثًا (42)

37- أولئك الذين يضمون إلى التكبر والتباهى البخل بأموالهم وجهودهم عن الناس ، ويدعون الناس إلى مثل صنيعهم من البخل ، ويخفون نعمة الله وفضله عليهم فلا ينفعون أنفسهم ولا الناس بذلك ، وقد أعدنا للجاحدين أمثالهم عذاباً مؤلماً مذلاً .

38- والله لا يحب الذين يبذلون المال للرباء قاصدين أن يراهم الناس فيحمدوهم ويعظموهم ، وهم غير مؤمنين بالله ولا بيوم الجزاء ، لأنهم اتبعوا الشيطان فأضلهم ، ومن يكن الشيطان صاحبه فبئس صاحب .

39- ألا قبحاً لهؤلاء ، فما الذى يضرهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ، وبذلوا مما آتاهم الله استجابة لهذا الإيمان ، وما يقتضيه من إخلاص النية ورجاء الثواب؟ . والله عالم كل العلم ببواطن الأمور وظواهرها .

40- إن الله لا يظلم أحداً شيئاً فلا ينقص من أجر عمله ولا يزيد فى عذابه شيئاً ، ويضاعف للمحسن ثواب حسناته مهما قلت ، ويعطى من فضله عطاءً كبيراً غير مقابل بالحسنات التى يضاعفها .

41- فكيف يكون حال هؤلاء الباخلين والمعرضين عمّا أمر الله به إذا جئنا يوم القيامة بكل نبي شهيداً على قومه ، وجئنا بك - يا أيها النبي - شهيداً على قومك وفيهم المانعون والمعرضون؟ .

42- يوم يحدث هذا ، يود الجاحدون المعرضون لو يغيبون فى الأرض كما يغيب الأموات فى القبور ، وهم لا يستطيعون أن يخفوا عن الله أى شأن من شأنهم ، ويظهر كل أحوالهم وأعمالهم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَلَمَسَتْحُوا بِأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا (43) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ تَصِيرًا (45)

- 43- يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة فى المساجد حال سكركم حتى تفقهوا ما تقولون ، ولا تدخلوا المساجد وأنتم على جنابة إلا إذا كنتم عابري المساجد عبوراً دون استقرار فيها ، حتى تطهروا بالاغتسال . وإن كنتم مرضى لا تستطيعون استعمال الماء خشية زيادة المرض أو بقاء البرء ، أو مسافرين يشق عليكم وجود الماء ، فاقصدوا التراب الطيب ، وكذلك إذا جاء أحد منكم من المكان المعد لقضاء الحاجة أو أتيت النساء فلم تجدوا ماء فتطهروا به لفقدته ، فاقصدوا تراباً طيباً كذلك فاضربوا به أيديكم ، وامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله من شأنه العفو العظيم والمغفرة .
- 44- ألا تعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظاً من العلم مما جاء فى الكتب السابقة ، يتركون الهدى ويتبعون الضلالة فى شأن أنفسهم ، ويريدون منكم أن تبعدوا مثلهم عن الحق وهو صراط الله المستقيم؟ .
- 45- والله أعرف منكم بأعدائكم الحقيقيين ، وأخبر بما تنطوى عليه نفوسهم ، وولاية الله تحميكم وتكفؤكم وتكفيكم ، فلا تطلبوا ولاية غير ولايته ، وتكفيكم نصرته فلا تستعينوا بسواه .

(1/137)

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَابْتِغَاءَ  
 غَيْرِ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
 وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرًا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا  
 قَلِيلًا (46) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ آمِنُوا بَمَا تَزَلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ  
 أَنْ تَطْمِئِنَّ وُجُوهًا فَتَرُدَّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ  
 أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ  
 وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (48) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ  
 أَنفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ قَلِيلًا (49) انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى  
 اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (50)

- 46- من اليهود فريق يُميلون الكلام عن معناه ، ويقولون فى أنفسهم للنبي : سمعنا القول وعصينا الأمر . ويقولون : اسمع كلامنا ، لا سمعت دعاء ، يدعون بذلك على النبي ويقولون : اسمع غير مسمع . فاللفظ يسوقونه ومرادهم منه الدعاء عليه ، ويوهمون أن مرادهم الدعاء له .
- ويقولون : راعنا . يلوون بها السننهم يوهمون أنهم يريدون : انظرنا . فيظهرون أنهم يطلبون رعايته ويبطنون وصفه بالرعونه ، ويطعنون بذلك فى الدين لوصف مُبلَّغه بالرعونه .
- ولو أنهم استقاموا وقالوا : سمعنا وأطعنا ، بدل قولهم : سمعنا وعصينا . وقالوا : اسمع ، دون أن يقولوا : غير مسمع ، وقالوا : انظرنا ، بدل راعنا . لكان خيراً لهم مما قالوه وأعدل منه سبيلاً ، ولكن الله طردهم من رحمته بإعراضهم فلا تجد منهم من يستجيبون لداعى الإيمان إلا عدداً قليلاً .
- 47- يا أيها الذين أوتوا الكتاب الذى أنزله الله آمنوا بما أنزلنا من القرآن على محمد مصدقاً لما معكم من قبل أن ننزل بكم عقاباً تتمحى به معالم وجوهكم فتصير كأقفيتهها . لا أنف فيها ولا عين ولا حاجب ، أو نطردكم من رحمتنا كما طردنا الذين خالفوا أمرنا بفعل ما نهوا عنه من الصيد يوم السبت . وكان قضاء

- الله نافذاً لا مرد له .
- 48- إن الله لا يغفر الإِشراك به ، ويعفو عمَّا دون الإِشراك من الذنوب لمن يشاء من عباده ، ومن يشرك بالله فقد ارتكب - مفترياً على الله - ذنباً كبيراً لا يستحق معه الغفران .
- 49- لا تعجب من هؤلاء الكافرين الذين يفترون بأعمالهم ، فنبين لهم سوء عملهم فيرونة حسناً ، ويشيرون على أنفسهم مزكين لها ، والله - وحده - هو الذى يعلم الخبيث من الطيب ، فيزكى من يشاء ولا يظلم أى إنسان مهما كان قدره ضئيلاً .
- 50- كيف يختلقون على الله الكذب بهذا ومثاله ، وكفى بالكذب على الله ذنباً واضحاً يكشف عن خبيث طويتهم .

(1/138)

أَلَيْمَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا تَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنَ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ تَصِيْرًا (52) أَمْ لَهُمْ تَصِيْبٌ مِّنَ الْمُلْكِ قَادًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ تَقِيْرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيْمًا (54) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيْرًا (55) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيْهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيْرًا حَكِيْمًا (56)

- 51- ألا تعجب من أمر هؤلاء الذين أوتوا حظاً من علم الكتاب يُرَضُّون عبدة الأصنام والشيطان ويقولون عن الذين عبدوا الأوثان : إنهم أهدى من أهل الإيمان طريقاً .
- 52- أولئك الذين خذلهم الله وطردهم من رحمته ، ومن يخذله الله ويطرده من رحمته فليس له من ينصره ويحميه من غضب الله .
- 53- لقد حُرِّم هؤلاء نعمة الإِذعان للحق ، كما حرموا السلطان ، ولو أوتوه ما نفعوا الناس به بأى قدر ولو كان ضئيلاً .
- 54- كيف يستكثرون هؤلاء على العرب ما آتاهم الله من فضله ببعث النبى منهم ، مع أن الله قد أتى إبراهيم وآله - وهو أبوكم وأبوهم - الكتاب المنزَّل والنبوة والملك العظيم .
- 55- فَمِن الذين بُعِثَ فيهم إبراهيم وآله منهم مَنْ آمَنَ بالكتاب المنزَّل إليهم ، ومنهم من أَعْرَضَ عنه ، وَحَسَبُ هؤلاء المعرضين عن دعوة الحق جهنم تكون ناراً حامية .
- 56- إن الذين جحدوا حُجَجَتَا البيئات ، وكذَّبوا الأنبياء ، سوف ندخلهم النار التى تُكْوَى بها جلودهم ، وكلما فقدت الإحساس بالعذاب بدَّلهم الله جلوداً غيرها جديدة ليستمرؤا فى ألم العذاب ، إن الله تعالى غالب على أمره ، حكيم فى فعله ، يعذب من جحد به وأصرَّ على ذلك حتى مات .

(1/139)

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَدُخِلَهُمْ ظِلَالًا ظَلِيلًا (57) إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ صَلًّا بِعِيدًا (60)

57- والذين صدَّقوا بما جاءهم من ربهم وعملوا الأعمال الصالحة ، سنبيهم على إيمانهم وعملهم ، فندخلهم جنات تجري من تحت أشجارها الأنهار ، لا تنتهى حياتهم فيها أبداً ، لهم فيها أزواج مطهرة من العيوب والأدناس ، ونحييهم حياة ناعمة في ظل ظليل من العيش الطيب والنعيم المقيم .

58- إن الله يأمركم - أيها المؤمنون - أن توضحوا جميع ما ائتمتم عليه من الله أو الناس إلى أهله بالعدل ، فلا تجوروا فى الحكم . هذه موعظة من ربكم فاحرصوا عليها ، فنعمت الموعظة التى يعظكم بها . إن الله دائماً سميع لما يقال ، بصير بما يفعل ، فيعلم من أذى الأمانة ومن خان ، ومن حكم بالعدل أو جار قبيحاً كلاً بعمله .

59- يا أيها الذين صدَّقوا بما جاء به محمد أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، والذين يلون أمركم من المسلمين القائمين بالحق والعدل والمنفذين الشرع ، فإن تنازعتم فى شئ فيما بينكم فاعرضوه على كتاب الله وعلى سنة رسوله لتعلموا حكمه ، فإنه أنزل عليكم كتابه وبينه رسوله ، وفيه الحكم فيما اختلفتم فيه ، وهذا مقتضى إيمانكم بالله واليوم الآخر ، وهو خير لكم ، لأنكم تهتدون به إلى العدل فيما اختلفتم فيه ، وهو أحسن عاقبة ، لأنه يمنع الخلاف المؤدى إلى التنازع والضلال .

60- ألا تعجب - أيها النبى - من الذين يدعون أنهم صدَّقوا بما أنزل عليك من الكتاب وما أنزل من قبلك من الكتب ، يريدون أن يتحاكموا فى خصوماتهم إلى ما فيه الضلال والفساد وحكم غير الله ، وقد أمرهم الله أن يجحدوه ولا يتحاكموا إليه ، ويريد الشيطان أن يصدِّهم عن طريق الحق والهدى ، فيضلهم عنه ضلالاً بعيداً .

(1/140)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُورًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ تَمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِجْسَاتًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)

- 61- وإذا قيل لهم أقبِلوا على ما أنزل الله من قرآنٍ وشريعةٍ ، وعلى رسوله ليبين لكم ، رأيت الذين ينافقون يُعرضون عنك إعراضاً شديداً .
- 62- فكيف تكون الحال إذا نزلت بهم نازلة بسبب خبث نفوسهم وسوء أعمالهم ، ولم يجدوا ملجأ إلا إليك ، فجاءوك يقسمون بالله بين يديك أنهم لا يريدون بأقوالهم وتصرفاتهم إلا الإحسان وطلب التوفيق .
- 63- أولئك الذين يقسمون أنهم لا يريدون إلا الإحسان والعمل الموفق ، يعلم الله حقيقة ما فى قلوبهم وكذب قولهم ، فلا تلتفت إلى كلامهم وادعهم إلى الحق بالموعظة الحسنة ، وقل لهم قولاً حكيماً بالغاً يصل إلى أعماق نفوسهم .
- 64- وما أرسلنا من رسولٍ إلا كان الشأن فى رسالته أن يطاع ، وأن تكون طاعته بإذن من الله ، وأن من ينافق أو يكذب أو يخالفه يكن ظالماً لنفسه ، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم رجعوا إلى الهدى فجاءوك وطلبوا المغفرة من الله على ما قدّموا ، ورجوت المغفرة لهم بمقتضى رسالتك وما رأيت من تغير حالهم ، لوجدوا الله سبحانه وتعالى - كثير القبول للتوبة رحيماً بعباده .
- 65- فوربك لا يُعَدُّونَ مؤمنين بالحق مذعنين له ، حتى يجعلوك حكماً فيما يكون بينهم من نزاع ، ثم لا تضيق نفوسهم أى ضيق بما قضيت ، واذعنوا لك إذعان المؤمنين المصدقين .

(1/141)

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا (66) وَإِذَا لَآيِبَتَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْتَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (70) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تَبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا (71)

- 66- ولو أننا فرضنا عليهم المشقة البالغة بأن أمرناهم بالجهاد المستمر ، وأن يُعْرِضُوا أنفسهم للتلف ، أو ينفروا من ديارهم مجاهدين دائماً ، ما أطاع إلا عدد قليل ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - لا يكلف إلا ما تحتمله الطاقة ، ولو أنهم فعلوا وقاموا بحقه لكان فى ذلك خير الدنيا والآخرة لهم ، وهو يؤدى إلى تثبيت الإيمان ، والاستقرار والاطمئنان .
- 67- وإذا قاموا بحق التكليف الإلهى الذى يكون فى وسعهم ، لأعطاهم الله على ذلك الثواب العظيم من فضله .
- 68- وكانوا بسبب إطاعتهم فيما يطيقون ، قد هداهم الله إلى الطريق المستقيم الذى لا إفراط فيه ولا تفريط .
- 69- ومن يطع الله والرسول بالتسليم لأمرهما والرضا بحكمهما ، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق فى الدنيا والآخرة من أنبيائه وأتباعهم الذين صدقوهم واتبعوا مناهجهم والشهداء فى سبيل الله ، والصالحين الذين صلحت سريرتهم وعلانيتهم ، وما أحسن هؤلاء من رفقاء لا يشقى جليسهم ، ولا يُمَلِّ حَدِيثُهُمْ .



70- تلك المنزلة العظيمة لمن أطاع الله ورسوله هي الفضل الكبير من الله ، وهو عليم بالأعمال ومثيب عليها ، ويكفى المؤمن علم الله بحاله ، وهو يقوم بطاعته ويطلب مرضاته .

71- يا أيها الذين آمنوا كونوا في حذر دائم من أعدائكم ، وخذوا الأهبة لرد كيدهم ، واخرجوا لقتالهم جماعات متفرقة ، جماعة بعد جماعة ، أو اخرجوا لهم مجتمعين .

(1/142)

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُبْتَغَىٰ فَرَأَىٰ مِنْهُ خَالِفًا لِّمَا جَاءَهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِينَ يَبِينُوا لِرَءْسِ الْبَيْتِ وَمَا كُنَّا بِمُعَذِّبِينَ لِمَنْ أَهْلَكَ الْأَمْثَالَ (72) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ قَضٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (73) فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (74) وَمَا لَكُمْ لَأْتِيَاقِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (75) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)

72- واحذروا المشبطين المعوّقين ، فإن ممن يعيش معكم من يشبط عن القتال ويتخلف عنه ، فإن أصابكم نكبة في الجهاد قال ذلك الفريق المتخلف شامتا : قد أنعم الله عليّ إذ لم أشهد معهم هذا القتال .

73- وإن جاءكم فضل من الله بالنصر والفوز بغنائم القتال ، قال ذلك الفريق - متحسرا متمنيا الأمانى - يا ليتنى كنت معهم فى هذا القتال فأفوز بعظيم الغنائم ، ويقول هذا القول وكأنه لا رابطة من المودة تربطه بكم .

74- إذا كان منكم من يعوق أو يبطئ لضعف فى إيمانه ، أو خور فى عزمته فليقاتل فى سبيل إعلاء كلمة الله والحق ، وهم الذين يبيعون الحياة الدنيا طالبين الحياة الآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل إعلاء كلمة الله والحق فسينال إحدى الحسنين . فإما أن يقتل فينال فضل الاستشهاد فى سبيل الله ، أو ينتصر فينال فضل الفوز فى الدنيا ، وهو فى كلتا الحالتين يؤتبه الله أجرا عظيما فى الآخرة .

75- كيف يسوغ لكم ألا تقاتلوا فى سبيل الله ، مع أن المستضعفين من الرجال والنساء والذرية يستغيثون ويستنصرون ضارعين إلى الله يقولون : ربنا أخرجنا من ولاية هؤلاء الظالمين ومكثنا بقوتك ورحمتك من أن نكون تحت ولاية المؤمنين ، واجعل لنا من عندك نصيرا ينصرنا .

76- الذين صدّقوا بالحق وأذعنوا له ، يقاتلون فى سبيل إعلاء كلمة الله والعدل والحق ، والذين جحدوا أو عاندوا يقاتلون فى سبيل الظلم والفساد ، وبذلك كانوا أولياء الشيطان ، فى أيها المؤمنون قاتلوهم لأنهم أعوان الشيطان وأنصاره واعلموا أنكم منتصرون عليهم بتأييد الله ، لأن تدبير الشيطان - مهما عظم فساده - ضعيف ، والغلبة للحق .

(1/143)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا قَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظَلَمُونَ فَتِيلًا (77) أَيْتَمَّ تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)

77- ألم تنظر يا محمد فتعجب إلى الذين رغبوا في القتال قبل أن يجئ الإذن به ف قيل لهم : لم يأت وقت القتال ف فكفوا أيديكم عنه ، واحرصوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فلما فرض الله عليهم القتال إذا طائفة منهم يخافون الناس كخوف الله أو أشد وقالوا مستغربين : لِمَ كتبت علينا القتال؟ متوهمين أن في فرضية القتال تعجلاً لآجالهم ولذلك قالوا : هلاً أخرتنا إلى زمن قريب نستمتع فيه بما في الدنيا؟ فقل لهم : تقدموا للقتال ولو أدى إلي استشهادكم ، فمتاع الدنيا مهما عَظُمَ قليل بجوار متاع الآخرة ، والآخرة خير وأعظم لمن اتقى الله وستجزون على أعمالكم في الدنيا ولا تنقصون من الجزاء شيئاً مهما صغر .

78- إن الموت الذي تَفَرُّون منه ملاقيكم أينما كنتم ، ولو كانت إقامتكم في حصون مشيدة وإن هؤلاء الخائرين لضعف إيمانهم يقولون : إن أصابهم فوز وغنيمة هي من عند الله ، وإن أصابهم جذب أو هزيمة يقولوا لك - يا محمد - هذا من عندك وكان بشؤمك . فقل لهم : كل ما يصيبكم مما تحبون أو تكرهون هو من تقدير الله ومن عنده اختبار وابتلاء ، فما لهؤلاء الضعفاء لا يدركون قولاً صحيحاً يتحدث به إليهم .

79- ما يصيبك - أيها النبي - من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك ، يتفضل به إحساناً منه إليك ، وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك بسبب تقصير أو ذنب ارتكبته . والخطاب للنبي لتصوير النفس البشرية وإن لم يقع منه ما يستوجب السيئة ، وأرسلناك رسولاً من عندنا للناس جميعاً ، والله شهيد على تبليغك وعلى إجابتهم ، وكفى به عليماً .

(1/144)

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَّرُوا مِنَ عِنْدِكَ بَيَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (81) أَقَلَّا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)

80- من يطع الرسول فقد أطاع الله ، لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ، ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه . فكانت طاعته فى الامتثال والانتهاى طاعة لله ، ومن أعرض عن طاعتك فما أرسلناك إلا بشيراً ونذيراً لا حفيظاً ومهيماً عليهم ، تحفظ عليهم أعمالهم ، إن ذلك لنا لا لك .

81- ويقول هذا الفريق المتردد : أمرك مطاع ، وليس لك منا إلا الطاعة فيما تأمر وتنهى ، ولكن إذا خرجوا من عندك وابتعدوا عنك دبّرت طائفة منهم أمراً وبيتته ، غير الذى تقوله أنت لهم من أمر ونهى ، والله - سبحانه وتعالى - يحصى عليهم ما يدبرونه فى خفاء . فلا تلتفت إليهم ، وأعرض عنهم ، وفوض أمرك إلى الله ، وتوكل عليه ، وكفى أن يكون الله وكيلك وحافظك تفوض إليه جميع أمورك .

82- أفلا يتدبر أولئك المنافقون كتاب الله فيعلموا حجة الله عليهم فى وجوب طاعته واتباع أمرك ، وأن هذا الكتاب من عند الله لا تتلاف معانيه وأحكامه ، وتأيد بعضه لبعض . فهذا دليل على أنه من عند الله ، إذ لو كان من عند غيره لتناقضت معانيه ، واختلفت أحكامه اختلافاً كثيراً .

83- وإذا اطلعت هذه الطائفة المنافقة على أمر يتعلق بقوة المسلمين أو ضعفهم أفشوه ونشروه ، جاهرين به للتغريب بالمسلمين أو إلقاء الرعب فى قلوبهم ، أو توصيل أبنائهم إلى أعدائهم ، ولو أن هؤلاء المنافقين المذيعين ردوا أمر الأمن والخوف إلى الرسول وإلى أولى الأمر من القواد وكبار الصحابة ، وطلبوا معرفة الحقيقة من جهتهم لعلم أولئك الذين يحاولون استخراج الوقائع وإذاعتها الحق من جانب الرسول والقادة ، ولولا فضل الله عليكم بتشيت قلوبكم على الإيمان ، ومنع الفتنة ، ورحمته بتمكينكم من أسباب الظفر والانتصار ، لاتبع أكثركم إغواء الشيطان ، ولم ينج من إغوائه إلا القليل .

(1/145)

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَخَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا (84) مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا (85) وَإِذَا حُيِّبْتُمْ إِلَى شَيْءٍ فَحْتَبُوا أَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87) فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (88)

84- وإذا كان بينكم أمثال هؤلاء المنافقين فأعرض عنهم ، وقَاتِلْ فى سبيل كلمة الله والحق ، فليست مسئولاَ إلا عن نفسك ، ثم ادع المؤمنين إلى القتال وحثهم عليه ، لعل الله يدفع بك وبهم شدة الكافرين ، والله مؤيدكم وناصركم ، وهو أشد قوة وأشد تنكيلاً بالكافرين .

85- وإن هؤلاء المنافقين يناصرون الفساد ، وأهل الإيمان يناصرون الحق ، ومن يناصر فى أمر حسن يكن له نصيب من ثوابه ، ومن يناصر أهل السوء يكن عليه وزر من عقابه ، والله مقتدر على كل شئ محيط به .

86- وإذا حياكم أحد - أياً كان - بتحية من سلام أو دعاء أو تكريم أو غيره ،

فردوا عليه بأحسن منها أو بمثلها ، فإن الله محاسب على كل شئ كبيراً كان أو صغيراً .  
 87- الله الذى لا إله إلا هو ولا سلطان لغيره ، سيبتكم حتماً من بعد مماتكم ، وليحشرنكم إلى موقف الحساب لا شك فى ذلك . وهو يقول ذلك فلا تشكوا فى حديثه ، وأى قول أصدق من قول الله .  
 88- ما كان يسوع لكم - أيها المؤمنون - أن تختلفوا فى شأن المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر ، وما يسوع لكم أن تختلفوا فى شأنهم : أهم مؤمنون أم كافرون؟ ويقتلون أم ينظرون؟ وهم قابلون لأن يكونوا مهتدين أم لا ترجى منهم هداية؟ إنهم قلبت مداركهم بما اكتسبوا من أعمال ، جعلت الشر يتحكم فيهم وما كان لكم أن تتوقعوا هداية من قَدَّر الله فى علمه الأزلى أنه لن يهتدى ، فإن من يكتب فى علم الله الأزلى ضلاله ، فلن تجدوا طريقاً لهديته .

(1/146)

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَحُذَوْهُمْ وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (89) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَتْلوكم إِنْ اعْتَرَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90) سَتَجِدُونَ أَحْرَبِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْفُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَحُذَوْهُمْ وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (91)

89- إنكم تؤدّون هداية هؤلاء المنافقين ، وهم يودون أن تكفروا مثلهم فتكونوا متساوين فى الكفر معهم ، وإذا كانوا كذلك فلا تتخذوا منهم نصراء لكم ، ولا تعتبروهم منكم ، حتى يخرجوا مهاجرين ومجاهدين فى سبيل الإسلام . وبذلك تزول عنهم صفة النفاق ، فإن أعرضوا عن ذلك وانضموا إلى أعدائكم فاقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تعتبروهم منكم ولا تتخذوا منهم نصراء .  
 90- استثنى من المنافقين الذين يستحقون القتل لإفسادهم لجماعة المؤمنين أولئك الذين يرتبطون بقوم بينهم وبين المؤمنين ميثاق يمنع قتل المنتمين لأحد الفريقين ، أو كانوا فى حيرة أيقاتلون مع قومهم الذين هم أعداء المسلمين ، وليس ثمة ميثاق ، أم يقاتلون مع المؤمنين؟ فإن الأولين يمنع قتلهم لأجل الميثاق ، والآخرين يمنع قتلهم لأنهم فى حرج ، وإن الله - تعالى - لو شاء لجعلهم يحاربونكم ، فإن أثروا الموقف السلبي وسالموكم فلا يسوغ لكم أن تقتلوهم ، لأنه لا مسوغ لذلك .  
 91- فإن ظهرتم على الشرك كانوا معكم ، وإن ظهر المشركون على الإسلام كانوا مع المشركين ، فهم يريدون أن يأمنوا المسلمين ويأمنوا قومهم من المشركين ، وهؤلاء فى ضلال مستمر ونفاق ، فإن لم يكفوا عن قتالكم ويعلموكم بالأمن والسلام فاقتلوهم حيث وجدتموهم ، لأنهم بعدم امتناعهم عن القتال قد مكنوا المؤمنين من قتلهم ، وجعل الله - تعالى - للمؤمنين حجة بيّنة فى قتالهم .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَرِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ قَدِيهٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَصِيَامًا شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (92)

92- إن تقسيم المنافقين ذلك التقسيم للاحتياط ، حتى لا يُقتل مؤمن على ظن أنه منافق ، لأن قتل المؤمن لا يجوز إلا أن يقع ذلك خطأ غير مقصود ، وفي حال قتل المؤمن خطأ إن كان يعيش في ولاية الدولة الإسلامية تدفع الدية لأهله تعويضاً عما فقدوه ، وتعتق رقبة مؤمنة ليعوض جماعة المؤمنين عما فقدت ، لأن عتق الرقبة المؤمنة إحياء لها بالحرية ، فكأنه يكتفى بتحرير رقبة مؤمنة ليعوض المؤمنين عن فقدوه وإن كان ينتمى لقوم بينهم وبين المسلمين معاهدة سلم ، فإنه يجب تحرير رقبة مؤمنة ، وتسليم الدية لأهل المقتول ، لأنهم لعهدهم لا يتخذونها لإيذاء المسلمين ، وإذا كان القاتل خطأ لا يجد رقبة مؤمنة بعثتها ، فإنه يصوم شهرين متتابعين لا يفطر يوماً فيهما ، لأن ذلك يكون تهديباً لنفسه وتربية لها على الاحتراس ، والله - سبحانه وتعالى - عليم بالنفوس والنيات ، حكيم يضع العقوبات في مواضعها .

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا صَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94) لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الصَّرِيحِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95)

93- إن من يقتل مؤمناً قتلًا عدواناً متعمداً مستحلاً ذلك القتل ، يكون جزاؤه الذي يكافئ جريمته أن يدخل جهنم ويستمر فيها ، ويغضب الله عليه ويطرده من رحمته وقد أعد الله له في الآخرة عذاباً عظيماً ، فإن هذه أكبر جريمة في الدنيا .

94- الاحترايس من قتل المؤمن واجب في حال الغزو ، فإذا سافرتم مجاهدين في سبيل الله - تعالى - فتعرفوا شأن الذين تقاتلونهم قبل القتال ، أهم أسلموا أو لا يزالون على الشرك؟ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام وشارة الأمن ليست مؤمناً ، تريدون بذلك الأموال والغنائم ، بل اقبلوا منهم السلام ، فإن الله أعد لكم مغنم كثيرة . وأنتم - أيها المؤمنون - كنتم على الكفر قبل ذلك وهداكم الله ، فتبينوا أمر الذين تلقونهم . وأن الله عليم علماً دقيقاً لا

يخفى عليه شئ ، وأنه محاسبكم بمقتضى علمه .  
95- وإن الجهاد مع هذا الاحتراس فضله عظيم جداً ، فلا يستوى الذين يقعدون عن الجهاد فى منازلهم والذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ، فقد جعل الله للمجاهدين درجة رفيعة فوق الذين قعدوا إلا إذا كان القاعدون من ذوي الأعدار التى تمنعهم من الخروج للقتال ، فإن عذرهم يرفع عنهم الملامة ومع أن المجاهدين لهم فضل ودرجة خاصة بهم ، فقد وعد الله الفريقين المنزلة الحسنى والعاقبة الطيبة .

(1/149)

---

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96) إِنَّ الَّذِينَ يَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَآئِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْسَ لَنَا مَا نَأْتِيهِمْ وَهُمْ جَاهِلُونَ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100)

96- وهذه الدرجة التى اختص بها المجاهدين درجة عظيمة رفيعة ، حتى كأنها درجات للتفاوت الكبير بينها وبين ما عداها ، وإن لهم مع هذه الدرجة مغفرة كبيرة ورحمة واسعة .

97- وأن المسلم عليه أن يهاجر إلى الدولة الإسلامية ولا يعيش فى ذل ، فإن الملائكة تسألهم : فم كنتم حتى ارتضيتم حياة الذل والهوان؟ فيجيبون : كنا مستضعفين فى الأرض يذلنا غيرنا فتقول الملائكة : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها بدل الذل الذى تقيمون فيه؟ وأولئك الذين يرضون بالذل مع قدرتهم على الانتقال ، ماوأهم عذاب جهنم ، وأنها أسوأ مصير ، فالمسلم لا يصح أن يعيش فى ذل ، بل يعيش عزيزاً كريماً .

98- غير أنه يعفى من هذا العقاب من لا يستطيعون الانتقال من الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال ، فهؤلاء لا يستطيعون حيلة ولا يجدون سبيلاً للخروج

99- وأولئك يُرعى عفو الله عنهم ، والله - تعالى - من شأنه العفو والغفران .  
100- ومن يهاجر طالباً بهجرته مناصرة الحق وتأييده ، يجد فى الأرض التى يسير فيها مواضع كثيرة يرغم بها أنف أعداء الحق ، ويجد سعة الحرية والإقامة العزيزة ، وله بذلك الثواب والأجر العظيم ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى موطن الدولة العزيزة التى هى دولة الله ورسوله ، ثم يدركه الموت قبل أن يصل فقد ثبت أجره ، وتكثرت له الأجر حقاً عليه ، وغفر له ورحمه ، لأن من شأنه الغفران والرحمة .

(1/150)

---

وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (101) وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْيَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلِيَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَصْعَوْا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102)

101- الصلاة فريضة محكمة لا تسقط فى السفر ، ولكن لا إثم على من يقصرها فيه عن الحضر . فالذين يخرجون مسافرين - إن خافوا أن يتعرض لهم الكافرون بما يكرهون - لهم أن يقصروا الصلاة ، فالصلاة التي هى أربع ركعات يصلونها اثنتين ، وإن الحذر من تعرض الكافرين واجب لأنهم أعداء ، عداوتهم واضحة .

102- وإذا كنت - أيها النبي الأمين - فيهم وقامت صلاة الجماعة ، فلا تنسوا الحذر من الأعداء ، وذلك بتقسيم المسلمين إلى طائفتين : إحداهما تبدأ الصلاة مقتدية بك ، وتكون الأخرى قائمة على الأسلحة والأمتعة لحراستها ، فإذا أتممت نصف الصلاة ذهبت التي صلت وراءك وجاءت الأخرى فصلت بها الباقى ، ثم تصلى ما فاتها وتصلى الأولى بقية الصلاة ، وتسمى لاحقة والأخرى مسبوقة ، إذ تؤدي أول الصلاة ، واللاحقة تؤدي آخرها ، وذلك التنظيم لكى لا تفوت الصلاة ، وللحذر من الكافرين الذين يودون أن تغفلوا عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلوا عليكم دفعة واحدة ، ويتقصوا عليكم وأنتم فى الصلاة ، وأن قتال المشركين مستمرا واجب ، ولكن لا إثم عليكم أن تسكنوا إذا كان بكم مرض أو نزل مطر عاق عن القتال ، ولكن على أن تكونوا على حذر دائم ، وهذا عقاب الله للكافرين فى الدنيا ، وفى الآخرة أعد لهم عذابا مهينا مذلا .

(1/151)

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَرُكُوعًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَلِمَاتٌ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ تَأْمُونُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُونَ كَمَا تَأْمُونُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (104) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (105) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (106) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَابُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاتًا أَثِيمًا (107) يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (108)

103- وإذا أتممت صلاة الحرب التي تسمى صلاة الخوف فلا تنسوا ذكر الله دائما ، فاذكروه قائمين محاربين واذكروه وأنتم قاعدون ، واذكروه وأنتم نائمون ، فإن ذكر الله - تعالى - يقوى القلوب ، وبه اطمئنانها ، فإذا ذهب الخوف وكان الاطمئنان ، فأدوا الصلاة متكاملة فإن الصلاة قد فرضت على المؤمنين موقوتة بأوقاتها .

104- لا تضعفوا فى طلب القوم الكافرين الذين أعلنوا عليكم الحرب ،

وحاولوا أن يغيروا عليكم من كل مكان . والحرب بلا شك ألم ، فإذا كنتم تآلمون من جراحها وما يكون فيها ، فإنهم يآلمون أيضاً ، والفرق بينكم وبينهم أنهم لا يطلبون الحق ولا يرجون عند الله شيئاً ، وأنتم تطلبون الحق وترجون رضا الله والنعيم الدائم . والله عليم بأعمالكم وأعمالهم ، حكيم يجازى كل ما يعمل .

105- أنزلنا إليك القرآن حقاً وصدقاً ، مشتملاً على كل ما هو حق ، مبيناً للحق إلى يوم القيامة ليكون منارك في الحكم بين الناس ، فاحكم بينهم ولا تكن مدافعاً عن الخائنين .

106- وعند الحكم بين الناس اتَّجِهْ إلى الله وتذكر عظمته واطلب مغفرته ورحمته ، فإن المغفرة والرحمة من شأنه - سبحانه وتعالى - .

107- ولا تدافع عن الذين يخونون ويبالغون في إخفاء الخيانة في أنفسهم ، فإن الله لا يحب من يكون من شأنه الخيانة وارتكاب الذنوب .

108- يختفون ويستتروا بخيانتهم من الناس ، ولا يمكن أن تخفى على الله وهو معهم دائماً خياناتهم ، وهم يتفنون ليلاً على ما لا يرضى الله من القول من رمى التهم على الأبرياء ، - والله تعالى - يعلم علماً لا يخفى منه شيء مما يعملون .

(1/152)

هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (109) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (110) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (112) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وَمَا يُضْلَوْنَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (113)

109- إذا كنتم تدافعون عنهم في الدنيا فلا يعاقبون عقاب الدنيا ، فلا يوجد من يدافع عنهم يوم القيامة أمام - الله تعالى - ، بل من يقبل أن يكون ولياً عليهم ناصراً لهم .

110- وإن باب التوبة مفتوح ، فمن يعمل أمراً سيئاً في ذاته أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصي ثم يطلب مغفرة الله - تعالى - ، فإنه يجد الله - تعالى قابلاً لتوبته غافراً له ، لأن من شأنه المغفرة والرحمة .

111- وإن الذنوب مضارها على نفس من يفعلها ، فمن يكسب ذنباً فإنما هو ضد لنفسه ، ومغيبته على نفسه ، والله - سبحانه وتعالى - يعلم ما ارتكب ويعامله بمقتضى حكمته ، فيعاقب أو يغفر على حسب ما تقتضيه الحكمة .

112- ومن يرتكب أخطاءً تحيط بالنفس وذنوباً ثم يتهم بهذه الذنوب بريئاً لم يرتكبها ، كمن يسرق شيئاً ويتهم غيره بسرقة ، فقد وقع عليه وزران : أحدهما : الكذب والافتراء باتهام الأبرياء ، والثاني : الذنب الواضح البين .

113- ولولا أن الله فضل عليك بالوحي ورحمك بالإدراك الناقد ، لأرادت طائفة منهم أن يضلوك ، ولكنهم لا يضلون إلا أنفسهم ، لأن الله مُطَّلِعٌ ،



وبصيرتك نافذة إلى الحق ، فلا ضرر عليك من تدبيرهم وتضليلهم ، وقد أنزل عليك القرآن الكريم الذى هو ميزان الحق ، وأودع قلبك الحكمة وعلمك من الشرائع والأحكام ما لم تعلمه إلا بوحي منه ، وإن فضل الله عليك عظيم دائماً

(1/153)

لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114) وَهَنْ يُتِّفِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُضَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوسًا (118)

- 114- إن الذين يخفون أحاديث يحدثون بها أنفسهم أو يتحدثون بها فيما بينهم ، لا خير فى هذه الأحاديث فى الكثير ، لأن الشر يفرخ فى الخفاء ، لكن إذا كان التحدث للأمر بصدقة يعطونها ، أو للعزم على القيام بعمل غير مستنكر ، أو تدبير إصلاح بين الناس ، فإن ذلك خير ، ومن يفعله طلباً لرضا الله - سبحانه - فإن الله - تعالى - يعطيه جزاءً كبيراً على عمله فى الدنيا والآخرة .
- 115- وإن الذى يكون فى شقاق مع الرسول من بعد أن يتبين طريق الحق والهداية ، ويتبع طريقاً غير طريق المؤمنين ، ويدخل فى ولاية أعداء أهل الإيمان ، فإنه يكون منهم إذ اختارهم أولياءه ، وسيدخله الله - تعالى - النار يوم القيامة .
- 116- وإن هذا المصير المؤلم لمن هم كذلك ، لأنهم أعداء الإسلام ، ومثله مثل من أشرك بالله ، وإن كل ذنب قابل للغفران إلا الشرك بالله ، وعبادة غيره ، ومعاندة رسوله فى الحق ، فإن الله من شأنه المغفرة إلا أن يشرك به فى عبادته ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وإن من يشرك بالله فى عبادته وولائه فقد تاه عن الحق وبعده عنه كثيراً ، لأنه أفسد عقله ونفسه .
- 117- وإن من أظهر مظاهر الضلال الذى بعد به عن الحق الشرك بالله ، إنه يعبد ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، ويُسَمَّى آلهته الباطلة بأسماء الإناث ، كاللات والعزى ومناة ، وغيرها من الأسماء المؤنثة ، وإنه يتبع بهذه العبادة الشيطان .
- 118- وإن هذا الشيطان طرده الله - تعالى - من ظل رحمته ، وجعله فى طريق غوايته ، وقد أقسم وأخذ على نفسه عهداً أن يتخذ من عباد الله - تعالى - عدداً معلوماً مقدرًا يستهويهم بغوايته وبوسوس لهم بشره .

(1/154)

وَأَصْلِحْهُمْ وَلَا مَسِيئَتِهِمْ وَلَا مَرْتَبَتِهِمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ آدَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبَتَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (119) يَعِدُهُمْ

وَيُتَمِّبُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120) أُولَئِكَ مَاؤَاهُمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ  
عَنْهَا مَجِيصًا (121) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122)

119- وإن قَسَمَهُ أن يضل الذين استهواهم بإبعادهم عن الحق وبشير أهواءهم  
وشهواتهم ، ويجعلهم يتيهون فى أوهام وأمان كاذبة يتمنونها ، وإذا صاروا بهذه  
الأهواء وتلك الأمانى تحت سلطانه ، دفعهم إلى أمور غير معقولة ، وحملهم  
على أن يظنوها عبادة وهى أوهام كاذبة ، فوسوس لهم بأن يقطعوا أذان بعض  
الإبل ويُعَيِّرُوا خلق الله فيها ، وإن ما قطع أذنه لا يذبح ولا يعمل ولا يمنع من  
مرعى ، وكل ذلك بأوامره ، ثم يوسوس لهم بأنه دين ، وأنهم بهذا يتبعونه ،  
ويتخذونه نصيراً متبعاً من دون الله ، ومن يتخذه نصيراً متبعاً يخسر خسراً  
واضحاً ، لأنه يضل عن الحقائق ويهمل عقله ، ويناله الفساد فى الدنيا والعذاب  
فى الآخرة .

120- يزين الشيطان لهم الشر ، ويعدهم النفع إذا فعلوه ، ويلقى فى نفوسهم  
بأمان يتمنونها ، وليس وعده وتزيينه إلا تغريراً .

121- وإن أولئك الذين ألغوا عقولهم واتبعوا وساوس الشيطان فى نفوسهم ،  
مصيرهم إلى جهنم ولا يجدون منها خلاصاً .

122- هذا مصير أتباع الشيطان ، أما مصير أتباع الله فالخير ، وهم الذين آمنوا  
بالله ورسوله وعملوا الأعمال الصالحة ، ولم يسيروا وراء أوهام كاذبة ، فإن  
الله - تعالى - سيدخلهم يوم القيامة جنات فيها أنهار تجرى تحت ظلالتها ، وهى  
أكبر من أعظم جنات الدنيا ، وإن ذلك مؤكد ، لأنه وعد الله ، ووعد الله لا يكون  
إلا حقاً ، لا غرور فيه ، إذ هو مالك كل شئ ، ولا يتصور أن يكون أحدٌ فى  
الوجود أصدق من الله وعداً وقولاً .

(1/155)

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124) وَمَنْ أَجْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ  
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125)  
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (126)

123- إن الجزاء ليس هو ما يتمناه ويحلم به الإنسان من غير عمل طيبٍ مثمر  
، فليس الجزاء بما تتمنون - أيها المسلمون - ولا بما يتمناه ويحلم به أهل  
الكتاب من اليهود والنصارى ، وإنما الجزاء والنجاة من العذاب بالإيمان والعمل  
الصالح ، ومن يعمل سيئاً يُجْزَ به ، ولا يجد له من دون الله من يواليه أو ينصره

124- ومن يعملون الأعمال الصالحة بالقدر الذى يستطيعونه وهم مؤمنون  
بالله ورسوله ، فإنهم يدخلون جنة النعيم ولا ينقصون أى مقدار ولو كان ضئيلاً .  
ولا فرق فى الجزاء بين الذكر والأنثى ، لأن الأنثى مكلفة . لها جزاء الخير ،  
وعليها عذاب الشر .

125- وإن أساس عمل الخير منبعث من الاعتقاد السليم ، وأحسن الدين أن

يخلص لله - تعالى - فيجعل وجهه وعقله ونفسه لله لا يطلب سوى رضا الله سبحانه ، وبذلك تستقيم مداركه فيدرك رسالة الرسل ، وأن يقوموا بصفة مستمرة بأحسن الأعمال ، ويتبعوا في ذلك أبا الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - فدينه هو دين الله ، وهو الدين الذي يتجه إلى طلب الحق دائماً . وأن إبراهيم هو الذي تلتقى عنده الوحدة الدينية للمسلمين واليهود والنصارى ، فاتبعوا طريقه ، وأن الله أكرم إبراهيم فسماه خليلاً .

126- وإن الإخلاص لله وإسلام الوجه إليه ، هو إخلاص لمن أنشأ هذا الوجود ومملكه ، فله كل ما فى السموات والأرض ، من نجوم وأفلاك وشمس وقمر وجبال ووهاد وصحار ومزارع ، وهو مستبين كل شئ ، وهو الذي يعلم علم إحاطة بكل ما يعمل الإنسان ، ويجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً .

(1/156)

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنَلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْعَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (127) وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128) وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلِّقَةِ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا (129) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِنْ سَعْيِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (130)

127- قد استفتى الناس النبي فى شأن النساء وكفى ولا يزلن ضعيفات ، فيبين الله لنبية أن يبين حال النساء وحال الضعفاء فى الأسرة من الولدان واليتامى ، وذكر أن يتامى النساء اللاتى يُزوجن ولا يأخذن مهورهن ، والأولاد ، واليتامى ، كل هؤلاء يعاملون بالعدل والرحمة والرعاية ، وأن كل ما يفعل من خير فإن الله يعلمه وهو الذى سيجزى به .

128- وإن الزوجة إذا خافت من زوجها إهمالاً لشئون الأسرة أو إعراصاً عنها وعدم إقبال عليها . فلا إثم عليهما فى أن يحاولا إصلاح ما بينهما بالصلح الجميل والتقريب . والعاقلي منهما يبدأ به ، والصلح خير دائماً لا شر فيه ، وإن الذى يمنع الصلح هو تمسك كل من الزوجين بحقوقه كاملة ، إذ يسيطر الشح النفسى ، ولا سبيل لعودة المودة إلا التساهل من أحد الجانبين وهو المحسن المتقى ، ومن يعمل العمل الحسن ويتق الله ، فإن الله خير بعمله ومجازيه عليه .

129- وإن العدل مع النساء بالمحبة الدائمة التى لا تشوبها شائبة ، والمساواة بين محبتها بحيث يبادلها ما تبادلها ، أمر غير ممكن دائماً ، وغير ممكنة كذلك المساواة فى المحبة بين الزوجات إذا كان عنده أكثر من واحدة ، ولكن إذا حرصتم فلا تجوروا عليها وتميلوا كل الميل إلى غيرها وتتركوها لاهى ذات زوج ولا هى مطلقة ، ويجب أن تصلحوا أنفسكم وتقيموا الأسرة على الصلح من غير إفساد . وتتقوا الله فإن الله يغفر لكم ويرحمكم إذ من شأنه المغفرة والرحمة .

130- وإذا لم يمكن الإصلاح واستحكمت النفرة ، فإن التفريق لازم ، وإن يتفرقا يغن الله كل واحد منهما من سعة رحمته وفضله ، والأرزاق بيد الله ، والله واسع الرحمة والفضل ، وهو حكيم يضع الأمور فى مواضعها .

(1/157)

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (132) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا (133) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (134) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَّ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)

131- إن لب الدين هو الخضوع لمنشئ الكون ذى الجلال والإكرام ، والاعتراف بسلطانه المطلق ، فله كل ما فى السموات والأرض ، وبهذا السلطان المطلق قال تعالى : وصيونا أهل الديانات السماوية من أهل الكتاب وأنتم - معشر المسلمين - بأن تخافوه وتعبدوه ، وألا تكفروا بعبادته ، فهو صاحب السلطان المطلق فى الأرض والسموات ، لا يخل بسلطانه شئ ، وهو غنى عنكم ، ومع ذلك يحمد لكم إيمانكم ، لأن من شأنه الغنى ، وأن يحمد مع ذلك فعل الخير من عباده .

132- ولله - سبحانه وتعالى - تدبير كل ما فى السموات والأرض ، فهو المسيطر والمُسيّر والمدبر وكفى أن يكون هو المتولى أمر الكون لينتظم ، وأمر الناس ليعبدوه ، ويفوضوا أمورهم إليه ويتقوه .

133- إنكم - معشر العباد - فى سلطان الله ، وهو القادر القاهر ، إن يشأ يمتكم ويأت بآخرين ، وهو ذو الجلال ، قدير على ذلك وعلى كل شئ .

134- وإن الناس إذا طلبوا نعيم الدنيا ومنافعها الحلال من طريق الحق المستقيم ، فإن الله يعطيهم نعيم الدنيا والآخرة ، وهو وحده الذى يملك النعيمين .

135- إن العدل هو نظام الوجود ، وهو القانون الذى لا يختلف النظر فيه ، فى أيها الذين أذعنتم لله الحق ، ولدعوة رسله ، كونوا مراقبين لأنفسكم فى الإذعان للعدل ، ومراقبين للناس ، فانصفوا المظلوم ، وكونوا قائمين لا لرغبة غنى أو لعطف على فقير ، لأن الله هو الذى جعل الغنى والفقير ، وهو أولى بالنظر فى حال الغنى أو الفقير ، وإن الهوى هو الذى يميل بالنفس عن الحق فلا تتبعوه لتعدلوا وإن تتولوا إقامة العدل أو تعرضوا عن إقامته فإن الله يعلم ما تعملون علما دقيقا ، وبجازيكم بعملكم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

(1/158)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ  
الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ  
ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ  
كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (137) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ  
عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ  
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا  
سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْفُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي  
حَدِيثِ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا  
(140)

136- وإن الرسالات السماوية واحدة لوحدة مُرسِل الرسل ، وهو الله ، في  
أيها الذين آمنوا أذعنوا لله وأخلصوا له ، وصدقوا رسوله - محمداً - وصدقوا ما  
جاء في كتابه الذي أنزله عليه واعملوا به ، وصدقوا بالكتب التي نزلت من قبله  
كما أنزلها الله من غير تحريف ولا نسيان ، آمنوا بكل ذلك ، فإن من يكفر بالله  
خالق الوجود ، والملائكة ، وعالم الغيب ، وكتب الله ورسوله ، وينكر اليوم الآخر  
، فقد تاه عن الطريق المستقيم ، وأوغل في طريق الضلال وأبعد فيه .

137- إن الإيمان إذعان مطلق وعمل مستمر بالحق ، فالمترددون  
المضطربون ليسوا بمؤمنين ، فالذين يؤمنون ثم يكفرون ، ثم يؤمنون ثم  
يكفرون ، وبهذا يزدادون كفراً ، ما كان الله غافراً لهم ما يفعلون من شر ، ولا  
ليهديهم إلى الحق ، لأن غفران الله يقتضى توبة وإفلاحاً عن الشر ، وهدايته  
تكون لمن يتجهون إلى الحق ويطلبونه .

138- يا أيها الرسول الكريم أذر المنافقين بأن لهم عذاباً يوم القيامة مؤلماً .  
139- وإن أولئك المنافقين يجعلون الولاية عليهم للكافرين ويتركون المؤمنين  
، فهل يطلبون العزة من هؤلاء الكافرين؟ إن العزة لله - وحده - يعطيها عباده  
المؤمنين ، ومن اعتزَّ بالله عزَّ ، ومن اعتزَّ بغيره ذلَّ .

140- وقد نزل الله عليكم في القرآن الكريم أنكم كلما سمعتم آية من الكتاب  
، ووجد بها الكافرون ، فلا تعفدوا معهم حتى ينتقلوا إلى حديث غير حديث  
الاستهزاء ، وإنكم إن لم تفعلوا وسمعتم استهزاءهم كنتم مثلهم فى الاستهزاء  
بالقرآن ، وإن العاقبة وخيمة على الكافرين والمنافقين ، فإن الله جامعهم  
جميعاً فى النار يوم القيامة .

(1/159)

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ  
لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَجُودْ عَلَيْكُمْ وَتَمَنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ  
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141) إِنَّ  
الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى  
يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُدْبِئِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ  
وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143)

141- وإن أولئك المنافقين ينتظرون انتظار الحاقد الحاق الذي يتمنى السوء  
لكم إذا كنتم فى حرب مع الأعداء ، فإن كان لكم نصر من الله وفتح لطريق

الحق ، قالوا للمؤمنين - وقد أذهلهم النصر الذي نصر الله به أهل الإيمان - : ألم نكن معكم باعتبارنا من جماعتكم؟ وإن كان للكافرين نصيب من الغلب اتجهوا إليهم وقالوا لهم : ألم نُغلب أموركم علينا حتى صارت أمورنا؟ وألم منحكم مودتنا ومنعكم من المؤمنين؟ والله - سبحانه وتعالى - يحكم بينكم وبين هؤلاء المنافقين يوم القيامة ، ولن يجعل الله للكافرين سبيلاً للغلب على المؤمنين ما دام المؤمنون على صفة الإيمان الحق والعمل الصالح .

142- إن المنافقين بنفاقهم يحسبون أنهم يخادعون الله - تعالى - ويخفون عنه حقيقة أنفسهم ، والله سبحانه - خادعهم ، فيمهلهم ويتركهم يرتعون في شرهم ، ثم يحاسبهم على ما يفعلون ، وإن لهؤلاء المنافقين مظهراً حسناً ، ومظهراً نفسياً ، فالحسى أنهم يقومون إلى الصلاة كسالى متباطئين ، وصلاتهم رياء لا حقيقة . والمظهر النفسى أنهم لا يذكرون الله إلا أحياناً نادرة ، ولو ذكروه لتركوا النفاق .

143- وإن المنافقين مترددون مضطربون ، لا هم منكم ولا هم فى كل أحوالهم منهم ، وذلك من ضعف الإيمان وضعف النفس ، ومن الضلال عن الحق ، ومن يكتب الله عليه فى علمه الأزلى الضلال ، فلن تجد سبيلاً لهدايته .

(1/160)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ  
تَعْلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ  
النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ  
وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا  
عَظِيمًا (146) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا  
(147) لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا  
عَلِيمًا (148)

144- وإن من أسباب النفاق أن المنافقين جعلوا لأهل غير الإيمان ولاية لهم ونصرة ، فتجنبوا هذا - أيها المؤمنون - ولا تتخذوا الكافرين نصراء ذوى ولاية عليكم تخضعون لهم ، وإنكم إن فعلتم ذلك كان لله حجة عليكم بينة ، فتدخلون مع المنافقين وتذلون ، لأنكم لا تجعلون عزتكم من الله ، ومن الحق ، ومن العمل الصالح .

145- إن المنافقين بسبب نفاقهم يكونون فى أعماق جهنم ، فهم فى أسفل مكان فيها ، وأحط درجاتها ، ولن تجد لهم نصيراً يدفع عنهم العذاب .

146- إلا الذين يتوبون منهم ويعودون إلى الله - تعالى - ويعتصمون به - وحده - ويخلصون ويسلمون وجوههم له ، ويعملون الصالحات فإنهم بهذا يكونون من المؤمنين ولهم جزاء المؤمنين ، وقد أعد الله - تعالى - جزاءً عظيماً للمؤمنين فى الدنيا والآخرة .

147- وإن الله - تعالى - لا مطلب له منكم إلا الإيمان به ، وشكر نعمته ، وإذا كنتم كذلك فلا عذاب لكم ، ولكن جزاء على الخير والشكر ، وإن الله - تعالى - شاكر يشكر لعباده عمل الخير ، وعليم يعلم كل حالهم من خير وشر .

148- ينهى الله عباده عن قول السوء . إلا من وقع عليه ظلم ، فيباح له أن

يشكو ظالمه ، ويذكر ما فيه من سوء ، والله - سبحانه - سميع لكلام المظلوم ، عليم بظلم الظالم ، ويجازيه على عمله .

(1/161)

إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَهُ عَفْوًا قَدِيرًا (149) إِنَّ  
الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ  
بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ  
الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ  
وَلَمْ يُقَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًّا رَحِيمًا (152)

149- إن تُظهروا خيراً أو تُسروه ، أو تصفحوا عن سيئ إليكم ، يشكم الله لتخلقكم بأخلاقه - تعالى - من العفو مع كمال القدرة ، والله - سبحانه - عظيم العفو كامل القدرة .

150- إن الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ، والذين يريدون التفرقة فى الإيمان بالله ورسوله ويقولون : نؤمن ببعض الرسل دون بعض ، فيؤمنون بمن يحبون ، ويكفرون بمن لا يحبون ، والواجب الإيمان بالجميع ، لأن الإيمان لا يقبل أن يتجزأ .

151- هؤلاء جميعاً هم الممعنون فى الكفر البين ، وقد أعد الله لهم ولأمثالهم عذاباً شديداً مذلاً .

152- وأما من آمنوا بالله ورسوله ، ولم يُكذِّبوا بأحد منهم ، فإن الله يشيهم على كامل إيمانهم الثواب العظيم ، والله غفور للتائبين ، رحيم بعباده .

(1/162)

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (153) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَالِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (154) فِيمَا تَفَضُّهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَكَفَرَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156)

153- يسألك - أيها الرسول - أهل الكتاب من اليهود متعنتين ، أن تقيم دليلاً على صدق نبوتك ، فتأتيهم بكتاب خاص ، ينزل عليهم من السماء بصدق رسالتك ، ويدعوهم إلى الإيمان بك وطاعتك ، فإن استكثرت ما سألوا فلا تعجل ، فقد تعنت أسلافهم فسألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله عياناً فعاقبهم على تعنتهم وظلمهم بصاعقة أهلكتهم ثم اذكر لهؤلاء جرماً أشد وأفظع ، وهو أنهم اتخذوا العجل إلهاً لهم من دون خالقهم ، بعد ما عاينوا الأدلة التى أظهرها موسى لفرعون وقومه ثم وسعهم عفو الله بعد إنابتهم إليه ، وأيد

- الله موسى بالحجة الواضحة والكلمة النافذة .
- 154- ورفع الله الجبل فوق بنى إسرائيل ، تهديداً لهم لامتناعهم عن قبول شريعة التوراة ، حتى قبلوا ، وأخذ عليهم الميثاق ، وأمرهم أن يدخلوا القرية خاضعين لله ، وألا يتجاوزوا ما أمرهم بالتزامه من العبادة فى يوم السبت ، ولا يعتدوا فيه ، وقد أخذ عليهم فى كل ذلك عهداً مؤكداً .
- 155- فغضب الله عليهم ، بسبب نقضهم هذا الميثاق ، وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء ظالمين - ولا يكون ذلك إلا ظلماً - ، وإصرارهم على الضلال بقولهم : قلوبنا محجوبة عن قبول ما نُدعى إليه ، وليسوا صادقين فى قولهم ، بل طمس الله على قلوبهم بسبب كفرهم ، فلا يؤمن منهم إلا قلة من الناس .
- 156- وغضب الله عليهم بسبب كفرهم واقترائهم على مريم افتراء كبيراً .

(1/163)

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) فَيُظَلَّمَنَّ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَزَّ مَاتًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161) لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162)

- 157- وغضب الله عليهم بسبب قولهم مستخفين : إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، والحق المستيقن أنهم ما قتلوه ، كما زعموا وما صلبوه كما ادعوا . . ولكن شُبِّهَ لهم ، فظنوا أنهم قتلوه وصلبوه ، وإنما قتلوا وصلبوا من يشبهه ، وقد اختلفوا من بعد ذلك فى أن المقتول عيسى أم غيره ، وأنهم جميعاً لفى شك من أمره . . والواقع أنهم يقولون ما لا علم لهم به إلا عن طريق الظن ، وما قتلوا عيسى قطعاً .
- 158- بل رفع الله عيسى إليه وأنقذه من أعدائه ، ولم يصلبوه ، ولم يقتلوه والله غالب لا يقهر ، حكيم فى أفعاله .
- 159- وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليدرك حقيقة عيسى قبل موته وأنه عبد الله ورسوله ، ويؤمن به إيماناً لا ينفعه لفوات أوانه ، ويوم القيامة يشهد عليهم عيسى بأنه بلَغَ رسالة ربه وأنه عبد الله ورسوله .
- 160- فبسبب ما وقع من اليهود من ظلم ، عاقبهم الله ، فَحَرَّمَ عليهم ألواناً من الطيبات كانت حلالاً لهم ، وكان من هذا الظلم مَنْعُهُمْ كثيراً من الناس من الدخول فى دين الله .
- 161- وبسبب تعاملهم بالربا - وقد حَرَّمَهُ الله عليهم - وأخذهم أموال الناس بغير حق ، كان عقاب الدين بتحريم بعض الطيبات عليهم . وقد أعدَّ الله لمن كفر عذاباً مؤلماً .
- 162- لكن المتثبتون فى العلم من اليهود والمؤمنون من أمتك - أيها النبى -



يصدقون بما أوحى إليك وما أوحى إلى الرسل من قبلك . والذين يؤدون الصلاة  
حق الأداء ، ويعطون الزكاة ، ويصدقون بالله وبالبعث والحساب ، أولئك  
سيجزئهم الله على إيمانهم وطاعتهم أحسن الجزاء .

(1/164)

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ  
وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ دَاوُودَ زُيُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا  
لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا  
يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا (165) لَكِن  
اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)  
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167) إِنَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168)

163- إنا أوحينا إليك - أيها النبي - القرآن والشريعة ، كما أوحينا من قبلك إلى  
نوح وإلى النبيين من بعده ، وكما أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق  
يعقوب والأسباط ، وهم أنبياء الله من ذرية يعقوب ، وإلى عيسى وأيوب  
ويونس وهارون وسليمان ، وكما أوحينا إلى داود فأنزلنا عليه كتاب الزبور .  
164- وكذلك أرسلنا رسلاً كثيرين ذكرنا لك أنباءهم من قبل ، ورسلاً آخرين  
لم نذكر قصصهم ، وكانت طريقة الوحي إلى موسى أن كلمه الله تكليماً من  
وراء حجاب بلا واسطة .  
165- بعثنا هؤلاء الرسل جميعاً ، مبشرين من آمن بالثواب ، ومنذرين من كفر  
بالعقاب ، حتى لا يكون للناس على الله حجة يتعللون بها بعد إرسال الرسل ،  
والله قادر على كل شيء ، غالب لا سلطان لأحد معه ، حكيم في أفعاله .  
166- لكن إذا لم يشهدوا بصدقك ، فالله يشهد بصحة ما أنزل إليك ، لقد أنزله  
إليك مُحْكَمًا بمقتضى علمه ، والملائكة يشهدون بذلك ، وتغنيك - أيها الرسول -  
شهادة الله عن كل شهادة .  
167- إن الذين كفروا فلم يصدقوك ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله ،  
قد بعدوا عن الحق بُعداً شديداً .  
168- إن الذين كفروا وظلموا أنفسهم بالكفر . وظلموا الرسول بجحد رسالته  
، وظلموا الناس ، إذ كتموهم الحق ، لن يغفر الله لهم ما داموا على كفرهم ،  
ولن يهديهم طريق النجاة ، وما كان من شأنه - سبحانه - أن يغفر لأمثالهم وهم  
في ضلالهم .

(1/165)

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169) يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ  
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (170) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا  
فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولٌ

اللَّهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا  
 خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا  
 فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا  
 الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا  
 (172)

169- ولكن يسلك بهم طريق النار . مُخَلَّدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، وأمر ذلك يسير على  
 الله .

170- يا أيها الناس قد جاءكم الرسول محمد بالدين الحق من عند ربكم ،  
 فَصَدَّقُوا بما جاء به يكن خيراً لكم ، وإن أبيتم إلا الكفر فالله غنى عن إيمانكم ،  
 مالك لكم ، فله ما فى السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً ، وهو العليم  
 بخلقه ، الحكيم فى صنعه ، لا يضع أجر المحسن ، ولا يهمل جزاء المسيئ .

171- يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحق مغالين فى دينكم ، ولا تفتروا على الله  
 الكذب ، فتنكروا رسالة عيسى ، أو تجعلوه إلهاً مع الله ، فإنما المسيح رسول  
 كسائر الرسل ، خلقه الله بقدرته وكلمته التى بُشِّرَ بها ، ونفخ روحه جبريل فى  
 مريم ، فهو سِرٌّ من أسرار قدرته ، فأمنوا بالله ورسوله جميعاً إيماناً صحيحاً ولا  
 تدَّعوا أن الآلهة ثلاثة ، انصرفوا عن هذا الباطل يكن خيراً لكم ، فإنما الله واحد  
 لا شريك له ، وهو منزّه عن أن يكون له ولد ، وكل ما فى السموات والأرض  
 ملك له ، وكفى به - وحده - مدبراً لملكه .

172- لن يترفع المسيح عن أن يكون عبداً لله ، ولن يترفع عن ذلك الملائكة  
 المقربون ، ومن يتكبر ويترفع عن عبادة الله فلن يفلت من عقابه يوم يجمع  
 الله الناس للحساب .

(1/166)

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا  
 الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا  
 وَلَا نَصِيرًا (173) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا  
 مُبِينًا (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ  
 وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا (175) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي  
 الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ  
 يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الشُّلُبَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً  
 فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (176)

173- فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم ثواب أعمالهم ويزيدهم من  
 فضله ، إكراماً وإنعاماً ، وأما الذين أنفوا أن يعبدوه ، وترفعوا أن يشكروه فقد  
 أعد لهم عذاباً شديداً بالإلزام ، لن يدفعه عنهم معين ولن يمنعهم منه نصير .

174- يا أيها الناس ، قد جاءكم الدلائل الواضحة على صدق الرسول محمد ،  
 وأنزلنا إليكم على لسانه قرآناً بيناً كالنور ، يضىء الطريق ويهديكم إلى النجاة .

175- فأما الذين صدقوا بالله ورسالاته ، وتمسكوا بدينه ، فسيدخلهم فى  
 الآخرة جناته ، ويغمرهم بفيض رحمته ، ويشملهم بواسع فضله وسيوفقهم فى  
 الدنيا إلى الثبات على صراطه المستقيم .

176- يسألونك - أيها النبي - عن ميراث من مات ولا ولد له ولا والد ، فحكم الله فيه هو : أنه إذا كان للمُتَوَفَّى أخت ، فلها نصف تركته ، وأيضاً إذا كان للمتوفاة التي لا زوج لها ولا ولد أخ فله تركتها ، وإن كان للمُورِثِ أختان فلهما ثلثا تركته وإن كانوا إخوة من ذكور وإناث فنصيب الذكر مثل نصيب الأنثيين .  
يبين الله لكم هذا البيان حتى لا تضلوا فى تقسيم الأنصاء ، والله عالم علماً كاملاً بكل شئ من أعمالكم ، ومجازيكم عليها .

(1/167)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحْلَيْتُ لَكُمْ بِهِمُ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُبْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجْلَى الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي مَا يُرِيدُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ يَتَّعِدُوا وَيَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

1- يا أيها المؤمنون : التزموا الوفاء بجميع العهود التي بينكم وبين الله ، والعهود المشروعة التي بينكم وبين الناس . وقد أحل الله لكم أكل لحوم الأنعام من الإبل والبقر والغنم ، إلا ما ينص لكم على تحريمه . ولا يجوز لكم صيد البر إذا كنتم مُحْرَمِينَ ، أو كنتم فى أرض الحرم . إن الله يقضى بحكمته ما يريد من أحكام ، وأن هذا من عهود الله عليكم .  
2- يا أيها المؤمنون لا تستبيحوا حرمة شعائر الله ، كمناسك الحج وقت الإحرام قبل التحلل منه وسائر أحكام الشريعة ، ولا تنتهكوا حرمة الأشهر الحرم بإثارة الحرب فيها ، ولا تعترضوا لما يُهْدَى من الأنعام إلى بيت الله الحرام باغتصابه أو منع بلوغه محله ، ولا تنزعوا القلائد ، وهى العلامات التي توضع فى الأعناق ، إشعاراً بقصد البيت الحرام ، وأنها ستكون ذبيحة فى الحج ، ولا تعترضوا لِقُصَادِ بيت الله الحرام يبتغون فضل الله ورضاه ، وإذا تحللتُم من الإحرام ، وخرجتم من أرض الحرم ، فلكم أن تصطادوا ، ولا يحملنكم بغضكم الشديد لقوم صدوكم عن المسجد الحرام على الاعتداء عليهم . وليتعاون بعضكم مع بعض - أيها المؤمنون - على فعل الخير وجميع الطاعات ، ولا تتعاونوا على المعاصى ومجاوزة حدود الله ، واخشوا عقاب الله وبطشه ، إن الله شديد العقاب لمن خالفه .

(1/168)

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَيْزُرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْحَنِفَةُ وَالْمَوْفُودَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيجَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)

3- حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَكْلَ لَحْمِ الْمَيْتَةِ - وَهِيَ كُلُّ مَا فَارَقَتْهُ الرُّوحُ مِنْ غَيْرِ ذَبْحٍ شَرْعِيٍّ - ، وَأَكْلَ الدِّمِّ السَّائِلِ ، وَلَحْمِ الْخَنْزِيرِ ، وَمَا ذَكَرَ اسْمَ غَيْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ ، وَمَا مَاتَ خَنْقًا ، أَوْ الَّتِي ضَرَبْتَ حَتَّى مَاتَتْ ، وَمَا سَقَطَ مِنْ عُلُوِّ فَمَاتَ ، وَمَا مَاتَ بِسَبَبِ نَطْحٍ غَيْرِهِ لَهُ ، وَمَا مَاتَ بِسَبَبِ أَكْلِ حَيَوَانَ مَفْتَرَسٍ مِنْهُ . وَأَمَّا مَا أُدْرِكْتُمُوهُ وَفِيهِ حَيَاةٌ مِمَّا يَحِلُّ لَكُمْ أَكْلُهُ وَذَبَحْتُمُوهُ فَهُوَ حَلَالٌ لَكُمْ بِالذَّبْحِ . وَحَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ مَا ذَبِحَ قَرِيبَةً لِلْأَصْنَامِ ، وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَطْلُبُوا مَعْرِفَةَ مَا كَتَبَ فِي الْغَيْبِ بِوَسْطَةِ الْقِرْعَةِ بِالْأَقْدَاحِ . وَتَنَاوَلُوا شَيْئًا مِمَّا سَبَقَ تَحْرِيمُهُ ذَنْبٌ عَظِيمٌ وَخُرُوجٌ عَنِ طَاعَةِ اللهِ . وَمَنْ الْآنَ انْقَطَعَ رَجَاءُ الْكُفَّارِ فِي الْقَضَاءِ عَلَى دِينِكُمْ ، فَلَا تَخَافُوا أَنْ يَتَغَلَّبُوا عَلَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا مَخَالَفَةَ أَوْامِرِي . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ أَحْكَامَ دِينِكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي بِإِعْزَازِكُمْ وَتَثْبِيتِ أَقْدَامِكُمْ ، وَاخْتَرْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا . فَمَنْ أَلْجَأَتْهُ ضَرُورَةٌ جُوعٌ إِلَى تَنَاوُلِ شَيْءٍ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ السَّابِقَةِ فَعَلْ لِدَفْعِ الْهَلَاكِ عَنْ نَفْسِهِ غَيْرَ مُنْحَرِفٍ إِلَى الْمَعْصِيَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِلْمُضْطَرِّ مَا أَكَلَ ، دَفْعًا لِلْهَلَاكِ ، وَهُوَ رَحِيمٌ بِهِ فِيمَا أَبَاحَ لَهُ .

(1/169)

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (4)

4- يسألك المؤمنون - أيها الرسول - ماذا أحل الله لهم من طعام وغيره فقل لهم : أحل الله لكم كل طيب تستطيه النفوس السليمة ، وأحل لكم ما تصطاده الجوارح التي علمتموها الصيد بالتدريب ، مستمدين ذلك مما علمكم الله . فكلوا من صيدها الذي أرسلتموها إليه وأمسكته عليكم ، واذكروا اسم الله عند إرسالها ، واتقوا الله بالترام ما شرع لكم ، ولا تتجاوزوه ، واحذروا مخالفة الله فيه ، فإنه سريع الحساب .

(1/170)

الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الذِّبَنِ أَوْثُوا الْكِتَابَ جُلُّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ جُلُّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَيِّفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5)

5- اليوم - منذ نزول هذه الآية - أحل الله لك كل طيب تستطيه النفوس السليمة ، وأحل لكم طعام أهل الكتاب ، وذبائحهم ، مما لم يرد نص بتحريمه ، كما أحل لهم طعامكم ، وأحل لكم زواج الحرائر والعفائف من المؤمنات ومن أهل الكتاب ، إذا أديتم لهن مهورهن قاصدين الزواج ، غير مستبيحين العلاقات غير الشرعية علانية ، أو بطريق اتخاذ الخلائل . ومن يجحد الدين فقد ضاع ثواب عمله الذي كان يظن أنه قربي ، وهو في الآخرة من الهالكين .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ  
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ  
مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا  
مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ  
عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)  
وَلِذِكْرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا  
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)

6- في أيها المؤمنون ، إذا أردتم القيام إلى الصلاة ولم تكونوا متوضئين ، فتوضأوا بغسل وجوهكم وأيديكم مع المرافق ، وامسحوا برؤوسكم - كلها أو بعضها - واغسلوا أرجلكم مع الكعبين . وإن كنتم جنباً عند القيام إلى الصلاة بسبب ملامسة أزواجكم ، فاغسلوا جميع أبدانكم بالماء ، وأن كنتم مرضى مرضاً يمنع من استعمال الماء ، أو كنتم مسافرين يتعسر عليكم وجود الماء ، أو عند رجوعكم من مكان قضاء الحاجة ، أو لامستم النساء ولم تجدوا ماء ، فعليكم بالتيمم بالتراب الطهور ، بمسح وجوهكم وأيديكم به . ما يريد الله فيما أمركم به أن يضيق عليكم ، ولكنه شرع ذلك لتطهيركم ظاهراً وباطناً وليتم نعمه عليكم بالهداية والبيان والتيسير ، لتشكروا الله على هدايته وتمام نعمته بالمدائمة على طاعته .

7- واذكروا - أيها المؤمنون - نعمة الله عليكم ، بهدايتكم إلى الإسلام ، وحافظوا على تنفيذ هذه العهد الذي عاهدكم عليه حين بايعتم رسوله - محمداً - على السمع والطاعة ، واتقوا الله بالمحافظة على هذه العهود ، فإنه سبحانه عليم بخفيات قلوبكم ، فمجازيكم عليها .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ  
عَلَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)  
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9) وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (10) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ  
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11)

8- يا أيها المؤمنون ، حافظوا محافظة تامة على أداء حقوق الله ، وأدوا الشهادة بين الناس على وجهها الحق ، ولا يحملنكم بغضكم الشديد لقوم على أن تجانبوا العدل معهم ، بل التزموا العدل ، فهو أقرب سبيل إلى خشية الله والبعد عن غضبه ، واخشوا الله في كل أموركم ، فإنه - سبحانه - عليم بكل ما تفعلون ، ومجازيكم عليه .

9- تفضل الله فوعده الذين صدقوا بدينه ، وعملوا الأعمال الصالحة أن يعفو عن ذنوبهم ، ويجزل لهم الثواب .

- 10- والذين جحدوا دينه ، وكذبوا بآياته الدالة على وحدانيته ، وصدق رسالته ، فأولئك هم أهل جهنم المخلدون فيها .
- 11- يا أيها المؤمنون ، تذكروا نعمة الله عليكم فى وقت الشدة ، حين همم قوم - جماعة من المشركين - أن يفتكوا بكم ، وبرسولكم ، فمنع أذاهم عنكم ، ونجاكم منهم . والزموا تقوى الله ، واعتمدوا عليه وحده فى أموركم ، فهو كافيكم ، وشأن المؤمن أن يكون اعتماده على الله وحده دائماً .

(1/173)

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12) قَبِمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)

- 12- إن الله أخذ العهد على بنى إسرائيل بالسمع والطاعة ، فأقام عليهم اثني عشر رئيساً منهم لتنفيذ العهد ، ووعدهم الله وعداً مؤكداً بأن يكون معهم بالعون والنصر إن أدوا الصلاة على وجهها ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم ، وصدقوا برسله جميعاً ، ونصروهم ، وأنفقوا فى سبيل الخير ، وإذا ما فعلوا ذلك ، تجاوز الله عن ذنوبهم ، وأدخلهم جناته التى تجرى من تحتها الأنهار ، فمن كفر ونقض العهد منهم بعد ذلك ، فقد حاد عن الطريق السوى المستقيم .

- 13- فبسبب نقض بنى إسرائيل عهودهم ، استحقوا الطرد من رحمة الله ، وصارت قلوبهم صلبة لا تلين لقبول الحق ، وأخذوا يصرفون كلام الله فى التوراة عن معناه ، إلى ما يوافق أهواءهم ، وتركوا نصيباً وافياً مما أمروا به فى التوراة ، وستظل أيها الرسول ترى منهم ألواناً من الغدر ونقض العهد ، إلا نفرأ قليلاً منهم آمنوا بك فلم يخونوا ولم يغدروا . فتجاوز أيها الرسول عما فرط من هؤلاء ، واصفح وأحسن إليهم ، إن الله يحب المحسنين .
- 14- وكذلك أخذ الله العهد على النصارى - الذين قالوا : إنا نصارى - بالإيمان بالإنجيل وبالوحدانية ، فتركوا نصيباً وافراً مما أمروا به فى الإنجيل ، فعاقبهم الله على ذلك بإثارة العداوة والخصومة بينهم ، فصاروا فرقة متعادية إلى يوم القيامة ، وسوف يخبرهم الله يومئذ بما كانوا يعملون ويجازيهم عليه .

(1/174)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)

15- يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا - محمد - داعياً إلى الحق ، يظهر لكم كثيراً مما كنتم تكتُمونه من التوراة والإنجيل ، وبدع كثيراً مما أخفيتموه مما لم تدع الحاجة إلى إظهاره ، قد جاءكم من عند الله شريعة كاملة هي نور في ذاتها ، وبيئها كتاب واضح .

16- يهدى الله بهذا الكتاب إلى سبيل النجاة من اتجه إلى مرضاته ، ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بتوفيقه ، ويرشدهم إلى طريق الحق .  
17- لقد كفر الذين زعموا - باطلا - أن الله هو المسيح ابن مريم ، فقل -أيها الرسول - لهؤلاء المجترئين على مقام الألوهية : لا يستطيع أحد أن يمنع مشيئة الله إن أراد أن يهلك عيسى وأمه ، ويهلك جميع من في الأرض فإن لله - وحده - ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء على أي مثال أراد ، والله عظيم القدرة لا يعجزه شيء .

18- وقالت اليهود والنصارى : إنا المفضلون ، لأننا أبناء الله والمحبوبون لديه فقل لهم - أيها الرسول - : فلماذا يعذبكم بذنوبكم ، ويصليكم نار جهنم ؟ لقد كذبتم لأنكم كسائر البشر مخلوقون ومحاسبون على أعمالكم ، ويبد الله - وحده - المغفرة لمن يشاء أن يغفر له ، والعذاب لمن يشاء أن يعذبه ، لأن لله ملك السموات والأرض وما بينهما ، وإليه المنتهى .

(1/175)

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (19) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ رَبَّهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَآتِكُمْ عَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23)

19- يا أهل الكتاب قد جاءكم رسالة رسولنا الذي يظهر لكم الحق ، بعد إذ توقفت الرسائل فترة من الزمن ، حتى لا تعتذروا عن كفركم بأن الله لم يعث إليكم مبشراً ولا منذراً ، ها هو ذا قد أتاكم بشيراً ونذيراً ، والله هو القادر على كل أمر - ومنه : إنزال الرسائل - ومحاسبكم على ما كان منكم .  
20- واذكر - أيها الرسول - حينما قال موسى لقومه : يا قوم اذكروا بالشكر

والطاعة نعم الله عليكم ، حيث اختار منكم أنبياء كثيرين ، وجعلكم أعزة كالمملوك ، بعد أن كنتم أذلاء فى مملكة فرعون ، ومنحكم من النعم الأخرى ما لم يؤت أحداً غيركم من العالمين .

21- يا قوم أطيعوا أمر الله ، فادخلوا الأرض المقدسة التى قدّر الله عليكم دخولها ، ولا تتراجعوا أمام أهلها الجبارين ، فتعودوا خاسرين نصر الله ورضوانه .

22- قال بنو إسرائيل مخالفين أمر الله : يا موسى ، إن فى هذه الأرض جبابرة لا طاقة لنا بهم ، فلن ندخلها ما داموا فيها ، فإذا ما خرجوا منها دخلناها .

23- قال رجلان من نقبائهم الذين يخشون الله ، وأنعم الله عليهما بالإيمان والطاعة : ادخلوا - أيها القوم - على الجبارين باب المدينة مفاجئين ، فإذا فعلتم ذلك فإنكم منتصرون عليهم ، وتوكلوا على الله - وحده - فى كل أموركم إن كنتم صادقى الإيمان .

(1/176)

---

قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْمَاسِيْقِينَ (25) قَالَ فَاتَّبَعَهَا مُحَرَّمَةً عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26) وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ تِبْيَانَ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28)

24- فأصروا على المخالفة ، وقالوا : يا موسى ، إنا معتمرون ألا ندخل هذه الأرض أبداً ، ما دام فيها الجبارون ، فدعنا نحن ، فليس لك علينا من سلطان ، واذهب أنت وربك فقاتلا الجبارين ، فإننا فى هذا المكان مقيمون .

25- حين ذلك فزع موسى إلى ربه قائلاً : رب لا سلطان لى إلا على نفسى وأخى ، فاقض بعدلك بيننا وبين هؤلاء المعاندين .

26- فاستجاب الله لموسى ، وحرم على أولئك المخالفين دخول هذه الأرض طيلة أربعين عاماً ، يضلون فى الصحراء لا يهتدون إلى جهة . قال الله لموسى يواسيه : لا تحزن على ما أصابهم ، فإنهم فاسقون خارجون عن أمر الله .

27- وإن حب الاعتداء فى طبيعة بعض الناس ، فاقراً - أيها النبى - على اليهود - وأنت صادق - خبر هابيل وقايل ابنى آدم ، حين تقرب كل منهما إلى الله بشئ ، فتقبل الله قربان أحدهما لإخلاصه ، ولم يتقبل من الآخر لعدم إخلاصه ، فحسد أخاه وتوعده بالقتل حقداً عليه ، فرد عليه أخوه مبيناً له أن الله لا يتقبل العمل إلا من الاتقياء المخلصين فى تقربهم .

28- وقال له : لئن أغواك الشيطان فمددت يدك نحوى لتقتلنى ، فلن أعاملك بالمثل ، ولن أمد يدي إليك لأقتلك ، لأنى أخاف عذاب ربي ، وهو الله رب العالمين .

(1/177)

---



إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ (30) قَبَعَتِ اللّهُ عُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا العُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلْنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعُدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْسِرُونَ (32)

29- إني لن أقومك حين تقتلني ، لتحمل ذنب قتلك لي ، مع ذنبك في عدم إخلاصك لله من قبل ، وبذلك تستحق أن تكون في الآخرة من أهل النار ، وذلك جزاء عادل من الله لكل ظالم .

30- فسَهَّلت له نفسه أن يخالف الفطرة ، وأن يقتل أخاه ، وقتله ، فصار في حكم الله من الخاسرين ، إذ خسر إيمانه وخسر أخاه .  
31- بعد قتله أصابته حسرة وحيرة ، ولم يدرها يصنع بحثه ، فأرسل الله غراباً ينش تراب الأرض ليدفن غراباً ميتاً ، حتى يُعَلِّم ذلك القاتل كيف يسترجته أخيه ، فقال القاتل مُحَسَّباً بوبال ما ارتكب ، متحسراً على جريمته : أعجزت عن أن أكون مثل هذا الغراب فأستر جثة أخي؟! فصار من النادمين على جرمه ومخالفته دواعي الفطرة .

32- بسبب ذلك الطغيان وحب الاعتداء في بعض النفوس أوجبا قتل المعتدي ، لأنه من قتل نفساً بغير ما يوجب القصاص ، أو بغير فساد منها في الأرض ، فكانه قتل الناس جميعاً ، لأنه هنك حرمة دمائهم ، وجرأ عليها غيره ، وقتل النفس الواحدة كقتل الجميع في استجلاب غضب الله وعذابه ، ومن أحياها بالقصاص لها ، فكانما أحيا الناس كلهم ، لصيانتهم دماء البشر ، فيستحق عليهم عظيم الثواب من ربه . ولقد أرسلنا إليهم رسلنا مؤكداين حكمنا لهم بالأدلة والبراهين ، ثم إن كثيراً من بني إسرائيل بعد ذلك البيان المؤكد أسرفوا في إفسادهم في الأرض .

(1/178)

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (34) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35)

33- إنما عقاب الذين يحاربون الله ورسوله ، بخروجهم على نظام الحكم وأحكام الشرع ، ويفسدون في الأرض بقطع الطريق أو انتهاب الأموال : أن يُقَتَّلُوا بمن قتلوا ، وأن يُصَلَّبُوا إذا قتلوا وغصبوا المال ، وأن تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وأرجلهم من خلاف إذا قطعوا الطريق وغصبوا المال ولم يقتلوا ، وأن يُنْفَوْا من بلد إلى بلد ، وأن يُحْبَسُوا إذا أخافوا فقط . ذلك العقاب ذل لهم وإهانة في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار .

34- إلا الذين تابوا من هؤلاء المحاربين للنظام وقطاع الطريق من قبل أن

تقدروا عليهم وتتمكنوا منهم ، فإن عقوبة الله المذكورة تسقط عنهم وتبقى عليهم حقوق العباد ، واعلموا أن الله واسع المغفرة والرحمة .  
35- يا أيها الذين آمنوا ، خافوا الله باجتنا نواهيه وإطاعة أوامره ، واطلبوا ما يقربكم إلى ثوابه ، من فعل الطاعات والخيرات ، واجهدوا في سبيله بإعلاء دينه ومحاربة أعدائه ، لعلكم تفوزون بكرامته وثوابه .

(1/179)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36) يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (37) وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ قَاطِعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (39) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40)

36- إن الذين كفروا لو كان عندهم ما فى الأرض جميعاً من صنوف الأموال وغيرها من مظاهر الحياة ، وكان لهم مثل ما فى الأرض فوق ما فيها ، وأرادوا أن يجعلوه فدية لأنفسهم من عذاب الله . يوم القيامة على كفرهم ما نفعهم الافتداء بهذا كله ، ولا قبل الله منهم ذلك ، فلا سبيل إلى خلاصهم من العقاب ، ولهم عذاب مؤلم شديد .  
37- يتمنى هؤلاء الكافرون أن يخرجوا من النار ، وهم لن يخرجوا منها ، ولهم عذاب دائم مستمر .  
38- والذى يسرق ، والذى تسرق ، اقطعوا أيديهما جزاء بما ارتكبا ، عقوبة لهما ، وزجراً وردعاً لغيرهما . وذلك الحكم لهما من الله ، والله غالب على أمره ، حكيم فى تشريعه ، يضع لكل جريمة ما تستحق من عقاب رادع مانع من شيوعها .  
39- فمن تاب من بعد اعتدائه وأصلح عمله واستقام ، فإن الله يتقبل توبته ، إن الله واسع المغفرة والرحمة .  
40- اعلم - أيها المكلف - علماً يقينياً أن الله - وحده - له كل ما فى السموات والأرض ، يعذب من يشاء تعذيبه بحكمته وقدرته ، ويغفر لمن يشاء أن يغفر له بحكمته ورحمته ، والله على كل شئ قدير .

(1/180)

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَيِّرُ عُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِينُمْ هَذَا فَخَدُّوهُ وَإِنْ لَمْ يُتَوَّهْ فَاخْذِرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَالُونَ لِلْحَسَنِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ

أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ  
بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42) وَكَيْفَ يُحْكُمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا  
حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43)

- 41- يا أيها الرسول لا يحزنك صنع الكافرين الذين ينتقلون فى مراتب الكفر من أدناها إلى أعلاها ، مسارعين فيها ، من هؤلاء المخادعين الذين قالوا : أمانا بالسنتهم ولم تدعن للحق قلوبهم ، ومن اليهود الذين يكثرون الاستماع إلى مفتريات أبحارهم ويستجيبون لها ، ويكثرون الاستماع والاستجابة لطائفة منهم ولم يحضروا مجلسك تكبرا وبغضا ، وهؤلاء يبدلون وبحرفون ما جاء فى التوراة من بعد أن أقامه الله وأحكمه فى مواضعه ، ويقولون لأتباعهم : إن أوتيتم هذا الكلام المحرّف المبدّل فاقبلوه وأطيعوه ، وإن لم يأتكم فاحذروا أن تقبلوا غيره ، فلا تحزن ، فمن يرد الله ضلاله لانغلاق قلبه فلن تستطيع أن تهديه أو أن تنفعه بشئ لم يرد الله له ، وأولئك هم الذين أسرفوا فى الضلال والعناد لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من دنس الحقد والعناد والكفر ، ولهم فى الدنيا ذل بالفضيحة والهزيمة ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد عظيم .
- 42- هم كثيرو الاستماع للافتراء ، كثيرو الأكل للمال الحرام الذى لا بركة فيه ، كالرشوة والربا وغيرهما ، فإن جاءوك لتحكم بينهم فاحكم بينهم إذا رأيت المصلحة فى ذلك ، أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك بأى قدر من الضرر ، لأن الله عاصمك من الناس ، وإن حكمت بينهم فاحكم بالعدل الذى أمر الله به ، إن الله يحب العادلين فيحفظهم ويشيهم .
- 43- عجباً لهم! كيف يطلبون حكمك ، مع أن حكم الله منصوص عليه عندهم فى التوراة؟! والعجب من أمرهم أنهم يعرضون عن حكمك إذا لم يوافق هواهم ، مع أنه الموافق لما فى كتابهم ، وهؤلاء ليسوا من المؤمنين الذين يذعنون للحق .

(1/181)

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا  
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا  
النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَسْتَرُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَلِيلًا مِمَّنْ لَمْ يَحْكُمُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ  
هُمُ الْكَافِرُونَ (44) وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ  
بِالْأَنْفِ وَالْأذْنَ بِالْأذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ  
لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45) وَقَعَبْنَا عَلَى آثَارِهِمْ  
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ  
وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (46) وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ  
الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِيُونَ )  
(47)

- 44- إنا أنزلنا التوراة على موسى فيها هداية إلى الحق ، وبيان منير للأحكام التى يحكم بها النبيون ، والذين أخلصوا نفوسهم لربهم ، والعلماء السالكون طريقة الأنبياء والذين عهد إليهم أن يحفظوا كتابهم من التبديل ، حرساً عليه ، شاهدين بأنه الحق . فلا تخافوا الناس فى أحكامكم ، وخافونى أنا ربكم رب

العالمين ، ولا تستبدلوا بآياتي التي أنزلتها ثمناً قليلاً من متاع الدنيا ، كالرشوة والجاه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله من شرائع مستهينين بها ، فهم من الكافرين .

45- وفرضنا على اليهود فى التوراة شرعة القصاص ، لنحفظ بها حياة الناس فحكمتنا بأن تؤخذ النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح يقتص فيها إذا أمكن . فمن عفا وتصدق بحقه فى القصاص على الجانى ، كان هذا التصديق كفارة له ، يمحو الله بها قدراً من ذنوبه . ومن لم يحكم بما أنزل الله من القصاص وغيره ، فأولئك هم الظالمون .

46- وأرسلنا من بعد هؤلاء النبيين عيسى ابن مريم ، متبعاً طريقهم ، مصدقاً لما سبقه من التوراة ، وأنزلنا عليه الإنجيل فيه هداية إلى الحق ، وبيان للأحكام ، وأنزلناه مصدقاً لما سبقه وهى التوراة ، وفيها هداية إلى الحق وموعظة للمتقين .

47- وأمرنا أتباع عيسى وأصحاب الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه من أحكام ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الخارجون المتمردون على شريعة الله .

(1/182)

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48) وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَإِذْرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49)

48- وأنزلنا إليك - أيها النبي - الكتاب الكامل ، وهو القرآن ، ملازماً الحق فى كل أحكامه وأنيائه ، موافقاً ومصدقاً لما سبقه من كتبنا ، وشاهداً عليها بالصحة ، ورقبياً عليها بسبب حفظه من التغيير . فاحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليك بما أنزل الله عليك ، ولا تتبع فى حكمك شهواتهم ورغباتهم ، فتتحرف عما جاءك منا من حق . لكل أمة منكم - أيها الناس - جعلنا منهاجاً لبيان الحق ، وطريقاً واضحاً فى الدين يمشى عليه ، ولو شاء الله لجعلكم جماعة متفقة ذات مشارب واحدة ، لا تختلف منهاج إرشادها فى جميع العصور ، ولكنه جعلكم هكذا ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع ، ليتبين المطيع والعاصى . فانتهزوا الفرص ، وسارعوا إلى عمل الخيرات ، فإن رجوعكم جميعاً سيكون إلى الله - وحده - فيخبركم بحقيقة ما كنتم تختلفون فيه ، ويجازى كلا منكم بعمله .

49- وأمرناك - أيها الرسول - بأن تحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع رغباتهم فى الحكم ، واحذرهم أن يصرفوك عن بعض ما أنزله الله إليك . فإن أعرضوا عن حكم الله وأرادوا غيره ، فاعلم أن الله إنما يريد أن يصيبهم بفساد أمورهم ، لفساد نفوسهم ، بسبب ذنوبهم التى ارتكبوها من مخالفة أحكامه وشريعته ،

ثم يجازيهم عن كل أعمالهم فى الآخرة ، وإن كثيراً من الناس لمتوردون على أحكام الشريعة .

(1/183)

أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَنْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَّوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِيمِينَ (52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53)

50- أيريد أولئك الخارجون عن أمر الله ونهيه أن يحكموا بأحكام الجاهلية التى لا عدل فيها ، بل الهوى هو الذى يحكم ، بأن جعلوا أساس الحكم الميل والمداهنة؟ وهذه هى طريقة أهل الجاهلية - وهل يوجد أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون بالشرع ويزعنون للحق؟ إنهم هم الذين يدركون حسن أحكام الله

51- يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن تتخذوا اليهود ولا النصارى نصراء توالونهم ، فهم سواء فى معاداتكم . ومن جعل لهم الولاية عليه فإنه من جملتهم ، وإن الله لا يهدى الذين يظلمون أنفسهم بجعل ولايتهم للكافرين . 52- وإذا كانت ولايتهم لا يتبعها إلا الظالمون ، فإنك ترى الذين يوالونهم فى قلوبهم مرض الضعف والنفاق ، إذ يقولون : نخاف أن تصيبنا كارثة عامة فلا يساعدونا ، فعسى الله أن يحقق الفتح لرسوله والنصر للمسلمين على أعدائهم ، أو يظهر نفاق أولئك المنافقين ، فيصبحوا نادمين أسفين على ما كتموه فى نفوسهم من كفر وشك . 53- وحينئذ يقول المؤمنون الصادقون - متعجبين من المنافقين - : أهؤلاء الذين أقسموا وبالغوا فى القسم بالله على أنهم معكم فى الدين ، مؤمنون مثلكم؟ كذبوا وبطلت أعمالهم ، فصاروا خاسرين للإيمان ، ونصرة المؤمنين .

(1/184)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِيُّونَ (56) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) وَإِذَا تَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58)

- 54- يا أيها الذين آمنوا : من يرجع منكم عن الإيمان إلى الكفر - فلن يضروا الله بأى قدر من الضرر! تعالى الله عن ذلك - فسوف يأتي الله بدلهم بقوم خير منهم ، يحبهم الله فيوفقهم للهدى والطاعة ، ويحبون الله فيطيعونه ، وفيهم تواضع ورحمة بإخوانهم المؤمنين ، وفيهم شدة على أعدائهم الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخشون فى الله لومة أى لائم . ذلك فضل الله يمنحه لمن يشاء ممن يوفقهم للخير ، والله كثير الفضل عليم بمن يستحقونه .
- 55- إنما ولايتكم - أيها المؤمنون - لله ورسوله وأنفسكم ، ممن يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، وهم خاضعون لله .
- 56- ومن يتخذ الله ورسوله والمؤمنين أولياءه ونصراءه ، فإنه يكون من حزب الله ، وحزب الله هم المنتصرون الفائزون .
- 57- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا أعداء الإسلام الذين اتخذوا دينكم سخرية ولهوا - وهم اليهود والنصارى والمشركون - نصراء ، ولا تجعلوا ولايتكم لهم ، وخافوا الله إن كنتم صادقين فى إيمانكم .
- 58- ومن استهزأهم بكم : أنكم إذا دعوتهم إلى الصلاة بالأذان استهزأوا بالصلاة ، وتضحكوا عليها ولعبوا فيها ، وذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون ، ولا يدركون الفرق بين الضلال والهدى .

(1/185)

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ قَاسِقُونَ (59) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْ لَا بَيِّنَاتٌ لِّلرَّبَّانِيَّوْنَ وَالْأَخْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63)

- 59- قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب ، هل تنقمون علينا إلا إيماننا بالله وبما أنزل إلينا - وهو القرآن - وبما أنزل من قبل على الأنبياء من الكتب الصحيحة : وإيماننا بأن أكثركم خارجون على شريعة الله؟! .
- 60- قل لهم : ألا أخبركم بأعظم شر فى الجزاء عند الله؟ إنه عملكم أنتم يا من أبعدهم الله من رحمته ، وسخط عليهم بسبب كفرهم وعصيانهم ، وطمس على قلوبهم ، فكانوا كالقردة والخنزير ، وعبدوا الشيطان ، واتبعوا الضلال . أولئك فى أكبر منزلة من الشر ، لأنهم أبعد الناس عن طريق الحق .
- 61- وإذا جاءكم المنافقون كذبوا عليكم بقولهم : آمنا ، وهم قد دخلوا إليكم كافرين كما خرجوا من عندكم كافرين ، والله أعلم بما يكتُمون من النفاق ومعاقبهم عليه .
- 62- وترى كثيراً من هؤلاء يسارعون فى المعاصى والاعتداء على غيرهم ، وفى أكل المال الحرام كالرشوة والربا ولبئس ما يفعلونه من هذه القبائح .
- 63- أما كان ينبغي أن ينهأهم علماءهم وأخبارهم عن قول الكذب وأكل الحرام ، ولبئس ما كانوا يصنعون من ترك النصيحة والنهى عن المعصية .

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ (66) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)

64- وقالت اليهود : يد الله مقبوضة لا تنبسط بالعطاء . قبض الله أيديهم وأبعدهم من رحمته ، فالله غنى كريم ينفق كما يشاء . وإن كثيراً من هؤلاء - لإمعانهم فى الضلال - ليزيدهم ما أنزل إليك من الله ظلماً وكفراً لما فيهم من حقد وحسد ، وأثرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وكلما أشعلوا ناراً لحرب الرسول والمؤمنين أطفاها الله بهزيمتهم وانتصار نبيه وأتباعه ، وأنهم يجتهدون فى نشر الفساد فى الأرض بالكيد والفتن وإثارة الحروب ، والله لا يحب المفسدين .

65- ولو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بالإسلام ونبيه ، واجتنبوا الآثام التى ذكرناها ، لمحونا عنهم سيئاتهم ، وأدخلناهم فى جنات النعيم يتمتعون بها .

66- ولو أنهم حفظوا التوراة والإنجيل كما نزلوا ، وعملوا بما فيهما . وآمنوا بما أنزل إليهم من ربهم ، وهو القرآن ، لو سَّعَ اللهُ عليهم الرزق يأتهم من كل جهة يلتمسونه منها . وهم ليسوا سواء فى الضلال ، ومن هؤلاء جماعة عادلة عاقلة ، وهم الذين آمنوا بمحمد وبالقرآن ، وكثير منهم لبئس ما يعملونه ويقولونه معرضين عن الحق .

67- يا أيها المرسل من الله ، أخبر الناس بكل ما أوحى إليك من ربك . وادعهم إليه ، ولا تخش الأذى من أحد ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالة الله ، لأنك قد كلَّفت تبليغ الجميع ، والله يحفظك من أذى الكفار إذ جرت سننه ألا ينصر الباطل على الحق ، إن الله لا يهدى الكافرين إلى الطريق السوى .

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسِنَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمَلْ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69) لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ

فِئْتَهُ فَعَمُّوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُّوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ  
بِمَا يَعْمَلُونَ (71)

- 68- يا أيها الرسول ، قل لأهل الكتاب : إنكم لا تكونون على أى دين صحيح ، إلا إذا أعلنتم جميع الأحكام التى أنزلت فى التوراة والإنجيل وعملتكم بها ، وأمنتم بالقرآن الموحى به من الله إلى رسوله لهداية الناس ، ولتتيقن - أيها الرسول - أن معظم أهل الكتاب سيزدادون بالقرآن - الموحى به إليك - ظلماً وكفراً وعناداً ، لحسدهم وحقدهم ، فلا تحزن على الذين طبعوا على الجحود .
- 69- إن المصدِّقين بالله ، وأتباع موسى من اليهود ، والخارجين عن الأديان ، وأتباع عيسى من النصارى ، كل أولئك إذا أخلصوا فى الإيمان بالله ، وصدقوا بالبعث والجزاء ، وأتوا بالأعمال الصالحة التى جاء بها الإسلام ، فهم فى مأمن من العذاب وفى سرور بالنعيم يوم القيامة .
- 70- إننا عاهدنا اليهود - من بنى إسرائيل - عهداً مؤكداً فى التوراة على اتباع أحكامها ، وبعثنا إليهم أنبياء كثيرين لبيئونها لهم ، ويؤكدوا عهدنا ، ولكنهم نقضوا العهد ، فكانوا كلما أتاهم رسول بما يخالف أهواءهم ، كذبوا البعض وقتلوا البعض .
- 71- وظن بنو إسرائيل أنه لا تنزل بهم شدائد تبين الثابتين من غير الثابتين ، ولذلك لم يصبروا فى الشدائد ، ضل كثيرون منهم ، وصاروا كالعميان الصم ، وأعرضوا عن الحق ، فسلط الله عليهم من أذاقهم الذل . وبعد حين رجعوا إلى الله تائبين ، فتقبل توبتهم ، وأعاد إليهم عزمهم ، ولكنهم من بعد ذلك ضلوا مرة أخرى ، وصاروا كالعمى الصم ، والله مطلع عليهم ، مشاهد لأعمالهم ، ومجازيهم عليها .

(1/188)

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ  
اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ  
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمَا  
مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََّهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ  
ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ  
انظُرْ كَيْفَ نَبَّيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75)

- 72- وأنه لم يؤمن بالله من يزعم أن الله حل فى عيسى ابن مريم حتى صار إليها ، كما يقول النصارى الآن : مع أن عيسى براء من هذه الدعوى ، فإنه أمر بنى إسرائيل أن يخلصوا الإيمان لله - وحده - قائلاً لهم : إن الله هو خالقى وخالقكم ، ومالك أمرنا جميعاً ، وإن كل من يدعى لله شريكاً فإن جزاءه أن لا يدخل الجنة أبداً ، وأن تكون النار مصيره ، لأنه تعدى حدود الله ، وليس لمن يتعدى حدوده ويظلم ناصر يدفع عنه العذاب .
- 73- وإنه لم يؤمن بالله كذلك كل من ادعى أن الله أحد آلهة ثلاثة ، كما يزعم النصارى الآن !! والحق الثابت أنه ليس هناك إله إلا الله وحده ، وإذا لم يرجع هؤلاء الضالون عن معتقداتهم الفاسدة إلى طاعة الله ، فلا بد أن يصيبهم



عذاب شديد .

74- ألا ينتهى هؤلاء عن تلك العقائد الزائفة ، ويرجعوا إلى الإيمان بالله ، ويطلبوا منه التجاوز عما وقع منهم من الذنوب؟ إن الله واسع المغفرة ، عظيم الرحمة .

75- ليس عيسى ابن مريم إلا عبداً من البشر ، أنعم الله عليه بالرسالة ، كما أنعم على كثير ممن سبقه . وأم عيسى إحدى النساء ، طبعت على الصدق فى قولها والتصديق بربها ، وكانت هى وابنها عيسى فى حاجة إلى ما يحفظ حياتهما من الطعام والشراب ، وذلك علامة البشرية . فتأمل - أيها السامع - حال هؤلاء الذين عموا عن دلالة الآيات الواضحة التى بينها الله لهم ، ثم تأمل كيف ينصرفون عن الحق مع وضوحه؟! .

(1/189)

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ صَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَصَلُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77) لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ قَاسِقُونَ (81)

76- قل - أيها الرسول - لهؤلاء الصالحين : كيف تعبدون إليها يعجز عن أن يضركم بشئ إن تركتم عبادته ، ويعجز عن أن ينفعكم بشئ إن عبدتموه؟ كيف تتركون عبادة الله وهو الإله القادر على كل شئ ، وهو ذو السمع والعلم الشامل؟

77- قل - يا أيها الرسول - لأهل الكتاب من اليهود والنصارى : إن الله ينهاكم أن تتجاوزوا فى معتقداتكم حدود الحق إلى الباطل فتجعلوا بعض خلقه آلهة ، أو تنكروا رسالة بعض الرسل ، وينهاكم أن تسيروا وراء شهوات أناس سبقوكم قد تجنبوا طريق الهدى ، ومنعوا كثيراً من الناس أن يسلكوها واستمروا على مجافاتهم طريق الحق الواضح .

78- طرد الله كفار إسرائيل من رحمته ، وأنزل هذا فى الزبور على نبيه داود ، وفى الإنجيل على نبيه عيسى ابن مريم ، وذلك بسبب تمردهم عن طاعة الله ، وتماديهم فى الظلم والفساد .

79- كان دأبهم ألا يتناصحوا ، فلا ينهى أحد منهم غيره عن قبيح يفعله ، وأن إتيانهم المنكر وعدم تناهيهم عنه لمن أقبح ما كانوا يفعلون .

80- ترى كثيراً من بنى إسرائيل يتحالفون مع المشركين ، ويتخذونهم أنصاراً يتعاونون فيما بينهم على حرب الإسلام . إن هذا الشر عمل ادخرته لهم أنفسهم ، ليجدوا جزاءه غضباً من الله ، وخلوداً فى عذاب جهنم .

81- ولو صحت عقيدة هؤلاء فى الإيمان بالله ورسوله محمد ، وما أنزل إليه من القرآن لمنعهم ذلك الإيمان عن موالاتهم للكفار ضد المؤمنين ، ولكن كثيراً من بنى إسرائيل عاصون خارجون عن الأديان .

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ  
مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ  
لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ  
الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا  
لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84)  
فَاتَّابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ  
الْمُحْسِنِينَ (85) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (86) يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ (87)

82- نؤكد لك - أيها النبي - أنك تجد أشد الناس حقداً وكراهية لك ، ولمن آمن بك هم اليهود والذين أشركوا مع الله غيره في العبادة ، وتجد أن أقرب الناس مودة ومحبة لك هم أتباع عيسى الذين سموا أنفسهم نصارى ، لأن فيهم قسيسين يعلمون دينهم ، ورهباناً يخشون ربهم ، ولأنهم لا يستكبرون عن سماع الحق .

83- ولأنهم إذا سمعوا القرآن الذي أنزل على الرسول يتأثرون به ، فتفيض عيونهم بالدمع ، لمعرفة أنهم أن الذي سمعوه حق ، فتميل إليه قلوبهم ، وتنطلق ألسنتهم بالدعاء لله قائلين : ربنا آمنا بك وبرسلك ، وبالحق الذي أنزلته عليهم ، فتقبل إيماننا ، واجعلنا من أمة محمد الذين جعلتهم شهداء وُحجة على الناس يوم القيامة .

84- وأي مانع يمنعنا من أن نصدق بالله - وحده - وبما جاءنا من الحق المنزل على محمد؟ ونحن نرجو أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم .

85- فكتب الله لهم ثواباً لاعترافهم ، هو جنات تجري الأنهار تحت أشجارها وقصورها ، وهم ماكنون فيها دائماً . وذلك الجزاء الذي نالوه هو جزاء كل محسن مثلهم .

86- والذين جحدوا بالله ورسله . وأنكروا أدلته التي أنزلها عليهم هداية للحق هم - وحدهم - الملازمون للعذاب الشديد في جهنم .

87- يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا على أنفسكم ما أحلَّ الله لكم من الطيبات ، ولا تتجاوزوا الحدود التي شرعها الله لكم من التوسط في أموركم ، إن الله لا يحب المتجاوزين للحدود .

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيكُمُ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا

## الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90)

- 88- وكلوا مما أعطاكم الله ويسره لكم ، وجعله حلالا لكم تطيب به نفوسكم ، واخشوا الله دائما وأطيعوه ما دمتم مؤمنين به .
- 89- لا يعاقبكم الله بسبب ما لم تقصده من الإيمان ، وإنما يعاقبكم بسبب الحنث فيما قصدتموه ووثقتموه من الإيمان ، فإن حنثتم فيما حلقتم عليه فعليكم أن تفعلوا ما يغفر ذنوبكم بنقض اليمين ، بأن تطعموا عشرة فقراء يوما ، مما جرت العادة بأن تأكلوه أنتم وأقاربكم الذين هم في رعايتكم ، من غير سرفٍ ولا تقتير . أو بأن تكسوا عشرة من الفقراء كسوة معتادة ، أو بأن تحرروا إنساناً من الرق . فإذا لم يتمكن الحالف من أحد هذه الأمور فعليه أن يصوم ثلاثة أيام . وكل واحد من هذه الأمور يغفر به ذنب الحلف الموثق بالنية إذا نقضه الحالف . وصونوا أيمانكم فلا تضعوها في غير موضعها ، ولا تتركوا فعل ما يغفر ذنوبكم إذا نقضتموها . على هذا النسق من البيان يشرح الله لكم أحكامه ، لتشكروا نعمه بمعرفتها والقيام بحقها .
- 90- يا أيها المصدّقون بالله وكتبه ورسله المذعنون للحق ، ليس شرب المسكرات ، ولا لعب القمار ، ونصب الأحجار للذبح عندها تقرباً إلى الأصنام التي تعبدونها ، واتخاذ السهام والحصى والورق للتعرف بها على مغيبات القدر . . ليس كل ذلك إلا خبثاً نفسياً باطلاً ، هو من تزيين الشيطان لفاعليه . . فتركوه لكي تفوزوا في الدنيا بحياة فاضلة ، وفي الآخرة بنعيم الجنة .

(1/192)

## إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَآخِذُوا قَانِ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَي رَسُولُنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (92)

- 91- إن الشيطان لا يريد بتزيينه لكم شرب الخمر ولعب الميسر إلا أن يوجد بينكم الخلاف والشقاق والكراهية ، ليضعف أمركم بذهاب الألفة بينكم ، وتفويت وحدتكم ، بسبب ما يزينه لكم من شرب المسكرات ولعب القمار ، لكي يصرفكم عن عبادة الله ، ويلهيكم عن أداء الصلاة ، لتسوء آخرتكم كما ساءت دنياكم . فبعد علمكم هذه المفاسد ابتعدوا عما نهيتكم عنه ، لتفتتوا على إبليس غرضه .
- 92- وامتثلوا أمر الله وأمر رسوله فيما يبلغكم به عن ربه ، وابتعدوا عما يعرضكم للعذاب إن خالفتكم . لأنكم إن أعرضتم عن الاستجابة لما أمركم به ، فتيقنوا أنه معاقبكم . وليس لكم عذر بعد أن بين لكم الرسول عاقبة المخالفين ، وأنه ليس على رسولنا إلا إخباركم بأحكامنا ، وتوضيحها كاملاً .

(1/193)

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (93) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَدَءَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُم مُّبْتَعًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (95)

93- ليس على الذين صدقوا بالله ورسوله وأتوا بصلاح الأعمال إثم فيما يطعمون من حلال طيب ، ولا فيما سبق أن طعموه من المحرمات قبل علمهم بتحريمها ، إذا خافوا الله ، وابتعدوا عنها بعد علمهم بتحريمها ، ثم استمروا على خوفهم من الله ، وتصديقهم بما شرعه لهم بعد من أحكام ، ثم داوموا على خوفهم من الله في كل حال وأخلصوا في أعمالهم وأدوها على وجه الكمال ، فإن الله يثيب المخلصين في أعمالهم على قدر إخلاصهم وعملهم .

94- يا أيها الذين آمنوا : إن الله يختبركم في الحج بتحريم بعض من الحيوان والطيور يسهل عليكم اصطياده بأيديكم ورماحكم ، ليظهر الذين يراقبونه منكم في غيبة من أعين الخلق . فالذين تجاوزوا حدود الله بعد بيانها يقع عليهم عذاب مؤلم شديد .

95- يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وقد نويتم الحج والعمرة وتقومون بأعمالهما ، ومن قتله منكم قاصداً ، فعليه أن يؤدي نظير الصيد الذي قتله ، يخرج من الإبل والبقر والغنم . ويعرف النظر بتقدير رجلين عادلين منكم يحكمان به ، ويهديه إلى الفقراء عند الكعبة ، أو يدفع بدله إليهم ، أو يخرج بقيمة المثل طعاماً للفقراء ، لكل فقير ما يكفيه يومه ، ليكون ذلك مسقطاً لذنب تعديه على الصيد ، أو يصوم أياماً بعدد الفقراء الذين كانوا يستحقون الطعام لو أخرجه . وقد شرع ذلك ليحس المعتدى بنتائج جرمه وسوء عاقبته . عفا الله عما سبق لكم من المخالفة قبل تحريمها ، ومن رجع إلى التعدي بعد العلم بتحريمه ، فإن الله يعاقبه بما ارتكب ، وهو غالب لا يُغلب ، شديد العقاب لمن يصر على الذنب .

(1/194)

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلنَّاسِ وَلِلنَّاسِ وَاللَّسْيَارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (96) جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْلِمُ شَيْءٍ عَالِمٌ (97) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (98) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (99) قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100)

96- أحل الله لكم أن تصيدوا حيوان البحار ، وأن تأكلوا منه ، وينتفع به المقيمون منكم والمسافرون ، وحرّم عليكم أن تصيدوا حيوان البر غير

المستأنس ، مما جرت العادة بعدم تربيته فى المنازل والبيوت ، مدة قيامكم بأعمال الحج أو العمرة بالحرم ، وراقبوا الله وخافوا عقابه ، فلا تخالفوه ، فإنكم إليه ترجعون يوم القيامة ، فيجازيكم على ما تعملون .

97- جعل الله الكعبة ، وهى البيت الذى عظمه وحرم الاعتداء فيه على الإنسان والحيوان غير المستأنس وفيما حوله ، جعله قائماً معظماً يأمن الناس فيه ، ويتجهون إليه فى صلاتهم ، ويحجون إليه ليكونوا فى ضيافة الله ، وليعملوا على جمع شملهم ، وكذلك جعل شهر الحج وما يهدى إلى الكعبة من الأنعام ، وخاصة ما يوضع فى عنقه القلائد لإشعار الناظرين بأنه مهدي إلى البيت . ونتيجة القيام بذلك أن تستيقنوا أن علمه محيط بما فى السموات التى ينزل منها الوحي بالتشريع ، ومحيط بما فى الأرض ، فيشرع لمن فيها بما يقوم بمصالحهم . وإن علمه بكل شئ محيط .

98- اعلّموا - أيها الناس - أن عذاب الله شديد ينزل بمن يستبيح حرماته ، وأنه كثير المغفرة لذنوب من يتوب ويحافظ على طاعته ، واسع الرحمة بهم فلا يؤأخذهم حينئذ بما وقع منهم .

99- ليس على الرسول إلا أن يبلغ للناس ما يوحى إليه لتقوم عليهم الحجة ، وينقطع عنهم العذر . فلتعملوا بما بلغه إليكم ، فإن الله يعلم ما تظهرون وما تخفون .

100- قل - يا أيها النبى - للناس : لا يتساوى ما أباحه الله لكم من الطيبات ، وما حرّمه عليكم من الخبائث ، فإن الفرق بينهما كبير عند الله ، ولو كثر الخبيث وأعجب كثيراً من الناس . فاجعلوا - يا أصحاب العقول - طاعة الله وقاية لكم من عذابه باختيار الطيبات واجتناب الخبائث ، لتكونوا من الفائزين فى الدنيا والآخرة .

(1/195)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَسْيَاءِ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلِ الْقُرْآنُ يُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103)

101- يا أيها الذين آمنوا : لا تسألوا النبى عن أمور أخفاها الله عنكم لأنها إن تظهر لكم تسؤكم ، وإن تسألوا النبى عنها - فى حياته إذ ينزل عليه القرآن - يبينها الله لكم ، عفا الله عنكم فى هذه الأشياء فلا يعاقبكم عليها ، والله كثير المغفرة واسع الحلم فلا يعجل بالعقوبة .

102- قد سأل عن أمثال هذه الأمور الشاقة جماعة ممن سبقوكم ، ثم بعد أن كلفوا بها على السنته أنبيائهم ثقل عليهم تنفيذها ، فأعرضوا عنها ، وكانوا لها منكربين ، لأن الله يريد اليسر ولا يريد العسر ، ويكلف الناس ما يطيقون .

103- لم يأذن الله لكم أن تحرّموا ما أحله لكم ، فتشقوا أذن الناقة ، وتمتنعوا عن الانتفاع بها ، وتسموها « بحيرة » ، وتتركوها بناء على نذر ، وتسموها « سائية » ، وتحرّموا الذكر من الشاة ، وتهبوه للأصنام ، حتى إذا أنتجت الشاة ذكراً وأنثى سميتوها « وصيلة » ، ولم تذبحوا الذكر منها . ولم يشرع لكم أن

تحرّموا الانتفاع بالذكر من الإبل إذا ولد منه عشرة أبطن ، وتطلقوا عليه اسم « حَام » ، لم يشرع الله لكم شيئاً من ذلك ، ولكن الذين كفروا يخلقون الكذب وينسبونه إلى الله ، وأكثرهم لا يعقلون .

(1/196)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (104) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يَصُرُّكُمْ مَنِ صَلَّ إِذَا أِهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعَكُمْ جَمِيعًا فَيُنسِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ إرْتَبْتُمْ لَا نَشْئُرِي بِهِ تَمَنَّا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا تَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْإِثْمِينَ (106) فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَّانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْتُمَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (107)

104- وإذا قيل لهؤلاء الكافرين : تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن ، وإلى ما بيّنه الرسول لنهتدى به قالوا : يكفيننا ما وجدنا عليه آباءنا . أيصح أن يقولوا هذا؟ أو لو كان آباؤهم كالأنعام لا يعلمون شيئاً عن الحق ، ولا يعرفون طريقاً إلى الصواب! .

105- يا أيها الذين آمنوا احرصوا على إصلاح أنفسكم بطاعة الله ، إنه لا يضركم ضلال غيركم ، إذا كنتم على الهدى ودعوتهم إلى الحق ، وإلى الله - وحده - مرجعكم جميعاً يوم القيامة ، فيخبركم بأعمالكم ، وبجزى كلاً منكم بما قدم ، فلا يؤخذ أحداً بذنب غيره .

106- يا أيها الذين آمنوا : حينما تظهر على أحد منكم علامة الموت ويريد أن يوصى بشيء ، فالشهادة بينكم على الوصية ، أن يشهد اثنان عادلان من أقاربكم ، أو آخران من غيركم إذا كنتم في سفر ، وظهرت أمارات الموت ، تحسبون هذين الشاهدين بعد أداء الصلاة التي يجتمع عليها الناس . فيحلفان بالله قائلين : لا نستبدل بيمينه عوضاً ، ولو كان فيه نفع لنا أو لأحد من أقاربنا ، ولا نخفى الشهادة التي أمرنا الله بأدائها صحيحة . إنا إذا أخفينا الشهادة أو قلنا غير الحق ، لنكونن من الظالمين المستحقين لعذاب الله .

107- فإذا ظهر أن الشاهدين قد كذبا في شهادتهما . أو أخفيا شيئاً ، فإن اثنين من أقرب المستحقين لتركة الميت ، هما أحق أن يقفا مكان الشاهدين ، بعد الصلاة ليظهر كذبهما ، فيحلفان بالله أن الشاهدين قد كذبا وأن يميننا أولى بالقبول من يمينهما ، ولم تتجاوز الحق في أيماننا ، ولم تنهم الشاهدين زوراً ، فإننا لو فعلنا ذلك نكون من الظالمين المستحقين عقاب من يظلم غيره .

(1/197)

ذَلِكَ أَذْتِي أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْههَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ  
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (108) يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ  
الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ قَالَوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109) إِذْ قَالَ  
اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتْكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ  
تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ  
تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَيْدِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَيْدِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ  
وَإِلْبْرَصَ بِأَيْدِي وَإِذْ نُخِرَ الْمَوْتَى بِأَيْدِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110)

- 108- هذا التشريع أقرب الطرق إلى أن يؤدي الشهداء شهادتهم صحيحة محافظة على حلفهم بالله ، أو خوفاً من فضيحتهم بظهور كذبهم ، إذا حلف الورثة أيماناً لرد أيمانهم . وراقبوا الله فى أيمانكم وأماناتكم ، وأطيعوا أحكامه راضين بها . فإن فيها مصالحكم ، ولا تخالفوها فتكونوا من الخارجين على الله ، فإن الله لا ينفع بإرشاده من خرج على طاعته .
- 109- وتذكروا يوم القيامة حين يجمع الله أمامه كل الرسل ويسألهم قائلاً لهم : ماذا أجبتكم به أممكم الذين أرسلتكم إليها ، أبالإيمان أم بالإنكار؟ والأمم حينئذ حاضرة لتقوم عليهم الحجة بشهادة رسلهم ، بأننا لا نعلم ما كان بعدنا من أمر من أرسلنا إليهم ، وأنت - وحدك - الذى تعلم ذلك ، لانك الذى أحاط علمه بالخفايا كما أحاط بالظواهر .
- 110- وفى ذلك الوقت ينادى الله عيسى ابن مريم من بين الرسل فيقول له : اذكر ما أنعمت به عليك وعلى أمك فى الدنيا ، حينما تبتك بالوحى وأنطقتك وأنت رضيع بما يُبرئ أمك مما أُهملت به ، كما أنطقتك وأنت كبير بما قد أوحيت إليك ، وحينما أنعمت عليك بتعليمك الكتاب ، ووفقتك للصواب من القول والعمل ، وعلمتك كتاب موسى والإنجيل الذى أنزلته عليك ، وأقدرتك على معجزات تخرج عن طوق البشر ، حيث تتخذ من الطين صورة الطير بإذن الله ، فتنفخ فيها فتصبح طائراً حياً بقدرة الله لا بقدرتك ، وتشفى من العمى من وُلِدَ أعمى ، وتشفى الأبرص من برصه بإذن الله وقدرته ، وحينما يجرى على يديك إحياء الموتى بإذن الله وقدرته ، وحينما منعت اليهود من قتلك وصلبك عندما أتيتهم بالمعجزات ليؤمنوا ، فأعرض فريق منهم ، وادعوا أن ما أظهرته من المعجزات ما هو إلا من قبيل السحر الواضح .

(1/198)

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (111) إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّبِعُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُؤْتِيهِمْ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عَيْدًا لِأَوْلَانَا وَأَخْرَجْنَا مِنْكَ وَارِثًا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذُّهُ عَذَابًا لَا أَعَذُّهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115)

- 111- واذكر - أيها الرسول - لأمتك ما حدث فى الماضى حين ألهمنا جماعة ممن دعوناهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله عيسى فاستجابوا له ، وصاروا من خاصة أصحابه ، وقالوا : أمانا واشهد يا ربنا بأننا مخلصون منقادون لأوامرك .
- 112- اذكر - أيها النبى - ما حدث حين قال أتباع عيسى المخلصون : يا عيسى ابن مريم ، هل يجيبك ربك إذا طلبت منه أن ينزل علينا طعاماً من السماء؟ قال لهم عيسى رداً عليهم : إن كنتم مؤمنين بالله فخافوه ، وأطيعوا أوامره ونواهيه ، ولا تطلبوا حُججاً غير التى قدمتھا .
- 113- قالوا : إننا نريد أن نأكل من هذه المائدة لتطمئن قلوبنا بما نؤمن به من قدرة الله ، ونعلم عن معاينة أنك قد صدقتنا فيما أخبرتنا عنه سبحانه ، ونشهد لك بهذه المعجزة عند من لم يشاهدها .
- 114- فاستجاب لهم عيسى وقال : يا ربنا ومالك أمرنا ، أنزل علينا مائدة من السماء يكون يوم نزولها عيداً للمؤمنين منا ، المتقدمين والمتأخرين ، ولتكون معجزة تؤيد بها دعوتك ، وارزقنا رزقاً طيباً ، وأنت خير الرازقين .
- 115- قال الله له : إنى سأنزل المائدة عليكم من السماء ، فأى امرئ منكم يجحد هذه النعمة بعد إنزالها ، فإنى أعاقبه عقاباً لا أعاقب بمثله أحداً من الناس ، لأنه كفر بعدما شاهد دليل الإيمان الذى اقترحه .

(1/199)

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ (119) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120)

- 116- واذكر - أيها النبى - ما سيحدث يوم القيامة ، حين يقول الله لعيسى ابن مريم قولاً يعلن الحق : أنت الذى قلت لهم : اجعلونى أنا وأمى إلهين ، تاركين أفراد الله بالعبودية؟ قال عيسى : أنزهك تنزيهاً تاماً عن أن يكون لك شريك ، ولا يصح لى أن أطلب طلباً لى ليس لى أدنى حق فيه . لو كنت قلت ذلك لعلمته ، لأنك تعلم خفايا نفسى ، فضلا عن مظاهر قولى ، ولا أعلم ما تخفيه عنى ، - إنك وحدك - صاحب العلم المحيط بكل خفى وغائب .
- 117- ما قلت لهم : إلا ما أمرتنى بتليغه لهم . قلت لهم : اعبدوا الله - وحده - فإنه مالك أمرى وأمركم . وكنت أعلم حالهم وأنا موجود بينهم ، فلما انتهى أجل إقامتى الذى قدرته بينهم ، كنت أنت - وحدك - المطلع عليهم ، وأنت مطلع على كل شئ .
- 118- إن تعذبهم بما فعلوا فإنهم عبادك تتصرف فيهم كما تريد ، وإن تعف عنهم ، فإنك - وحدك - القاهر الذى لا يغلب ، ذو الحكمة البالغة فى كل ما يصدر عنه .



119- يقول الله : هذا هو اليوم الذى ينفع فيه الصادقين صدقهم ، لهم حدائق تجرى تحت أشجارها الأنهار ، وهم مقيمون فيها لا يخرجون منها أبداً ، يتمتعون فيها برضوان الله عنهم ورضاهم بثوابه ، وذلك النعيم هو الفوز العظيم .  
120- لله - وحده - ملك السموات والأرض وما فيهن ، فهو - وحده - المستحق للعبادة ، وهو ذو القدرة التامة على تحقيق كل ما يريد .

(1/200)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)

1- الثناء والذكر الجميل لله ، الذى خلق السموات والأرض ، وأوجد الظلمات والنور لمنفعة العباد بقدرته وعلى وفق حكمته ، ثم مع هذه النعم الجليلة يشرك به الكافرون ، ويجعلون شريكاً فى العبادة .

(1/201)

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2)  
وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3)  
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ كَانُوا فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَا هُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (6)

2- هو الذى بدأ خلقكم من طين ، ثم قدر لحياة كل منكم زمناً ينتهى بموته والأجل عنده - وحده - المحدد للبعث من القبور . ثم إنكم - أيها الكافرون - بعد هذا تجادلون فى قدرة الله على البعث ، واستحقاقه - وحده - للعبادة .  
3- وهو - وحده - المستحق للعبادة فى السموات والأرض ، يعلم ما أخفيتموه وما أظهرتموه ، ويعلم ما تفعلون فيجازيكم عليه .  
4- ولا يؤتى المشركون بدليل من أدلة خالقهم ، التى تشهد بوحدانيته وصدق رسله ، إلا كانوا منصرفين عنه ، لا يتأملون فيه ولا يعتبرون به .  
5- فقد كذبوا بالقرآن حين جاءهم ، وهو حق لا يأتىه الباطل . فسوف يحل بهم ما أخبر به القرآن من عقاب الدنيا وعذاب الآخرة ، ويتبين لهم صدق وعيده الذى كانوا يسخرون منه .  
6- ألم يعلموا أننا أهلكنا أمماً كثيرة قبلهم ، أعطيناهم من أسباب القوة والبقاء فى الأرض ما لم نعطكم إياه - أيها الكافرون - ووسعنا عليهم فى الرزق والنعيم ، فأنزلنا عليهم الأمطار غزيرة ينتفعون بها فى حياتهم ، وجعلنا مياه الأنهار تجرى من تحت قصورهم ، فلم يشكروا هذه النعم . فأهلكناهم بسبب شركهم وكثرة ذنوبهم ، وأوجدنا - من بعد - أناساً غيرهم خيراً منهم .

وَلَوْ تَرَّآْنَا عَلَیْكَ كِتَابًا فِی قُرْطَاسٍ فَلَمَّسُوهُ بِأَیْدِهِمْ لَقَالَ الذِّیْنَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِیْنٌ (7) وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَیْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَفُضِیَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا یُنْظَرُونَ (8) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَیْهِمْ مَا یَلْبَسُونَ (9) وَلَقَدْ اسْتَهْزَیْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالذِّیْنَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ یَسْتَهْزِئُونَ (10) قُلْ سَیْرُوا فِی الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَیْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِیْنَ (11) قُلْ لِمَنْ مَا فِی السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَی نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَیَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى یَوْمِ الْقِیَامَةِ لَا رَیْبَ فِیهِ الذِّیْنَ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا یُؤْمِنُونَ (12)

7- ولو أنزلنا عليك - أيها النبي - دليل رسالتك مكتوباً في ورق ، فأروه بأعينهم ، وتأكدوا منه بوضع أيديهم عليه ، لقالوا - تعنتاً - : ما هذا الذي نلمسه إلا سحر ظاهر!! .

8- وقالوا : نطلب أن ينزل الله عليك ملكاً يصدقك . ولو استجبنا لهم ، وأرسلنا معه ملكاً كما اقترحوا ، ثم عاندوا ولم يؤمنوا . لنفذ الأمر بإهلاكهم ، ثم لا يمهلون لحظة .

9- ولو جعلنا المؤيد للرسول ملكاً كما طلبوا ، لجعلناه على هيئة بشر ، حتى يستطيعوا مشاهدته والفهم عنه ، فإنهم لا يقدرّون على رؤية الملك في صورته الأصلية ، ولا شتبه عليهم الأمر واختلط بإرساله في صورة بشر ، وأوقعناهم في نفس الخطأ الذي يتخبطون فيه .

10- ولقد سخّر الكفار كثيراً برسل من قبلك - أيها النبي - فأحاط بالساحرين العذاب الذي أُنذروهم به رسلهم ، وقد جعلوه موضع سخرتهم من قبل .

11- قل - أيها النبي - لهؤلاء الكفار : سيروا في جوانب الأرض وتأملوا كيف كان الهلاك نهاية المكذبين لرسولهم فاعتبروا بهذه النهاية وذلك المصير .

12- قل - أيها النبي - لهؤلاء الجاحدين : مَنْ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ؟ فَإِنْ أَجْمَعُوا فَقُلِ الْجَوَابُ الذِّی لَا جَوَابَ غِیْرَهُ : إِنْ مَالِكُهَا هُوَ اللَّهُ - وحده - لا شريك له ، وأنه أوجب على نفسه الرحمة بعباده ، فلا يعجل عقوبتهم ، ويقبل توبتهم ، إنه ليحشرنكم إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه . الذين ضيعوا أنفسهم وعرضوها للعذاب في هذا اليوم ، هم الذين لا يصدقون بالله ، ولا بيوم الحساب .

وَلَهُ مَا سَكَنَ فِی اللَّیْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِیْعُ الْعَلِیْمُ (13) قُلْ أَعْتَرَ اللَّهُ أَنْتَ خُذْ وَلِیًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِیْنَ (14) قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ یَوْمٍ عَظِیْمٍ (15) مَنْ یُضْرِفْ عَنْهُ یَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمَهُ وَذَلِكَ الْقُورُ الْمُبِیْنُ (16) وَإِنْ یَمْسَسْكَ اللَّهُ یَضْرِبُ فَلَآ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ یَمْسَسْكَ یُخَیِّرْ فَهَوَّ عَلَی كُلِّ شَیْءٍ قَدِیْرٌ (17) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِیْمُ الْخَبِیْرُ (18) قُلْ أَيُّ شَیْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِیْدُ بَیْنِی وَبَیْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَیَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ

أَتَيْنَكُم لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي  
بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)

- 13- ولله ما فى كل زمان ، كما أن له ما فى كل مكان ، وهو السميع لكل ما يسمع ، العليم بكل ما يُعلم .
- 14- قل - أيها النبى - : لا أتخذ غير الله إلهاً وناصراً ، وهو - وحده - المنشئ للسموات والأرض على نظام لم يسبق إليه ، وهو الرازق لعباده طعامهم ، ولا يحتاج منهم إلى طعام . قل : إني أمرنى الله أن أكون أول من أسلم ، ونهانى أن أشرك معه غيره فى العبادة .
- 15- قل : إني أخاف ، إن خالفت أمر ربي وعصيته ، عذاب يوم شديد .
- 16- من يُصرف عنه هذا العذاب يوم القيامة ، فقد رحمه الله ، وذلك هو الفوز الثابت اليقين .
- 17- وإن يصبك الله بسوء فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمنحك خيراً فلا راد لفضله ، لأنه على كل شئ قدير .
- 18- وهو الغالب بقدرته ، المستعلى على عباده ، المتصف بالحكمة فى كل ما يفعل ، المحيط علمه بما ظهر واستتر .
- 19- قل - أيها النبى - لمن يكذبوك ويطلبون شهادة على رسالتك ، أى شئ أعظم شهادة وأحق بالتصديق؟ ثم قل : إن الله أعظم شاهد بينى وبينكم على صدق ما جئتكم به ، وقد أنزل على هذا القرآن ليكون حجة لصدقى ، لأحذركم به أنتم وكل من بلغه خبره ، وهو حجة قاطعة شاهدة بصدقى ، لأنكم لا تستطيعون أن تأتوا بمثله!! سلهم : أنتم الذين تقولون معتقدين أن مع الله آلهة غيره؟ ثم قل لهم : لا أشهد بذلك ، ولا أقوله ، ولا أقركم عليه ، وإنما المعبود بحق إله واحد ، وإننى برئ مما تشركون به من أوثان .

(1/204)

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيِنَ شُرَكَائِكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)

- 20- الذين آتيناهم الكتب السماوية من اليهود والنصارى ، يعرفون محمداً وصدق رسالته ، من هذه الكتب ، كمعرفتهم أبناءهم . إن الذين ضيعوا أنفسهم ، لا يقرون بما يعرفون ، فهم لا يؤمنون .
- 21- وليس أحد أشد ظلماً لنفسه وللحق ممن افتري على الله الكذب ، وادعى أن له ولداً أو شريكاً ، أو نسب إليه ما لا يليق ، أو أنكر أدلته الدالة على وحدانيته وصدق رسله . إن الظالمين لا يفوزون بخير فى الدنيا والآخرة .
- 22- واذكر لهم ما سيحصل يوم نجمع الخلق كلهم للحساب ، ثم نقول توبيخاً للذين عبدوا مع الله غيره : أين الذين جعلتموهم شركاء لله لينفعوكم؟
- 23- ثم لم تكن نتيجة محنتهم الشديدة فى هذا الموقف إلا محاولة التخلص من

شركهم السابق بالكذب ، فقالوا كاذبين : والله ربنا ما أشركنا فى العبادة أحداً غيرك .  
24- انظر كيف غالطوا أنفسهم بهذا الكذب ، وغاب عنهم ما كانوا يختلقونه من عبادة الأحجار ويزعمونها شركاء لله !!

(1/205)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26) وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29)

25- ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن ، لا ليتفهموه ، وليهتدوا به ، وإنما ليتلمسوا سبلا للطعن فيه والسخرية منه .  
وقد حرمانهم بسبب ذلك من الانتفاع بعقولهم وأسماعهم ، كأن عقولهم فى أغطية تحجب عنهم الإدراك الصحيح ، وكان فى آذانهم صمماً يحول دون سماع آيات القرآن ، وإن يروا كل دليل لا يؤمنون به ، حتى إذا جاءوك ليجادلوك بالباطل يقول الذين كفروا مدفوعين بكفرهم : ما هذا إلا أباطيل سطرها من قبلك الأولون .

26- وهم يهون الناس عن الإيمان بالقرآن ، وبيتعدون عنه بأنفسهم ، فلا ينتفعون ولا يدعون غيرهم ينتفع! وما يضررون بذلك الصنيع إلا أنفسهم ، وما يشعرون بقبح ما يفعلون .

27- ولو تری - أيها النبي - هؤلاء الكفار وهم واقفون على النار يعانون أهوالها ، لرأيت أمراً غريباً رهيباً ، إذ يتمنون الرجوع إلى الدنيا ، ويقولون : يا ليتنا نرد إليها لنصلح ما أفسدنا ، ولا نكذب بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين!

28- وليس قولهم هذا ، إلا لأنه قد ظهر لهم ما لا يمكن إخفاؤه والمكابرة فيه ، مما كان يخبرهم به الرسول! ولو ردوا إلى الدنيا كما يتمنون ، لعادوا إلى الكفر الذى نهاهم الله عنه ، لغرورهم بزخرفها وإطاعة أهوائهم! وإنهم لكاذبون فى دعواهم الإيمان إذا ردوا إلى الدنيا!

29- ولو أعيدوا إلى الدنيا لعادوا إلى سيرتهم الأولى وقالوا : ليس لنا حياة إلا هذه الحياة الدنيا . وما نحن بعد ذلك بمبعوثين!

(1/206)

وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (30) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا خَسِرْتْنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (31) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ

خَيْرَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (32) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا  
يَكْذِبُونَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَابِ اللَّهِ يَحَدُّونَ (33) وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ  
فَصَبَّرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّى آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ  
جَاءَكَ مِنْ تَبَاِ الْمُرْسَلِينَ (34)

30- لو تراهم حين يقفون للحساب أمام ربهم ، ويعرفون صدق ما أنزله على  
رسله ، لرأيت سوء حالهم إذ يقول الله لهم : أليس هذا الذى تشاهدونه الآن هو  
الحق الذى أنكرتموه فى دنياكم؟ فيقولون متذللين : بلى وربنا إنه الحق!  
فيقول الله لهم بعد ذلك : ادخلوا النار بسبب ما كنتم حريصين عليه من الكفر .  
31- قد خسر الذين أنكروا لقاء الله للحساب والجزاء يوم القيامة ، وظلوا على  
إنكارهم ، حتى إذا فاجأتهم مشاهد يوم القيامة ندموا وقالوا : يا حسرتنا على  
إهمالنا اتباع الحق فى الدنيا! وهم يومئذ يرزحون تحت أعباء ذنوبهم . ألا فُبِحْ  
ما يحملون من الذنوب .

32- وليست الحياة الدنيا التى حسب الكفار أنه لا حياة غيرها ، والتى لا يقصد  
بالعمل فيها مرضاة الله ، إلا لعباً لا نفع فيه ، ولهواً يتلهى به!! وان الدار الآخرة  
لهى الحياة الحقيقية ، وهى أنفع للذين يخافون الله فيمثلون أمره . أفلا

تعقلون هذا الأمر الواضح؟ ، أفلا تفهمون ما يضركم ولا ينفعكم؟  
33- إننا نعلم أنه ليحزنك أيها النبى ما يقوله الكفار تكذيباً لك ، فلا تحزن من  
ذلك . لأن الحقيقة أنهم لا يهتمونك بالكذب ، ولكنهم لظلمهم لأنفسهم وللحق  
يكابرون ، فينكرون بالسنتهم دلائل صدقك ، وعلامات نبوتك .

34- ولقد قوبل رسل من قبلك بالتكذيب والإيذاء من أقوامهم ، كما فعل معك  
قومك ، فصبروا على التكذيب والإيذاء حتى نصرناهم ، فاصبر كما صبروا حتى  
يأتيك نصرنا ، ولا مغير لوعده الله بنصر الصابرين ، فلا بد من تحققه . ولقد  
قصصنا عليك من أخبار هؤلاء الرسل وتأييدنا لهم ، ما فيه تسلية لك ، وما  
توجه الرسالة من تحمل الشدائد .

(1/207)

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ امْسَتْ غَابَةٌ فَأَنْتَ مِنَ الْغَابِطِينَ  
فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيهِمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
الْجَاهِلِينَ (35) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ  
يُرْجَعُونَ (36) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ  
آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (37) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ  
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ )  
(38)

35- وإن كان قد شق عليك انصرا فهم عن دعوتك ، فإن استطعت أن تتخذ  
طريقاً فى باطن الأرض ، أو سلماً تصعد به إلى السماء ، فتأتيهم بدليل على  
صدقك ، فافعل . وليس فى قدرتك ذلك . فأرح نفسك واصبر لحكم ربك ، ولو  
شاء الله هدايتهم لحملهم جميعاً على الإيمان بما جئت به قسراً وقهراً ، ولكنه  
تركهم لاختيارهم فلا تكونن من الذين لا يعلمون حكم الله وسنته فى الخلق .  
36- إنما يجب دعوة الحق مقبلين عليه ، الذين يسمعون سماع فهم وتدبر .

وأما هؤلاء فلا ينتفعون بدعوتك ، لأنهم فى حكم الأموات . وسيبعثهم الله يوم القيامة من القبور ، ويرجعهم إليه ، فيحاسبهم على ما فعلوا .

37- وقال الكفار متعنتين : نطلب أن ينزل على محمد دليل مادي من ربه يشهد بصدق دعوته . قل لهم أيها النبي : إن الله قادر على أن ينزل أى دليل تقترحونه . ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة الله فى إنزال الآيات ، وأنها ليست تابعة لأهوائهم ، وأنه لو أجاب مقترحاتهم ثم كذبوا بعد ذلك لأهلكهم ، ولكن أكثرهم لا يعلمون نتائج أعمالهم!!

38- وإن أقوى دليل على قدرة الله وحكمته ورحمته ، أنه خلق كل شئ ، وليس فى الأرض حيوان يدب فى ظاهر الأرض وباطنها ، أو طائر يطير بجناحيه فى الهواء ، إلا خلقها الله جماعات تماثلكم ، وجعل لها خصائصها ومميزاتها ونظام حياتها . ما تركنا فى الكتاب المحفوظ عندنا شيئاً إلا أثبتناه . وإن كانوا قد كذبوا ، فيحشرون مع كل الأمم للحساب يوم القيامة .

(1/208)

---

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكْمٍ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَن يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (39) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالصَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43)

39- والذين لم يصدقوا بأدلتنا الدالة على قدرتنا وصدق رسالتك ، لم ينتفعوا بحواسهم فى معرفة الحق ، فتخبطوا فى ضلال الشرك والعناد ، تخبط الأعمى الأبكم فى ظلمات الليل ، لا نجاه له من الهلاك . ولو كان فى هؤلاء استعداد للخير لوفقهم الله إليه ، فإنه سبحانه إذا أراد إضلال إنسان لفساد قصده ، تركه وشأنه ، وإذا أراد هدايته لسلامة قصده ، يسر له السير فى طريق الإيمان الواضح المستقيم .

40- قل أيها النبي لهؤلاء الكفار : أخبرونى إن جاءكم عذاب من عند الله فى الدنيا أو جاءتكم القيامة بأهوالها ، هل تتجهون لغير الله تضرعون إليه فى هذا الوقت فينفعكم شيئاً ، إن كنتم صادقين فى عبادتكم لغير الله؟  
41- بل إنكم لا تتجهون إلا إليه ، إذ تدعونه فيكشف عنكم ما تطلبون كشفه إن شاء . وفى حال هذه الشدة ، تنسون من جعلونهم لله شركاء!!  
42- لا يشق عليك - أيها النبي - ما تلاقيه من قومك . فلقد بعثنا قبلك رسلاً إلى أمم كثيرة قبل أمتك . فكذبوهم ، فعاقبناهم بالشدائد تنزل بهم ، وبما يضرهم فى أبدانهم ، لعلمهم يخشعون ويرجعون إلى الله .

43- وكان ينبغى لهم أن يرجعوا إلى ربهم ، ولكنهم لم يفعلوا ، بل استمرت قلوبهم على قسوتها ، وزين لهم الشيطان عملهم القبيح .

(1/209)

---

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا  
 أَخَذْنَاهُمْ بَعَثَةٌ فَاذًا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ  
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى  
 قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِمَنْ نَشَاءُ هُمْ يَصْدِفُونَ (46)  
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعَثَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ  
 الظَّالِمُونَ (47) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ  
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (48) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا  
 كَانُوا يَفْسُقُونَ (49)

44- فلما تركوا الاعتاض بما ابتليناهم من الفقر والمرض ، ابتليناهم بعد ذلك  
 بالرزق الواسع ، ففتحنا عليهم أبواب كل شئ من أسباب الرزق ، حتى إذا  
 فرحوا بما أنعمنا به عليهم ، ولم يشكروا الله عليه ، جاءهم العذاب فجأة ، فإذا  
 هم متحيرون يائسون ، لا يجدون للنجاة سبيلا!  
 45- فأبىد هؤلاء القوم الظالمون عن آخرهم . والحمد لله مربي الخلق بالنقم  
 والنعم ، ومطهر الأرض من فساد الظالمين .  
 46- قل لهم - أيها النبي - : أخبروني إن سلب الله سمعكم ، وغطى قلوبكم  
 بما يحجبها عن الإدراك ، فجعلكم صماً عمياً لا تفهمون شيئاً ، مَنْ تعبدون غير  
 الله . من إله يستطيع أن يرد إليكم ما سلبه الله منكم؟ انظر - أيها النبي -  
 كيف نوضح البراهين وننوعها ، ثم هم مع هذا يعرضون عن تدبرها والانتفاع  
 بها!!

47- قل : أخبروني إن حل بكم عذاب الله فجأة دون توقع ، أو جاءكم عياناً  
 على ترقب ، لسبق ما يندركم بوقوعه ، هل يصيب هذا العذاب إلا القوم الذين  
 ظلموا أنفسهم بالإصرار على الشرك والضلال؟ أنه لا يصيب غيرهم .  
 48- وما نرسل الأنبياء إلا ليبشروا من يؤمن بالخير والثواب ، وليحذروا من  
 يكفر من العذاب . فمن آمن بدعوتهم وعمل صالحاً ، فلا خوف عليهم من شر  
 يصيبهم ، ولا يحزنون على خير يفوتهم .  
 49- والذين كذبوا بالأدلة الواضحة على صدق ما جاء به الرسل ، يصيبهم  
 العذاب بسبب خروجهم عن الطاعة والإيمان .

(1/210)

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن  
 أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50) وَأَيُّزُ  
 بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْيِشُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ  
 يَتَّقُونَ (51) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا  
 عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ  
 فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ  
 عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53)

50- قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفار : لا أقول لكم إنى أملك التصرف بما  
 يملكه الله فأجيئكم إلى ما تطلبون ، ولا أدعى علم الغيب الذى لم يطلعنى الله  
 عليه ، ولا أقول إنى ملك أستطيع الصعود إلى السماء! إنما أنا بشر لا أتبع إلا ما

يوحيه الله إلى . قل - أيها النبي - : هل يستوى الضال والمهتدى فى معرفة هذه الحقائق؟ هل يليق بكم أن تعرضوا عن هدى أسوقه لكم ، فلا تتأملون فيه بعقولكم حتى يتبين لكم الحق؟

51- وحذر - بما فى هذا القرآن - الذين يخافون من هول يوم تسوقهم فيه الملائكة للحساب والجزاء ، حيث لا ناصر لهم ولا شفيع إلا بإذن الله ، ليتعدوا عما يغضب الله .

52- ولا تستجب - أيها النبي - لدعوة المتكبرين من الكفار ، فثُبعد عنك المستضعفين من المؤمنين ، الذين يعبدون ربهم دائماً ، ولا يريدون إلا رضاه . ولا تلتفت لدس المشركين على هؤلاء المؤمنين ، فليست مسئولاً أمام الله عن شئ من أعمالهم ، كما أنهم ليسوا مسئولين عن شئ من أعمالك ، فإن استجبت لهؤلاء الكفار المتعنتين ، وأبعدت المؤمنين ، كنت من الظالمين .

53- ويمثل هذا الابتلاء الذى جرت به سُنَّتنا ، امتحنا المتكبرين بسبق الضعفاء إلى الإسلام ، ليقول المتكبرون مستنكرين ساخرين ، هل هؤلاء الفقراء هم الذين أنعم الله عليهم من بيننا بالخير الذى يعدهم به محمد؟ إن هؤلاء الفقراء يعرفون نعمة الله عليهم بالتوفيق إلى الإيمان فيشكرونه . والله أعلم بمن يشكرون فضله ونعمه .

(1/211)

وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ  
أَنَّهُ مَن عَمَلٍ مِّنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (54)  
وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ وَلِتُنذِرَ الْمُجْرِمِينَ (55) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ  
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ  
الْمُهْتَدِينَ (56) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ  
إِن الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْقَاصِلِينَ (57) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا  
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (58)

54- وإذا جاءك الذين يصدقون بالقرآن فقل لهم تكريماً لهم : سلام عليكم ، أيشركم برحمة الله الواسعة ، التى أوجبها على نفسه تفضلاً منه ، والتى تقضى بأن من عمل منكم سيئة غير متدبر نتأجها ، ثم رجع إلى الله نادماً تائباً ، وأصلح أعماله ، غفر الله له ، لأنه كثير المغفرة واسع الرحمة .

55- ويمثل ذلك البيان الواضح نوضح الدلائل المتنوعة ، ليظهر طريق الحق الذى يسلكه المؤمنون ، ويتبين طريق الباطل الذى يسلكه الكافرون .

56- قل - أيها النبي - لهؤلاء الكفار : إن الله قد نهانى عن عبادة الذين تعبدونهم من دون الله فلا أتبع أهواءكم ، فإنى حين أتبعكم أكون قد انحرفت عن الحق ، ولم أكن من المهتدين!

57- قل لهم : إنى على شريعة واضحة منزلة من ربي وقد كذبتهم القرآن الذى جاء بها ، وليس فى قدرتى أن أقدم ما تستعجلونه من العذاب ، بل هو فى قدرة الله ، ومرهون بإرادته وحكمته ، وليس الأمر والسلطان إلا لله ، إن شاء عجل لكم العذاب ، وإن شاء أخره ، له سبحانه فى ذلك الحكمة ، وهو خير الفاصلين بيني وبينكم .

58- قل : لو أن فى قدرتى إنزال العذاب الذى تتعجلونه ، لأنزلته عليكم غضبا



لربى ، وانتهى الأمر بينى وبينكم بذلك ، ولكن الأمر لله وهو أعلم بما يستحقه الكافرون من العذاب العاجل أو الآجل .

(1/212)

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْعَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (60) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَجْدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلْنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62)

59- وعند الله علم جميع أبواب المغيبات ، لا يحيط بها علماً إلا هو ومن يريد إعطائه بعضها ، ويحيط علمه كذلك بجميع الموجودات فى البر والبحر ولا تسقط ورقة - آية ورقة كانت - إلا يعلمها ، ولا تسقط حبة ما فى باطن الأرض ولا شئ رطب ولا يابس ، إلا وهو سبحانه محيط بعلمه إحاطة تامة .  
60- وهو الذى ينمكم بالليل ، ويوقظكم بالنهار ، ويعلم ما كسبتم فيه حتى ينتهى أجل كل منكم فى الدنيا بموته ، ثم يوم القيامة ترجعون جميعاً إلى الله - وحده - يخبركم بأعمالكم فى الدنيا من خير أو شر ، ويجازيكم عليها .  
61- هو الغالب بقدرته ، المستعلى بسلطانه على عباده ، والذى يرسل عليكم ملائكة يحصون كل أعمالكم إلى أن تجئ نهاية كل منكم ، فتقبض روحه ملائكتنا الذين نرسلهم لذلك ، وهم لا يقصرون فيما يوكل إليهم .  
62- ثم يُبعث هؤلاء الأموات يوم القيامة ، ويوقفون أمام ربهم الذى يتولى وحده أمورهم بحق . اعلموا أن له - وحده - الفصل بين الخلائق وحسابهم فى ذلك اليوم ، وهو أسرع من يتولى الحساب والجزاء .

(1/213)

قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ (64) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (66) لِكُلِّ تَبَا مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67) وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَعْفُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68)

63- قل - أيها النبى - للمشركين : من الذى ينقذكم من أهوال البر والبحر ، إذا حلت بكم ، فلجأتكم إليه تدعونه فى خضوع ظاهر وباطن قائلين : نقسم لئن أنقذتنا من هذه الأهوال لنكونن من المقربين بفضلك ، القائمين بشرك .

64- قل : الله - وحده - هو الذى ينقذكم من هذه الأهوال ، ومن كل شدة أخرى ، ثم أنتم مع ذلك تشركون معه فى العبادة غيره مما لا يدفع شراً ولا يجلب خيراً .

65- قل : إن الله - وحده - هو الذى يقدر على أن يرسل عليكم عذاباً يأتىكم من أعلاككم أو من أسفلكم . أو يجعل بعضكم لبعض عدواً . وتكونون طوائف مختلفة الأهواء متناكرة ، يعذب بعضكم بعضاً عذاباً شديداً!! انظر كيف دلت الدلائل على قدرتنا واستحقاقنا وحدنا للعبادة ، لعلهم يتأملونها ويفهمون الحق! 66- وكذب قومك بالقرآن ، وهو الحق الذى لا موضع فيه لتكذيب قل أيها النبى لهم : لست موكلاً بحفظكم ، وإحصاء أعمالكم ومجازاتكم عليها . بل أمركم فيها إلى الله .

67- لكل خبر جاء به القرآن وقت يتحقق فيه . وسوف تعلمون - صدق - هذه الأخبار عند وقوعها .

68- وإذا حضرت مجلس الكفار ، ووجدتهم يطعنون فى آيات القرآن ، أو يستهزئون بها ، فانصرف عنهم حتى ينتقلوا إلى حديث آخر . وإن نسيت وجالستهم فى أثناء حديثهم الباطل . ثم تذكرت أمر الله بالبعد عنهم . فلا تجلس بعد التذكر مع القوم الظالمين .

(1/214)

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لِعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (69)  
وَدَّرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70) قُلْ أُدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَبِهْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَمَا لَهُ هَادٍ فَهُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَإِنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72)

69- وليس على الذين يتقون الله شئ من إثم هؤلاء الظالمين ، إذا استمروا على ضلالهم ، ولكن يجب أن يُذكروهم ، لعلهم يخشون عذاب الله ويكفون عن الباطل .

70- واترك - أيها النبى - الذين اتخذوا شريعتهم اللهو واللعب ، وخذعتهم الحياة الدنيا عن الآخرة ، وذكروا دائماً بالقرآن ، وحذرهم هول يوم تحبس فيه كل نفس بعملها ، حيث لا ناصر ولا معين غير الله ، وإن كل فدية للنجاة من العذاب لا تقبل . أولئك الكافرون الذين حبسوا فى العذاب بسبب ما عملوا من شر ، لهم فى جهنم شراب من ماء شديد الحرارة ، وعذاب شديد الألم بسبب كفرهم .

71- قل لأولاء الكفار توبيخاً لهم ، هل يصح أن يعبد غير الله مما لا يملك جلب نفع ، ولا دفع ضرر ، ومنتكس فى الشرك بعد أن وفقنا الله إلى الإيمان ، ونكون كالذى غررت به الشياطين وأضلته فى الأرض ، فصار فى حيرة لا يهتدى معها إلى الطريق المستقيم ، وله رفقة مهتدون يحاولون تخليصه من الضلال ، قائلين له : ارجع إلى طريقنا السوى ، فلا يستجيب لهم . قل - أيها النبى - : إن

الإسلام هو الهدى والرشاد ، وما عداه ضلال ، وقد أمرنا الله بالانقياد له ، فهو خالق العالمين ورازقهم ومدبر أمورهم .  
72- أعرضوا عن المشركين بعد أن تدعوهم إلى الهدى ، وانصرفوا إلي عبادة ربكم ، وأدوا الصلاة على أكمل وجه من الخضوع ، وخافوا الله ، وأدوا أوامره ، فإنه هو الذى تجمعون عنده .

(1/215)

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرْتَنِ لِي بِهَذَا أَوْ أَتَّخَذُ أَصْنَامًا آلهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُبِّرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَاتِ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَهْمَرَ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77)

73- وهو الله وحده الذى خلق السموات والأرض ، وأقام خلقهما على الحق والحكمة ، وفى أى وقت تتجه إرادته سبحانه إلى إيجاد شئ يوجد فوراً ، يوجد الأشياء بكلمة : « كن » ، وكل قول له هو الصدق والحق ، وله وحده التصرف المطلق يوم القيامة ، حين يُنْفَخُ فى البوق إيذاناً بالبعث ، وهو سبحانه الذى يستوى فى علمه الغائب والحاضر ، وهو الذى يتصرف بالحكمة فى جميع أفعاله ، والذى يحيط علمه ببواطن الأمور وظواهرها .  
74- واذكر - أيها النبي - ما كان ، حين قال إبراهيم لأبيه آزر ، منكراً عليه عبادة غير الله : ما كان لك أن تجعل الأصنام آلهة؟ إنى أراك وقومك الذين يشاركونك فى هذه العبادة فى بُعْدٍ واضح عن طريق الحق .  
75- وكما رأى إبراهيم - بتوفيقنا - ضلال أمته وقومه فى تأليه الأصنام نريه مُلكنا العظيم للسموات والأرض وما فيهما ، ليقيم الحُجة على قومه ، وليزداد إيماناً .  
76- طلب إبراهيم ربه ، فهداه الله ، إذ ستر الليل وجه النهار بظلمته ، فرأى نجماً متألّقاً ، قال : هذا ربي . فلما غاب ، قال مبطلاً لربوبية النجم : لا أقبل عبادة الآلهة الزائلين المتغيرين! .  
77- وحين رأى القمر طالعاً بعد ذلك قال محدثاً نفسه : هذا ربي . فلما غاب هو الآخر ، وظهر بطلان ربوبيته ، قال ليوجه نفوسهم إلى التماس الهداية : أقسم إن لم يهدنى ربي إلى الحق لأكونن من القوم الحائرين .

(1/216)

فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْثَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ رَبِّي سَنِيئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَسْرَكْتُمْ وَلَا يَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَسْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)

78- ثم رأى الشمس طالعة بعد ذلك ، فقال محدثاً نفسه : هذا ربى ، لأنه أكبر ما يرى من الكواكب ، فلما غابت قال : يا قوم إني برئ من الأصنام التى تشركونها مع الله فى العبادة .

79- بعد أن رأى ضعف المخلوقات اتجه إلى خالقها قائلاً : إني وجهت قصدى إلى عبادة الله - وحده - الذى خلق السموات والأرض ، مجانياً كل سبيل غير سبيله وما أنا بعد الذى رأيت من دلائل التوحيد - ممن يرضى أن يكون من المشركين مثلهم .

80- ومع ذلك جادله قومه فى توحيد الله ، وخوفوه غضب آلهتهم ، فقال لهم : ما كان لكم أن تجادلونى فى توحيد الله وقد هدانى إلى الحق ، ولا أخاف غضب آلهتكم التى تشركونها مع الله ، لكن إذا شاء ربى شيئاً من الضر وقع ذلك ، لأنه - وحده - القادر ، وقد أحاط علم ربى بالأشياء كلها ، ولا علم لآلهتكم بشئ منها . أتغفلون عن كل ذلك فلا تدركون أن العاجز الجاهل لا يستحق أن يعبد؟! .

81- وكيف تتصورون أنى يمكن أن أخاف آلهتكم الباطلة ، على حين لا تخافون الإله الحق الذى أشركتم به غيره فى العبادة؟! فأى فريق منا فى هذه الحالة أحق بالطمأنينة والأمان ، إن كنتم تعلمون الحق وتدركونه؟

82- الذين آمنوا بالله ، ولم يخلطوا إيمانهم هذا بعبادة أحد سواه ، هؤلاء - وحدهم - هم الأحق بالطمأنينة ، وهم - وحدهم - المهتدون إلى طريق الحق والخير .

(1/217)

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89)

83- وتلك الحجة العظيمة على ألوهيتنا ووجدانيتنا ، أعطيناها إبراهيم ليقمها على قومه ، فارتفع بها عليهم ، وستنتنا فى عبادنا أن نرفع بالعلم والحكمة من نريد منهم درجات . إن ربك - أيها النبى - حكيم يضع الشئ فى موضعه ، عليم بمن يستحق الرفعة ومن لا يستحق .

84- ووهبنا لإبراهيم إسحق ويعقوب بن إسحق ، ووقفنا كلا منهما إلى الحق والخير كإبيهما ، ووقفنا من قبلهم نوحاً إلى ذلك ، وهدينا من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكما جزينا هؤلاء نجزي المحسنين

- بما يستحقون .
- 85- وهدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس ، كل واحد من هؤلاء من عبادنا الصالحين .
- 86- وهدينا إسماعيل وإيسع ويونس ولوطا ، وفضلنا كل واحد من هؤلاء جميعاً على العالمين فى زمانه ، بالهداية والنبوة .
- 87- واصطفينا بعض آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم ، ووقفناهم إلى طريق لا اعوجاج فيه .
- 88- ذلك التوفيق العظيم الذى ناله هؤلاء ، هو توفيق من الله ، يوفق إليه من يشاء من عباده . ولو أشرك هؤلاء المختارون لصاعت كل أعمال الخير التى يعملونها ، فلا يكون عليها ثواب .
- 89- أولئك الذين آتيناهم الكتب المنزلة والعلم النافع وشرف النبوة ، فإن يحدد بهذه الثلاثة مشركو مكة فقد عهدنا برعايتها والانتفاع بها إلى قوم لا يكفرون بها .

(1/218)

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ افْتَدَاهُ قُلُوبَهُمْ لَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (90) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ يَلْمَسُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ تَمَّ دَرُهُمْ فِي جَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (92)

- 90- أولئك الذين وفقهم الله إلى طريق الحق والخير ، فاتبعهم فيما اجتمعوا عليه من أصول الدين وأمهات الفضائل ، ولا تسلك غير سبيلهم . . قل - أيها النبي - لقومك كما قال هؤلاء لأقوامهم : لا أطلب منكم على تبليغ كلام الله أجراً! ما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين ، ولا غاية لى إلا أن تنتفعوا به .
- 91- هؤلاء الكفار لم يقدروا الله ورحمته وحكمته حق التقدير ، إذ أنكروا أن تنزل رسالته على أحد من البشر! قل - أيها النبي - للمشركين ومن يشايعهم على ذلك من اليهود : من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً يضىء ، وهدى يرشد؟ إنكم - أيها اليهود - تجعلون كتابته فى أجزاء متفرقة تظهرون منها ما يتفق وأهواءكم ، وتخفون كثيراً مما يلجئكم إلى الإيمان والتصديق بالقرآن ، وعلمتم منه ما لم تكونوا تعلمونه أنتم ولا آبؤكم!! وتول أنت - أيها النبي - الجواب ، وقل لهم : الله هو الذى أنزل التوراة ، ثم اتركهم يمشون فى الضلال عابثين كالصبيان .
- 92- وهذا القرآن كتاب أنزلناه - كما أنزلنا التوراة - كثير الخير ، باق إلى يوم القيامة ، مصدق لما تقدمه من الكتب المنزلة ، مخبر عن نزولها ، لتبشر به المؤمنين ، وتخوف الكفار من أهل مكة ومن حولها فى جميع أنحاء الأرض من غضب الله ، إذا لم يذعنوا له . والذين يصدقون بيوم الجزاء يحملهم رجاء الثواب والخوف من العقاب على الإيمان به ، وهم لذلك يحافظون على أداء صلاتهم كاملة مستوفاة .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ  
وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ  
وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ  
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ بَسِتِكِيرُونَ (93) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا  
فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ  
شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَرْغُمُونَ (94) إِنَّ اللَّهَ قَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ  
الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَتَى ثُفُوكُونَ (95)

93- لم يكذب النبي حين أعلن أن القرآن من عند الله ، وليس أحد أكثر ظلماً ممن اختلق الكذب على الله ، أو قال : تلقيت وحياً من الله ، دون أن يكون قد تلقى شيئاً من الوحي . وليس أحد كذلك أشد ظلماً ممن قال : سأتى بكلام مثل ما أنزله الله! ولو تعلم حال الظالمين ، وهم في شدائد الموت . والملائكة ينزعون أرواحهم من أجسادهم في قسوة وعنف ، لرأيت هؤلاء رهيباً ينزل بهم! ويقال لهم حينئذ : الآن تبدأ مجازاتكم بالعذاب المذل المهين ، جزاء ما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وجزاء استكباركم عن النظر والتدبر في آيات الله الكونية والقرآنية .

94- ويقول لهم الله يوم القيامة : لقد تأكدتم الآن بأنفسكم أنكم بعثتم أحياء من قبوركم كما خلقناكم أول مرة ، وحيثم إلينا منفردين عن المال والولد والأصحاب ، وتركتم وراءكم في الدنيا كل ما أعطيناكم إياه مما كنتم تغترون به ولا نرى معكم اليوم الشفعاء الذين زعمتم أنهم ينصرونكم عند الله ، وأنهم شركاء لله في العبادة! لقد تقطعت بينكم وبينهم كل الروابط ، وغاب عنكم ما كنتم تزعمون أنهم ينفعونكم!

95- إن دلائل قدرة الله على البعث ، واستحقاقه وحده للعبادة ، وبعثه للناس من قبورهم ، متوافرة متنوعة ، فهو وحده الذى يشق الحب ، ويخرج منه النبات ، ويشق النوى ويخرج منه الشجر ، ويخرج الحى من الميت كالإنسان من التراب ، ويخرج الميت من الحى كاللبن من الحيوان ، ذلك القادر العظيم هو الإله الحق ، فليس هناك صارف يصرفكم عن عبادته إلى عبادة غيره .

قَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98)

96- هو الذى يشق غيش الصبح بضوء النهار ، ليسعى الأحياء إلى تحصيل أسباب حياتهم ، وجعل الليل ذا راحة للجسم والنفس ، وجعل سير الشمس والقمر بنظام دقيق يعرف به الناس مواقيت عباداتهم ومعاملاتهم .

ذلك النظام المحكم ، تدبير القادر المسيطر على الكون المحيط بكل شئ  
علماً .

97- وهو الذى جعل لكم النجوم لتتهتدوا بمواقعها إلى مقاصدكم ، وأنتم  
سائرون فى ظلمات الليل بالبر والبحر ، إنا قد بينا دلائل رحمتنا وقدرتنا لقوم  
ينتفعون بالعلم .

98- هو الذى أنشأكم من أصل واحد ، هو أبو البشر آدم ، وآدم من الأرض ،  
فالأرض مكان استقراركم مدة حياتكم ، ومستودع لكم بعد موتكم وتغييبكم فى  
بطنها ، وقد بينا دلائل قدرتنا لقوم يدركون ويفهمون الأشياء على وجهها .

(1/221)

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا  
نُخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ  
وَالزَّيْتُونِ وَالرَّمَّانِ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ  
بَيْنَ وَتَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100)

99- وهو الذى أنزل من السحاب ماءً أخرج به نبات كل صنف ، فأخرج من  
النبات شيئاً عَصاً طرياً ، ونخرج منه حباً كثيراً بعضه فوق بعض ، ومن طلع  
النخل عراجين نخرجها محملة بالثمار سهلة التناول ، وأخرجنا كذلك بالماء  
جنات من الأعناب والزيتون والرمان ، ومنها ما هو متماثل الثمر فى الشكل  
وغير متماثل فى الطعم والرائحة ونوع الفائدة . انظروا فى تدبر واعتبار إلى  
ثمره حين يثمر ، وإلى نضجه كيف تم بعد أطوار مختلفة؟ إن فى ذلك لدلائل  
لقوم ينشدون الحق ويؤمنون به ويدعون له .

100- واتخذ الكافرون - مع هذه الدلائل - الملائكة والشياطين شركاء لله ،  
وقد خلقهم فلا يصح مع علمهم ذلك أن يعبدوا غيره ، وهو الذى خلق الملائكة  
والشياطين ، فلا ينبغى أن يعبدوهم وهم مخلوقون مثلهم! . . واختلق هؤلاء  
الكفار لله بنين : فزعم النصارى أن المسيح ابن الله ، وزعم مشركو بعض  
العرب أن الملائكة بنات الله ، وذلك جهل منهم . تنزه الله تعالى عما يفترون  
فى أوصافه سبحانه!

(1/222)

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ  
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ  
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103) قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ  
عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا  
دَرَسَتْ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
وَاعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106)

- 101- الله الذى أنشأ السموات والأرض على غير مثال سبق : كيف يكون له ولد كما يزعم هؤلاء ، مع أنه لم تكن له زوجة ، وقد خلق جميع الأشياء وفيها هؤلاء الذين اتخذوهم شركاء ، وهو عالم بكل شئ يحصى عليهم ما يقولون وما يفعلون ، وهو مجازيهم على قولهم وفعلهم .
- 102- ذلك المتصف بصفات الكمال هو الله ربكم ، لا إله غيره ، خالق كل شئ مما كان وما سيكون ، فهو - وحده - المستحق للعبادة ، فاعبدوه ، وهو - وحده - المتولى كل أمر وكل شئ ، فالإله - وحده - المرجع والمآب .
- 103- لا تبصر ذاته العيون ، وهو يعلم دقائق العيون وغير العيون ، وهو اللطيف فلا يغيب عنه شئ ، الخبير فلا يخفى عليه شئ .
- 104- قل - أيها النبى - للناس : قد جاءكم من خالقكم ومالك أمركم حُجج وبيانات فى القرآن ، تنير لكم طريق الحق ، فمن انتفع بها فانتفاعه لنفسه ومن أعرض عنها جنى على نفسه . لست أنا بمحافظ عليكم ، بل أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم .
- 105- ومثل هذا التنوع البديع فى عرض الدلائل الكونية نعرض آياتنا فى القرآن منوعة مفصلة ، لنقيم الحُجة بها على الجاحدين ، فلا يجدوا إلا اختلاق الكذب ، فيتهموك بأنك تعلمت من الناس لا من الله ولنبين ما أنزل إليك من الحقائق - من غير تأثر بهوى - لقوم يدركون الحق ويذعنون له .
- 106- اتبع - أيها النبى - ما جاءك به الوحي من الله ، مالك أمرك ومدبر شئونك ، إنه - وحده - الإله المستحق للطاعة والخضوع ، فالتزم طاعته ، ولا تبال بعناد المشركين .

(1/223)

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107)  
 وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ  
 أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (108) وَأَفْسُمُوا  
 بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا  
 يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ  
 يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طَعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110) وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا آلِهَـمُ  
 الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ  
 يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111)

- 107- ولو أراد الله أن يعبدوه وحده لقهروهم على ذلك بقوته وقدرته ، ولكنهم تركهم لاختيارهم ، وما جعلناك رقيباً على أعمالهم ، وما أنت بمكلف أن تقوم عنهم بتدبير شئونهم وإصلاح أمرهم .
- 108- لا تسبوا - أيها المؤمنون - أصنام المشركين التى يعبدونها من دون الله ، فيحملهم الغضب لها على إغاظتكم بسبب الله تعدياً وسفهاً . مثل ما زينا لهؤلاء حب أصنامهم يكون لكل أمة عملها حسب استعدادها ، ثم يكون مصير الجميع إلى الله - وحده - يوم القيامة ، فيخبرهم بأعمالهم ويجازيهم عليها .
- 109- وأقسم المشركون بأقصى أيمانهم لئن جاءتهم آية مادية من الآيات التى اقترحوها ليكون ذلك سبباً فى إيمانهم ، قل - يا أيها النبى - : إن هذه الآيات من عند الله ، فهو - وحده - القادر عليها ، وليس لى يد فيها ، إنكم - أيها



المؤمنون - لا تدرون ما سبق به علمى من أنهم إذا جاءتهم هذه الآيات  
لا يؤمنون .  
110- وإنكم لا تدرون أيضاً أننا نقلب قلوبهم عند مجئ الآيات بالخواطر  
والتأويلات ، ونقلب أبصارهم بتوهم التخيلات ، فيكونون بعد الآيات كحالهم  
قبلها ، وندعهم فى ظلمهم وعنادهم يتخطون .  
111- إن أولئك الذين أقسموا إذا جاءتهم آية ليؤمنن بها كاذبون ، والله أعلم  
بإيمانهم ، ولو أننا نزلنا الملائكة يرونهم رأى العين ، وكلمهم الموتى بعد  
إحيائهم وإخراجهم من قبورهم ، وجمعنا لهم كل شئ مقابلاً لهم مواجهاً يبين  
لهم الحق ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله تعالى أن يؤمنوا ، والأكثرون لا  
يدركون الحق ولا يدعون له ، لما أصاب قلوبهم من عمياء الجاهلية .

(1/224)

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ  
رُحُوفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)  
وَلِتَضَعَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَوْهُ وَليَقْتَرُوا مَا هُمْ  
مُفْتَرُونَ (113) أَفَعَيَّرَ اللَّهُ ابْتِغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا  
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
الْمُضْمِرِينَ (114) وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ (115)

112- وكما أن هؤلاء عادوك وعاندوك وأنت تريد هدايتهم جعلنا لكل نبي يبلغ  
عنا أعداء من عتاة الإنس وعتاة الجن الذين يخفون عنك ولا تراهم ، يوسوس  
بعضهم لبعض بكلام مزخرف مُمَوَّه لا حقيقة له ، فيلقون بذلك فيهم الغرور  
بالباطل ، وذلك كله بتقدير الله ومشيئته ، ولو شاء ما فعلوه ، ولكنه لتمحيص  
قلوب المؤمنين . فاترك الضالين وكفرهم بأقوالهم التى يقترفونها .  
113- وإيهم يموهون القول الباطل ليغروا أنفسهم وبرزوها ، ولتميل إليه  
قلوب من على شاكلة أولئك العتاة الذين لا يدعون للآخرة ، ويعتقدون أن  
الحياة هى الدنيا ، وليقعوا بسبب عدم اعتقادهم باليوم الآخر فيما يقترفون من  
أثام وفجور .

114- قل لهم - أيها النبي - هذا حكم الله بالحق بينتة الآيات الساطعة ، فلا  
يسوغ أن أطلب حكماً غيره يفصل بينى وبينكم ، وقد حكم سبحانه فأنزل  
الكتاب الكريم حجة لى عليكم ، وقد عجزتم أن تأتوا بمثله ، وهو مبين للحق  
وللعدل ، وإن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أنه منزل من عند الله مشتملاً على  
الحق ، كما بشرت كتبهم . وإن حاولوا إخفاء ذلك وكتمانه ، فلا تكونن - يا أيها  
النبي - أنت ومن اتبعك من الذين يشكون فى الحق بعد بيانه .

115- وإنَّ حُكْمَ اللَّهِ قَدْ صَدَرَ ، فتمت كلمات ربك الصادقة العادلة ، بإنزال  
الكتاب الكريم مشتملاً على الصدق ، وفيه الميزان الصادق بين الحق والباطل  
، ولا يوجد من يغير كلمات الله وكتابه ، وهو سبحانه سميع لكل ما يقال ، عليم  
بكل ما يقع منهم .

(1/225)

وَإِنْ يُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْرَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْعُرُونَ (120)

- 116- وإذا كان سبحانه هو الحكم العدل الذي يُرْجَعُ إلى كتبه في طلب الحق ومعرفته ، فلا تتبع - أيها النبي - أنت ومن معك أحداً يخالف قوله الحق ، ولو كانوا عدداً كثيراً . فإنك إن تتبع أكثر الناس الذين لا يعتمدون على شرع مُنزل يبعدوك عن طريق الحق المستقيم وهو طريق الله تعالى ، لأنهم لا يسيرون إلا وراء الظنون والأوهام ، وإن هم إلا يقولون عن تخمين لا يُبنى على برهان .
- 117- وإن ربك هو العليم علماً ليس مثله علم بالذين بعدوا عن طريق الحق ، والذين اهتدوا إليه وصارت الهداية وصفاً لهم .
- 118- وإذا كان الله تعالى هو الذي يعلم المهتدين والصالين ، فلا تلتفتوا إلى ضلال المشركين فيتحریم بعض الأنعام ، وكلوا منها ، فقد رزقكم الله تعالى إياها ، وجعلها حلالاً وطيبة لا ضرر في أكلها ، واذكروا اسم الله تعالى عليها عند ذبحها ، ما دتم مؤمنين به ، مدعين لأدلته .
- 119- وإنه لا يوجد أي مبرر أو دليل يمنعكم أن تأكلوا مما يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه من الأنعام ، وقد بين سبحانه وتعالى المحرّم في غير حال الاضطرار ، كالميتة والدم . وإن الكثيرين من الناس يبعدون عن الحق بمحض أهوائهم ، من غير علم أوتوه ، أو برهان قام عندهم ، كأولئك العرب الذين حرّموا بعض النعم عليهم . ولستم معتدين في أكلكم ما وُلِدَ ، بل هم المعتدون بتحريم الحلال ، والله - وحده - هو العليم علماً ليس مثله علم بالمعتدين حقاً .
- 120- ليست التقوى في تحريم ما أحل الله ، إنما التقوى في ترك الإثم ظاهره وباطنه ، فاتركوا الآثام في أعمالكم ظاهرها وخفيها ، وإن الذين يكسبون الإثم سيجزون مقدار ما اقترفوا من سيئات .

(1/226)

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121) أَوْهَيْنَ كَانَ مَبِيتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (123) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِرَ حَتَّى نُؤْتَى مِنْ أَوْتِي رُسُلِ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (124)

121- وإذا كانت الأنعام حلالا لكم بذبحها ، فلا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله تعالى عليه عند ذبحه إذا تركت فيه التسمية عمداً ، أو ذكر فيه اسم غير الله تعالى ، فإن هذا فسق وخروج عن حكم الله . . وإن العتاة المفسدين من إبليس وأعوانه ليوسوسون في صدور من استولوا عليهم ، ليجادلوكم بالباطل . وليجروكم إلى تحريم ما أحل الله ، وإن اتبعتموهم فإنكم مثلهم في الإشراف بالله .

122- وإنكم بإيمانكم لستم مثل المشركين في شئ ، فليس حال من كان كالميت في ضلله فأنازل الله بصيرته بالهداية التي هي كالحياة ، وجعل له نور الإيمان والحجج والبيات ، يهتدى به ويمشى على ضوئه ، كحال الذي يعيش في الظلام المتكاثف . وكما زين الله الإيمان في قلوب أهل الإيمان ، زين الشيطان الشرك في نفوس الظالمين الجاحدين .

123- لا تعجب - أيها النبي - إذا رأيت أكابر المجرمين في مكة يدبرون الشر ويتفنون فيه! . فكذلك الشأن في كل مدينة كبيرة يدبر الشر فيها الأكابر من المجرمين ، وعاقبتهم عليهم ، وهم لا يشعرون ولا يحسون بذلك .

124- وإن هؤلاء الكبار من المجرمين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من علم ونبوة وهداية ، فإذا جاءتهم حجة قاطعة لا يدعون لها ، ولكن يقولون : لن ندعن للحق حتى ينزل علينا الوحي كما ينزل على الرسل ، والله - وحده - هو الذي يصطفى لرسالته من يشاء من خلقه ، وإن هؤلاء المعاندين إذا كانوا يطلبون الرياسة بهذا العناد ، فسينالهم الصغار والذل في الدنيا بسببه ، وسينالهم العذاب الشديد في الآخرة بسبب تدبيرهم السيئ .

(1/227)

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَا بَصُغْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (127) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128) وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)

125- إذا كان أولئك قد ضلوا واهتديتم ، فيإرادة الله تعالى وقضائه ، فمن يُكتب له الهداية يتسع صدره لنور الإسلام ، ومن يكتب عليه الضلال يكن صدره ضيقاً شديداً الضيق ، كأنه من الضيق كمن يصعد إلى مكان مرتفع بعيد الارتفاع كالسما ، فتتصاعد أنفاسه ولا يستطيع شيئاً ، وبهذا يكتب الله الفساد والخذلان على الذين ليس من شأنهم الإيمان .

126- وهذا الذي بيناه هو طريق الحق المستقيم ، قد فصلناه ووضحناه للناس ، ولا ينتفع به إلا الذين من شأنهم التذكر وطلب الهداية .

127- ول هؤلاء المتذكرين المؤمنين دار الأمن ، وهي الجنة ، وهم في ولاية الله ومحبته ونصرته ، بسبب ما عملوا في الدنيا من خير .

128- وإذا كان الذين سلكوا صراط الله المستقيم لهم الأمن وولاية الله ،

فالذين سلكوا طريق الشيطان لهم جزاء ما ارتكبوا ، حين يحشر الجميع يوم القيامة ، ويقول - جل جلاله - للآثمين من الجن والإنس : أيها المجتمعون من الجن قد أكثرتم من إغواء الإنس حتى تبعكم منهم عدد كثير! . فيقول الذين اتبعوهم من الإنس : يا خالقنا والقائم علينا ، قد انتفع بعضنا ببعض ، واستمتعنا بالشهوات ، وبلغنا أجلنا الذي حددته لنا . فيقول - جل جلاله - : مقرر النار خالدين فيها إلا مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَنْقِذَهُمْ مِنْ لَمَّا يَنْكُرُوا رَسُولَ اللهِ . وَإِنْ أَفْعَالَ اللهُ دَائِمًا عَلَيَّ مَقْتَضَى الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ .

129- وكما متّعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ، فجعل بعض الظالمين أولياء لبعض بسبب ما يكتسبون من كبائر .

(1/228)

يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَرَّثْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130) ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (131) وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِعَاقِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (133) إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (134) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (135)

130- والله تعالى يقول لهم يوم القيامة : يا أيها الإنس والجن ، لقد جاءتكم الرسل يذكرون لكم الحجج والبيّنات ، ويتلون عليكم الآيات ، ويحذرونكم لقاء الله في يومكم هذا ، فكيف تكذبون؟ فأجابوا : قد أقررنا على أنفسنا بما ارتكبنا ، وقد خدعتهم الحياة الدنيا بمتعتها ، وأقروا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين .

131- وإن إرسال الرسل منذرين مبينين إنما كان لأن ربك - أيها النبي - لا يهلك القرى بظلمهم وأهلها غافلون عن الحق ، بل لا بد أن يبيّن لهم وينذّرهم . 132- ولكل عامل خير أو عامل شر درجاته من جزاء ما يعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، والله سبحانه وهو الخالق البارئ غير غافل عما يعملون ، بل إن عملهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

133- والله ربك هو الغني عن العباد والعبادة ، وهو - وحده - صاحب الرحمة الشاملة ، وبمقتضاها أمركم بالخير ونهاكم عن الشر ، وهو القادر إن يشأ يذهبكم ويجعل في الأرض خلفاء من بعدكم على حسب مشيئته ، وليس ذلك يصعب عليه سبحانه ، فقد خلقكم من ذرية آخرين سبقوكم ، وكنتم وارثين الأرض من بعدهم .

134- وإن الذي ينذركم به من عقاب ، ويبشركم به من ثواب بعد البعث والجمع والحساب آتٍ لا محالة ، وما أنتم بمعجزين من يطلبكم يومئذ ، فلا قدرة لكم على الامتناع عن الجمع والحساب .

135- قل - أيها النبي - لهم مهذباً : اعملوا على النحو الذي اخترتموه بكل ما في قدرتكم ، وإنى عامل في ناحية الحق ، وستعلمون حتماً من تكون له

العاقبة الحسنة فى الدار الآخرة ، وهى لأهل الحق لا محالة ، لأنكم ظالمون  
والله تعالى لم يكتب الفوز للظالمين .

(1/229)

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِعْمِهِمْ وَهَذَا  
لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى  
شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ  
أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ  
فَدَرَّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ  
نَشَاءَ بِرِعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً  
عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138)

136- المشركون الذين يعبدون الأوثان فى أوهام مستمرة ، فهم يجعلون مما  
خلق الله تعالى وأنشأه من الزرع ومن الإبل والبقر والغنم ، جزءاً لله تعالى  
ينفقونه على الضيفان والمحتاجين ، وجزءاً آخر ينفقونه على خدمة الأوثان  
التي جعلوها شركاء لله تعالى بزعمهم ، فما يجعلونه للأوثان يصل إلى أوثانهم  
فينفقونه عليها ، وما يجعلونه لله بزعمهم لا يصل شى منه إلى الضيفان  
والفقراء ، وما أسوأ حكمهم الظالم ، لأنهم جعلوا الأوثان نظراء لخالق الحرث  
والنسل ، ولأنهم لا ينفقون ما جعلوه لله فى مصارفه .

137- وكما زَيَّنَتْ لهم أوهامهم تلك القسمة الظالمة لما خلق الله من حرث  
وإبل وبقر وغنم ، قد زَيَّنَتْ لهم أوهامهم فى الأوثان التي زعموها شركاء لله  
قتل أولادهم عند الولادة ، وأن يُنذروا لآلهتهم ذبح أولادهم ، وإن تلك الأوهام  
تُردِيهم وتخلط عليهم أمر الدين ، فلا يدركونه على وجهه ، وإذا كانت الأوهام  
لها ذلك السلطان على عقولهم ، فاتركهم وما يفترونه على الله تعالى وعليك  
وسينالون عقاب ما يفترون ، وتلك مشيئة الله ، فلو شاء ما فعلوا .

138- ومن أوهامهم أنهم يقولون : هذه إبل وبقر وغنم وزرع ممنوعة ، لا يأكلها  
أحد إلا من يشاءون من حِدْمَةِ الأوثان ، وذلك من زعمهم الباطل ، لا من عند  
الله . وقالوا أيضاً : هذه إبل حُرِّمَتْ ظهورها فلا يركبها أحد ، وهم مع ذلك لا  
يذكرون اسم الله تعالى عند ذبح ما يذبحون من إبل وبقر وغنم ، وذلك لكذبهم  
على الله تعالى بشركهم ، والله تعالى سيجزيهم بالعذاب فى الآخرة ، بسبب  
افتراءهم وتحريمهم ما يُحَرِّمُونَ من غير تحريم الله تعالى .

(1/230)

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ  
مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) قَدْ حَسِبَ الَّذِينَ  
قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا  
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (140) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ  
وَالنَّخْلَ وَالرُّزْقَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مِثْلَهَا وَغَيْرَ مِثْلَيْهِ كَلُوا مِنْ  
تَمْرِهِ إِذَا أَمَرُوا وَأَمَّا حَقُّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141)

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ  
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (142)

139- ومن أوهام هؤلاء المشركين أنهم يقولون : ما فى بطون الأنعام التى جعلوها ممنوعة لا تذبح ولا تتركب ، ما فى بطونها من أجنة خالص للذكور من الرجال ، ويُحَرَّم منه النساء ، ومع ذلك إذا نزل ميتاً فهم شركاء فيه ، يأكلون منه ، سيجزيهم الله تعالى على كذبهم الذى وصفوا به فعلهم ، إذ ادَّعَوْا أن هذا التحريم من عند الله تعالى ، وإن الله عليم بكل شئ ، حكيمٌ ، كل أفعاله على مقتضى الحكمة وهو يجزى الأثمين بإثمهم .

140- وقد خسر أولئك الذين قتلوا أولادهم حمقا ووهما ، غير عالمين مغبّة عملهم ودّاعيه ، وحَرَّموا على أنفسهم ما رزقهم الله من زرع وحيوان ، مفتريين على الله بادعاء أنه هو الذى حرم ، وقد بعدوا عن الحق بسبب ذلك ، وما كانوا بسبب هذا الافتراء ممن يتصفون بالهداية .

141- الله - وحده - هو الذى خلق حدائق من الكرم ، منها ما يغرس ويرفع على دعائم ، ومنها ما لا يقوم على دعائم وخلق النخل والزرع الذى يخرج ثمرًا مختلفًا فى اللون والطعم والشكل والرائحة وغير ذلك ، وخلق الزيتون والرمان متشابهًا فى بعض الصفات وغير متشابه فى بعضها الآخر ، مع أن التربة قد تكون واحدة وتسقى جميعها بماء واحد . فكلوا من ثمرها إذا طاب لكم ، وأخرجوا منها الصدقة عند نضجها وجمعها ، ولا تسرفوا فى الأكل فتضروا أنفسكم وتضروا الفقراء فى حقهم ، إن الله لا يرضى عن المسرفين فى تصرفاتهم وأعمالهم .

142- وخلق الله من الأنعام - وهى الإبل والبقر والماعز - ما يحمل أثقالكم ، وما تتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها فراشا ، وهى رزق الله لكم ، فكلوا ما أحل الله منها ولا تتبعوا الشيطان وأوليائه فى افتراء التحليل والتحريم ، كما كان يفعل أهل الجاهلية . إن الشيطان لا يريد لكم الخير ، لأنه عدو ظاهر العداوة .

(1/231)

ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِئَاتِ وَمِنَ الْمَعْرِئَاتِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا  
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ بَيِّنَاتٌ يَعْلَمُ أَنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ  
أُنثِيَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ  
الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ  
كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144)

143- خلق الله من كل نوع من الأنعام ذكرا وأنثى ، فهى ثمانية أزواج خلق من الصان زوجين ، ومن الماعز زوجين ، وقل يا محمد للمشركين منكراً عليهم تحريم ما حرموا من هذا : ما علة تحريم هذه الأزواج كما تزعمون؟ أهى كونها ذكورا؟ ليس كذلك ، لأنكم تحلون الذكور أحيانا . أم هى كونها إناثا؟ ليس كذلك لأنكم ، لأنكم تحلون الإناث أحيانا ، أم هى اشتمال الأرحام عليها . ليس كذلك لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام . أخبرونى بمستند صحيح يعتمد عليه ، إن كنتم صادقين فيما تزعمون من التحليل والتحريم .

144- وخلق الله من الإبل زوجين ، ومن البقر زوجين . قل لهم يا محمد منكراً عليهم : ما علة التحريم لما حرمتم من هذه الأزواج كما تزعمون؟ أهى كونها ذكوراً؟ ليس كذلك ، لأنكم تحلون الذكور أحياناً ، أهى كونها إناثاً؟ ليس كذلك لأنكم تحلون الإناث أحياناً ، أم هى اشتمال الأرحام عليها؟ ليس كذلك لأنكم لا تحرمون الأجنة على الدوام ، وتزعمون أن هذا التحريم من عند الله! أكنتم حاضرين حين وجه إليكم الله هذا التحريم فسمعتم نهيته؟ لم يكن ذلك قطعاً . انتهوا عما أنتم فيه ، فهو ظلم ، وليس هناك أظلم ممن كذب على الله فنسب إليه ما لم يصدر عنه ، ولا سند له من علم يعتمد عليه ، وإنما يريد بذلك إضلال الناس . إن الله لا يوفق الظالمين إذا اختاروا طريق الباطل .

(1/232)

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (145) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْإِبِلِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (146) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147)

145- قل - أيها النبي - : لا أجد الآن فى مصدر التحليل والتحريم الذى أوحى به إلى طاعماً محرماً على أكل يأكله ، إلا أن يكون هذا الشئ ميتة لم تدك ذكاة شرعية ، أو دماً سائلاً ، أو لحم خنزير ، فإن ذلك المذكور ضارٌ خبيث لا يجوز أكله أو أن يكون هذا الشئ المحرم فيه خروج من العقيدة الصحيحة ، بأن ذكر عند ذبحه اسم غير الله ، كصنم معبود آخر . على أن من دعت الضرورة إلى أكل شئ من هذه المحرمات غير طالب اللذة بالأكل ، وغير متجاوز قدر الضرورة ، فلا حرج عليه لأن ربك غفور رحيم .

146- فهذا ما حرمناه عليكم . ولقد حرمناه على اليهود أكل اللحم والشحم وغيرهما من كل ما له ظفر من الحيوانات كالإبل والسباع ، وحرمناه عليهم من البقر والغنم شحومهما فقط ، إلا الشحوم التى حملتها ظهورهما ، أو التى توجد على الأمعاء ، أو التى اختلطت بعظم . وهذا التحريم عقاب لهم على ظلمهم ، وقطمٌ لنفوسهم من اندفاعها فى الشهوات ، وإنا لصادقون فى جميع أخبارنا التى منها هذا الخبر .

147- فإن كذبك المكذبون فيما أوحيت به إليك ، فقل لهم محدراً : إن ربكم الذى يجب أن تؤمنوا به - وحده وتلتزموا أحكامه - ذو رحمة واسعة لمن أطاعه ، ولمن عصاه أيضاً ، حيث لم يعجل بعقوبتهم ، ولكن لا ينبغى أن يغتروا بسعة رحمته ، فإن عذابه لا بد واقع بالمجرمين .

(1/233)

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَأَبُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ





بديهة العقل بالبعد عنها ، لتعقلوا ذلك .  
152- ولا تتصرفوا فى مال اليتيم إلا بأحسن تصرف يحفظه وينميه ، واستصبروا على ذلك حتى يصل اليتيم إلى حالة من الرشد يستطيع معها أن يستقل بالتصرف السليم ، وحينئذ ادفعوا إليه ماله . ولا تمسوا الكيل والميزان بالنقص إذا أعطيتكم ، أو بالزيادة إذا أخذتم ، بل أوفوها بالعدل ما وسعكم ذلك ، فالله لا يكلف نفساً إلا ما تستطيعه دون حرج . وإذا قلتم قولاً فى حكم أو شهادة أو خبر أو نحو ذلك ، فلا تميلوا عن العدل والصدق ، بل تحروا ذلك دون مراعاة لصلة من صلات الجنس أو اللون أو القرابة أو المصاهرة ، ولا تنقضوا عهد الله الذى أخذه عليكم بالتكاليف ، ولا العهود التى تأخذونها بينكم ، فيما يتعلق بالمصالح المشروعة ، بل أوفوا بهذه العهود . أمركم الله أمراً مؤكداً باجتنب هذه المنهيات ، لتذكروا أن التشريع لمصلحتكم .  
153- ولا تحيدوا عن النهج الذى رسمه لكم ، لأنه هو الطريق المستقيم الموصل إلى سعادة الدارين ، بل اتبعوه ، ولا تتبعوا الطرق الباطلة التى نهاكم الله عنها حتى لا تتفرقوا شيعاً وأحزاباً ، وتبعدوا عن صراط الله السوى . أمركم الله أمراً مؤكداً بذلك لتتجنبوا مخالفته .

(1/235)

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ بَلَاءٌ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ (154) وَهَدَيْنَا كِتَابًا أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأْتُوا لِعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ (155) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لِعَافِلِينَ (156) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (157)

154- وقد أنزلنا التوراة على موسى إتماماً للنعمة على من أحسن القيام بأمر الدين ، وأنزلناها تفصيلاً لكل شئ من التعاليم المناسبة لهم ، وهدى إلى الطريق السوى ، ورحمة لهم باتباعه ، وذلك ليؤمن بنو إسرائيل بقاء ربهم يوم القيامة ومحاسبتهم على هذه التكاليف .  
155- وهذا القرآن كتاب أنزلناه مبارك ، مشتمل على الخير الإلهى والمنافع الدينية والدينية ، فاتبعوه واتقوا مخالفته ليرحمكم ربكم .  
156- أنزلناه حتى لا تعتذروا عن عصيانكم وتقولوا : إن الوحي لم ينزل إلا على طائفتين من قبلنا ، هم أهل التوراة وأهل الإنجيل ، ولا علم لنا مطلقاً بتلاوة كتبهم وفهم ما فيها من إرشاد .  
157- وأنزلناه حتى لا تقولوا أيضاً : لو أنزل علينا الوحي الذى نزل عليهم لكننا أكثر منهم هداية وأحسن حالا ، لسعة عقولنا وطيب استعدادنا . لا حجة لكم بعد اليوم على عصيانكم ، ولا محل لقولكم هذا ، فقد جاءكم القرآن من ربكم علامة واضحة على صدق محمد ، ومبيناً لكم جميع ما تحتاجون إليه فى دينكم ودنياكم ، وهدايا إلى الطريق السوى ، ورحمة لكم باتباعه . ولا يكن أحد أظلم ممن كذب بآيات الله التى أنزلها فى كتبه ، وآياته التى خلقها فى الكون ، وأعرض عنها فلم يؤمن ولم يعمل بها ، وسعاقب الذين يعرضون عن آياتنا ، ولا

يتدبرون ما فيها بالعذاب البالغ غايته فى الإيلام ، بسبب إعراضهم وعدم تدبرهم .

(1/236)

---

هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِبْعًا كَسَبَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159) مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160) قُلِ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلِ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)

158- لقد قامت الحجة على وجوب الإيمان ، ولم يؤمن هؤلاء ، فماذا ينتظرون لكى يؤمنوا؟ هل ينتظرون أن تأتيهم الملائكة رسلاً بدل البشیر ، أو شاهدين على صدقك؟ أو أن يأتيهم ربك ليروه ، أو يشهد بصدقك؟ أو أن تأتيهم بعض علامات ربك لتشهد على صدقك؟! وعندما تأتي علامات ربك مما يلجئهم إلى الإيمان لا ينفعهم إيمانهم ، لأنه إيمان اضطرار ، ولا ينفع العاصى أن يتوب ويطيع الآن ، فقد انتهت مرحلة التكليف ، قل لهؤلاء المعرضين المكذبين : انتظروا أحد هذه الأمور الثلاثة ، واستمروا على تكذيبكم ، إنا منتظرون حكم الله فيكم .

159- إن الذين فرَّقوا الدين الحق الواحد بالعقائد الزائفة والتشريعات الباطلة ، وصاروا بسبب ذلك أحزاباً ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم مختلفة ، لست مؤاخذاً بتفرقهم وعصيانهم ولا تملك هدايتهم ، فما عليك إلا البلاغ ، والله - وحده - هو الذى يملك أمرهم بالهداية والجزاء ، ثم يخبرهم يوم القيامة بما كانوا يفعلونه فى الدنيا ويجازيهم عليه .

160- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا يضاعف له ثوابه إلى عشرة أمثاله فضلاً وكرماً ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا سَيِّئًا لَا يَعْاقِبُ إِلَّا بِمِقْدَارِ عَصْيَانِهِ ، عدلاً منه تعالى ، وليس هناك ظلم بنقص ثواب أو زيادة عقاب .

161- قل - يا أيها النبى - مبيناً ما أنت عليه من الدين الحق : إن ربي أرشدنى ووفقنى إلى طريق مستقيم ، بلغ نهاية الكمال فى الاستقامة ، وكان هو الدين الذى اتبعه إبراهيم مائلاً به عن العقائد الباطلة ، وما كان إبراهيم يعبد مع الله إليها آخر كما يزعم المشركون .

162- قل إن صلاتى وجميع عباداتى ، وما آتته فى حال حياتى من الطاعة ، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح ، كله خالص لوجه الله الذى خلق جميع الموجودات ، فاستحق أن يعبد - وحده - وأن يطاع وحده .

(1/237)

---

لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَدْبَعِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (165)

163- ولا شريك له فى الخلق ، ولا فى استحقاق العبادة ، وقد أمرني ربي بذلك الإخلاص فى التوحيد والعمل ، وأنا أول المذعنين الممثلين ، وأكملهم إذعانا وتسليما .

164- قل يا محمد - منكرًا - على المشركين دعوتهم إياك لموافقهم على شركهم : أأطلب للعبادة رباً غير الله ، مع أنه خالق كل شئ؟ وقل لهم - منكرًا عليهم - إنهم لا يحملون عنك خطاياك إذا وافقتهم . لا تعمل أي نفس عملاً إلا وقع جزاؤه عليها - وحدها - ولا تؤاخذ نفس بحمل ذنب نفس أخرى ، ثم تبعثون بعد الموت إلى ربكم ، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه فى الدنيا من العقائد ، ويجازيكم عليه ، فكيف أعصى الله اعتماداً على وعودكم الكاذبة؟ .

165- وهو الذى جعلكم خلفاء للأمم السابقة فى عمارة الكون ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى الكمال المادى والمعنوي لأخذكم فى أسبابه ، ليختبركم فيما أعطاكم من النعم كيف تشكرونها؟ وفيما آتاكم من الشرائع كيف تعملون بها؟ إن ربك سريع العقاب للمخالفين ، لأن عقابه آت لا ريب فيه وكل آت قريب ، وإنه لعظيم المغفرة لمخالفات التائبين المحسنين ، واسع الرحمة بهم .

(1/238)

المص (1) كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (2)

1- المص ، هذه الحروف الصوتية تذكر فى أوائل بعض السور المكية ، لتنبية المشركين إلى أن القرآن الكريم مكون من الحروف التى ينطقون بها ، ومع ذلك يعجزون عن الإتيان بمثله ، كما أن فى هذه الحروف إذا تليت حملاً لهم على السماع إذا تواصوا بالألا يسمعوا القرآن .

2- أنزل إليك القرآن لتنذر به المكذبين ليؤمنوا ، وتذكر به المؤمنين ليزدادوا إيماناً ، فلا يكن فى صدرك ضيق عند تبليغه خوفاً من التكذيب .

(1/239)

اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (3) وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4) قِيمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (5) فَلْتَسْأَلِنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلْتَسْأَلِنَّ الْمُرْسَلِينَ (6) فَلْيَقْضُوا عَلَيْنَهُمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا عَائِينَ (7) وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8)

- 3- اتبعوا ما أوحاه إليكم ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء تستجيون لهم وتستعينون بهم . إنكم قلما تتعظون حين تتركون دين الله وتتبعون غيره مع أن العبر في ذلك كثيرة .
- 4- فقد أهلكنا قري عدة ، بسبب عبادة أهلها غير الله وسلوكهم غير طريقه ، بأن جاءهم عذابنا في وقت غفلتهم واطمئنأنهم ليلاً وهم نائمون ، كما حدث لقوم لوط ، أو نهاراً وهم مستريحون وقت القيلولة كقوم شعيب .
- 5- فاعترفوا بذنبهم الذي كان سبب نكبتهم فما كان منهم عندما رأوا عذابنا إلا أن قالوا - حيث لا ينفعهم ذلك - إنا كنا ظالمين لأنفسنا بالمعصية ولم يظلمنا الله بعذابه .
- 6- وسيكون حساب الله يوم القيامة دقيقاً عادلاً ، فلنسألن الناس الذين أرسلت إليهم الرسل : هل بلغتكم الرسالة؟ وبماذا أجابوا المرسلين؟ ولنسألن الرسل أيضاً : هل بلغتكم ما أنزل إليكم من ربكم؟ وبماذا أجابكم أقوامكم؟
- 7- ولنخبرن الجميع إخباراً صادقاً بجميع ما كان منهم؛ لأننا أحصينا عليهم كل شئ فما كنا غائبين عنهم ، ولا جاهلين لما كانوا يعملون .
- 8- ويوم نسألهم ونخبرهم ، سيكون تقدير الأعمال للجزاء عليها تقديراً عادلاً ، فالذين كثرت حسناتهم ورجحت على سيئاتهم هم الفائزون الذين نصونهم عن النار ويدخلون الجنة .

(1/240)

وَمَنْ حَقَّ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (9) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (10) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16)

- 9- والذين كثرت سيئاتهم ورجحت على حسناتهم هم الخاسرون؛ لأنهم باعوا أنفسهم للشيطان ، فتركوا التدبير في آياتنا كفرأ وعناداً .
- 10- ولقد مكناكم في الأرض فمحناكم القوة لاستغلالها ، والانتفاع بها ، وهيأنا لكم وسائل العيش ، فكان شكركم لله على هذه النعم قليلاً جداً ، وستلقون جزاء ذلك .
- 11- وفي أخبار الأولين عبر ومواعظ ، يتضح فيها أن الشيطان يحاول أن يزيل عنكم النعم بنسيانكم أمر الله ، فقد خلقنا أباكم آدم ، ثم صورناه ، ثم قلنا للملائكة : عظموه فعظموه طاعة لأمر ربهم ، إلا إبليس فإنه لم يمتثل .
- 12- قال الله منكرأ عليه عصيانه : ما منعك عن تعظيم آدم وقد أمرتك به؟ أجاب إبليس في عناد وكبر : أنا خير من آدم لأنك خلقتني من نار وخلقته من طين ، والنار أشرف من الطين .
- 13- فجزاه الله على عناده وكبره بطرده من دار كرامته ، وقال له : اهبط منها ، بعد أن كنت في منزلة عالية ، فما ينبغي لك أن تتكبر وتعصى فيها . . اخرج منها محكوماً عليك بالصغار والهوان .

- 14- قال إبليس لله : أمهلنى ولا تمتنى إلى يوم القيامة .  
 15- فأجابه الله بقوله : إنك من الممهلين المؤخرين .  
 16- ولحقده على آدم وحسده له قال إبليس : بسبب حكمك علىّ بالغواية والضلال ، أقسم لأضلن بنى آدم وأصرفهم عن طريقك المستقيم ، متخذاً فى ذلك كل وسيلة ممكنة .

(1/241)

يَوْمَ لَا يَنْبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْعُومًا مَدْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَائِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَنَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)

- 17- وأقسم لآئبتهم من أمامهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ومن كل جهة استطيعها ، ملتمساً كل غفلة منهم أو ضعف فيهم ، لأصل إلى إغوائهم ، حتى لا يكون أكثرهم مؤمنين بك ، لعدم شكرهم لنعمتك .  
 18- فزاده الله نكاية وقال له : اخرج من دار كرامتى مذموماً بكبرك وعصيانك ، وهالكاً فى نهايتك ، وأقسم أن من أتبعك من بنى آدم لأملأن جهنم منك ومنهم أجمعين .  
 19- وبأ آدم اسكن أنت وزوجك دار كرامتى ، وهى الجنة ، وتنعم بما فيها ، فكل من أى طعام أردتما ، إلا هذه الشجرة ، فلا تقرباها حتى لا تكونا من الظالمين لأنفسهم بالعقاب المترتب على المخالفة .  
 20- فزين لهما الشيطان مخالفة أمر الله ، ليزيل عنهما الملابس ، فتتكشف عوراتهما ، وقال لهما : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين ، أو كراهة أن تكونا من الخالدين الذين لا ينقطع نعيمهم فى هذه الدار .  
 21- وأقسم لهما أنه من الناصحين لهما ، وكرر قسمه .  
 22- فساقهما إلى الأكل من الشجرة بهذه الخدعة ، فلما ذاقا طعمها وانكشفت لهما عوراتهما ، جعلتا يجمعان بعض أوراق الشجر ليسترا بها عوراتهما وعانتها ربهما ، ونبههما إلى خطئهما قائلاً : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأخبركما أن الشيطان لكما عدو مبين لا يريد لكما الخير؟

(1/242)

قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)  
 قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24)  
 قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ

لِيَأْتِيَا يُؤَارِي سَوَآنِيكُمُ وَرَبِّنَا وَلِيَأْسُرَ النَّفْقَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ  
يَذْكُرُونَ (26) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ  
عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا بَيْنَؤُنِيهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا  
جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27)

23- قال آدم وزوجته نادمين متضرعين : يا ربنا ظلمنا أنفسنا بمخالفة أمرك  
الذي استوجب زوال النعيم ، وإن لم تغفر لنا مخالفتنا وترحمنا بفضلك لنكون  
من الخاسرين .

24- قال الله لهما وللشيطان : اهبطوا جميعاً بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى  
الأرض استقرار وتمتع إلى حين انقضاء آجالكم .

25- فى الأرض تولدون وتعيشون ، وفيها تموتون وتدفنون ، ومنها عند البعث  
تخرجون .

26- يا بنى آدم : قد أنعمنا عليكم ، فخلقنا لكم ملابس تستر عوراتكم ، ومواد  
تنزبون بها ، ولكن الطاعة خير لباس يقيكم العذاب . تلك النعم من الآيات  
الدالة على قدرة الله وعلى رحمته ، ليتذكر الناس بها عظمته واستحقاقه  
وحده الألوهية . وتلك القصة من سنن الله الكونية التى تبين جزاء مخالفة أمر  
الله ، فيتذكر بها الناس ويحرصون على طاعة الله وعلى شكر نعمه .

27- يا بنى آدم ، لا تستجيبوا للشيطان وإضلاله ، فتخرجوا من هذه النعم التى  
لا تدوم إلا بالشكر والطاعة ، كما استجاب أبواكم آدم وزوجه فأخرجهما  
الشيطان من النعيم والكرامة ، ونزع عنهما لباسهما وأظهر لهما عوراتهما . إنه  
يأتىكم هو وأعوانه من حيث لا تشعرون بهم ، ولا تحسون بأساليبهم ومكرهم ،  
وليس للشيطان سلطان على المؤمنين ، إنا جعلناه وأعوانه أولياء للذين لا  
يؤمنون إيماناً صادقاً يستلزم الطاعة التامة .

(1/243)

وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِرَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ  
بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا  
وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29)  
فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ (30) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا  
وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31)

28- وإذا فعل المكذبون أمراً بالغ النكر - كالشرك ، والطواف بالبيت عراة ،  
وغيرهما - اعتذروا وقالوا : وجدنا آباءنا يسرون على هذا المنهاج ونحن بهم  
مقتدون ، والله أمرنا به ورضى عنه حيث أقرنا عليه ، قل لهم يا أيها النبى  
منكراً عليهم افتراءهم : إن الله لا يأمر بهذه الأمور المنكرة ، أتنسبون إلى الله  
ما لا تجدون له مستنداً ولا تعلمون عنه دليل صحة النسب إليه سبحانه؟  
29- بين لهم ما أمر به الله وقل : أمر ربى بالعدل وما لا فحش فيه ، وأمركم  
أن تخصوه بالعبادة فى كل زمان ومكان ، وأن تكونوا مخلصين له فيها ، وكلكم  
بعد الموت راجعون إليه ، وكما بدأ خلقكم ببسر وكنتم لا تملكون إذ ذاك شيئاً ،  
ستعودون إليه ببسر تاركين ما حولكم من النعم وراء ظهوركم .

30- وسيكون الناس يوم القيامة فريقين : فريقاً وَّفَقَهُ اللهُ لَأَنَّهُ اخْتَارَ طَرِيقَ الْحَقِّ فَأَمَّنَ وَعَمَلَ عَمَلًا صَالِحًا ، وفريقاً حُكِمَ عَلَيْهِ بِالضَّلَالَةِ؛ لَأَنَّهُ اخْتَارَ طَرِيقَ الْبَاطِلِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالْعِصْيَانُ ، وهؤلاء الضالون قد اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله فاتبعوهم ، وهم يظنون أنهم مُوقَفُونَ لا غرارهم بخداع الشياطين .  
31- يا بني آدم : خذوا زينتكم من اللباس المادى الذى يستر العورة ، ومن اللباس الأدبى وهو التقوى ، عند كل مكان للصلاة ، وفى كل وقت تؤدون فيه العبادة ، وتمتعوا بالأكل والشرب غير مسرفين فى ذلك ، فلا تتناولوا المحرم ، ولا تتجاوزوا الحد المعقول من المتعة ، إن الله لا يرضى عن المسرفين .

(1/244)

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَاللِّبْعَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ قَادِرٌ جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَنْتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35)

32- قل لهم - يا محمد - منكرأ عليهم افتراء التحليل والتحرير على الله : مَنْ الذى حَرَّمَ زينة الله التى خلقها لعباده؟ ومن الذى حرم الحلال الطيب من الرزق؟ قل لهم : هذه الطيبات نعمة من الله ما كان ينبغى أن يتمتع بها إلا الذين آمنوا فى الدنيا ، لأنهم يؤدون حقها بالشكر والطاعة ، ولكن رحمة الله الواسعة شملت الكافرين والمخالفين فى الدنيا ، وستكون هذه النعم خالصة يوم القيامة للمؤمنين ، لا يشاركون فيها غيرهم ، ونحن نفضل الآيات الدالة على الأحكام على هذا المنوال الواضح ، لقوم يدركون أن الله - وحده - مالك الملك بيده التحليل والتحرير .

33- قل يا محمد : إنما حرم ربى الأمور المتزايدة فى القبح كالزنى ، سواء منها ما يرتكب سرا وما يرتكب علانية ، والمعصية أيا كان نوعها ، والظلم الذى ليس له وجه من الحق ، وحَرَّمَ أَنْ تَشْرِكُوا بِهِ دُونَ حُجَّةٍ صَحِيحَةٍ ، أو دليل قاطع ، وأن تفتروا عليه سبحانه بالكذب فى التحليل والتحرير وغيرهما .  
34- ولكل أمة نهيأة معلومة ، لا يمكن لأية قوة أن تقدم هذه النهاية أو تؤخرها أبة مدة مهما قلت .

35- يا بني آدم : إن جاءتكم رسل من جنسكم الآدمى ليبلغوكم آياتى الموحى بها كنتم فريقين : فالذين يؤمنون ويعملون الصالحات مخلصين ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فى دنياهم أو آخراهم .

(1/245)

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (36) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَتَالَهَمُ نَصِيبُهُمْ مِنْ

الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ بُرُؤُهُمْ يَسْأَلُونَكَ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَادِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلَابُنَا فَانْتَهَىٰ عَنْهَا ضَعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضَعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أَوْلَادُهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39)

- 36- والذين يكذبون بالآيات ويستكبرون عن اتباعها والاهتداء بها ، فأولئك أهل النار هم فيها معذبون ، خالدون أبداً فى العذاب .
- 37- فليس هناك أظلم من الذين يفترون الكذب على الله ، بنسبة الشريك والولد إليه ، وادعاء التحليل والتحریم وغيرهما من غير حجة ، أو يكذبون بآيات الله الموحى بها فى كتبه الموجودة فى كونه ، أولئك ينالون فى الدنيا نصيباً مما كتب الله لهم من الرزق أو الحياة أو العذاب ، حتى إذا جاءتهم ملائكة الموت ليقبضوا أرواحهم ، قالوا لهم موبخين : أين الآلهة التى كنتم تعبدونها من دون الله لتدراً عنكم الموت؟ فيجيبون : تبراوا منا ، وتركونا وغابوا عنا ، وشهدوا على أنفسهم مقرين بأنهم كانوا كافرين .
- 38- يقول الله يوم القيامة لهؤلاء الكافرين : ادخلوا النار فى ضمن أمم من كفار الإنس والجن ، قد مضت من قبلكم ، كلما دخلت أمة النار لعنت الأمة التى كفرت مثلها والتى اتخذتها قدوة ، حتى إذا تتابعوا فيها مجتمعين قال التابعون يذمُّون المتبوعين : ربنا هؤلاء أضلونا بتقليدنا لهم ، بحكم تقدمهم علينا أو بحكم سلطانهم فينا ، فصرفونا عن طريق الحق ، فعاقبهم عقاباً مضاعفاً يحملون فيه جزاء عصيانهم وعصياننا ، فيرد الله عليهم : لكل منكم عذاب مضاعف لا ينجو منه أحد من الفريقين ، يضاعف عقاب التابعين لكفرهم وضلالهم ، ولاقتدائهم بغيرهم دون تدبر وتفكر ، وبضاعف عقاب المتبوعين لكفرهم وضلالهم وتكفيرهم غيرهم وإضلالهم ، ولكن لا تعلمون مدى ما لكل منكم من العذاب .
- 39- وهنا يقول المتبوعون للتابعين : إنكم بانقيادكم لنا فى الكفر والعصيان لا تفضلون علينا بما يخفف عنكم من العذاب ، فيقول الله لهم جميعاً : ذوقوا العذاب الذى استوجبتموه بما كنتم تقتربون من كفر وعصيان .

(1/246)

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْعَلُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا جَالِدُونَ (42) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ يُجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَوَدُّوا أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)

- 40- إن الذين كذبوا بآياتنا المنزلة فى الكتب الموجودة فى الكون ، واستكبروا عن الاهتداء بها ولم يتوبوا ، ميئوس من قبول أعمالهم ورحمة الله بهم ، ومن



دخولهم الجنة ، كما أن دخول الجمل فى ثقب الإبرة مئوس منه ، وعلى هذا النحو من العقاب نعاقب المكذبين المستكبرين من كل أمة .  
41- لهم فى جهنم فراش من نار وأغطية من نار ، وعلى هذا النحو فمن ظلم نفسه بالظلم والضلال يعاقب هذا العقاب .  
42- والذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة التى لم نكلفهم إلا ما يطيقونه منها ، أولئك هم أهل الجنة يتنعمون فيها ، خالدين فيها أبداً .  
43- وأخرجنا من قلوبهم ما كان فيها من غل ، فهم فى الجنة إخوان متحابون ، تجرى من تحتهم الأنهار بمائها العذب ، ويقولون - سرورا بما نالوا من النعيم - الحمد لله الذى دلنا على طريق هذا النعيم ، ووفقنا إلى سلوكه ، ولولا أن هدانا الله إليه بإرسال الرسل وتوفيقه لنا ، ما كان فى استطاعتنا أن نوفق إلى الهداية . لقد جاءت رسل ربنا بالوحي الحق ، وهنا يقول الله لهم : إن هذه الجنة هبة من الله ، أعطيتموها فضلاً منى دون عوض منكم كالميراث ، وهذا التكريم بسبب أعمالكم الصالحة فى الدنيا .

(1/247)

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَادِرٌ مُّؤَدِّنُ بَنِيهِمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44)  
الذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (45) وَيَبْتَهِمَا جَهَنَّمَ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ (48)

44- ونادى أهل الجنة أهل النار قائلين : قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب حقا؟ فأجابوهم : نعم ، فنادى مناد بين أهل الجنة وأهل النار : إن الحرمان أو الطرد من رحمة الله جزاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والضلال .  
45- هؤلاء الظالمون هم الذين يمنعون الناس عن السير فى طريق الله الحق ، وهو الإيمان والعمل الصالح ، ويضعون العراقيل والشكوك حتى يبدو الطريق معوجاً للناس فلا يتبعوه ، وهؤلاء كافرون بالدار الآخرة لا يخشون عقاب الله .  
46- وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز يسبق إلى احتلال أعرافه - وهى أماكنه الرفيعة العالية - رجال من خيار المؤمنين وأفاضلهم ، يشرفون منها على جميع الخلائق ، ويعرفون كلا من السعداء والأشقياء بعلامات تدل عليهم من أثر الطاعة والعصيان ، فينادون السعداء قبل دخولهم الجنة وهم يرجون دخولها ، فيبشرونهم بالأمان والاطمئنان ودخول الجنة .  
47- وإذا تحولت أبصار المؤمنين إلى جهة أصحاب النار بعد هذا النداء ، قالوا من هول ما رأوا من نيران : ربنا لا تدخلنا مع هؤلاء الظالمين الذين ظلموا أنفسهم والحق والناس .  
48- ونادى أهل الدرجات العالية فى الجنة ، من الأنبياء والصديقين . من كانوا يعرفونهم بأوصافهم من أهل النار ، قائلين لهم لائمين : ما أفادكم جمعكم

الكثير العدد ولا استكباركم على أهل الحق بسبب عصبيتكم وغناكم ، وها أنتم أولاء ترون حالهم وحالكم .

(1/248)

أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَفْسَمْتُمْ لَا يَتَالَهُمُ اللَّهُ يَرْحَمَهُ إِذْ جُلُوا فِي الْجَنَّةِ لَا حَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَهْتُمْ تَحْزَنُونَ (49) وَتَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51) وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52)

49- هؤلاء الضعفاء الذين استكبرتم عليهم ، وأقسمتم أنه لا يمكن أن ينزل الله عليهم رحمة ، كأنكم تمسكون رحمته ، قد دخلوا الجنة؛ وقال لهم ربهم : ادخلوها أمنين ، فلا خوف عليكم من أمر يستقبلكم ، ولا أنتم تحزنون على أمر فاتكم .

50- وإن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة قائلين : اتركوا لنا بعض الماء يفيض علينا أو أعطونا شيئاً مما أعطاكم الله تعالى من طيبات المأكول والملبس وسائر متع أهل الجنة ، فيجيبهم أهل الجنة : إننا لا نستطيع ، لأن الله منع ذلك كله عن القوم الجاحدين ، الذين كفروا به وبنعمه في الدنيا .

51- هؤلاء الجاحدون الذين لم يسعوا في طلب الدين الحق ، بل كان دينهم اتباع الهوى والشهوات ، فكان لهواً يتلهون به وعبثاً يعبثونه وخذعتهم الحياة الدنيا بزخرفها فظنوها - وحدها - الحياة ، ونسوا لقاءنا ، فيوم القيامة ننساهم ، فلا يتمتعون بالجنة ، ويذوقون النار ، بسبب نسيانهم يوم القيامة ، وجودهم بالآيات البينات الواضحات المثبتات للحق .

52- ولقد أتيناهم - بياناً للحق - كتاباً بيناه وفضلناه ، مشتملاً على علم كثير ، فيه أدلة التوحيد وآيات الله في الكون ، وفيه شرعه ، وفيه بيان الطريق المستقيم والهداية إليه ، وفيه ما لو اتبعه الناس لكان رحمة بهم ، ولا ينتفع به إلا الذين من شأنهم الإذعان للحق والإيمان به .

(1/249)

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شِغَعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَفُسُهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (53) إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَنِينًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)

- 53- إنهم لا يؤمنون به ، ولا ينتظرون إلا المآل الذي بيّنه الله لمن يكفر به .  
ويوم يأتي هذا المآل - وهو يوم القيامة - يقول الذين تركوا أوامره وبياناته  
وغفلوا عن وجوب الإيمان به ، معترفين بذنوبهم : قد جاءت الرسل من عند  
خالقنا ومربينا ، داعين إلى الحق الذي أرسلوا به ، فكفرنا به . ويسألون هل  
لهم شفعاء يشفعون لهم؟ فلا يجدون ، أو هل يرُدُّون إلى الدنيا ليعملوا صالحاً؟  
فلا يجابون . قد خسروا عمل أنفسهم بغرورهم فى الدنيا ، وغاب عنهم ما كانوا  
يكذبونه من ادعاء إله غير الله .
- 54- إن ربكم الذى يدعوكم رسله إلى الحق وإلى الإيمان باليوم الآخر والجزاء  
فيه ، هو خالق الكون ومبدعه ، خلق السموات والأرض فى ست أحوال تشبه  
سته أيام من أيام الدنيا ، ثم استولى على السلطان الكامل فيها ، وهو الذى  
يجعل الليل يستر النهار بظلامه ، ويعقب الليل النهار بانتظام وتعاقب مستمر  
كأنه يطلبه ، وخلق الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم ، وهى خاضعة لله  
تعالى مُسَبِّرات بأمره ، وأنه له - وحده - الخلق والأمر المطاع فيها ، تعالت  
بركات منشئ الكون وما فيه ومن فيه .
- 55- إذا كان الله ربكم قد أنشأ الكون - وحده - ، فادعوه بالعبادة وغيرها ،  
معلنين الدعاء متذللين خاضعين ، جاهرين أو غير جاهرين ، ولا تعتدوا بإشراك  
غيره ، أو بظلم أحد ، فإن الله تعالى لا يحب المعتدين .
- 56- ولا تفسدوا فى الأرض الصالحة بإشاعة المعاصى والظلم والاعتداء ،  
وادعوه - سبحانه - خائفين من عقابه ، طامعين فى ثوابه ، وإن رحمته قريبة  
من كل محسن ، وهى محققة .

(1/250)

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَاهُ  
لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا  
تَكْدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ  
يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59)  
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنِّي لَأَنْتَ أَكْ فِي صَلَالٍ مُّبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي  
صَلَاةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61)

- 57- والله - سبحانه وتعالى وحده - هو الذى يطلق الرياح مبشرة برحمته فى  
الأمطار التى تنبت الزرع وتسقى الغرس ، فتحمل هذه الرياح سحاباً محملاً  
بالماء ، نسوقه لبلد لا نبات فيه ، فيكون كالميت الذى فقد الحياة ، فينزل الماء  
، فينبت الله به أنواعاً من كل الثمرات ، وبمثل ذلك الإحياء للأرض بالإنبات  
نخرج الموتى فنجعلهم أحياء لعلكم تتذكرون بهذا قدرة الله وتؤمنون بالبعث .
- 58- والأرض الطيبة الجيدة التربة يخرج نباتها نامياً حياً بإذن ربه ، والأرض  
الخبثية لا تخرج إلا نباتاً قليلاً عديم الفائدة يكون سبب تكدي لصاحبها .
- 59- لقد عاند المشركون ، وكذبوا بالحق إذ جاءهم مؤيداً بالحجج القاطعة ،  
وذلك شأن الكافرين مع أنبيائهم فى الماضى . لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه  
الذين بعث فيهم ، وقال لهم - مذكراً بأنه منهم - : يا قوم اعبدوا الله تعالى -  
وحده - فليس لكم أى إله غيره ، وأنه سيكون البعث والحساب فى يوم القيامة

، وهو يوم عظيم ، أخاف عليكم فيه عذابه الشديد .  
60- قال أهل الصدارة والزعامة منهم ، مجيبين تلك الدعوة إلى الوجدانية  
واليوم الآخر : إنا لنراك في بُعد بين عن الحق .  
61- قال نوح لهم نافياً ما رموه به : ليس بي كما تزعمون . ولكني رسول من  
خالق العالمين ومنشئهم ، فلا يمكن أن يكون ما أدعوكم إليه بعيداً عن الحق .

(1/251)

أَبْلَغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ  
جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِيَتَّقُوا وَلِعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ (63)  
فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا  
قَوْمًا عَمِينَ (64) وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ  
غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (65)

62- وإنى فى هذه الدعوة الحق إلى الوجدانية والإيمان باليوم الآخر ، أبلغكم  
ما أرسلنى الله به من الأحكام الإلهية التى يصلح بها الإنسان وإنى أمحضكم  
النصح وأخلصه لكم ، وقد علمنى الله تعالى ما لا تعلمون .  
63- أترمونى بالضلالة والبعد عن الحق؟ وتعجبون أن يجرى إليكم تذكير من  
الله خالقكم ، على لسان رجل جاء إليكم لينذركم بالعقاب إن كذبتكم ،  
وليدعوكم إلى الهداية وإصلاح القلوب وتجنب غضب الله تعالى ، رجاء أن  
تكونوا فى رحمة الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، فلا يصح أن تعجبوا وتكذبوا مع  
قيام البينات المثبتة للرسالة .  
64- ولكنهم مع تلك البينات لم يؤمن أكثرهم ، فكذبوه ، فأنزلنا عليهم عذاباً  
بالإغراق فى الماء ، وأنجينا الذين آمنوا به بالفلك الذى صنعه بهداية منا ، وغرق  
الذين كذبوا مع قيام الدلائل البينة الواضحة ، فعاندونا ، وكانوا بذلك غير  
مبصرين الحق وقد عموا عنه .  
65- وكما أرسلنا نوحاً إلى قومه داعياً إلى التوحيد ، أرسلنا إلى عاد هوداً  
واحداً منهم علاقته بهم كعلاقة الأخ بأخيه ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله -  
وحده - وليس لكم إله غيره ، وإن ذلك سبيل الاتقاء من الشر والعذاب وهو  
الطريق المستقيم ، فهلا سلكتموه لتتقوا الشر والفساد؟ .

(1/252)

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ  
(66) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67) أَبْلَغُكُمْ  
رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ تَاصِحٌ أَمِينٌ (68) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى  
رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذِكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلُقَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي  
الْخَلْقِ بَسْطَةً فَادْكُرُوا الْآيَةَ اللَّهُ لِعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ (69) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ  
وَحْدَهُ وَنَدَّرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا قَانِتًا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70)

66- قال ذوو الزعامة والصدارة فى قومه : إنا لنراك فى خفة عقل ، حيث دعوتنا هذه الدعوة ، وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين .

67- قال : يا قوم ليس بى فى هذه الدعوة أى قدر من خفة العقل ، ولست بكاذب ، ولكنى جئت بالهداية ، وأنا رسول الله إليكم . وهو رب العالمين .

68- إنى فيما أقول لكم : أبلغكم أوامر ربي ونواهيه ، وهى رسالاته إليكم ، وإنى أمحضكم نصحاً وإخلاصاً لكم ، وأنا أمين فيما أخبركم به ، ولست من الكاذبين .

69- ثم قال لهم هود : هل أثار عجبكم ، واستغربتم أن يجرى إليكم تذكير بالحق على لسان رجل منكم لينذركم بسوء العقبي فيما أنتم عليه؟ إنه لا عجب فى الأمر . ثم أشار إلى ما أصاب المكذبين الذين سبقوهم ، وإلى نعمه عليهم ، فقال : اذكروا إذ جعلكم وارثين للأرض من بعد قوم نوح الذين أهلكهم الله تعالى لتكذبيهم نوحاً ، وزادكم قوة فى الأبدان وقوة فى السلطان ، تلك نعمة تقتضى الإيمان ، فاذكروا نعمه لعلكم تفوزون .

70- ولكنهم مع هذه الدعوة بالحسنى قالوا مستغربين : أجتئنا لتدعونا إلى عبادة الله - وحده - وترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام؟ وإنا لن نفعل ، فأتنا بالعذاب الذى تهددنا به إن كنت من الصادقين؟ .

(1/253)

قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أَنْجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا يَدَّلُ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71) فَانْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (72) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ (73) وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (74)

71- إنكم لعنادكم قد حق عليكم عذاب الله ينزل بكم ، وغضبه يحل عليكم ، أتجادلون فى أصنام سميتموها أنتم وأباؤكم آلهة؟ ، وما هى من الحقائق إلا أسماء لا مؤدى لها ، وما جعل الله من حجة تدل على ألوهيتها ، فما كان لها من قوة خالقة منشئة تسوغ عبادتكم لها ، وإذ لججتم هذه اللجاجة فانتظروا عقاب الله ، وأنا معكم ، ننتظر ما ينزل بكم .

72- فأنجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ، وأنزلنا بالكافرين ما أبادهم ولم يبق لهم من بقية وأثر ، وما كانوا داخلين فى زمرة المؤمنين .

73- وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً الذى يشاركم فى النسب والوطن ، وكانت دعوته كدعوة الرسل قبله وبعده . قال لهم : أخلصوا العبادة لله - وحده - ما لكم أى إله غيره ، وقد جاءكم حجة على رسالتى من ربكم ، هى ناقة ذات خلق اختصت به ، فيها الحجة ، وهى ناقة الله ، فتركوها تاكل فى أرض الله من عشبها ، ولا تتالوها بسوء فينالكم عذاب شديد الإيلام .

74- وتذكروا أن الله جعلكم وارثين لأرض عاد ، وأنزلكم فى الأرض منازل طيبة تتخذون من السهول قصوراً فخمة ، وتنتحون الجبال فتجعلون منها بيوتاً ،

فاذكروا نعم الله تعالى إذ مكنكم من الأرض ذلك التمكين ، ولا تَعْتُوا فى الأرض فتكونوا مفسدين بعد هذا التمكين .

(1/254)

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ أَمَنَ مِنْهُمْ اتَّعَلَمُونَ  
أَنْ صَالِحًا مُرْسِلٍ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (75) قَالَ الَّذِينَ  
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (76) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَيَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ  
وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (77) فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ  
فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (78) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا  
رَبِّي وَتَصَحَّتْ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُجِبُونَ النَّاصِحِينَ (79) وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ  
الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً  
مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (81)

75- قال المتكبرون من أهل الصدارة والزعامة ، مخاطبين الذين آمنوا من  
المستضعفين لائمين لهم ومستعلين عليهم : أعتقدون أن صالحاً مُرسل من  
ربه؟ فأجابهم أهل الحق : إنا بما أرسل معقدون ، مدعون له .

76- قال أولئك المستكبرون : إنا جاحدون منكرون للذي آمنتم به : وهو ما  
يدعو إليه صالح من الوجدانية .

77- وَلَجَّ العناد بأولئك المستكبرين ، فتحدوا الله ورسوله ، وذبحوا الناقة ،  
وتجاوزوا الحد فى استكبارهم ، وأعرضوا عن أمر ربهم ، وقالوا - متحدين - : يا  
صالح ، اتتنا بالعذاب الذى وعدتنا إن كنت ممن أرسلهم الله حقاً .

78- فأخذتهم الزلازل الشديدة ، فأصبحوا فى دارهم ميتين خامدين .

79- وقيل أن تنزل بهم النازلة أعرض عنهم أخوهم صالح ، وقال : يا قوم قد  
أبلغتكم أوامر ربي ونواهيته ، ومحضت لكم النصح ، ولكنكم بلجاتكم  
وإصراركم صرتم لا تحبون من ينصحكم .

80- ولقد أرسلنا لوطاً - نبي الله - إلى قومه ، يدعوهم إلى التوحيد ، وبنههم  
إلى وجوب التخلي عن أقبح جريمة يفعلونها . أتأتون الأمر الذى يتجاوز الحد  
فى القبح والخروج على الفطرة وقد ابتدعتم تلك الفاحشة بشذوذكم ، فلم  
يسبقكم بها أحد من الناس؟

81- وهى أنكم تأتون الرجال مشتتهين ذلك ، وتتركون النساء ، أنتم شأنكم  
الإسراف ، ولهذا خرجتم على الفطرة وفعلتم ما لم يفعله الحيوان .

(1/255)

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْتَطِهُرُونَ (82)  
فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا  
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (84) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ  
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ  
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ  
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) وَلَا تَفْعَدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ

سَبِيلَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبِعُوتَهَا عَوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَتَرْتُمْ وَانظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86)

- 82- وما كان جواب قومه على هذا الاستنكار - لأقبح الأفعال - إلا أن قالوا :  
أخرجوا لوطاً وأله وأتباعه من قريبتكم ، لأنهم يتطهرون وَيُنَازِلُونَ عن هذا الفعل  
الذي يستقبحه العقل والفطرة ويستحسنونه هم .  
83- ولقد حقت عليهم كلمة العذاب ، فأنجينا لوطاً وأهله ، إلا امرأته فإنها  
كانت من هؤلاء الضالين .  
84- وأمطرنا عليهم حجارة مخرية ، ومادت الأرض بالزلازل من تحتهم فانظر -  
يا أيها النبي - إلى عاقبة المجرمين وكيف كانت؟ .  
85- ولقد أرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً قال : يا قوم ، اعبدوا الله - وحده -  
فليس لكم ولي - أي إله - غيره قد جاءكم الحُجج المبينة للحق من ربكم مثبتة  
رسالتي إليكم ، وجاءتكم رسالة ربكم بالإصلاح بينكم ، والمعاملة العادلة ،  
فأوفوا الكيل والميزان في مبادلاتكم ، ولا تنقصوا حقوق الناس ، ولا تفسدوا  
في الأرض الصالحة بإفساد الزرع ونحوه ، وبقطع الأرحام والمودة ، فإن ذلك  
خير لكم إن كنتم تؤمنون بالله تعالى وبالحق المبين .  
86- ولا تقعدوا بكل طريق من طرق الحق والهداية والعمل الصالح : تهددون  
سالكه ، وبذلك تمنعون طالبي الخير من الوصول ، وهم أهل الإيمان الذين  
يؤمنون بالله ، وتريدون أنتم الطريق المعوج ، واذكروا إذ كنتم عدداً قليلاً  
فصيركم الله عدداً كثيراً بالاستقامة في طلب النسل والمال ، واعتبروا بعاقبة  
المفسدين قبلكم .

(1/256)

وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا قَاصِرُوا حَتَّى  
يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87) قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ  
لنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ  
كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْتَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّاتَا اللَّهُ  
مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا  
عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89)

- 87- وإذا كانت طائفة منكم آمنوا بالحق الذي أرسلت به ، وطائفة لم يؤمنوا ،  
فانتظروا حتى يحكم الله بين الفريقين وهو خير الحاكمين .  
88- هذا شأن شعيب في دعوته قومه ، أما القوم فقد تماالأوا على الباطل ،  
وتولى أكابريهم الذين استكبروا عن الدعوة ، واستنكفوا أن يتبعوا الحق ،  
وواجهوا شعيباً بما يضمرون ، فقالوا له : إنا لا محالة سنخرجك ومن آمن معك  
من قريتنا ، ونطردكم ، ولا ننجيكم من هذا العذاب إلا أن تصيروا في ديننا الذي  
هجرتموه . فرد عليهم شعيب - عليه السلام - قائلاً : أنصير في ملتكم ونحن  
كارهون لها لفسادها؟ لا يكون ذلك أبداً .  
89- وبالغ في قطع طمعهم من العودة إلى ملتهم كما يطلبون ، فقال : نكون  
كاذبين على الله إن صرنا في ملتكم بعد أن هدانا الله إلى الصراط المستقيم ،  
ولا ينبغي لنا أن نصير في ملتكم بمحض اختيارنا ورغبتنا . إلا أن يشاء الله

عودتنا إلى ملتكم ، وهيئات ذلك . لأنه ربنا العليم بنا ، فلا يشاء رجوعنا إلى باطلكم ، فهو - جل شأنه - وسع كل شيء علماً ، يهدينا بلطفه وحكمته إلى ما يحفظ علينا إيماننا إليه - وحده - سلمنا أمرنا مع قيامنا بما أوجبه علينا . ربنا افصل بيننا وبين قومنا بالحق الذى مضت به سنتك فى الفصل بين المحقين المصلحين والمبطلين المفسدين ، وأنت - لإحاطة علمك وقدرتك - أعدل الحاكمين وأقدرهم .

(1/257)

---

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِدَّا لَخَاسِرُونَ (90)  
فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَضْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ (91) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ  
يَعْتُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا  
قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَبَصَّحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (93)  
وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ  
يَضُرَّعُونَ (94)

90- هنا يئس القوم من مطاوعة شعيب ومن معه لهم ، وعلموا أنهم ثابتون على دينهم ، كذلك خافوا أن يكثر المهتدون مع شعيب بظهور قوته وثباته على دعوته ، فاتجه كبراؤهم الكافرون إلى متبوعيهم ، يهددونهم قائلين : والله إن طابوعتم شعيباً فى قبول دعوته ، إنكم لخاسرون شرفكم وثروتكم فى اتباعكم ديناً باطلاً لم يكن عليه سلفكم .

91- هنا حقت عليهم كلمة العذاب ، فأصابهم الله بزلزلة اضطربت لها قلوبهم ، فصاروا فى دارهم منكبين على وجوههم لا حياة فيهم .

92- هذا شأن الله مع الذين كذبوا شعيباً ، وهددوه وأذروه بالإخراج من قريتهم ، وعملوا على رد دعوته ، قد هلكوا وهلكت قريتهم كان لم يعيش فيها الذين كذبوا شعيباً ، وزعموا أن من يتبعه يكون خاسراً ، وأكدوا هذا الزعم وكانوا هم الخاسرين لسعادتهم فى الدنيا والآخرة .

93- فلما رأى شعيب ما نزل بهم من الهلاك المدمر ، أعرض عنهم ، وقال مبرئاً نفسه من التقصير معهم : لقد أبلغتكم رسالات ربكم المفضية إلى الإحسان إليكم لو عملتم بها ، وبالغت فى إسداء النصح لكم ، والعظة بما به تنجون من عقوبة الله ، فكيف أحزن الحزن الشديد على قوم كافرين؟ لا يكون ذلك بعدما أعذرت إليهم ، وبذلت جهدى فى سبيل هدايتهم ونجاتهم ، فاخترأوا ما فيه هلاكهم .

94- وما بعثنا نبياً من الأنبياء فى قرية من القرى ، يدعو أهلها إلى دين الله القويم ، وأعرضوا عن قبول تلك الدعوة ، إلا أصبناهم بالفقر والمرض ، كى يتدللوا ويبتهلوا إلى الله مخلصين له فى كشف ما نزل بهم ، ويستجيبيوا لرسوله .

(1/258)

---



ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آيَاتُنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ وَهُمْ لَا يُسْعُرُونَ (95) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) أَقَامِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ (97) يَا أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَقَامُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (99)

95- ثم لما لم يفعلوا ذلك ، واستمروا فى كفرهم وعنادهم ، امتحناهم بالعافية مكان البلاء استدرجا ، فأعطيناهم رخاء وسعة وصحة وعافية ، حتى كثروا ونموا فى أموالهم وأنفسهم ، وقالوا لجهلهم : إن ما أصاب آباءنا من المحن والبلايا والرفاهية والنعيم ، فذلك شأن الدهر ، يُداول الضراء والسراء بين الناس ، من غير أن ينتهوا إلى أن هذا جزاء كفرهم فيرتدعوا وبهذا جهلوا سنته - جل شأنه - فى أسباب الصلاح والفساد فى البشر ، وما يترتب عليهما من السعادة والشقاء فكانت عاقبة ذلك أن أصابهم الله بالعذاب المدمر فجأة ، وهم فاقدون للشعور بما سيحل بهم .

96- ولو أن أهل تلك القرى آمنوا بما جاء به الرسل ، وعملوا بوصاياهم وابتعدوا عما حرّمه الله لأعطيناهم بركات من السماء والأرض ، كالمطر والنبات والثمار والأنعام والأرزاق والأمن والسلامة من الآفات ، ولكن جحدوا وكذبوا الرسل ، فأصبناهم بالعقوبات وهم نائمون ، بسبب ما كانوا يقترفون من الشرك والمعاصي ، فأخذهم بالعقوبة أثر لازم لكسبهم القبيح ، وعبرة لأمثالهم إن كانوا يعقلون .

97- أمين أهل القرى الذين بلغتهم دعوة أنبيائهم ولم يؤمنوا أن يأتيهم عذابنا وقت بياتهم وهم غارقون فى نومهم؟ .

98- أغفل هؤلاء وأمنوا أن يأتيهم العذاب فى ضحى النهار وانبساط الشمس وهم منهمكون فيما لا نفع فيه لهم؟ .

99- أجهلوا سنة الله فى المكذبين ، فأمنوا عذابه ليلاً أو نهاراً ، يسوقه بتدبيره الذى يخفى على الناس أمره؟ إنه لا يجهل تدبير الله وسنته فى عقوبة المكذبين إلا الذين خسروا أنفسهم بعدم اليقظة إلى ما فيه سعادتهم .

(1/259)

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبِنَاهُمْ يَدْئِبُهُمْ وَنَطْبِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ قَهْمًا لَا يَسْمَعُونَ (100) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (102) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104)

100- أغاب عن الذين يخلفون من قبلهم من الأمم سنة الله فىمن قبلهم ، وأن شأننا فيهم كشأننا فىمن سبقوهم؟ وهو أنهم خاضعون لمشيئتنا ، لو نشاء أن نُعذبهم بسبب ذنوبهم لأصبناهم كما أصبنا أمثالهم ، ونحن نختم على قلوبهم

لفرط فسادها حتى وصلت إلى حالة لا تقبل معها شيئاً من الهدى ، فهم بهذا الطبع والختم لا يسمعون الحكم والنصائح سماع تفقه واتعاظ .

101- تلك القرى التى بعد عهدنا ، وطال الأمد على تاريخها ، نُقِص عليك الآن بعض أخبارها مما فيه عبرة . ولقد جاء أهل تلك القرى رسلهم بالبينات الدالة على صدق دعوتهم ، فلم يكن من شأنهم أن يؤمنوا بعد مجئ البينات ، لتمرسهم بالتكذيب للصادقين ، فكذبوا رسلهم ولم يهتدوا ، وهكذا يجعل الله حجاباً على قلوب الكافرين وعقولهم ، فيخفى عليهم طريق الحق ويتأون عنه .

102- وما وجدنا لأكثر أولئك الأقوام وفاء بميثاق مما أوصيناهم به من الإيمان ، على لسان الرسل ، وعلى ما يوحى به العقل والنظر السليم . وإن الشأن المطرد فيهم تمكن أكثرهم من الفسوق والخروج عن كل عهد .

103- ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى - عليه السلام - ومعه دلائلنا التى تدل على صدقه فيما يُبلغه عنا إلى فرعون وقومه ، فبلغهم موسى دعوة ربه ، وأراهم آية الله ، فظلموا أنفسهم وقومهم بالكفر بها ، كثيراً وجوداً فاستحقوا من الله عقوبة صارمة كانت بها نهاية أمرهم ، فانظر - أيها النبى - نهاية المفسدين فى الأرض .

104- وقال موسى : يا فرعون إنى مُرْسَل من الله رب العالمين ومالك أمرهم ، لأبلغكم دعوته ، وأدعوكم إلى شريعته .

(1/260)

حَقِيقُ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَاتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هَذِهِ قَائِدَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (107) وَتَرَعَّ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ (108) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (109) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَهَادَا تَأْمُرُونَ (110) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (111) يَا ثَوَلُ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (112) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِينَ (113)

105- وإنى حريص على قول الصدق عن الله تعالى ، وقد جئتمكم بآية عظيمة الشأن ظاهرة الحجة فى بيان الحق الذى جئت به ، فأطلق معى بنى إسرائيل ، وأخرجهم من رق قهرك ، ليذهبوا معى إلى دارٍ غير دارك ، يعبدون فيها ربهم وربك .

106- قال فرعون لموسى : إن كنت جئت مؤيداً بآية من عند من أرسلك فأظهرها لى إن كنت من أهل الصدق الملتزمين لقول الحق .

107- فلم يلبث موسى أن ألقى عصاه التى كانت بيمينه أمام فرعون وقومه ، فإذا هذه العصا ثعبان ظاهر بين يسعى من مكان إلى آخر ، فى قوة تدل على تمام حياته .

108- وأخرج يده من جيبه ، فإذا هى ناصعة البياض تتلأل للناظرين .

109- فلما أظهر موسى آية الله تعالى ، ثارت نفوس بطانة فرعون وعظماء قومه ، فقالوا تزلوا ومشايعة لفرعون : إن هذا لماهر فى علم السحر ، وليس ذلك بآية من الله .

110- وقد وجه إرادته لسلب ملككم ، وإخراجكم من أرضكم بسحره ، وما

- ينشأ عنه من استمالة أفراد الشعب ليتبعوه ، وانظروا ماذا تأمرون بما يكون سبيلا للتخلص منه .
- 111- وقالوا : أَجَلُ الْبَتِّ فِي أَمْرِهِ وَأَمْرُ أَخِيهِ الَّذِي يِعَاوَنُهُ فِي دَعْوَتِهِ ، وَأَرْسَلْ فِي مَدَائِنِ مَلِكِكَ رِجَالًا مِنْ جُنْدِكَ يَجْمَعُونَ النَّاسَ أَوْلَى الْعِلْمِ بِالسِّحْرِ .
- 112- فَيَأْتُونَكَ بِكُلِّ عِلْمٍ بِفَنُونِ السِّحْرِ ، وَهُمْ يَكْشِفُونَ لَكَ حَقِيقَةَ مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى . فَلَا يَفْتِنَنَّ بِهِ أَحَدٌ .
- 113- وَجَاءَ إِلَى فِرْعَوْنَ السِّحْرَةَ الَّذِينَ جَمَعَهُمْ لَهُ جُنْدُهُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنْ لَنَا لِحِزَاءِ عَظِيمًا يَكْفِي مَا يُطَلَّبُ مِنَّا إِنْ كَانَتِ الْغَلْبَةُ لَنَا عَلَى مُوسَى .

(1/261)

قَالَ تَعْمَمُ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (114) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (115) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ (116) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (118) فَعَلَبُوا هَذَاكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (119) وَالْقِيَ السِّحْرَهُ سَاجِدِينَ (120) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (122)

- 114- وجاء فرعون مجيباً لهم إلى ما طلبوا : نعم إن لكم لجزاء عظيماً ، وإنكم مع ذلك لمن أهل الحظوة عندنا .
- 115- ثم توجه السحرة إلى موسى بعد أن وعدهم فرعون بما وعدهم ، وأظهروا الثقة بأنفسهم واعتدادهم بسحرهم في ميدان المباراة ، وقالوا له إما أن تلقى ما عندك أولاً ، وإما أن نكون نحن الملقيين بما عندنا من دونك .
- 116- فأجابهم موسى إجابة الواثق بالغلبة والظفر ، مظهراً عدم مبالاته بهم : ألقوا ما أنتم ملقون أولاً . فلما ألقى كل واحد منهم ما كان معه من حبال وعصى ، خيلوا إلى أبصار الناس وموهوا عليهم أن ما فعلوه حقيقة وما هو إلا خيال ، فهال الأمر الناس وأوقع في قلوبهم الرهبة والرعب ، وقد جاء السحرة الناس بسحر مظهره كبير وتأثيره في أعينهم عظيم .
- 117- وأصدر الله أمره إلى موسى أن ألق بعصاك ، فقد جاء وقتها ، فألقاها كما أمر ، فإذا عصاه تتلع بسرعة ما يكذبون ويموهون .
- 118- فثبت الحق وظهر في جانب موسى - عليه السلام - وبطل تخيل السحرة .
- 119- فهزم فرعون وملؤه في ذلك المجمع العظيم ، وعادوا من ذلك المجمع أدلة بما رزقوا من الخذلان والخيبة .
- 120- هذا ما كان من شأن فرعون وملئه ، وأما السحرة فقد بهرهم الحق ، فاندفعوا ساجدين لله مذعنين للحق .
- 121- قائلين : آمنا بخالق العالمين ، ومالك أمرهم المتصرف فيهم .
- 122- إله الإله الذي يعتقده ويؤمن به موسى وهارون .

(1/262)

قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لَخُرُجُهَا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (123) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (124) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (125) وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَمَّا بآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبَّنَا أَفَرَعَ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُبْسِلِينَ (126) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْأَهْتَكَ قَالَ سَنَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (127)

123- فهال هذا الأمر فرعون ، وأثار حميته فقال : هل آمنتم وصدقتم برب موسى وهارون قبل أن آذن لكم؟ إن هذا الصنيع الذي صنعتموه أنتم وموسى وهارون كان بالاتفاق ، وليس إلا مكرًا مكرتموه في المدينة ( مصر ) لأجل أن تخرجوا منها أهلها بمكركم ، فسوف ترون ما يحل بكم من العذاب جزاء اتباعكم موسى وهارون ، وعقاباً على هذا المكر والخداع .  
124- وأقسم لأنكلكم بكم ، وأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف ، فأقطع اليد من جانب والرجل من جانب آخر ، ثم لأصلبن كل واحد منكم وهو على هذه الحالة المشوهة ، لتكونوا عبرة لمن تحدثه نفسه بالكيد لنا أو بالخروج على سلطاننا .

125- فلم يأبهوا لقوله وتهديداته ، لتمكن الإيمان من شغاف قلوبهم ، فقالوا له : إنا إلى ربنا راجعون ، فننقلب في رحمته ونعيم جزائه .

126- وما تُنكر منا وتُعاقبنا عليه إلا أن صدقنا موسى ، وأذعنا لآيات ربنا الواضحة الدالة على الحق لما جاءتنا . ثم توجهوا إلى الله ضارعين إليه قائلين : يا ربنا أفض علينا صبراً عظيماً نقوى معه على احتمال الشدائد ، وتوفنا على الإسلام غير مفتونين من وعيد فرعون .

127- وبعد أن شاهد فرعون وقومه ما شاهدوا - من ظهور أمر موسى وقوة غلبته وإيمان السحرة به - قال الكبراء من قومه : أنترك موسى وقومه أحرارا آمنين ، ليكون مآلهم أن يفسدوا قومك عليك في أرض مصر بإدخالهم في دينهم ، ويتركك مع الهتك في غير مبالاة ، فيظهر للمصريين عجزك وعجزهم؟ قال فرعون مجيبا لهم : سنقتل أبناء قومه تقتيلا ما تناسلوا ، ونستبقى نساءهم أحياء ، حتى لا يكون لهم قوة كما فعلنا من قبل ، وإنا مستعلون عليهم بالغلبة والسلطان قاهرون لهم .

(1/263)

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) قَالُوا أَوْدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (129) وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ النَّمْرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ (130) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (131)

128- وهنا رأى موسى أثر الجزع في نفوس قومه ، فشد من عزمهم ، وقال لهم : اطلبوا معونة الله وتأييده ، واثبتوا ولا تجزعوا ، إن الأرض في قبضة قدرة الله ومملكه ، يجعلها ميراثا لمن يشاء من عباده لا لفرعون ، والعاقبة الحسنة

الذين يتقون الله بالاعتصام به والاستمسك بأحكامه .  
129- فقال القوم فى حزن وضعف : نحن نالنا الأذى قديماً من فرعون قبل مجيئك إلينا ، وحديثاً من بعد مجيئك . ففتح موسى لهم باب الأمل وقال لهم : إن المرجو من فضل - ربكم - أن يهلك عدوكم الذى سخركم وأذاكم بظلمه ، ويجعلكم خلفاء الأرض التى وعدكم إياها ، فيعلم سبحانه ما أنتم عاملون بعد هذا التمكين : أتشكرون النعمة أم تكفرون؟ وتصلحون فى الأرض أم تفسدون؟ ليجزيكم فى الدنيا والآخرة بما تعملون .  
130- ولقد عاقبنا فرعون وقومه بالجذب والقحط وضيق المعيشة ، وبنقص ثمرات الزروع والأشجار ، رجاء أن ينتبهوا إلى ضعفهم وعجز ملكهم الجبار أمام قوة الله فيتعظوا ويرجعوا عن ظلمهم لبنى إسرائيل ، ويستجيبوا لدعوة موسى - عليه السلام - فإن شأن الشدائد أن تمنع الغرور وتهذب الطباع وتوجه الأنفس إلى قبول الحق ، وإرضاء رب العالمين ، والتضرع إليه دون غيره .  
131- ولكن دأب فرعون وأعوانه عدم الثبات على الحق ، فسرعان ما يعودون إلى الغدر والمعصية ، فهم متقلبون . فإذا جاءهم الخصب والرخاء - وكثيراً ما يكون ذلك - قالوا : نحن المستحقون له لما لنا من الامتياز على الناس ، وإن أصابهم ما يسوؤهم كجذب أو جائحة أو مصيبة فى الأبدان والأرزاق ، يرون أنهم أصيبوا بشؤم موسى ومن معه ، ويغفلون عن أن ظلمهم وفجورهم هو الذى أدى بهم إلى ما نالهم ، ألا فليعلموا أن علم شؤمهم عند الله ، فهو الذى أصابهم بسبب أعمالهم القبيحة ، فهى التى ساقط إليهم ما يسوؤهم ، وليس موسى ومن معه ، ولكن أكثرهم لا يدري هذه الحقيقة التى لا شك فيها .

(1/264)

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَتَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (133) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجُّ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِنُنْزِلَ إِلَيْنَا الرِّجَّ كَمَا نُنْزِلُ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَّ إِلَى أَجْلِ هُمْ بِالْعُودَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ (135) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136)

132- ولهذه الفكرة السيئة عندهم أصروا على الجحود ، وقالوا عند رؤيتهم آيات موسى : إنك مهما جئتنا بكل نوع من أنواع الآيات التى تستدل بها على حقيقة دعوتك - لأجل أن تصرفنا بها عما نحن عليه من ديننا ومن استعباد قومك - فما نحن لك بمصدقين ولا مدعين .  
133- فأنزل الله عليهم مزيداً من المصائب والنكبات : بالطوفان الذى يغشى أماكنهم ، وبالجراد الذى يأكل ما بقى من نبات أو شجر ، وبالقمل وهو حشرة تفسد الثمار وتقضى على الحيوان والنبات ، وبالضفادع التى تنتشر فتغص عليهم حياتهم وتذهب بصفائها ، وبالدم الذى يسبب الأمراض الكثيرة كالنزيف من أى جسم ، والدم الذى ينحبس فيسبب ضغطاً أو ينفجر فيسبب شللاً ، ويشمل البول الدموى بسبب البلهارسيا ونحوها ، أو الذى تحول إليه ماؤهم الذى يستخدمونه فى حاجات معاشهم ، أصابهم الله بهذه الآيات المميزات

الواضحات فلم يتأثروا بها ، وجمدت قرائحهم وفسد ضميرهم ، فعتوا عن الإيمان والرجوع إلى الحق من حيث هو حق ، وكانوا قوما موعلين فى الإجرام كما هو شأنهم .

134- ولفرط تقلبهم حسب الدواعى ، كانوا كلما وقع عليه نوع من العذاب قالوا لشدة تأثيره فيهم وتألمهم به : يا موسى ، سل ربك لنا بالذى عهد به إليك أن تدعوه به فيعطيك الآيات ويستجيب لك الدعاء ، أن تكشف عنا هذا العذاب ، ونحن نقسم لك لئن أزلته عنا لنخضعن ، ولنطلقن معك بنى إسرائيل كما أردت .

135- فلما كشفنا عنهم العذاب مرة بعد أخرى إلى وقت هم منتهون إليه فى كل مرة ، إذا هم ينقضون عهدهم ويحشون فى قسمهم ، ويعودون إلى ما كانوا عليه ، ولم تُجد فيهم هذه المحن الزاجرة .

136- فأنزلنا عليهم نعمتنا ، فأغرقتناهم فى البحر بسبب استمرارهم على التكذيب بآياتنا ، وتمام غفلتهم عما تقتضيه هذه الآيات من الإيمان والإذعان .

(1/265)

وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140)

137- وأعطينا القوم الذين كانوا يستضعفون فى مصر - وهم بنو إسرائيل - جميع الأرض التى حباها الله بالخصب والخير الكثير ، فى مشارقها ومغاربها ، ونفذت كلمة الله الحسنى تامة ، ووعد بالنصر شاملاً لبنى إسرائيل بسبب صبرهم على الشدائد ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من الصروح والقصور المشيدة ، وما كانوا يعرشونه من السقائف للنبات والشجر المتسلق كعرائش العنب ، هذا شأن الله ، وصدق وعده الجميل لبنى إسرائيل .

138- وتجاوز بنو إسرائيل البحر بعنايتنا وتأييدنا وتيسير الأمر لهم فلما تجاوزوه مروا على قوم ملازمين لعبادة أصنام لهم ، فلما شاهدوا هذه الحالة غلب عليهم ما ألفوا قديما من عبادة المصريين للأصنام ، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنما يعبدونه ، كما أن لهؤلاء القوم أصناما يعبدونها فسارع موسى - عليه السلام - موبخا لهم رادعا وقال : إنكم قوم سفهاء لا عقول لكم ، لا تعرفون العبادة الحققة ، ولا من هو الإله الذى يستحق أن يعبد .

139- إن هؤلاء الذين ترونهم يعبدون الأصنام ، هالك ما هم فيه من الدين الباطل ، وزائل عملهم لا يبقاء له .

140- أأطلب لكم معبوداً غير الله رب العالمين ، وهو قد منحكم الفضل فأعطاكم نعماً لم يعطها غيركم من أهل زمانكم؟! .

(1/266)

وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (141) وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (142) وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعَقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)

141- واذكروا إذ أنجاكم الله تعالى بعنايته من آل فرعون الذين كانوا يذيقونكم أشد العذاب ، ويسخرونكم لخدمتهم فى مشاق الأعمال ، ولا يرون لكم حرمة كالبهائم ، فيقتلون ما يولد لكم من الذكور ، ويستبقون الإناث لكم لتزدادوا ضعفا بكثرتهن ، وفيما نزل بكم من تعذيب فرعون لكم وإنجاكم منه ، اختبار عظيم من ربكم ليس وراءه بلاء واختبار .

142- وواعدنا موسى بالمناجاة وإعطاء التوراة عند تمام ثلاثين ليلة يتعبد فيها ، وأتممنا مدة الوعد بعشر ليال يستكمل فيها عبادته ، فصارت المدة أربعين ليلة ، وقال موسى لأخيه هارون حين توجه للمناجاة : كن خليفتى فى قومى ، وأصلح ما يحتاج إلى الإصلاح من أمورهم ، واحذر أن تتبع طريق المفسدين .  
143- ولما جاء لمناجاتنا ، وكلمه ربه تكلما ليس كتكليمنا ، قال رب أرنى ذاتك ، وتجل لى أنظر إليك فأزداد شرفا ، قال : لن تطيق رؤيتى . ثم أراد سبحانه أن يقنعه بأنه لا يطيقها فقال : لكن انظر إلى الجبل الذى هو أقوى منك ، فإن ثبت مكانه عند التجلى فسوف ترانى إذا تجليت لك . فلما ظهر ربه للجبل على الوجه اللائق به تعالى ، جعله مفتتا مستويا بالأرض ، وسقط موسى مغشيا عليه لهول ما رأى ، فلما أفاق من صعقته قال : أنزهك يا رب تنزيها عظيما عن أن تُرى فى الدنيا ، إنى تبت إليك من الإقدام على السؤال بغير إذن ، وأنا أول المؤمنين فى زمانى بجلالك وعظمتك .

144- لما منع الله موسى من رؤيته ، عدد عليه نعمه ليتسلى بها عن المنع فقال : يا موسى إنى فضلتك واخترتك على أهل زمانك ، بتبليغ أسفار التوراة وبتكليمى إياك من غير واسطة ، فخذ ما فضلتك به ، واشكرنى كما يفعل الشاكرون المقدرين للنعم .

(1/267)

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ بِأَخْذِهَا بِحُسْنِهَا وَسَارَكُمْ دَارَ الْقَاسِقِينَ (145) سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّسُلِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِيبِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (147) وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148)

145- وبينما لموسى فى ألواح التوراة كل شئ من المواعظ والأحكام المفضلة التى يحتاج الناس إليها فى المعاش والمعاد ، وقلنا له : خذ الألواح بجد وحزم ، وأمر قومك أن يأخذوا بأفضل ما فيها ، كالعفو بدل القصاص ، والإبراء بدل الانتظار ، واليسر بدل العسر . سأريكم يا قوم موسى فى أسفاركم دار الخارجين على أوامر الله ، وما صارت إليه من الخراب لتعتبروا ، فلا تخالفوا حتى لا يصيبكم ما أصابهم .

146- سأمنع من التفكير فى دلائل قدرتى القائمة فى الأنفس والأفاق ، أولئك الذين يتناولون فى الأرض ويتكبرون عن قبول الصواب غير محقين ، وإن يروا كل آية تدل على صدق رسلنا لا يصدقوها ، وإن يشاهدوا طريق الهدى لا يسلكوه ، وإن يشاهدوا طريق الضلال يسلكوه . يحدث ذلك منهم بسبب أنهم كذبوا بآياتنا المنزلة ، وغفلوا عن الاهتداء بها .

147- والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا للهداية ، وكذبوا بلقائنا يوم القيامة ، فأنكروا البعث والجزاء ، بطلت أعمالهم التى كانوا يرجون نفعها فلا يلقون إلا جزاء ما استمروا على عمله من الكفر والمعاصى .

148- وبعد أن ذهب موسى إلى الجبل لمناجاة ربه ، اتخذ قومه من حليهم المخصصة للزينة جسما على صورة العجل الذى لا يعقل ولا يميز ، له صوت يشبه صوت البقر ، مما أودع فيه من الصناعة ومرور الريح بداخله . . وقد صنع لهم السامرى وأمرهم بعبادته . يا لسفاهة عقولهم . ألم يروا حين أخذوه إليها وعبدوه أنه لا يكلمهم ولا يقدر على هدايتهم إلى طريق الصواب؟! إنهم ظلموا أنفسهم بهذا العمل الشنيع .

(1/268)

وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (149) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِئْتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلاخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151) إِنَّ الَّذِينَ اتَّجَدُوا الْعِجْلَ سَيَبْتَغُونَ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (152) وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَمَّنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ (153)

149- ولما شعروا بزلتهم وخطئهم ، تحيروا وندموا أشد الندم على اتخاذ العجل لها . وتبينوا ضلالهم تبينا ظاهرا ، وقالوا : والله لئن لم يتب علينا ربنا ويتجاوز عنا لنكونن من الذين خسروا خسرانا مبينا ، بوضعهم العبادة فى غير موضعها .

150- ولما رجع موسى من مناجاة ربه إلى قومه ، غضبان عليهم لعبادتهم العجل ، حزينا لأن الله فتنهم - وكان الله قد أخبره بذلك قبل رجوعه - فقال لهم : ما أفبح ما فعلتم بعد غيبتى ، أسبقتم عبادة العجل ما أمركم به ربكم من انتظارى وحفظ عهدي حتى أتاكم بالتوراة؟! ووضع الألواح ، واتجه إلى أخيه لشدة حزنه حين رأى ما رأى من قومه ، وأخذ يشد أخاه من رأسه ويجره نحوه من شدة الغضب ، ظنا منه أنه قصر فى كفهم عما فعلوا ، فقال هارون



لموسى . يا ابن أُمى إن القوم حين فعلوا ما فعلوا قد استضعفونى وقهرونى ، وقاربوا قتلى لما نهيتهم عن عبادة العجل ، فلا تَسُرُّ الأعداء بإيذائك لى ، ولا تعتقدنى واحدا من الظالمين مع براءتى منهم ومن ظلمهم .  
 151- قال موسى : رب اغفر لى ما صنعت بأخى قبل جلية الأمر ، واغفر لأخى إن كان قَرَطَ فى حسن الخلافة ، وأدخلنا فى سعة رحمتك لأنك أكثر الرحامين رحمة .  
 152- إن الذين استمروا على اتخاذ العجل إلهًا ، كالسامرى وأشياعه ، سينالهم غضب عظيم من ربهم فى الدار الآخرة ، ومهانة شديدة فى الحياة الدنيا ، بمثل ذلك الجزاء نجزى كل من اختلق الكذب على الله وعبد غيره .  
 153- والذين عملوا الأعمال القبيحة من الكفر وعبادة العجل والمعاصى ، ثم رجعوا إلى الله من بعد عملها ، وصدقوا به ، إن ربك من بعد توبتهم سَنَارٌ عليهم ، غَفَّارٌ لما كان منهم .

(1/269)

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْعَصْبُ أَحَدَ الْأَلْوَابِ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154) وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسْبَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156)

154- ولما ذهب عن موسى الغضب باعتذار أخيه ، عاد إلى الألواح التى ألقاها وأخذها ، وفيما تُسِحُّ فيها هدى وإرشاد وأسباب رحمة ، للذين يخافون غضب

ربهم .  
 155- ثم أمر الله موسى أن يأتية فى جماعة من قومه يعتذرون عَمَّنْ عبدوا العجل ، ووعدهم موعدًا ، فاختر موسى من قومه سبعين رجلاً ممن لم يعبدوا العجل ، وهم يمثلون قومه ، وذهب بهم إلى الطور ، وهنالك سألوا الله أن يكشف عنهم البلاء ، ويتوب على من عبد العجل منهم ، فأخذتهم فى ذلك المكان زلزلة شديدة غشى عليهم بسببها ، وهذا لأنهم لم يفارقوا قومهم حين عبدوا العجل ، ولم يأمرهم بالمعروف ، ولم ينههم عن المنكر ، فلما رأى موسى ذلك قال : يا رب لو شئت إهلاكتهم أهلكتهم من قبل خروجهم إلى الميقات ، وأهلكتنى معهم ، ليرى ذلك بنو إسرائيل فلا يتهمونى بقتلهم فلا تهلكننا يا رب بما فعل الجهال منا ، فما محنة عبدة العجل إلا فتنة منك ، أضللت بها من شئت إضلاله ممن سلكوا سبيل الشر ، وهديت بها من شئت هدايته .  
 وأنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا .

156- ولأنك يا رب خير من يغفر نسألك أن تقدر لنا فى هذه الدنيا حياة طيبة ، وتوفيقًا للطاعة ، وفى الآخرة مثوبة حسنة ورحمة ، لأننا رجعنا إليك وتبنا إليك ، فقال له ربه : عذابى أصيب به من أشاء ممن لم يتب ، ورحمتى وسعت كل شئ ، وساكنتها للذين يتقون الكفر والمعاصى من قومك ، ويؤدون الزكاة المفروضة ، والذين يصدقون بجميع الكتب المنزلة .

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَإِنْجِيلٍ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ  
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَبْضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ  
وَغَدَرُوا وَتَضَرَّوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) قُلْ  
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ  
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ  
يَعْدِلُونَ (159)

157- وأخص بها الذين يتبعون الرسول محمدا ، الذي لا يكتب ولا يقرأ ، وهو  
الذي يجدون وصفه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بكل خير  
وينهاهم عن كل شر ، ويحل لهم الأشياء التي يستطيها الطبع ، ويحرم عليهم  
الأشياء التي يستخبثها الطبع كالدّم والميتة ، ويزيل عنهم الأثقال والشدائد التي  
كانت عليهم . فالذين صدقوا برسالته وأزروه وأيدوه ونصروه على أعدائه ،  
واتبعوا القرآن الذي أنزل معه كالنور الهادي ، أولئك هم الفائزون دون غيرهم  
ممن لم يؤمنوا به .

158- قل - يا أيها النبي - للناس : إني مرسل من الله إليكم جميعا ، لا فرق بين  
عربي وعجمي وأسود وأبيض والله الذي أرسلني له - وحده - ملك السموات  
والأرض يدبر أمرهما حسب حكمته ، ويتصرف فيهما كيف يشاء ، ولا معبود  
بحق إلا هو ، وهو الذي يقدر على الإحياء والإماتة دون غيره ، فأمنوا به  
وبرسوله النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وهو يؤمن بالله الذي يدعوكم إلى  
الإيمان ، ويؤمن بكتبه المنزلة ، واتبعوه في كل ما يفعل ويقول لتتهتدوا  
وترشدوا .

159- ومن قوم موسى جماعة بقوا على الدين الصحيح يهدون الناس بالحق  
الذي جاء به موسى من عند ربه ، ويعدلون في تنفيذه إذا حكموا .

وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ  
اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ  
مَشْرَبَتَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا  
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (160) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُبُوا  
هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفٍ لَكُمْ  
خَطِيئَاتِكُمْ يَسْتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (161) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي  
قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْسًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (162)

160- عدّد الله نعمه على قوم موسى ، فأفاد أنه صيّرهم اثنتي عشرة فرقة  
وجعلهم جماعات ، وميّز كل جماعة بنظامها ، منعا للتحاسد والخلاف ، وأوحى  
إلى موسى حين طلب منه قومه الماء في التيه ، بأن يضرب الحجر بعصاه ،

فضربه فانفجرت اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباب ، وقد عرف كل جماعة منهم مكان شربهم الخاص بهم ، فلا يزاحمهم فيه غيرهم ، وجعل لهم السحاب يلقي عليهم ظله فى التيه ، ليقبهم حر الشمس ، وأنزل عليهم المن ، وهو طعام يشبه البرد فى منظره ، ويشبه الشهد فى مطعمه ، وأنزل السلوى ، وهو الطير السمانى ، وقال لهم : كلوا من مستلذات ما رزقناكم مما أنزلناه عليكم . فظلموا أنفسهم وكفروا بتلك النعم ، وطلبوا غيرها ، وما رجع إلينا ضرر ظلمهم ولكنه كان مقصورا عليهم .

161- واذكر - يا أيها النبى - لمن وجد منهم فى زمانك ، تقريبا لهم بما فعل أسلافهم ، اذكر لهم قولنا لأسلافهم على لسان موسى : اسكنوا مدينة بيت المقدس بعد الخروج من التيه ، وكلوا من خيراتها فى أية ناحية من نواحيها شئتم ، وقولوا نسالك يا ربنا أن تحط عينا خطايانا ، وادخلوا باب القرية مع انحاء الرعوس كهيئة الركوع تواضعا لله . إذا فعلتم ذلك تجاوزنا عن ذنوبكم ، وسنزيد ثواب من أحسنوا الأعمال .

162- فخالفوا أمر ربهم ، فقالوا بسبب ظلمهم قولا غير الذى قيل لهم قصد الاستهزاء بموسى ، فأنزلنا عليهم عذابا من السماء بسبب استمرارهم على الظلم وتجاوز الحد .

(1/272)

وَاسْأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيْثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَعِّثَنَّ عَلَيْهِمُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ (167)

163- واسأل اليهود - استنكارا لما فعل أسلافهم - عن خبر أهل قرية - أيلة - التى كانت قريبة من البحر ، حين كانوا يتجاوزون حدود الله بصيد السمك فى يوم السبت ، وحين كانت تأتيم حيتان الأيسماك وتظهر على وجه الماء يوم السبت ، وفى غيره لا تأتيمهم ، ابتلاء من الله . بمثل ذلك البلاء المذكور نبلوهم بلاء آخر بسبب فسقهم المستمر ليظهر منهم المحسن من المسئ .

164- واذكر أيضا لهؤلاء اليهود إذ قالت جماعة من صلحاء أسلافهم - لم يقعوا فيما وقع فيه غيرهم - لمن يعطون أولئك الأشرار : لأى سبب تنصحون قوما الله مهلكهم بسبب ما يرتكبون أو معذبهم فى الآخرة عذابا شديدا؟! قالوا : وعظناهم اعتذارا إلى ربكم ، لئلا ننسب إلى التقصير ، ورجاء أن يتقوا .

165- فلما تركوا ما وعظوا به ، أنجينا الذين ينهون عن العمل السيئ من العذاب ، وأخذنا الذين ظلموا فاعتدوا وخالفوا بعذاب شديد ، هو البؤس والشقاء . بسبب استمرارهم على الخروج عن طاعة الله ربهم .

166- فلما قسوا واستمروا على ترك ما نهوا عنه ، ولم يردعهم العذاب الشديد ، جعلناهم كالقردة فى مسخ قلوبهم وعدم توفيقهم لفهم الحق ،

مبعدين عن كل خير .  
167- واذكر أيضا لهؤلاء اليهود حين أعلم ربك أسلافهم على السنة أنبيائهم :  
ليسلطن الله على جماعة اليهود إلى يوم القيامة من يوقع بهم أسوأ أنواع  
العذاب على ظلمهم وفسقهم ، لأن ربك سريع العقاب لأهل الكفر ، لأن عقابه  
واقع لا محالة ، وكل أت قريب ، ، إنه غفور رحيم لمن رجع إليه وتاب .

(1/273)

وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَيَّمَا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ  
بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا  
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْتِي وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ  
يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا  
مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ  
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170) وَإِذْ تَبَقْنَا الْجَبَلَ  
فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ (171)

168- وقد فرقناهم في الأرض جماعات : منهم الصالحون ، وهم الذين آمنوا  
واستقاموا ، ومنهم أناس منحطون عن وصف الصلاح ، وقد اختبرناهم جميعا  
بالنعم والنقم ليتوبوا عما نهوا عنه .  
169- فجاء من بعد الذين ذكرناهم وقسمناهم إلى القسمين ، خلف سوءٍ ورثوا  
التوراة عن أسلافهم ولكنهم لم يعملوا بها ، لأنهم يأخذون متاع الدنيا عوضا عن  
قول الحق ، ويقولون في أنفسهم : سيغفر الله لنا ما فعلناه . يرجون المغفرة  
والحال أنهم إن يأتهم شيء مثل ما أخذوه يأخذوه . فهم مصرون على الذنب  
مع طلب المغفرة ، ثم وبخهم الله على طلبهم المغفرة مع إصرارهم على ما  
هم عليه ، فقال : إنا أخذنا عليهم العهد في التوراة ، وقد درسوا ما فيها ، أن  
يقولوا الحق ، فقالوا الباطل ، وإن نعيم الدار الآخرة للذين يتقون المعاصي  
خير من متاع الدنيا . أتستمرون على عصيانكم فلا تعقلون أن ذلك النعيم خير  
لكم ، وتؤثرون عليه متاع الدنيا ؟  
170- والذين يتمسكون بالتوراة ، وأقاموا الصلاة المفروضة عليهم ، إنا لا  
نضيع أجرهم ، لإصلاحهم وإحسانهم الأعمال .  
171- رد الله على اليهود في قولهم : إن بنى إسرائيل لم تصدر منهم مخالفة  
في الحق ، فقال : واذكر لهم - أيها النبي - حين رفعنا الجبل فوق رؤوس بنى  
إسرائيل كأنه غمامة ، وفزعوا لظنهم أنه واقع عليهم ، وقلنا لهم - في حالة  
الرفع ورهبتهم - خذوا ما أعطيناكم من هدى في التوراة بجد وعزم على  
الطاعة ، وتذكروا ما فيه لعلكم تعتبرون وتتهذب نفوسكم بالتقوى .

(1/274)

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ طُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ  
بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ

تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ  
الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174) وَإِنُّ عَلَىٰهِمْ نَبَأٌ  
الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ (175)

172- بَيْنَ اللَّهِ هُنَا هِدَايَةَ بَنِي آدَمَ بِنَصَبِ الْأَدْلَةِ فِي الْكَائِنَاتِ ، بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّهَا عَنْ طَرِيقِ الرِّسَالِ وَالْكِتَابِ ، فَقَالَ : وَادَّكُرْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - لِلنَّاسِ حِينَ أَخْرَجَ رَبُّكَ مِنْ أَصْلَابِ بَنِي آدَمَ وَنَسَلِهِمْ وَمَا يَتَوَالَدُونَ قَرْنَا بَعْدَ قَرْنٍ ، ثُمَّ نَصَبَ لَهُمْ دَلَائِلَ رُبُوبِيَّتِهِ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، وَرَكَزَ فِيهِمْ عَقُولًا وَبَصَائِرَ يَتِمَكَّنُونَ بِهَا مِنْ مَعْرِفَتِنَا ، وَالِاسْتِدْلَالَ بِهَا عَلَى التَّوْحِيدِ وَالرُّبُوبِيَّةِ ، حَتَّى صَارُوا بِمَنْزِلَةٍ مِنْ قِبَلِ لَهُمْ : أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلْ أَنْتَ رَبِّنَا شَهِدْنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِنَا ، لِأَنَّ تَمَكُّنَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِالْأَدْلَةِ وَتَمَكُّنَهُمْ مِنْهُ فِي مَنْزِلَةِ الْإِقْرَارِ وَالِاعْتِرَافِ . وَإِنَّمَا فَعَلْنَا هَذَا لِئَلَّا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا التَّوْحِيدِ غَافِلِينَ لَا نَعْرِفُهُ .

173- أَوْ تَقُولُوا : إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلِنَا ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً لَهُمْ فَاقْتَدَيْنَا بِهِمْ ، أَفَتُؤَاخِذُنَا يَا رَبُّ فَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ مِنْ آبَائِنَا بِتَأْسِيسِ الشَّرِكِ الَّذِي جَرُونَا إِلَيْهِ . . . فَلَا حُجَّةَ لَكُمْ .

174- وَمِثْلَ ذَلِكَ الْبَيَانِ الْحَكِيمِ تُبَيِّنُ لِبَنِي آدَمَ الدَّلَائِلَ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ ، لِيَرْجِعُوا عَنْ مَخَالَفَتِهِمْ وَتَقْلِيدِ الْمُبْطِلِينَ .

175- ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا لِلْمُكَذِّبِينَ بِآيَاتِهِ الْمَنْزِلَةَ عَلَى رَسُولِهِ ، فَقَالَ : وَاقْرَأْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - عَلَيَّ قَوْمَكَ خَبَرَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ آتَيْنَاهُ عِلْمًا بِآيَاتِنَا الْمَنْزِلَةَ عَلَى رَسَلِنَا ، فَاهْمَلَهَا وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ خَطْوَاتِهِ ، وَوَسَّلَطَ عَلَيْهِ بِإِعْوَانِهِ فَصَارَ فِي زَمْرَةِ الضَّالِّينَ .

(1/275)

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ (177) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (178) وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاغِلُونَ (179) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)

176- وَلَوْ شِئْنَا رَفَعَهُ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ لَرَفَعْنَاهُ إِلَيْهَا ، بِتَوْفِيقِهِ لِلْعَمَلِ بِتِلْكَ الْآيَاتِ ، وَلَكِنَّهُ تَعَلَّقَ بِالْأَرْضِ وَلَمْ يَرْتَفِعْ إِلَى سَمَاءِ الْهِدَايَةِ ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَصَارَ حَالُهُ فِي قَلْبِهِ الدَّائِمُ ، وَانْشَغَالُهُ بِالدُّنْيَا ، وَتَفَكُّيرُهُ الْمَتَوَاصِلَ فِي تَحْصِيلِهَا كَحَالِ الْكَلْبِ فِي أَسْوَأِ أَحْوَالِهِ عِنْدَمَا يَلْهَثُ دَائِمًا ، إِنْ زَجَرْتَهُ أَوْ تَرَكْتَهُ ، إِذْ يَنْدَلِعُ لِسَانُهُ مِنَ التَّنَفُّسِ الشَّدِيدِ ، وَكَذَلِكَ طَالِبُ الدُّنْيَا يَلْهَثُ وَرَاءَ مَتْعِهِ وَشَهْوَاتِهِ دَائِمًا . إِنْ ذَلِكَ الْوَصْفُ الَّذِي اتَّصَفَ بِهِ الْمُنْسَلَخُ مِنْ آيَاتِنَا ، هُوَ وَصْفُ جَمِيعِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْمَنْزِلَةَ . فَاقْصِصْ عَلَيْهِمْ قِصَصَهُ لِيَتَفَكَّرُوا فَيُؤْمِنُوا .

177- قُبِحَتْ حَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِنَا ، وَمَا ظَلَمُوا بِهَذَا الْإِنْحِرَافِ عَنِ الْحَقِّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ .

178- من يوفقه الله لسلوك سبيل الحق فهو المهتدى حقا ، الفائز بسعادة الدارين ، ومن يحرم من هذا التوفيق بسبب سيطرة هواه ، فهذا الفريق هم الخاسرون .

179- ولقد خلقنا كثيرا من الجن والإنس مآلهم النار يوم القيامة ، لأن لهم قلوبا لا ينفذون بها إلى الحق ، ولهم أعين لا ينظرون بها دلائل القدرة ، ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر وإتعاظ . أولئك كالبهائم لعدم انتفاعهم بما وهبهم الله من عقول للتدبر ، بل هم أضل منها ، لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها ، وهؤلاء لا يدركون ذلك ، أولئك هم الكاملون فى الغفلة .

180- ولله - دون غيره - الأسماء الدالة على أكمل الصفات ، فأجروها عليه دعاء ونداء وتسمية ، وابتعدوا عن الذين يميلون فيها إلى ما لا يليق بذاته العلية وإنهم سيُجرُّون جزاء أعمالهم .

(1/276)

---

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (181) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
بِئْسَ سُنْدُرُ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182) وَأَمْ لِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ (183)  
أَوْلَمْ يَتَّفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ مُّبِينٌ (184) أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي  
مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ  
اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185) مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ  
وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186)

- 181- وممن خلقنا للجنة طائفة يدعون غيرهم للحق بسبب حبهم الحق ،  
وبالحق - وحده - يعدلون فى أحكامهم .
- 182- والذين كذبوا بآياتنا المنزلة سنستدرجهم ونتركهم حتى يصلوا إلى أقصى  
غاياتهم ، وذلك بإدراج النعم عليهم ، مع انهماكهم فى الغنى ، حتى يفاجئهم  
الهلاك وهم غافلون يرتعون .
- 183- وسأمد لهم فى الحياة غير مُهمِّلٍ لسيئاتهم ، وتديبرى لهم شديد عليهم ،  
يكافئ سيئاتهم التى كثرت بتماديهم .
- 184- لقد بادروا بالكذب ، ولم يتدبروا ما يدعوهم الرسول إليه ، وما يقدمه  
من حجج ، بل رموه بالجنون وليس به من جنون ، فما هو إلا مُتَذِرٌ لهم من  
عاقبة شركهم ، وإنذاره بين واضح .
- 185- لقد كذبوا محمدا فيما يدعوهم إليه من توحيد ، ولم ينظروا نظر تأمل  
واستدلال فى ملك الله العظيم للسموات والأرض وما فيها ، مما يدل على  
كمال قدرة الصانع ووحدانته ، ولم يفكروا فى أنه قد اقترب أجلهم ، أو عسى  
أن يكون قد اقترب ، فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق قبل مفاجأة الأجل ،  
فإذا لم يؤمنوا بالقرآن فبأى كلام يؤمنون بعده؟
- 186- من يكتب الله عليه الضلالة لسوء اختياره فلا يهديه أحد ، ويتركهم -  
سبحانه - فى ضلالهم يتحiron لا يهتدون سبيلا .

(1/277)

---

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفِيِّهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا يَشَاءُ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) أَتُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192)

187- يسألك اليهود - يا محمد - عن الساعة التي تنتهي فيها هذه الدنيا ، فى أى وقت تكون ويستقر العلم بها؟ قل لهم : علم وقتها عند ربى - وحده - لا يظهرها فى وقتها أحد سواه . قد عظم هولها عندما تقع إلى أهل السموات والأرض . يسألونك هذا السؤال ، كأنك حريص على العلم بها . فكرر الجواب ، فقل لهم مؤكدا : إن علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يدركون الحقائق التي تغيب عنهم ، أو التي تظهر لهم! .

188- قل لهم : لا أملك لنفسى جلب نفع ولا دفع ضر إلا الذى شاء الله من ذلك فيملكنى إياه . ولو كنت أعلم ما غاب عنى كما تظنون ، لاستكثرت من كل خير ، لعلمى بأسبابه ، ولدفعت عن نفسى كل سوء باجتنب موجباته ، ما أنا إلا نذير بالعذاب ومبشر بالثواب لقوم يؤمنون بالحق ويزعمون له .

189- هو الله الذى أنشأكم من نفس واحدة ، وجعل من جنسها زوجها ، واستمرت سلالتهم فى الوجود . وكنتم زوجاً وزوجة ، فإذا تغشاهما حملت محمولاً خفيفاً هو الجنين عند كونه علقة ومضغة ، فلما ثقل الحمل فى بطنها دعا الزوج والزوجة ربهما قائلين : والله لئن أعطيتنا ولداً سليماً من فساد الخلق ، لنكونن من الشاكرين لنعمائك .

190- فلما أعطاهما ما طلبا جعلاً الأصنام شركاء لله تعالى فى عطيته الكريمة ، وتقربا إليها ، كأنهما يشكرانها ، والله - وحده - هو المستحق للشكر يتعالى ويتسامى عن أن يكون كشركائهم .

191- هل يصح أن يشركوا مع الله أصناماً لا تقدر أن تخلق شيئاً من الأشياء وهم مخلوقون لله؟! .

192- ولا يقدرون على نصر لمن يعبدونهم ، ولا ينصرون أنفسهم إذا تعدى الغير عليهم .

(1/278)

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (193) إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمَّيَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظِرُونَ (195) إِنْ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي تَزَلَّ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197)

- 193- وإن تدعوا - أيها العابدون - الأصنام ليرشدوكم إلى ما تحبون ، لا يجيبوكم إلى مرادكم ، فمستو عندكم في عدم الفائدة دعاؤكم إياهم ، وسكونكم ، فإنه لا يتغير حالهم في الحالتين .
- 194- إن الذين تعبدون من غير الله ، وترجون النفع منهم ، خاضعون لله بحكم تكوينهم ، من حيث كونهم مسخرين لأمره مثلكم ، فإن كنتم صادقين في زعمكم أنهم يقدرون على شيء ، فاطلبوه منهم فلن يحققوه لكم .
- 195- بل إن هذه الأصنام أقل منكم في الخلق والتكوين ، ألهم أرجل يمشون بها؟ أو أيد يدفعون بها الضر عنكم وعنهم؟ أو أعين يبصرون بها؟ أو أذان يسمعون بها ما تطلبون فيحققوه لكم؟ ليس لهم شيء من ذلك ، فكيف تشركونهم مع الله؟ ، وإذا كنتم تتوهمون أنها تنزل الضر بي أو بأحد ، فنادوها ودبروا لى معها ما تشاءون من غير إمهال ولا انتظار ، فإنها لن تستطيع شيئاً ، فلا تمهلوني فإنى لا أبالى بها
- 196- إن ناصرى عليكم هو الله الذى له ولايتى ، وهو الذى أنزل على القرآن ، وهو - وحده - الذى ينصر الصالحين من عباده .
- 197- والأصنام الذين تطلبون منهم النصر دون الله ، لا يستطيعون نصركم ولا نصر أنفسهم .

(1/279)

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198) خُذِ الْعَقْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199) وَإِنَّمَا يَنْتَرِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تُرَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (202) وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَنِبَهَا قُلْ إِنَّمَا أُتِيَ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204)

- 198- وإن تسألوهم الهداية إلى ما فيه خيركم لا يسمعون سؤالكم فضلا عن إرشادكم ، وإنك لتراهم - فى مقابلك - كأنما ينظرون إليك ، وهم فى الحقيقة لا يرون شيئاً .
- 199- أعرض - أيها النبى - عن الجاهلين ، وسر فى سبيل الدعوة ، وخذ الناس بما يسهل ، وأمرهم بكل أمر مستحسن تعرفه العقول وتدرکه .
- 200- وإن تعرض لك من الشيطان وسوسة لصرفك عما أمرت ، كأن تغضب من لجاجتهم بالشر ، فاستجر بالله يصرفه عنك ، لأنه سميع لكل ما يقع عليهم .
- 201- إن الذين خافوا ربهم ، وجعلوا بينهم وبين المعاصى وقاية من الشيطان بوسوسة منه طافت بهم لصرفهم عما يجب عليهم تذكروا عداوة الشيطان وكبده ، فإذا هم مبصرون الحق فيرجعون .
- 202- وإخوان الشياطين من الكفار ، تزيدهم الشياطين بالوسوسة ضللا ، ثم هؤلاء الكفار لا يكفون عن ضلالهم بالتبصر .
- 203- وإذا لم تأت الكفار بآية مما يطلبون عناداً وكفراً ، قالوا : هلا طلبتها؟ قل لهم : ما أتبع إلا القرآن الذى يوحى إلى من ربي ، وقل لهم : هذا القرآن حُجج



من ربكم تبصركم وجوه الحق ، وهو ذو هداية ورحمة للمؤمنين ، لأنهم  
العاملون به .  
204- وَإِذْ ثَلَيْتَ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - الْقُرْآنَ فَاصْغُوا إِلَيْهِ بِأَسْمَاعِكُمْ .  
لِتَتَذَكَّرُوا مَوَاعِظَهُ ، وَأَحْسِنُوا الْإِسْتِمَاعَ لِتَفُوزُوا بِالرَّحْمَةِ .

(1/280)

وَإِذْ كُرِّرْتَ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَصَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا  
تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ  
وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206)

205- واذكر ربك ذكراً نفسياً ، تحس فيه بالتقرب إلى الله والخضوع له  
والخوف منه ، من غير صياح ، بل فوق السر ودون الجهر من القول . وليكن  
ذكرك في طرفى النهار لتفتتح نهارك بالذكر لربك وتختمه به ، ولا تكن فى  
عامة أوقاتك من الغافلين عن ذكر الله .  
206- إن الذين هم قريبون من ربك بالتشريف والتكريم ، لا يستكبرون عن  
عبادته ، وينزهونه عما لا يليق به ، وله يخضعون .

(1/281)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا دَاتَ بَيْنِكُمْ  
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)

1- أخرج النبى من مكة مهاجراً بسبب مكر المشركين وتديبرهم أمر قتله ،  
وليكون للمسلمين دولة ، واستقر بالمدينة حيث النصر ، وكان لا بد من الجهاد  
لدفع الاعتداء ، لكيلا يُفْتَنَ أهل الإيمان ، فكانت غزوة بدر الكبرى ، وكان فيها  
النصر المبين والغنائم ، وكان وراء الغنائم بعض الاختلاف والتساؤل فى توزيعها  
 . يسألونك عن الغنائم : ما مالها؟ ولمن تكون؟ وكيف تقسم؟ فقل لهم - أيها  
النبى - : إنها لله والرسول ابتداء ، والرسول بأمر ربه يتولى تقسيمها ، فتركوا  
الاختلاف بشأنها ، واجعلوا خوف الله وطاعته شعاركم ، وأصلحوا ما بينكم ،  
فاجعلوا الصلوات بينكم محبة وعدلا ، فإن هذه صفة أهل الإيمان .

(1/282)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ رَادُّوهُمْ  
إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)  
أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) كَمَا  
أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ قَرِيبًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارَهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ  
فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6)

- 2- إن المؤمنين حقاً وصدقاً يستشعرون دائماً خوف الله وطاعته ، فإذا ذُكر سبحانه فزعت قلوبهم ، وامتلات هيبة ، ولذا كلما قرئت عليهم آيات من القرآن ازداد إيمانهم رسوخاً ، وازدادوا إذعانا وعلماً ، ولا يعتمدون إلا على الله الذى خلقهم وبحميهم وينميههم .
- 3- وأولئك المؤمنون الصادقون فى الإيمان ، يؤدون الصلاة مستوفية الأركان ، كاملة الخشوع والخضوع ، ليكونوا على تذكّر الله دائماً ، وينفقون مقادير من المال الذى رزقهم الله - سبحانه وتعالى - فى الجهاد والبر ومعاونة الضعفاء .
- 4- إن هؤلاء المتصفين بتلك الصفات ، هم الذين يوصفون بالإيمان حقاً وصدقاً ، ولهم جزاؤهم درجات عالية عند الله ، وهو الذى يمنحهم رضاه ، ويغفر لهم هفواتهم ويرزقهم رزقاً طيباً فى الدنيا ، ونعيماً دائماً فى الآخرة .
- 5- وإن النصر بيد الله ، ومقاليد الأمور إليه ، وإنّ حال المؤمنين فى خلافهم حول الغنائم كحالهم عندما أمرك الله بالخروج لقتال المشركين بدر ، وهو حق ثابت ، فإن فريقاً من أولئك المؤمنين كانوا كارهين للقتال مؤكدين كراهيتهم .
- 6- يناظر ك أولئك الفريق ، ويحاولون أن ينصروا قولهم فى الأمر الحق ، وهو الخروج للجهاد ، إذ كانوا مع إخوانهم الذين خرجوا لمصادرة أموال قريش الذاهبة إلى الشام ، فلم يدركوها ، فأثر هذا الفريق العودة من بعد ما تبين أنهم منصورون ، لإعلام النبى لهم ، ولذعر المشركين منهم ، ولشدة كراهيتهم للقتال وعدم أمنهم من عواقبه ، وكانوا فى ذهابهم إليه كالذى يساق إلى الموت ، وهو ينظر أسبابه ويعاينها .

(1/283)

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبَدِّدِكُمُ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10)

- 7- واذكروا - أيها المؤمنون - وعد الله تعالى لكم أن ينصركم على إحدى الطائفتين التى فيها الشوكة والقوة ، وأنتم تودون أن تدركوا الطائفة الأخرى التى فيها المال والرجال ، وهى قافلة أبى سفيان ، فاخترتم المال ولا شوكة فيه ، ولكن الله تعالى يريد أن يثبت الحق بإرادته وقدرته وكلماته المعلنة للإرادة والقدرة ، ويستأصل الكفر من بلاد العرب بنصر المؤمنين .
- 8- ليثبت الحق ويزيل الباطل ، ولو كره ذلك الكافرون الذين أجرموا فى حق الله ، وفى حق المؤمنين وفى حق أنفسهم .
- 9- اذكروا - أيها المؤمنون ، وأنتم تتقاسمون الغنائم وتختلفون - الوقت الذى كنتم تتجهون فيه إلى الله تعالى ، طالبين منه الغوث والمعونة ، إذ كتب عليكم أنه لا خلاص من القتال ، فأجاب الله دعاءكم ، وأمّدكم بملائكة كثيرة تبلغ الألف متتابعة ، يجئ بعضها وراء بعض .
- 10- وما جعل الله تعالى ذلك الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر ، لتطمئنوا وتقدموا ، والله يعينكم ، والنصر لا يجئ إلا بمعونة الله القوى الغالب ، الذى يضع الأمور فى مواضعها بمقتضى علمه الذى لا يغيب عنه شئ .

إِذْ يُعَشِّبُكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهَّرَكُم بِهِ وَيُدْهَبَ  
عَنكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ  
إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَيَنْبِئُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
أَلَرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا  
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) ذَلِكَ  
فَدُوقُهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (14)

- 11- اذكروا - أيها المؤمنون - وقت أن خفتم من قلة الماء ، ومن الأعداء ،  
فوهبكم الله الأمن ، وأصابكم النعاس فنتمم أمين ، وأنزل الماء من السماء  
لتنظفروا به ، ولتذهبوا وساوس الشيطان عنكم ، وثبت قلوبكم واثقة بعون  
الرحمن ولتتماسك به الأرض فتثبت الأقدام .
- 12- اذكروا - أيها المؤمنون - أن الله أوحى للملائكة أن تودع في نفوسكم أنى  
معكم بالتأييد والنصر ، قائلاً لهم : قووا قلوب الذين آمنوا وأذعنوا للحق  
وجاهدوا في سبيل الله ، وساجعل الرعب يستولى على قلوب المشركين ،  
فيفزعون هم دونكم ، فاضربوا - أيها المؤمنون - رؤوسهم التى فوق أعناقهم ،  
وقطعوا أصابعهم التى يحملون بها السيوف .
- 13- كان ذلك النصر والتأييد لكم ، والرعب والفرع لهم ، لأنهم تحدوا الله  
ورسوله ، فكانوا فى جانب والله ورسوله فى جانب آخر ، ومن يحاد الله  
ورسوله فإنه ينزل به العذاب الأليم لأن عقاب الله شديد .
- 14- ذلكم أيها المؤمنون هو القتال فدوقوه مع اليقين بالنصر والتأييد وأن  
للجاحدين بآياته عقاباً آخر يوم القيامة ، هو عذاب النار .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْمًا فَلَا تُؤَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ  
يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَفَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ  
وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16) فَلَمْ تَقُلُّوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ  
رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)  
ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (18) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ  
تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ نُغْنِيَنَّ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ سَيِّئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ  
اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)

- 15- أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له ، إذا التقيتم بالذين كفروا فى الميدان  
، وهم زاحفون عليكم بكثرتهم ، فلا تفروا منهم وتجعلوا ظهوركم أمام سيوفهم .
- 16- ومن لا يلاقهم وجهاً لوجه فإراً منهم ، فإن الله يغضب عليه ، ومصيره إلى  
النار ، وهى أسوأ مصير لكم ، ومن لا يلاقهم بوجهه كيداً ومهارة حربية ، أو  
يترك طائفة لينحاز إلى طائفة أخرى من المؤمنين ، لتكون قوة للقاء فإنه لا إثم  
عليه .

- 17- إذا كنتم - أيها المؤمنون - قد انتصرتهم عليهم ، وقتلتهم من قتلتم منهم ، فإنكم لم تقتلوهم بقوتكم ، ولكن الله تعالى هو الذى نصركم وقتلهم بتأييده لكم وإلقاء الرعب فى قلوبهم ، وما رميت - أيها الرسول - إذ كنت ترمى التراب والحصى فى وجوههم إفزاعاً لهم ، ولكن الله تعالى هو الذى رمى فأفزعهم الرمى ، وكان ذلك لينعم الله على المؤمنين نعماً حسنة ، منها الابتلاء بالشدّة ، ليظهر إخلاصهم ، وأن الله عليم بأمورهم ، سميع لأقوالهم ، وكذلك هو عليم بأمور أعدائهم وأقوالهم .
- 18- ذلك هو النصر العظيم ، مع أن الله تعالى مُضَعَفٌ لكل تدابير الكافرين .
- 19- إن كنتم - أيها المشركون - تتعلقون بأستار الكعبة ، طالبين الفصل بينكم وبين المؤمنين ، فقد جاءكم الامر الفاصل ، وليس نصراً لكم ، بل هو نصر للمؤمنين ، وإن تعودوا إلى الاعتداء نعد عليكم بالهزيمة ، ولن تغنى عنكم جماعتكم المؤتلفة على الإثم شيئاً ، ولو كان العدد عندكم كثيراً ، فإن الله مع الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له .

(1/286)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلُّوا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (21) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ (22) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشَرُونَ (24) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25)

- 20- يا أيها الذين صدقتم بالحق وأذعنتم له ، قد علمتم أن النصر كان بتأييد الله وطاعة رسوله ، فاستمروا على طاعتكم لله وللرسول ، ولا تعرضوا عن دعوة الرسول إلى الحق وأنتم تسمعون وتعون ما يقول .
- 21- ولا تكونوا كالمنافقين الذين قالوا : سمعنا الحق ووعيناه ، لكنهم لا يذعنون له ولا يؤمنون به ، فكانوا كغير السامعين .
- 22- إن أولئك المشركين والمنافقين معهم ، هم كشر الدواب التى أصيبت بالصمم فلا تسمع ، وبالكم فلا تتكلم ، فهم صمُّوا عن الحق ، فلم يسمعوه ولم ينطقوا به ولم يعقلوه .
- 23- ولو علم الله - بعلمه الأزلى - أن فيهم - وهم بهذه الحال - ما يكون خيراً لأنفسهم وللناس وللحق ، لأسمعهم سماع هداية يوصل الحق إلى عقولهم ، ولو سمعوه وفهموه لانصرفوا عن الاهتداء ، وحال الإعراض الآن لا تفارقهم لغلبة الهوى .
- 24- يا أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له ، أجيئوا الله فى اتجاه قلبى إلى ما يأمركم به ، وأجيئوا الرسول فى تبليغه ما يأمر به الله إذا دعاكم إلى أوامر الله بالأحكام التى فيها حياة أجسامكم وأرواحكم وعقولكم وقلوبكم ، واعلموا علم اليقين أن الله تعالى قائم على قلوبكم ، يوجهها كما يشاء فيحول بينكم وبين قلوبكم إذا أقبل عليها الهوى ، فهو منقذكم منه إن اتجهتم إلى الطريق المستقيم ، وإنكم جميعاً ستجمعون يوم القيامة فيكون الجزاء .

25- واجعلوا وقاية بينكم وبين الذنب العظيم الذى يفسد جماعتكم ، كالاتناع عن الجهاد ، وكالشقاق ، وكالاتناع عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن ذلك الذنب لا يصيب الذين ظلموا - وحدهم - بل يصيب الجميع واعلموا علماً جازماً أن عقاب الله شديد فى الدنيا والآخرة .

(1/287)

وَإِذْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فَعَلَيْكُمُ الْمَلْحَمَةُ فَأَقْبَلِ الْقِتَالَ وَذُرِّبَتْ لَكُمُ الْحَرْبُ وَأَنْتُمْ أَعْيُنُكُمْ حَاغِبَةٌ تَخَوِّفُهُمْ وَلَا تَشْرِيهِمْ وَإِذْ لَمْ يَلْحَقُوا الْكُفْرَانَ وَلَمْ تُكَلِّمُوا أَهْلَهُمْ وَلَمَّا سَأَلْتَهُم لِمَ كَفَرْتُمْ قَالُوا مَا كُنَّا أَعْيُنُكُمْ حَاغِبِينَ إِنَّا كُنَّا بِمَا نَعْمَلُ فَاعْتَدْنَا لِلَّهِ كُفْرًا نَكِيرًا (25) وَإِذْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فَعَلَيْكُمُ الْمَلْحَمَةُ فَأَقْبَلِ الْقِتَالَ وَذُرِّبَتْ لَكُمُ الْحَرْبُ وَأَنْتُمْ أَعْيُنُكُمْ حَاغِبَةٌ تَخَوِّفُهُمْ وَلَا تَشْرِيهِمْ وَإِذْ لَمْ يَلْحَقُوا الْكُفْرَانَ وَلَمْ تُكَلِّمُوا أَهْلَهُمْ وَلَمَّا سَأَلْتَهُم لِمَ كَفَرْتُمْ قَالُوا مَا كُنَّا أَعْيُنُكُمْ حَاغِبِينَ إِنَّا كُنَّا بِمَا نَعْمَلُ فَاعْتَدْنَا لِلَّهِ كُفْرًا نَكِيرًا (26) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَبَيَّنَ لَكُم مِّنَ الْكُفْرَانِ بَعْضٌ فَمَكْرٌ مِّنَ اللَّهِ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَيَمْسُكَ بِأَعْيُنِكُمْ وَاللَّهُ عَظِيمٌ (29) وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)

26- وتذكروا - أيها المؤمنون فى حال قوتكم - وقت أن كنتم عدداً قليلاً ، وضعفاء يستغل أعداؤكم ضعفكم ، وقد استولى عليكم الخوف من أن يتخطفكم أعداؤكم ، فهاجرتم بأمر الله وجعل من يثرب مأوى لكم ، وكان لكم النصر بتأييده وتوفيقه ، ورزقكم الغنائم الطيبة رجاء أن تشكروا هذه النعم ، فتسيروا فى طريق الجهاد لإعلاء كلمة الحق .

27- يا أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له ، لا يصح أن تكون منكم خيانة لله ورسوله بموالاته أعداء الحق ، أو بالخيانة فى الغنائم ، أو بالعود عن الجهاد ، ولا تخونوا فى الأمانات التى تكون بينكم ، وأنتم تعلمون أوامر الله ونواهيته .

28- واعلموا - أيها المؤمنون الصادقون - أن فتنة نفوسكم تجئ من فرط محبتكم لأولادكم ، فلا تغلبوا محبة المال والولد على محبة الله تعالى ، فإن ذلك يفسد أموركم . واعلموا أن ثواب الله عظيم يجزيكم عن المال والولد .

29- يا أيها الذين صدقوا بالحق وأذعنوا له ، إن تخضعوا لأوامر الله فى السر والعلن ، يجعل الله تعالى فى أنفسكم قدرة تفرقون بها بين الحق والباطل ، ويهيكلم نصراً ليفصل بينكم وبين أعدائكم ، ويستتر سيناتكم فتذهب ويغفرها لكم ، وهو - سبحانه - صاحب الفضل الكبير دائماً .

30- واذكر - أيها النبي - نعمة الله عليك ، إذ يمكر المشركون للإيقاع بك : إما بأن يحبسوك ، وإما بأن يقتلوك ، وإما بأن يخرجوك . إنهم يدبرون لك التدبير السيئ ، والله تعالى يدبر لك الخروج من شرهم ، وتدبير الله هو الخير وهو الأقوى والغالب .

(1/288)

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (31) وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32) وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ

يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّفِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35)

- 31- واذكر - أيها النبي - معاندة المشركين عندما كنت تقرأ عليهم آيات القرآن الكريم ، وهى آياتنا ، فيذهب بهم فرط الجهل والغرور إلى أن يقولوا : لو أردنا أن نقول مثل هذا القرآن لقلنا ، فما هو إلا ما سطره الأولون من قصص .
- 32- واذكر - أيها النبي - كيف ذهبوا فى محادتك ومحادة الله أن قالوا معاندين موجهين النداء لله ربهم : إن كان ما تحيى به هو الأمر الثابت ، فاجعل السماء تمطر حجارة ، أو أنزل عذاباً شديداً أليماً .
- 33- وما كان من حكمة الله تعالى أن يعذبهم فى الدنيا بعذاب شديد وأنت فيهم تدعو إلى الحق راجياً إجابتهم ، وما كان من شأن الله أن يعذب العصاة وهم يستغفرونه ويقبلون عما هم فيه .
- 34- وإن حالهم القائمة الآن تسوغ تعذيبهم ، لأنهم يمنعون الناس من المسجد الذى حرم الله القتال حوله ، ولكن يؤخرهم الله لما قدره فى علمه من إيمان الكثيرين منهم ، وإنهم فى حالهم هذه ليسوا نصراء ذلك المسجد المكرم ، لأنهم دئسوه بالوثنية ، وإنما نصراؤه الحقيقيون هم المؤمنون الطائعون لله ، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون الدين ، ولا مقام ذلك البيت الكريم .
- 35- وما كان دعاؤهم وتضرعهم عند هذا البيت العظيم إلا صغيراً وشفقاً بالأبدى ، وإذا كانت تلك حالكم فتلقوا الموت وذوقوه فى ميدان القتال ، لينزاح الشرك عن البيت ، وذلك القتل فيكم بسبب كفركم .

(1/289)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ عَلَىٰ بَعْضٍ فَتَرَكَمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَنْتَهُوا يُعْفَر لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُعْوِدُوا فَيَقْدُ مَصَّتْ سِنَّهُ الْأُولَىٰ (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (40)

- 36- إن هؤلاء الذين جحدوا بالآيات وأشركوا بالله ، ينفقون أموالهم ليمنعوا الناس عن الإيمان بالحق ، وهم سينفقونها ، ثم تكون الأموال بسبب ضياعها عليهم من غير جدوى موجبة للندم والألم ، وسيغلبون فى ميدان القتال فى الدنيا ، ثم يجمعون إلى جهنم فى الآخرة إن استمروا على كفرهم .
- 37- وإن الهزيمة فى الدنيا ، والعذاب بالنار فى الآخرة ، ليفصل الله خبيث النفس والفعل والقول عن الطيب فى نفسه وقلبه وقوله وفعله ، وليجعل الخبيث بعضه فوق بعض ، فيجمعه ويضم أجزاءه ويجعله فى النار يوم القيامة ، وأولئك المشركون المفسدون هم الخاسرون - وحدهم - فى الدنيا والآخرة .
- 38- وإن باب الرجاء مفتوح مع هذا الترهيب ، فقل - يا نبي الرحمة - لهؤلاء الجاحدين : إنهم إن انتهوا عن العناد والإشراك فإن الله يغفر لهم ما سبق من

أعمالهم . وإن استمروا على ضلالهم وعادوا إلى قتالكم فقد تقررت الطريقة الحقة فى الأولين ، وهى نصر الحق على الباطل إن التزم أهل الحق الطاعة وسبيل النصر .

39- واستمروا - أيها المؤمنون - فى قتال المشركين حتى يمتنعوا عن إفسادهم لعقائد المؤمنين بالاضطهاد والأذى ، فإن انتهوا عن الكفر وإيذاء المؤمنين ، وخلص الدين لله ، فإن الله تعالى عليم بأعمالهم ومجازيهم عليها .  
40- وإن استمروا على إعراضهم وإيذائهم للمؤمنين ، فاعلموا - أيها المؤمنون - أنكم فى ولاية الله ، وهى أحب ولاية وأقواها ، وهو ناصركم ، ونصرته أقوى نصره وأعظمها .

(1/290)

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيهِ الْجَمْعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِئُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحَيَّىٰ مَنْ حَيَّىٰ عَن بَيْتِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42) إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَتَيْتَهُمْ وَلَتَنَارَ عُنُقُهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43)

41- واعلموا - أيها المسلمون - أن ما ظفرتم به من مال الكفار فحكمه : أن يقسم خمسة أخماس ، خُمس منها لله وللرسول ولقرابة النبی واليتامى : وهم أطفال المسلمين الذين مات أبأؤهم وهم فقراء ، والمساكين ، وهم ذوو الحاجة من المسلمين ، وابن السبيل : وهو المنقطع فى سفره المباح . والمخصص من خُمس الغنيمة لله وللرسول يرصد للمصالح العامة التى يقررها الرسول فى حياته ، والإمام بعد وفاته ، وباقى الخُمس يصرف للمذكورين . أما الأخماس الأربعة الباقية من الغنيمة - وسكنت عنها الآية - فهى للمقاتلين ، فاعلموا ذلك ، واعملوا به إن كنتم آمنتم بالله حقاً ، وآمنتم بما أنزل على عبدنا محمد من آيات التثبيت والمدد ، يوم الفرقان الذى فرّقنا فيه بين الكفر والإيمان ، وهو اليوم الذى التقى فيه جمعكم وجمع الكافرين ببدر ، والله عظيم القدرة على كل شئ ، وقد نصر المؤمنين مع قلتهم ، وخذل الكافرين مع كثرتهم .

42- واذكروا حين كنتم فى الوادى بأقرب الجانبين من المدينة ، وهم بأبعد الجانبين ، وركب التجارة الذى تطلبونه أقرب إليكم مما يلى البحر ، ولو تواعدتم أنتم على التلاقى للقتال لما اتفقتم عليه ، ولكن الله دبر تلاقىكم على غير موعد ولا رغبة منهم . لينفذ أمراً كان ثابتاً فى علمه أنه واقع لا محالة ، وهو القتال المؤدى إلى نصركم وهزيمتهم ، لتقطع الشبهات ، فيهلك الهالكون عن حجة بينة بالمشاهدة : وهى هزيمة الكثرة الكافرة ، ويحيا المؤمنون عن حجة بينة : وهى نصر الله للقلة المؤمنة . إن الله لسميع عليم لا يخفى عليه شئ من أقوال الفريقين ولا نياتهم .

43- واذكر - أيها الرسول - حين تفضل الله عليك ، فصور لك فى منامك جيش الأعداء فى قلة ليطمئنكم على أنكم ستغلبونهم ، فتثبتوا أمام جمعهم ولو

ترككم ترونهم كثيراً دون أن يثبتكم بهذه الرؤيا لهبتموهم ، ولترددتم فى قتالهم ، ولعجزتم ، وكان التنازع فى الإقدام وعدمه ، ولكن الله سلم من ذلك ونجى من عواقبه ، إنه عليم بما فى القلوب التى فى الصدور .

(1/291)

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْيَقِينِمْ فِي إَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلِكُمْ فِي إَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقَيْتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا النَّاسَ أَن يَمْسُوا فِتْنَةً مِّنْ دِينِكُمْ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (47)

44- واذكر - أيها الرسول - حينما كان الله يريكم أعداءكم عند التلاقي قلة فى أعينكم ، كما يظهركم الله فى أعين أعدائكم قلة ، ولما فى أنفسهم من الغرور بالكثرة ، ليقدم كل منكم على قتال الآخر ، فيتم تنفيذ أمر علمه الله ، وكان لا بد أن يتم ، وإلى الله ترجع أمور العالم كله ، فلا ينفذ إلا ما قضاه وهياً أسبابه .  
45- يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم جماعة مقاتلة من أعدائكم فاتبعوا ولا تفروا ، واذكروا الله متمثلين قدرته وحسن وعده بنصر المؤمنين ، مكثرين فى ذلك الذكر مع الثبات والصبر ، فإنكم إن فعلتم ذلك كان رجاءكم للفلاح محققاً .  
46- وأطيعوا الله ورسوله فيما أمرتم به أو نهيتم عنه ، ودعوا التنازع والاختلاف ، فإنهما مدعاة إلى ضياع القوة وإلى العجز ، واصبروا على ما تلقون من مكاره الحرب ، فإن الله مع الصابرين بالعون والتأييد والتثبيت وحسن الجزاء .

47- ولا تكونوا كأولئك الذين خرجوا من ديارهم ، مغرورين بما لهم من قوة ونعمة ، مفاخرين ومتظاهرين بهما أمام الناس ، يريدون الثناء عليهم بالشجاعة والغلبة ، وهم بذلك يصدون عن سبيل الله والإسلام ، والله محيط بأعمالهم علماً وقدره ، وسوف يجازيهم عليها فى الدنيا والآخرة .

(1/292)

وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ تَكَصَّ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي لَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48) إِذْ يَقُولُ الْهَاتِفُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ عَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (51) كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52)



- 48- واذكروا - أيها المسلمون - حينما حَسَّنَ الشيطان لهؤلاء المشركين أعمالهم بوسوسته قائلاً لهم : إنه لا يستطيع أحد من الناس أن يغلبهم ، ويؤكد لهم أنه مجير لهم ، فلما تقابل الفريقان في الحرب بطل كيده ووسوسته ورجع مدبراً ، وتبرأ منهم ، وخاف أن يهلكه الله ، والله شديد العقاب على الذنوب .
- 49- واذكر - أيها الرسول - حينما يقول المنافقون من الكفار وضعفاء الإيمان عند رؤيتكم في إقدامكم وثباتكم : غرَّ هؤلاء المسلمين دينهم ، وإن مَنْ وكل إلى الله أمره مؤمناً به معتمداً عليه ، فإن الله يكفيه ما أهمه ، وينصره على أعدائه ، لأن الله قوى السلطان حكيم في تدبيره .
- 50- ولو ترى - أيها الرسول - ذلك الهول الخطير ، الذي ينزل بهؤلاء الكفار حين تتوافهم الملائكة فينزعون أرواحهم ، وهم يضربونهم من أمام ومن خلف ، ويقولون لهم : ذوقوا عذاب النار بسبب أفعالكم السيئة .
- 51- وإنَّ الله ليس ظالماً لعبيده في تعذيبهم على ما ارتكبوهم ، بل ذلك هو العدل ، لأنه لا يستوى المسئى والمحسن ، فعقابه على ما اقترفوا من أعمال سيئة .
- 52- إنَّ عادة هؤلاء المشركين وشأنهم في الكفر ، كشأن الفراعنة وسائر العتاة من قبلهم . جحوداً منهم بآيات الله ، فعذبهم الله على ذنوبهم ، وهو غير ظالم لهم إنَّ الله قوى في تنفيذ حكمه ، شديد المجازاة لمن يستحق عقابه .

(1/293)

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ بِسَمِيعٍ عَلِيمٌ (53) كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَفْنَا آلِ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ (54) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) فَإِمَّا تَنْقَضَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَنَسَرْدُ بِهِمْ مِنْ خَلْقِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (57)

- 53- وهذا عدل في الجزاء ، بسبب أن الله لا يُغير نعمة أنعم بها على قوم ، كنعمة الأمن والرخاء والعافية ، حتى يُغَيِّرُوا هم ما بأنفسهم من الأحوال والأسباب ، وإنَّ الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون .
- 54- وكما أن داب هؤلاء في الإنكار لآيات الله ونعمه كذاب آل فرعون والذين من قبلهم فإن دأبهم وشأنهم في الاستمرار على التكذيب برسله ودلائل نبوتهم ، كذاب آل فرعون والذين من قبلهم فالشبه بينهم في الكفر بالآيات ، وجود رسالة الرسل وتكذيبهم ، وفي الاستمرار على ذلك . فكلاً أخذ الله بذنبه أولئك بالصواعق والرياح ونحوها ، وآل فرعون بالغرق ، وكلهم كانوا ظالمين لأنفسهم ، واستحقوا ما نزل بهم من العقاب .
- 55- إنَّ شَرَّ ما يدب على وجه الأرض عند الله في حكمه وعدله ، هم الكفار المصرون على كفرهم .
- 56- الذين عقدت معهم العهود والمواثيق ، ولا يزالون ينقضونها مرة بعد مرة ، وهم اليهود لا يردعهم عن ذلك تعظيم لله ، ولا خوف من نعمته وعذابه .
- 57- فإنَّ تدرك - أيها الرسول - هؤلاء الناقضين لعهدهم ، وتصادفهم في الحرب ظافراً بهم ، فنكل بهم تنكيلاً يسوؤهم وبخيف مَنْ وراءهم ، فتفرق

جموعهم من خلفهم . فذلك التنكيل أرجى لتذكيرهم بنقض العهود ، ولدفع غيرهم عن الوقوع فى مثل ما وقع فيه هؤلاء .

(1/294)

---

وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (58)  
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (59) وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ  
مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا  
تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا  
تُظْلَمُونَ (60) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ (61)

58- وإن تتوقع من قوم خيانة بأمارات تنبئ بنقضهم لما بينك وبينهم من العهد ، فاقطع عليهم طريق الخيانة لك ، بأن تعلن فيسخك لعهدهم ، حتى يكونوا على علم بأمرك ، وحتى لا يستطيعوا خيانتك ، إن الله لا يحب الخائنين ولا يرضى أن توصفوا بوصفهم .

59- ولا يظن الذين كفروا أنهم سبقوا ونجوا من عاقبة خيانتهم وغدرهم . إنهم لا يعجزون الله عن الإحاطة بهم ، بل هو القادر - وحده - وسيجزئهم بقوته وعدله .

60- وأعدوا - يا معشر المسلمين - لمواجهة أعدائكم ما استطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال ، من المرابطين فى الثغور وأطراف البلاد بخيلهم ، لتخيفوا بهذا الإعداد والرباط عدو الله واعدوكم من الكفار المتربصين بكم الدوائر ، وتخيفوا آخرين لا تعلمونهم الآن والله يعلمهم . لأنه لا يخفى عليه شئ . وكل ما أنفقتم من شئ فى سبيل إعداد القوة قاصدين به وجه الله ، فإن الله يجزيكم عليه جزاء وافيا ، دون أن ينقصهم مثقال ذرة مما تستحقون من فضل ربكم .

61- وإن مال الأعداء عن جانب الحرب إلى جانب السلم ، فاجنح لها - أيها الرسول - فليست الحرب غرضاً مقصوداً لذاته عندك إنما أنت قاصد بها الدفاع لعدوانهم ، وتحديهم لدعوتك . فاقبل السلم منهم ، وتوكل على الله ، ولا تخف كيدهم ومكرهم إنه سبحانه هو السميع لما يتشاورون به ، العليم بما يدبرون ويأتمرون ، فلا يخفى عليه شئ .

(1/295)

---

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62)  
وَأَلْفَ بَيْنٍ فَلُوْبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ  
أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ (64) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ  
صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ  
لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعَقًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ

صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مَا تَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66)

- 62- وإن أرادوا من تظاهرهم بالجنوح إلى السلم خدعة ومكرا بك ، فإن الله يكفيك أمرهم من كل وجه ، وقد سبق له أن أيدك بنصره ، حين هيا لك من الأسباب الظاهرة والخفية ما ثبت به قلوب المؤمنين من المهاجرين والأنصار .
- 63- وجمع بينهم على المحبة بعد التفرق والتعادي ، فأصبحوا ملتقين حولك ، باذلين أرواحهم وأموالهم في سبيل دعوتك ، وإنك لو أنفقت جميع ما في الأرض من الأموال والمنافع - في سبيل هذا التأليف - لما أمكنك أن تصل إليه ، لأن القلوب بيد الله ، ولكن الله ألفت بينهم ، بهدايتهم إلى الإيمان والمحبة والإخاء ، وإنه تعالى قوى غالب ، يدبر أمر العباد على مقتضى ما ينفعهم .
- 64- يأبها النبي كفاك وكفى أتباعك المؤمنين أن الله لكم ناصراً ومؤيداً .
- 65- يأبها النبي حث المؤمنين على القتال لإعلاء كلمة الله ورغبتهم فيما وراءه من خير الدنيا والآخرة ، لتقوى بذلك نفوسهم ، وإنه إن يوجد منكم عشرون معتصمون بالإيمان والصبر والطاعة ، يغلبوا مائتين من الذين كفروا ، ذلك بأنهم قوم لا يدركون حقائق الأمور ، فليس لهم إيمان ولا صبر ولا مطمع في ثواب .
- 66- وإذا كان واجبكم - أيها المؤمنون - أن تصبروا على ملاقات أعدائكم في حال قوتكم ، ولو كانوا أمثالكم ، فقد رخص الله لكم في غير حال القوة أن تصبروا أمام مثلكم فقط من الأعداء لعلمه أن فيكم ضعفا يقتضى التيسير عليكم والترخيص لكم ، بعد أن تثبت هبة الإسلام في نفوس الكفار ، فإن يكن منكم مائة مجاهد صابر يغلبوا مائتين من الكفار ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإرادة الله ومعونته ، والله مع الصابرين بنصره وتأييده .

(1/296)

مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيهِمَا أَذًى عَذَابٌ عَظِيمٌ (68) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (69) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (70) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَاتَتَكَ فَقَدْ حَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71)

- 67- لا يسوغ لأحد من الأنبياء أن يكون له أسرى يحتجزهم ، أو يأخذ منهم الفداء ، أو يمن عليهم بالعفو عنهم حتى يتغلب ويظهر على أعدائه ، ويثقلهم بالجراح ، فلا يستطيعون قتالا في الأرض ، ولكنكم - يا جماعة المسلمين - سارعتم في غزوة بدر إلى اتخاذ الأسرى قبل التمكن في الأرض ، تريدون منافع الدنيا والله يريد لكم الآخرة بإعلاء كلمة الحق ، وعدم الالتفاف إلى ما يشغلكم عن الدنيا ، والله قوى قادر غالب ، يدبر الأمور لكم على وجه المنفعة .
- 68- لولا حكم سابق من الله بالعفو عن المجتهد المخطئ لأصابكم فيما أخذتم عذاب كبير بسبب ما تعجلتم به .
- 69- فكلوا مما غنمتم من الفداء حلالاً لكم غير خبيث الكسب ، واتقوا الله في

كل أموركم ، إن الله عظيم الغفران والرحمة لمن شاء من عباده إذا أتى إلى ربه .

70- يأبى الله ، قل للذين وقعوا فى أيديكم من الأسرى : إن يكن فى قلوبكم خير يعلمه الله ، يـخلف لكم خيراً مما أخذه المؤمنون منكم ، ويغفر لكم ما كان من الشرك والسيئات ، والله كثير المغفرة والرحمة لمن تاب من كفره ومن ذنبه .

71- وإن يريدوا خيانتك بما يُظهر بعضهم من الميل إلى الإسلام مع انطواء صدورهم على قصد مخادعتك ، فلا تبتئس ، فسيمكنك الله منهم ، كما خانوا الله من قبل باتخاذ الأنداد والشركاء والكفر بنعمته ، فأمكن منهم إذ نصررك عليهم فى بدر ، مع التفاوت بين قوتك فى القلة ، وقوتهم فى الكثرة ، والله قوى غالب متصرف بحكمته ، فأمكن من نصره عباده المؤمنين .

(1/297)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَبَضُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (73) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (74) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75)

72- إن الذين صدقوا بالحق وأذعنوا لحكمه ، وهاجروا من مكة ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، والذين آووهم فى غربتهم ، ونصروا رسول الله يقاتلون من قاتله ، ويعادون من عاداه ، بعضهم نصراء بعض فى تأييد الحق وإعلاء كلمة الله على الحق . والذين لم يهاجروا ، لا يثبت لهم شئ من ولاية المؤمنين ونصرتهم ، إذ لا سبيل إلى ولايتهم حتى يهاجروا ، وإن طلبوا منكم النصر على من اضطهدوهم فى الدين ، فانصروهم . فإن طلبوا النصر على قوم معاهدين لكم لم ينقضوا الميثاق معكم ، فلا تجبوهم ، والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شئ ، فقفوا عند حدوده لئلا تقعوا فى عذابه .

73- والذين كفروا بعضهم أولياء بعض فهم متناصرون على الباطل ، متعاونون فى عداوتكم ، فلا توالوهم ، فإن خالفتهم وواليتموهم ، تقع الفتنة فى صفوفكم والفساد الكبير فى الأرض .

74- والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ، والذين آووهم ونصروا الحق وكلمة الله ، هم الصادقو الإيمان ، والله تعالى يغفر لهم ، ولهم رزق كبير فى الدنيا والآخرة .

75- والذين آمنوا بعد الأولين وهاجروا أخيراً وجاهدوا مع السابقين ، فأولئك منكم يا جماعة المهاجرين والأنصار ، لهم من الولاية والحقوق ما لبعضكم على بعض . وذوو الأرحام من المؤمنين لهم - فضلا عن ولاية الإيمان - ولاية القرابة

، فبعضهم أولى ببعض فى المودة والمال والنصرة والتأييد ، وقد بين ذلك فى كتابه وهو العليم بكل شئ .

(1/298)

بِهَاءَهُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1) فَسِيَّجُوا فِي  
الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَمُحْزِي الْكَافِرِينَ (2)  
وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ إِنَّا بُنِيتُمْ فَهَوَّ حَيْزٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ  
مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ سَبِيلاً وَلَمْ يَظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَوْ قَاتَلُوا بِإِحْسَانٍ  
إِلَى مَدِينِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4) فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا  
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَخْضَرُوهُمْ وَأَقِمْوهُمْ أَهْلَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِنَّا  
تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)

- 1- الله ورسوله بريئان من المشركين الذين عاهدتموهم فنقضوا العهد .
- 2- فلکم الامان - أيها المشركون - مدة أربعة أشهر - من حين البراءة تنتقلون فيها حيث شئتم ، واعلموا أنكم حيثما كنتم خاضعين لسلطان الله ، وأنتم لا تعجزونه ، وإن الله كاتب الخزي على الذين يحدونه .
- 3- وبلاغ من الله ورسوله إلى الناس عامة ، فى مجتمعهم يوم الحج الأكبر ، أن الله ورسوله بريئان من عهود المشركين الخائنين - فى أيها المشركون الناقضون للعهد - إذا رجعتم عن شرككم بالله ، فإن ذلك خير لكم فى الدنيا والآخرة ، أما إن أعرضتم وبقيتم على ما أنتم عليه ، فاعلموا أنكم خاضعون لسلطان الله . وأنت - أيها الرسول - أذنب جميع الكافرين بعذاب شديد الإيلام .
- 4- أما من عاهدتم من المشركين ، فحافظوا على عهودكم ولم يخلوا بشئ منها ، ولم يعينوا عليكم أحداً ، فأوفوا لهم عهدهم إلى نهايته واحترموا . . إن الله يحب المتقين المحافظين على عهودهم .
- 5- فإذا انقضت مدة الأمان - الأشهر الأربعة - فاقتلوا المشركين الناقضين للعهد فى كل مكان ، وخذوهم بالشدة ، واضربوا الحصار عليهم بسد الطرق ، واقعدوا لهم فى كل سبيل ، فإن تابوا عن الكفر ، والتزموا أحكام الإسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فلا سبيل لكم عليهم لدخولهم فى دين الله ، والله عظيم المغفرة لمن تاب ، واسع الرحمة بعباده .

(1/299)

وَأَنَّ أَجْدُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلغَهُ مَأْمَنَهُ  
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ  
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ  
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وِلَا دِمَّةٍ  
يُرِضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8) اسْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ تَهْمًا  
قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا

وَلَا ذِمَّةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ  
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11)

6- وإن طلب منك الأمان - أيها الرسول - أحد من المشركين الذين أمرتم بقتالهم ليسمع دعوتك ، فأمنه حتى يسمع كلام الله ، فإن دخل في الإسلام فهو منكم ، وإن لم يدخل فأبلغه مكاناً يكون فيه آمناً . وهذا الأمر - بتأمين المستجير حتى يسمع كلام الله - بسبب ما ظهر من جهله للإسلام ، ورغبته في العلم به .

7- كيف يكون لهؤلاء المشركين - الناقضين للعهود مراراً - عهد محترم عند الله وعند رسوله؟ فلا تأخذوا بعهودهم ، إلا الذين عاهدتموهم من قبائل العرب عند المسجد الحرام ثم استقاموا على عهدهم ، فاستقيموا أتم لهم على عهدكم ما داموا مستقيمين ، إن الله يحب الطائعين له الموفين بعهودهم .

8- كيف تحافظون على عهودهم ، وهم قوم إن يتمكنوا منكم ويكونوا ظاهرين عليكم فلن يذخروا جهداً في القضاء عليكم ، غير مراعين فيكم قرابة ولا عهداً ، وهؤلاء يخدعونكم بكلامهم المعسول ، وقلوبهم منطوية على كراهيتكم ، وأكثرهم خارجون عن الحق ناقضون للعهد .

9- أعرضوا عن آيات الله واستبدلوا بها عرضاً قليلاً من أعراض الدنيا ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله ، إن هؤلاء قبَّح ما كانوا يعملون .

10- تلك حال جودهم ، لا يحترمون لمؤمن قرابة ولا عهداً ، وهؤلاء هم الذين من شأنهم الاعتداء ، فهو مرض لازم لهم .

11- فإن تابوا عن الكفر ، والتزموا أحكام الإسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فهم إخوانكم في الدين ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، ويبين الله الآيات لقوم ينتفعون بالعلم .

(1/300)

وَإِنْ تَكْتُبُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12) أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ لَا يَخْرُجُ  
الرَّسُولُ وَهُمْ بَدْعُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أَيْحَسِبُونَ قَالَهُ أَحَقُّ أَنْ تَحْسِبُوهُ إِنْ كُنْتُمْ  
مُؤْمِنِينَ (13) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ  
صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15) إِمَّ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ  
يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَابِجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16)  
مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ  
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17)

12- وإن نقضوا عهودهم من بعد توكيدها ، واستمروا على الطعن في دينكم ، فقاتلوا رؤساء الضلال ومن معهم ، لأنهم لا عهد لهم ولا ذمة ، لينتهوا عن كفرهم .

13- هلا تسارعون - أيها المؤمنون - إلى قتال جماعة من المشركين ، نقضوا عهودكم مراراً ، وقد سبق أن هموا بإخراج الرسول من مكة وبقتله ، وهم الذين بدأوكم بالإيذاء والعدوان من أول الأمر ، أتخافونهم؟ لا تخافوهم ، فالله -

- وحده - أحق بأن تخافوه ، إن كنتم صادقين فى إيمانكم .
- 14- قاتلوهم - أيها المؤمنون - يذقهم الله العذاب على أيديكم ، ويذلوهم وينصركم عليهم ، ويشف - بهزيمتهم وإعلاء عزة الإسلام - ما كان من ألم كامن وظاهر بصدور قوم مؤمنين طالما لحقهم أذى الكفار .
- 15- ويملاً الله قلوب المؤمنين فرحاً بالنصر بعد الهم والخوف ، ويذهب عنهم الغيظ ، ويقبل الله توبة من يشاء توبته منهم ، والله واسع العلم بشئون عباده ، عظيم الحكمة فيما يشرع لهم .
- 16- لا تظنوا - أيها المؤمنون - أن يترككم الله تعالى دون اختبار لكم بالجهاد ونحوه . إن من سنته تعالى الاختبار ، ليظهر علمه بالذين جاهدوا منكم مخلصين ، ولم يتخذوا سوى الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء ، والله عليم بجميع أعمالكم ، ومجازيكم عليها .
- 17- ليس المشركون أهلاً لأن يعمرُوا مساجد الله ، وهم مستمررون على كفرهم ، معلنون له ، أولئك المشركون لا اعتداد بأعمالهم ولا ثواب لهم عليها ، وهم خالدون فى النار يوم القيامة .

(1/301)

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18) أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يَبْتَغِيهِمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23)

- 18- ولكن الذين يعمررون مساجد الله ، إنما هم الذين آمنوا بالله - وحده - وصدّقوا بالبعث والجزاء ، وأدّوا الصلاة على وجهها ، وأخرجوا زكاة أموالهم ، ولم يخشوا إلا الله - وحده - وهؤلاء يرجى لهم أن يكونوا عند الله من المهتدين إلى الصراط المستقيم .
- 19- لا ينبغى أن تجعلوا القائمين بسقاية الحجيج وعمارة المسجد الحرام من المشركين فى منزلة الذين آمنوا بالله - وحده - وصدّقوا بالبعث والجزاء ، وجاهدوا فى سبيل الله . ذلك أنهم ليسوا بمنزلة واحدة عند الله . والله لا يهدى إلى طريق الخير القوم المستمرين على ظلم أنفسهم بالكفر ، وظلم غيرهم بالأذى المستمر .
- 20- الذين صدّقوا بوحدانية الله ، وهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام ، وتحملوا مشاق الجهاد فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، أعظم منزلة عند الله ممن لم يتصف بهذه الصفات ، وهؤلاء هم الظافرون بمثوبة الله وكرامته .
- 21- هؤلاء يبشرهم الله تعالى برحمته الواسعة التى تشملهم ، ويخصهم برضاه ، وهو أكبر جزاء ، وسيدخلهم يوم القيامة جنات لهم فيها نعيم قائم ثابت دائم .
- 22- وهم خالدون فى الجنة لا يتحولون عنها ، وإن الله عنده أجر عظيم وثواب

جزيل .  
23- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا من آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وعشيرتكم  
وأزواجكم ، نصراء لكم ما داموا يحبون الكفر ويفضلونه على الإيمان ، ومن  
يستنصر بالكافرين ، فأولئك هم الذين تجاوزوا الطريق المستقيم .

(1/302)

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا  
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ  
فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَبِصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)  
لَقَدْ تَصَرَّكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ  
عَيْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ  
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ حُنُودًا لَهُمْ لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) ثُمَّ يَثُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ  
وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (27)

24- قل - يا أيها الرسول - للمؤمنين : إن كنتم تحبون آباءكم وأبناءكم  
وإخوانكم وأزواجكم ، وأقرباءكم ، وأموالاً اكتسبتموها ، وتجارة تخافون بوارها  
، ومساکن تستريحون للإقامة فيها أكثر من حبكم لله ورسوله والجهاد في  
سبيله ، حتى شغلتمكم عن مناصرة الرسول ، فانتظروا حتى يأتي الله بحكمه  
فيكم وعقوبته لكم . والله لا يهدي الخارجين على حدود دينه .  
25- لقد نصركم الله - أيها المؤمنون - على أعدائكم في كثير من المواقع  
بقوة إيمانكم ، وحين غرتكم كثرتكم في معركة « حُنَيْن » تركم الله لأنفسكم  
أول الأمر ، فلم تنفعكم كثرتكم شيئاً ، وظهر عليكم عدوكم ، ولشدة الفرع  
ضاقت عليكم الأرض ، فلم تجدوا سبيلاً للقتال أو النجاة الشريفة ، ولم يجد  
أكثركم وسيلة للنجاة غير الهرب ، ففررتم منهزمين ، وتركتم رسول الله مع  
قلة من المؤمنين .  
26- ثم أدركتكم عناية الله ، فأنزل الطمانينة على رسوله ، وملا بها قلوب  
المؤمنين ، وأمدكم بالملائكة جنوده التي ثبتت أقدامكم ، ولم تروها ، فانتصرتم  
.. وأذاق الله أعداءكم مرارة الهزيمة ، وذلك جزاء الكافرين في الدنيا .  
27- ثم يقبل الله توبة من يشاء من عباده فيغفر ذنبه ، إذا رجع عنه مخلصاً ،  
والله عظيم المغفرة واسع الرحمة .

(1/303)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ  
هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَكِيمٌ (28)  
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ  
وَهُمْ صَاغِرُونَ (29)



28- يا أيها المؤمنون ، إنما المشركون بسبب شركهم نجست نفوسهم ، وهم ضالون فى العقيدة ، فلا تمكنوهم من دخول المسجد الحرام بعد هذا العام ( التاسع من الهجرة ) . وإن خفتم فقراً بسبب انقطاع تجارتهم عنكم ، فإن الله سوف يعوضكم عن هذا ، ويعينكم من فضله إن شاء ، إن الله عليم بشئونكم ، حكيم فى تدبيره لها .

29- يا أيها الذين آمنوا ، قاتلوا الكافرين من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون إيماناً صحيحاً بالله ولا يقرون بالبعث والجزاء إقراراً صحيحاً ، ولا يلتزمون الانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه ، ولا يعتنقون الدين الحق وهو الإسلام . قاتلوهم حتى يؤمنوا ، أو يؤدوا إليكم الجزية خاضعين طائعين غير متمردين . ليسهموا فى بناء الميزانية الإسلامية .

(1/304)

---

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا يُورَ اللَّهُ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33)

30- ترك اليهود الوحدانية فى عقيدتهم ، وقالوا : عزيز ابن الله ، وترك النصارى الوحدانية كذلك ، فقالوا : المسيح ابن الله . وقولهم هذا مبتدع من عندهم ، يرددونه بأفواههم ولم يأتهم به كتاب ولا رسول ، وليس عليهم حجة ولا برهان ، وهم فى هذا القول يشابهون قول المشركين قبلهم ، لعن الله هؤلاء الكفار وأهلكهم . عجباً لهم كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ، ويعدلون إلى الباطل .

31- اتخذوا رجال دينهم أرباباً ، يشرعون لهم ، ويكون كلامهم ديناً ، ولو كان يخالف قول رسولهم ، فاتبعوهم فى باطلهم ، وعبدوا المسيح ابن مريم ، وقد أمرهم الله فى كتبه على لسان رسوله ألا يعبدوا إلا إلهاً واحداً ، لأنه لا يستحق العبادة فى حكم الشرع والعقل إلا الإله الواحد ، تنزه الله عن الإشراك فى العبادة والخلق والصفات .

32- يريد الكافرون بمزاعمهم الباطلة أن يطفئوا نور الله وهو الإسلام ، ولا يريد الله إلا إتمام نوره ، بإظهار دينه ونصر رسوله ، ولو كانوا كارهين لذلك .

33- هو الله الذى كفل إتمام نوره بإرسال رسوله ( محمداً ) صلى الله عليه وسلم ، بالحجج البينات ، ودين الحق ( الإسلام ) ليعلى هذا الدين على جميع الأديان السابقة عليه ، وإن كرهه المشركون ، فإن الله يظهره رغماً عنهم .

(1/305)

---

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35) إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)

34- يا أيها المؤمنون : اعلموا أن كثيراً من علماء اليهود ورهبان النصارى يستحلون أموال الناس بغير حق ، ويستغلون ثقة الناس فيهم واتباعهم لهم فى كل ما يقولون ، ويمنعون الناس عن الدخول فى الإسلام . والذين يستحوذون على الأموال من ذهب وفضة ، حاسبين لها ، ولا يؤدون زكاتها ، فأندرهم - أيها الرسول - بعذاب موجه .

35- فى يوم القيامة ، يوقد على هذه الأموال فى نار جهنم ، ثم تحرق بتلك الأموال المحمأة جباه أصحابها ، وجنوبهم وظهورهم ، ويقال توبيخاً لهم : هذا ما ادخرتموه لأنفسكم ، ولم تؤدوا منه حق الله ، فذوقوا اليوم عذاباً شديداً .  
36- إن عدة شهور السنة القمرية اثنا عشر شهراً ، فى حكم الله وتقديره ، وفيما بيّنه فى كتبه منذ بدء العالم . ومن هذه الاثنى عشر شهراً أربعة أشهر يحرم القتال فيها ، وهى : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وهذا التحريم للأشهر الأربعة المذكورة هو دين الله المستقيم ، الذى لا تبدل فيه ولا تغيير . فلا تظلموا فى هذه الأشهر أنفسكم باستحلال القتال أو امتناعكم عنه إذا أغار عليكم الأعداء فيها ، وقاتلوا - أيها المؤمنون - جماعة المشركين دون استثناء أحد منهم ، كما يقاتلونكم معادين لكم جميعاً ، وكونوا على يقين من أن الله ناصر للذين يخافون ، فيلتزمون أوامرهم ويجتنبون نواهيه .

(1/306)

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُصَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَلِّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطِنُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَجْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ رَبِّينَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُبَايَعُوا عَلَى الْإِسْلَامِ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)

37- وما تأخير هذه الأشهر الحرم أو بعضها عما ربّها الله عليه - كما كان يفعله أهل الجاهلية - إلا إمعان فى الكفر ، يزداد به الذين كفروا ضللاً فوق ضلالهم ، وكان العرب فى الجاهلية يجعلون الشهر الحرام حلالاً إذا احتاجوا القتال فيه ، ويجعلون الشهر الحلال حراماً ، ويقولون : شهر بشهر ، ليوافقوا عدد الأشهر التى حرمها الله ، وقد حسنت لهم أهواؤهم أعمالهم السيئة ، والله لا يهدى القوم المصرين على كفرهم إلى طريق الخير .

38- يا أيها المؤمنون ما لكم حينما قال لكم الرسول : اخرجوا للجهاد فى سبيل الله ، تباطأ بعضكم عن الخروج للجهاد؟ لا ينبغى ذلك . عجباً لكم أنترتم

الحياة الدنيا الفانية على الحياة الآخرة ونعيمها الدائم؟ فما التمتع بالدنيا ولذاؤها في جنب متاع الآخرة إلا قليل تافه .  
39- إن لم تستجيبوا للرسول ، فتخرجوا للجهاد في سبيل الله ، يعذبكم الله عذاباً موجعاً . ويستبدل بكم بكم قوماً آخرين يستجيبون للرسول ولا يتخلفون عن الجهاد ، ولا تضرون الله بهذا التخلف شيئاً ، والله عظيم القدرة على كل شيء .

(1/307)

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِنَّهُنَّ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41) لَوْ كَانَ عَرَصًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّجَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)

40- يا أيها المؤمنون ، إن لم تنصروا رسول الله فإن الله كفيل بنصره ، كما أيده ونصره حينما اضطره الذين كفروا إلى الخروج من مكة . وليس معه إلا رفيقه أبو بكر ، وكان ثاني اثنين ، وبينما هما في الغار مختلفين من المشركين الذين يتعقبونهما خشى أبو بكر على حياة الرسول ، فقال له الرسول مطمئناً : لا تحزن فإن الله معنا بالنصر والمعونة . عند ذلك أنزل الله الطمأنينة في قلب صاحبه ، وأيد الرسول بجنود من عنده ، لا يعلمها إلا هو سبحانه . وانتهى الأمر بأن جعل شوكة الكافرين مفلولة ودين الله هو الغالب ، والله متصف بالعزة فلا يقهر ، وبالحكمة فلا يختل تدبيره .

41- أيها المؤمنون ، إذا دعا داعي الجهاد فلبوا النداء أفراداً وجماعات - كل على قدر حاله - ناشطين بالقوة والسلامة والسلاح ، وجاهدوا بالمال والنفوس في سبيل إعلاء كلمة الله . ففي ذلك العز والخير لكم . . إن كنتم من أهل العلم الصحيح والمعرفة الحقة .

42- ندد القرآن بالمنافقين في تخلفهم عن متابعة الرسول في الجهاد ، فقال : لو كان ما دعى إليه هؤلاء المنافقون عرضاً من أعراض الدنيا قريب المنال ، أو لو كان كذلك سفيراً سهلاً ، لاتبعوك - أيها الرسول - ولكن شق عليهم السفر وسيحلفون أنهم لو استطاعوا لخرجوا معك ، وبهذا النفاق والكذب يهلكون أنفسهم ، والله لا يخفى عليه حالهم ، فهو يعلم كذبهم وسيجزئهم على ذلك .

(1/308)

عَقَابَ اللَّهِ عَلَيْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَكَ الَّذِينَ صَدَفُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (44) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45) وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ

كَرَهُ اللَّهُ إِيْبَاعَتَهُمْ فَبَطَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46) لَوْ خَرَجُوا فِئَكُمْ مَا  
رَادُوكُمْ إِلَّا حَبَالًا وَلَا أُصْعُقُوا خِلَالَكُمْ يَبْعُوثُكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِئَكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47)

- 43- لقد عفا الله عنك - أيها الرسول - فى إذنك لهؤلاء المنافقين فى التخلف عن الجهاد ، قبل أن تتبين أمرهم ، وتعلم الصادق من أذارهم إن كان ، كما تعرف الكاذبين منهم فى ادعائهم الإيمان وفى انتحال الأذار غير الصادقة .
- 44- ليس من شأن المؤمنين حقاً بالله ، وحسابه فى اليوم الآخر ، أن يستأذنونك فى الجهاد بالمال والنفس ، أو فى التخلف عنك ، لأن صدق إيمانهم يحبب إليهم الجهاد فى سبيل الله . والله يعلم صدق نيات المؤمنين .
- 45- إنما يستأذئك الذين لا يؤمنون إيماناً صادقاً بالله وحسابه فى اليوم الآخر ، فإن قلوبهم دائماً فى شك وريبة ، وهم يعيشون فى حيرة ، وسينالون جزاء ذلك .
- 46- ولو صدقت نية هؤلاء المنافقين فى الخروج مع الرسول للجهاد ، لأخذوا أهبة الحرب واستعدوا لها ، ولكن الله كره خروجهم لعلمه أنهم لو خرجوا معكم لكانوا عليكم لا لكم ، فعوّقهم عن الخروج بما امتلأت به قلوبهم من النفاق ، وقال قائلهم : اقعدوا مع القاعدین من أصحاب المعاذیر .
- 47- ولو خرجوا معكم إلى الجهاد ما زادوكم بخروجهم قوة ، ولكن يُشيعون الاضطراب أو يُسرعون إلى الفتنة ، ويشيعونها فيما بينكم ، وفيكم من يجهل حُبث نياتهم ، ويمكن أن يُخدع بكلامهم ، أو لضعفه يسمع دعوتهم إلى الفتنة ، والله عليم بهؤلاء المنافقين الذين يظلمون أنفسهم بما أضمره من الفساد .

(1/309)

لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (49) إِنْ يُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ قَرِحُونَ (50) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِذَا اخْتَدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (52) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53)

- 48- وقد سبق أن سعى هؤلاء المنافقون بالفتنة فيما بينكم ، ودبروا لك - أيها الرسول - المكائد ، فأحبط الله تدبيرهم ، وحقق نصرك ، وأظهر دينه على الرغم منهم .
- 49- وبعض المنافقين كان يقول للرسول : ائذن لى فى القعود عن الجهاد ، ولا توقعنى فى شدة وضيق . إنهم بهذا الموقف قد أوقعوا أنفسهم فى معصية الله ، وإن نار جهنم لمحيطة بهم فى اليوم الآخر .
- 50- هؤلاء المنافقون لا يريدون بك - أيها الرسول - وبأصحابك إلا المكاره ، فيتألمون إذا نالكم خير من نصر أو غنيمة ، ويفرحون إذا أصابكم شر من جراح أو قتل ، ويقولون حينئذ شامتين : قد أخذنا حذرنا بالقعود عن الخروج للجهاد ،

وينصرفون مسرورين .  
51- قل لهم أيها الرسول : لن ينالنا في دنيانا من الخير أو الشر إلا ما قدره الله علينا ، فنحن راضون بقضاء الله ، لا نغتر بالخير ناله ، ولا نجزع بالشر يصيبنا ، فإن الله وحده المتولى لجميع أمورنا ، وعليه - وحده - يعتمد المؤمنون الصادقون .

52- قل لهم - أيها الرسول - ليس لكم أن تتوقعوا شيئاً ينالنا إلا إحدى العاقبتين الحميدتين ، إما النصر والغنيمة في الدنيا ، وإما الاستشهاد في سبيل الله والجنة في الآخرة ، ونحن نتظر لكم أن يوقع الله بكم عذاباً من عنده يهلككم به ، أو يعذبكم بالذلة على أدينا ، فانتظروا أمر الله ، ونحن معكم منتظرون أمره .

53- قل - أيها الرسول - للمنافقين ، الذين يريدون أن يستروا نفاقهم بإنفاق المال في الجهاد وغيره : أنفقوا ما شئتم طائعين أو مكرهين ، فلن يتقبل الله عملكم الذي أحبطه نفاقكم ، إنكم دائماً متمردون على دين الله ، خارجون على أمره .

(1/310)

وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ  
إِلَّا وَهُمْ كَسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا  
أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ  
كَافِرُونَ (55) وَيَجْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لِمِثْمِكُمْ وَمِمَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ (56)  
لَوْ يَجِدُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارًا أَوْ مُدْخَلَ لَوْلَا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57) وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ  
يَسْتَحْطُونَ (58)

54- وما منع الله من قبول نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله ، والكفر يحبط الأعمال ، وإلا أنهم لا يؤدون الصلاة على الوجه الذي أمروا أن يؤديوها عليه ، فهم يؤدونها غير مقبلين عليها سترًا لنفاقهم ، ولا ينفقون شيئاً إلا وهم كارهون لهذا الإنفاق في سرائرهم .

55- ولا يروقك - أيها السامع - ويأخذ بقلبك ، ما ترى من المنافقين فيه من مال وبنين ، فإن الله ما أعطاهم هذا إلا ليكابدوا في سبيله المتاعب والمشقات ، لحفظه في الحياة الدنيا ، دون أن يؤجروا على ذلك ، ويدركهم الموت وهم كافرون ، فيعذبون بسببها في الآخرة .

56- ويقسم هؤلاء المنافقون كذباً لكم - يا جماعة المؤمنين - أنهم مؤمنون مثلكم ، والحقيقة أنهم ليسوا مؤمنين بالله ، ولكنهم قوم من شأنهم الضعف والخوف ، وإن ذلك يدفعهم إلى النفاق والخوف الدائم ، فهم يؤكدونه بالأيمان الفاجرة .

57- وهم يضيقون بكم ، ويكرهون معاشرتكم ، ولو يجدون حصناً أو سرايب في الجبال أو جحوراً في الأرض يدخلون فيها ، لانصرفوا إليها مسرعين .

58- وبعض هؤلاء المنافقين يعيبك - أيها الرسول - ويطعن عليك في قسمة الصدقات والغنائم ، إذ لا هم لهم إلا حطام الدنيا ، فإن أعطيتهم ما يرغبون منها رضوا عن عملك ، وإن لم تعطهم تعجلوا بالسخط عليك .

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَى فُلُوبِهِمْ وَفِي الرَّقَابِ وَالْعَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ قَرِيصَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60)

59- ولو أن هؤلاء المنافقين ، الذين عابوك فى قسم الصدقات والغنائم ، رضوا بما قسم الله لهم ، وهو ما أعطاهم رسوله ، وطابت نفوسهم به - وإن قل - وقالوا : كفانا حكم الله ، وسيرزقنا الله من فضله ، ويعطينا رسوله أكثر مما أعطانا فى هذه المرة ، وأنا إلى طاعة الله وأفضاله وإحسانه لراغبون ، لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم .

60- لا تُصرف الزكاة المفروضة إلا للذين لا يجدون ما يكفيهم ، والمرضى الذين لا يستطيعون كسباً ولا مال لهم ، والذين يجمعونها ويعملون فيها ، والذين تؤلف قلوبهم ، لأنهم يرجى منهم الإسلام والانتفاع بهم فى خدمته ونصرته ، والذين يدعون إلى الإسلام ويبشرون به ، وفى عتق رقاب الأرقاء والأسرى من ربقة العبودية وذل الأسر ، وفى قضاء الديون عن المدينين العاجزين عن الأداء ، إذا لم تكن ناشئة عن إثم أو ظلم أو سفه ، وفى إمداد الغزاة بما يعينهم على الجهاد فى سبيل الله ، وما يتصل بذلك من طريق الخير ووجوه البر ، وفى عون المسافرين إذا انقطعت أسباب اتصالهم بأموالهم وأهلهم . شرع الله ذلك فريضة منه لمصلحة عباده ، والله سبحانه عليم بمصالح خلقه ، حكيم فيما يشرع .

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61) يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُخَادِبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63) يَخْدَرُ الْمُتَأَفِّقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ ابْتَهِزُّوا إِلَّ اللَّهُ يُخْرِجُ مَا تَخْدَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65)

61- ومن الناس منافقون يتعمدون إيذاء النبى ، وتناوله بما يكره ، فيتهمونه بأنه محب لسماح كل ما يقال له من صدق وكذب ، وأنه يخدع بما يسمع ، فقل لهم - أيها الرسول - : إن من تتناولونه فى غيبته بهذه التهمة ، ليس كما زعمتم ، بل هو أذن خير لا يسمع إلا الصدق ، ولا يخدع بالباطل ، يصدق بالله ووحيه ، ويصدق المؤمنين ، لأن إيمانهم يمنعهم عن الكذب ، وهو رحمة لكل من يؤمن منكم . وإن الله أعد لمن يؤذيه عذاباً مؤلماً دائماً شديداً .

62- يتخلفون عنكم فى قتال أعدائكم دون تردد ، ثم يعتذرون عن تخلفهم كذباً ، ويحلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلوا معاذيرهم ، والله والرسول أحق بحرصهم

على رضائه إن كانوا مؤمنين حقاً .

- 63- ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن من يكفر ، أو يُحاد الله ورسوله جزاؤه العذاب الدائم فى نار جهنم ، وذلك هو العار الفاضح ، والذل الشديد .
- 64- المنافقون يستهزئون فيما بينهم بالرسول ، ويخشون أن يفتضح أمرهم ، فتنزل فيهم على النبى آيات من القرآن تظهر ما يخفون فى قلوبهم ويسرونه فيما بينهم ، فقل لهم - أيها الرسول - استهزئوا ما شئتم ، فإن الله مظهر ما تخشون ظهوره .
- 65- تأكد - أيها الرسول - أنك إن سألت المنافقين ، بعد افتضاح أمرهم ، عن سبب طعنهم فى الدين واستهزائهم بالله وآياته ، اعتذروا بقولهم : كنا نخوض فى الحديث ونلهو ، فقل لهم : كيف ساغ لكم أن تخوضوا أو تلهوا مستهزئين بالله وآياته ورسوله؟!

(1/313)

لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66) الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُصْتُمْ كَالَّذِي خَاصُوا أَوْلِيكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (69)

- 66- لا تعتذروا بهذه المعاذير الباطلة ، قد ظهر كفركم بعد ادعائكم الإيمان ، فإن نعف عن طائفة منكم ثابتة وأمنت بسبب إيمانها وصدق توبتها ، فإننا نعذب طائفة أخرى منكم بسبب إصرارها على الكفر والنفاق ، وإجرامها فى حق الرسول والمؤمنين .
- 67- المنافقون والمنافقات يتشابهون فى أنهم يفعلون القبيح ويأمرون به ، ويتركون الحق وينهون عنه ، ويخلون ببذل المال فى وجوه الخير ، فهم كأجزاء من شئ واحد ، أعرضوا عن الله فأعرض عنهم ولم يهدمهم ، لأنهم هم الخارجون عن طاعة الله .
- 68- كتب الله للمنافقين وللكافرين نار جهنم يعذبون فيها ولا يخرجون منها ، وهى حسبهم عقاباً ، وعليهم مع هذا العقاب غضب الله والعذاب الدائم يوم القيامة .
- 69- إن حالكم - أيها المنافقون - كحال أمثالكم ممن سيقوكم إلى النفاق والكفر ، فإنهم وقد كانوا أقوى منكم وأكثر أموالاً وأولاداً ، استمتعوا بما قُدر لهم من حظوظ الدنيا ، وأعرضوا عن ذكر الله وتقواه ، وقابلوا أنبياءهم بالاستخفاف ، وسخروا منهم فيما بينهم وبين أنفسهم ، وقد استمتعتم بما قُدر لكم من ملاذ الدنيا كما استمتعوا ، وخضتم فيما خاضوا فيه من المنكر والباطل ، إنهم قد بطلت أعمالهم ، فلم تنفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وكانوا هم الخاسرين ، وأنتم مثلهم فى سوء الحال والمآل .

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ  
مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا  
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70) وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ  
عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ  
الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنَسِ الْمَصِيرُ (73)

- 70- أفلا يعتبر المنافقون والكافرون بحال الذين سبقوهم ، من قوم نوح وعاد  
وتمود وقوم إبراهيم وقوم شعيب وقوم لوط ، جاءتهم رسل الله بالحجج  
البيّنات من عند الله ، فكذبوا وكفروا ، فأخذ الله كلّاً بذنبه ، وأهلكهم جميعاً ،  
وما ظلمهم الله بهذا ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بكفرهم وتمردهم على الله  
واستحقاقهم العذاب - وحدهم - فهم الذين يظلمون أنفسهم .
- 71- والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أحياء ونصراء بعض بمقتضى الإيمان ،  
يأمرون بما يأمر به دينهم الحق ، وينهون عما ينكره الدين ، يؤدون الصلاة فى  
أوقاتها ، ويؤتون الزكاة لمستحقيها فى إبانها ، ويمتثلون ما يأمر به الله ورسوله  
، ويجتنبون ما ينهى عنه الله ورسوله ، وهؤلاء هم الذين سيظلمون فى رحمة  
الله ، فإن الله قادر على رعايتهم بالرحمة ، حكيم فى عطاءه .
- 72- وقد وعدهم الله الجنة خالدين فى نعيمها ، وأعد لهم مساكن تطيب بها  
نفوسهم فى دار الإقامة والخلود ، ولهم مع ذلك رضاء الله عنهم يستشعرون به  
، وهو النعيم الأكبر ، وذلك هو الفوز العظيم .
- 73- يا أيها النبى ، تابر على جهادك فى ردع الكفار عن كفرهم ، والمنافقين  
عن نفاقهم ، واشتد عليهم فى جهادك ، وإن مآلهم الذى أعدّه الله لهم فى  
الآخرة هو جهنم ، وما أسوأ هذا المصير .

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ  
يَنَالُوا وَيَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ  
وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ  
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74) وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ يَدْخُلُوا دِينًا مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدِّقَهُ وَلَنْكُونَنَّ  
مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76)  
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا  
يَكْذِبُونَ (77) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78)

- 74- إن المنافقين يخلفون أمامك - أيها الرسول - بالله أنهم ما قالوا منكرا مما  
بلغك عنهم ، وهم كاذبون فى الإنكار ، حاثنون فى اليمين ، وإنهم قد قالوا كلمة



الكفر ، وظهر كفرهم بعد أن كان باطنا ، وما كان سبب نقيمتهم عليك إلا بطرا بالنعمة ، بعد أن أغناهم الله ورسوله بما حصلوا عليه من الغنائم التي شاركوا فيها المسلمون ، فإن يرجعوا إلى الله بترك النفاق والندم على ما كان منهم يقبل الله توبتهم ويكون ذلك خيرا لهم ، وإن يعرضوا عن الإيمان يعذبهم الله في الدنيا بمختلف ألوان البلاء ، وفي الآخرة بنار جهنم ، وليس لهم في الأرض من يدافع عنهم أو يشفع لهم ، أو ينصرهم .

75- ومن المنافقين من أقسم بالله وعاهده : لئن آتاهم الله مالا وأغناهم من فضله ، ليتصدقن وليكونن من الصالحين في أعمالهم .

76- فلما استجاب الله لهم ، وأعطاهم من فضله ، بخلوا بما أوتوا فلم ينفقوا ، ولم يوفوا بالعهد ، وانصرفوا عن الخير ، وهم معرضون عنه وعن الله .

77- فكانت عاقبة بخلهم أن تمكن النفاق في قلوبهم إلى أن يموتوا ويلقوا الله ، بسبب نقضهم لعهدهم ، وكذبهم في يمينهم .

78- كيف يتجاهلون أن الله مطلع عليهم؛ لا يخفى عليه ما يضمرونه في السر من نقض العهد ، وما يتناجون به في الخفاء من الطعن في الدين وتدمير المكاييد للمسلمين ، وهو - جل شأنه - العليم الذي لا يغيب عنه شيء .

(1/316)

الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79) اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80) قَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ تَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82)

79- ومن نقائص هؤلاء المنافقين مع بخلهم أنهم يعيبون على الموسرين من المؤمنين المؤمنين تصدقهم على المحتاجين ، ويسخرون غير الموسرين من المؤمنين لتصدقهم مع قلة أموالهم ، وقد جازاهم الله على سخريتهم بما كشف من فضائحتهم ، وجعلهم سخرية للناس أجمعين ، ولهم في الآخرة عذاب شديد .

80- لن ينفعهم أن تستجيب لدعاء بعضهم ، وتطلب المغفرة من الله لهم ، فسواء أن تستغفر لهم - أيها النبي - أم لا تستغفر لهم ، ومهما أكثرت من طلب المغفرة لهم ، فلن يعفو الله عنهم؛ لأنه لا أمل في العفو والمغفرة مع الكفر والإصرار عليه ، قد كفر هؤلاء بالله ورسوله ، والله لا يهدي الخارجين عليه وعلى رسوله ، لتمردهم على شرعه ودينه .

81- إن المنافقين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله والمسلمين ، وفرحوا بعودهم في المدينة بعد خروج النبي منها ، وبمخالفتهم أمره بالجهاد معه ، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم ، ويضحوا بأرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الله ونصر دينه ، وأخذوا يشبطون غيرهم ، ويُغرونهم بالعودة معهم ، ويخوفونهم من النفور إلى الحرب في الحر ، فقل - أيها الرسول - لهؤلاء : لو كنتم تعقلون ، لذكرتم أن نار جهنم أكثر حرارة وأشد قسوة مما تخافون .

82- فليضحكوا فرحا بالعودة ، وسخرية من المؤمنين ، فإن ضحكهم زمنه قليل

، لانتهائه بانتهاء حياتهم فى الدنيا ، وسيعقبه بكاء كثير لا نهاية له فى الآخرة ،  
جزاء لهم بسبب ما ارتكبوه من سيئات .

(1/317)

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا  
وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَافْعَدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (83)  
وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ  
يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (85) وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ  
آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ  
الْقَاعِدِينَ (86) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا  
يَفْقَهُونَ (87)

83- فإن أعادك الله من الغزو إلى طائفة من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا  
عن الغزو ، فاستأذنوك فى أن يخرجوا معك للجهاد فى غزوة أخرى ، فلا تاذن  
لهم ، وقل لهم : لن تخرجوا معى فى أية غزوة ، ولن تشتركوا معى فى قتال  
أى عدو ، لأن فعودكم عن الخروج فى أول مرة لم يسبق بعذر يبرره ، ولم  
يلحق بتوبة تغفره ، فاقعدوا كما ارتضيتم أن تقعدوا مع المتخلفين من العجزة  
والكهول والنساء والأطفال .

84- وإذا مات أحد منهم ، فلا تصل عليه ، ولا تقف على قبرة عند دفنه ، لأنهم  
عاشوا حياتهم كافرين بالله ورسوله ، وماتوا وهم خارجون عن دين الله .  
85- ولا يُثير عجبك - أيها الرسول - ما أعطيناهم من الأموال والأولاد مع  
سخطنا عليهم ، فلم يكن ذلك عن إيثارهم بالخير ، بل لتنفيذ ما أراد الله من  
شقائهم فى الدنيا بالانهماك فى جمع المال ، وما يلحقهم فى ذلك من الهموم  
والمصائب ، ولتنفيذ ما أراد الله من مفارقتهم للدنيا كافرين ، وقد خسروا  
الأولى والآخرة .

86- وهؤلاء المنافقون إذا سمعوا شيئاً مما أنزل عليك فى القرآن يدعوهم إلى  
إخلاص الإيمان بالله ، وإلى الجهاد مع رسول الله ، طلب الأغنياء والأقوياء منهم  
أن تاذن لهم فى التخلف عن الجهاد معك ، وقالوا لك : اتركنا مع المعدورين  
القاعدين فى المدينة .

87- إنهم قد رضوا لأنفسهم أن يكونوا فى عداد المتخلفين من النساء والعجزة  
والأطفال الذين لا ينهضون لقتال ، وختم الله على قلوبهم بالخوف والنفاق ،  
فهم لا يفهمون فهما حقيقيا ما فى الجهاد ومتابعة الرسول فيه من عز فى  
الدنيا ورضوان فى الآخرة .

(1/318)

لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيكَ لَهُمُ الْحَيَاتِ  
وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (88) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89) وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤَدَّنَ لَهُمْ وَقَعَدَ

الَّذِينَ كَذَّبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (90) لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا تَصَحَّحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ (91) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَرَّآ أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92)

- 88- ذلك شأن المنافقين ، لكن الرسول والذين صدقوا معه بالله ، قد بذلوا أموالهم وأرواحهم إرضاء لله وإعلاء لكلمته ، وأولئك لهم - وحدهم - كل خير فى الدنيا من العز والنصرة والعمل الصالح ، وهم - وحدهم - الفائزون ،
- 89- وقد هبنا الله لهم فى الآخرة النعيم المقيم فى جنات تتخللها الأنهار ، وذلك هو الفوز العظيم والنجاح الكبير .
- 90- وكما تخلف بعض المنافقين فى المدينة عن الخروج للجهاد ، جاء فريق من الأعراب ، وهم أهل الهادية ، ينتحلون الأعذار ليؤذن لهم فى التخلف ، وبذلك قعد الذين كذبوا الله ورسوله فيما يظهرونه من الإيمان ، فلم يحضروا ، ولم يعتذروا لله ورسوله ، وذلك دليل كفرهم ، وسينزل العذاب المؤلم على الكافرين منهم .
- 91- إن الذين يقبل عذرهم فى التخلف هم الضعفاء ، والمرضى ، والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون ، إذا أخلص هؤلاء لله ورسوله فى دينهم فإنهم بذلك محسنون ، ولا حرج على المحسنين ، والله كثير الغفران واسع الرحمة .
- 92- وكذلك لا حرج على من جاء من المؤمنين يلتمسون أن تحملهم إلى الجهاد فقلت لهم : لا أجد ما أحملكم عليه ، فانصرفوا عنك وعيونهم تفيض الدمع حزنا أن فاتهم شرف الجهاد فى سبيل الله لأنهم لا يجدون ما ينفقون .

(1/319)

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَ اللَّهُ مِنْ خُبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُنْمِتُكُمْ إِلَى آلِمِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (94) سَيَجْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنَعْرَضُوا عَنْهُمْ فَقَارُضُوا عَنْهُمْ إِيَّاهُمْ رَجْسٌ وَمَا أُوْهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95) يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96) وَالْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97)

- 93- إنما اللوم والعقاب على هؤلاء الذين يستأذنونك - أيها النبى - فى تخلفهم عن الجهاد ، وهم واجدون المال والعتاد ، قادرون على الخروج معك ، لأنهم - مع قدرتهم واستطاعتهم - رضوا بأن يقعدوا مع النساء الضعيفات ، والشيخ العاجزين ، والمرضى غير القادرين ، ولأن قلوبهم أغلقت عن الحق ، فهم لا يعلمون العقاب الوخيمة التى تترتب على تخلفهم فى الدنيا وفى الآخرة .
- 94- سيعتذر هؤلاء المتخلفون المقصرون إليكم - أيها المؤمنون المجاهدون - إذا رجعتم من ميدان الجهاد والتقيتم بهم ، فقل لهم - أيها الرسول - : لا تعتذروا فإننا لن نصدقكم ، لأن الله قد كشف حقيقة نفوسكم ، وأوحى إلى نبىه

بشيء من أكاذيبكم ، وسيعلم الله ورسوله ما يكون منكم بعد ذلك من عمل ،  
ثم يكون مصيركم بعد الحياة الدنيا إلى الله الذي يعلم السر والعلانية ،  
فيخبركم بما كنتم تعملون ، ويجازيكم بما تستحقون .  
95- سيحلفون لكم بالله ، حينما ترجعون إليهم ، أنهم صادقون في معاذيرهم ،  
لكي يرضوكم فتغفلوا عن عملهم ، فلا تحققوا لهم هذا الغرض ، بل اجنبوهم  
وامقتوهم ، لأنهم في أشد درجات الخبث النفسى والكفر ، ومصيرهم إلى  
جهنم ، عقاباً على ما اقترفوه من ذنوب وأوزار .  
96- يُقسمون لكم طمعا في رضائكم عنهم ، فإن خُدعتم بأيمانهم ورضيتم  
عنهم ، فإن رضاكم - وحدكم - لا ينفعهم ، ذلك لأن الله ساخط عليهم لفسقهم  
وخرجهم على الدين .  
97- الأعراب من أهل البادية أشد جحودا ونفاقا ، وقد بلغوا في ذلك غاية  
الشدّة ، وذلك لبعدهم عن أصل الحكمة ومنايع العلم ، وهم حقيقون بأن يجهلوا  
حدود الله ، وما أنزل على رسوله من شرائع وأحكام ، والله عليم بأحوال  
الفريقين ، حكيم فيما يقدره من جزاء .

(1/320)

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ  
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا  
يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي  
رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ (99) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ  
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي  
تحتها الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ  
الْأَعْرَابِ مُتَافِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّقَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ  
سَتَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (101)

98- وبعض هؤلاء المنافقين من أهل البادية ، يعتبرون الإنفاق في سبيل الله  
غرامة وخسرانا ، لعدم اعتقادهم في ثوابه تعالى ، ويتوقعون وينتظرون أن  
تدور عليكم الحرب - أيها المؤمنون - ألا ردد الله تلك المصائب عليهم ، وجعل  
الشر الذي ينتظرونه لكم محيطا بهم ، والله سميع بأقوالهم ، عليم بأفعالهم  
ونياتهم ، وبما يقتربون من آثام .  
99- وليس كل الأعراب كذلك ، فمنهم مؤمنون بالله مصدقون بيوم القيامة ،  
يتخذون الإنفاق في سبيل الله وسيلة يتقربون بها إلى الله ، وسببا لدعاء  
الرسول لهم ، إذ كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ، وهى لا شك قرينة  
عظيمة توصلهم إلى ما يبتغون ، فإن الله سيغمرهم برحمته ، لأنه الغفور  
للذنوب ، الرحيم بخلقه .  
100- والمؤمنون - الذين سبقوا إلى الإسلام - من المهاجرين والأنصار ، الذين  
ساروا على نهجهم فأحسنوا ولم يقصروا - يرضى الله عنهم ، فيقبل منهم  
ويجزئهم خيرا ، وهم كذلك يرضون ويستبشرون بما أعد الله لهم من جنات  
تجرى الأنهار تحت أشجارها ، فينعمون فيها نعيما أبديا ، وذلك هو الفوز العظيم  
101- وممن يجاور المدينة من أهل البادية من يضم الكفر ويظهر الإيمان ،

ومن سكان المدينة قوم مرنوا على النفاق ، حتى برعوا فيهِ ، ستروه عن الناس حتى لقد خفى أمرهم عليك - أيها الرسول - ولكن الله هو الذى يعلم حقيقتهم ، وسيعذبهم فى الدنيا مرتين : مرة بنصركم على أعدائكم الذين يغيظهم ، ومرة بفضيحتهم وكشف نفاقهم ، ثم يردون فى الآخرة إلى عذاب النار وهولها الشديد .

(1/321)

وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (102) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105) وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106)

102- وهناك ناس آخرون آذوكم ، ثم من بعد ذلك اعترفوا بما أذنبوا ، وسلكوا طريق الحق ، فهؤلاء قد أتوا عملا صالحا وعملا سيئا ، وإنهم لهذا يرجى لهم أن تقبل توبتهم ، وإن الله رحيم بعباده ، يقبل توبتهم ويغفر لهم .  
103- خذ - أيها الرسول - من أموال هؤلاء التائبين صدقات تطهرهم بها من الذنوب والشح ، وترفع درجاتهم عند الله ، وإدع لهم بالخير والهداية فإن دعاءك تسكن به نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، والله سميع للدعاء ، عليم بالمخلصين فى توبتهم .  
104- ألا فليعلم هؤلاء التائبون أن الله - وحده - هو الذى يقبل التوبة الخالصة ، والصدقة الطيبة ، وأنه سبحانه ، هو الواسع الفضل فى قبول التوبة ، العظيم الرحمة بعباده .  
105- وقل - أيها الرسول - للناس : اعملوا ، ولا تقصروا فى عمل الخير وأداء الواجب؛ فإن الله يعلم كل أعمالكم ، وسيراها الرسول والمؤمنون ، فيزنونها بميزان الإيمان ، ويشهدون بمقتضاها ، ثم تردون بعد الموت إلى من يعلم سركم وجهركم ، فيجازيكم بأعمالكم ، بعد أن ينبئكم بها صغيرها وكبيرها .  
106- وهناك ناس آخرون وقعوا فى الذنوب ، منها التخلف عن الجهاد ، وليس فيهم نفاق ، وهؤلاء مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ : إما أن يُعَذِّبَهُمْ ، وإما أن يتوب عليهم ويغفر لهم ، والله عليم بأحوالهم وما تنطوى عليه قلوبهم ، حكيم فيما يفعله بعباده من ثواب أو عقاب .

(1/322)

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهُرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (108) أَقَمْنَ أَسْسَ

بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ آسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى سَفَا جُرْفٍ هَارٍ  
فِي نَهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ  
الَّذِي بُنُوا رَبَّنَا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110)

107- ومن المنافقين جماعة بنوا مسجدا لا يتبعون به وجه الله ، وإنما يتبعون به الضرار والكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين ، وأنهم يسيلفون على أنهم ما أرادوا بناء هذا المسجد إلا الخير والعمل الأحسن ، والله يشهد عليهم أنهم كاذبون فى إيمانهم .

108- لا تصل - أيها الرسول - فى هذا المسجد أبدا ، وإن مسجداً أقيم ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته من أول أمره كمسجد فُباء لجدير بأن تؤدى فيه شعائر الله ، وفى هذا المسجد رجال يحبون أن يُطهروا أجسادهم وقلوبهم بأداء العبادة الصحيحة فيه ، والله يحب ويثيب الذين يتقربون إليه بالطهارة الجسمية والمعنوية .

109- لا يستوى فى عقيدته ولا فى عمله من أقام بنيانه على الإخلاص فى تقوى الله وابتغاء رضائه ، ومن أقام بنيانه على النفاق والكفر ، فإن عمل المتقى مستقيم ثابت على أصل متين ، وعمل المنافق كالبناء على حافة هاوية ، فهو واه ساقط ، يقع بصاحبه فى نار جهنم ، والله لا يهدى إلى طريق الرشاد من أصر على ظلم نفسه بالكفر .

110- وسيظل هذا البناء الذى بناه المنافقون مصدر اضطراب وخوف فى قلوبهم لا ينتهى حتى تتقطع قلوبهم بالندم والتوبة أو بالموت ، والله عليم بكل شئ ، حكيم فى أفعاله وجزائه .

(1/323)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112) مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِياهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114)

111- يؤكد الله وعده للمؤمنين الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم فى سبيله ، فإنه اشترى منهم تلك الأنفس والأموال بالجنة ثمنا لما بذلوا ، فإنهم يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون أعداء الله أو يستشهدون فى سبيله ، وقد أثبت الله هذا الوعد الحق فى التوراة والإنجيل ، كما أثبتته فى القرآن ، وليس أحد أبر ولا أوفى بعهده من الله ، فافرحوا - أيها المؤمنون المجاهدون - بهذه المبايعة التى بذلتم فيها أنفسكم وأموالكم الفانية ، وعوضتم عنها بالجنة الباقية ، وهذا الشراء والبيع هو الظفر الكبير لكم .

112- إن أوصاف أولئك الذين باعوا أنفسهم لله بالجنة أنهم يكثرون التوبة من

هفواتهم إلى الله ، ويحمدونه على كل حال ، ويسعون في سبيل الخير لأنفسهم ولغيرهم ، ويحافظون على صلواتهم . ويؤدونها كاملة في خشوع ، ويأمرون بكل خير يوافق ما جاء به الشرع ، وينهون عن كل شر ياباه الدين ويلتزمون بشريعة الله ، وبشر - أيها الرسول - المؤمنين .

113- ليس للنبي وللمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين ، ولو كانوا أقرب الناس إليهم ، من بعد أن يعلم المؤمنون من أمر هؤلاء المشركين بموتهم على الكفر ، أنهم مستحقون للخلود في النار .

114- لم يكن ما فعله إبراهيم - عليه السلام - من الاستغفار لأبيه ، إلا تحقيقاً لوعده من إبراهيم لأبيه ، رجاء إيمانه ، فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله ، بإصراره على الشرك حتى مات عليه ، تبرأ منه وترك الاستغفار له ، ولقد كان إبراهيم كثير الدعاء والتضرع لله صبورا على الأذى .

(1/324)

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا يَعدُّ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (116) لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ قَرِيبٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (117) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا صَاقَبْتُمْ الْأَرْضَ بِمَا رَحُبْتُمْ وَصَاقَبْتُمْ أَنْفُسَهُمْ وَطَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)

115- وما كان من سنن الله ولطفه بعباده أن يصف قوما بالضلال ، ويجرى عليهم أحكامه بالذم والعقاب بعد أن أرشدهم إلى الإسلام ، حتى يتبين لهم عن طريق الوحي إلى رسوله ما يجب عليهم اجتنابه ، إن الله محيط علمه بكل شئ .

116- إن الله - وحده - مالك السموات والأرض وما فيهما ، وهو المتصرف فيهما بالإحياء والإماتة ، وليس لكم سوى الله من ولى يتولى أمركم ، ولا نصير ينصركم ويدافع عنكم .

117- لقد تفضل الله - سبحانه - على نبيه ، وأصحابه المؤمنين الصادقين من المهاجرين والأنصار ، الذين خرجوا معه إلى الجهاد في وقت الشدة ( في غزوة تبوك ) فثبتهم وصانهم عن التخلف ، من بعد ما اشتد الضيق بفريق منهم ، حتى كادت قلوبهم تميل إلى التخلف عن الجهاد ، ثم غفر الله لهم هذا الهم الذى خطر بنفوسهم ، إنه - سبحانه - كثير الرأفة بهم ، عظيم الرحمة .

118- وتفضل - سبحانه - بالعفو عن الرجال الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج فى غزوة تبوك - لا عن نفاق منهم - وكان أمرهم مرجأ إلى أن يبين الله حكمه فيهم ، فلما كانت توبتهم خالصة ، وندمهم شديداً؛ حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم على رحبها وسعتها ، وضاقت عليهم نفوسهم هما وحرزنا، وعلموا أنه لا ملجأ من غضب الله إلا باستغفاره والرجوع إليه ، حينئذ هداهم الله إلى التوبة ، وعفا عنهم ، ليظلوا عليها ، إن الله كثير القبول لتوبة التائبين ، عظيم الرحمة بعباده .

119- يا أيها الذين آمنوا اثبتوا على التقوى والإيمان ، وكونوا مع الذين صدقوا فى أفعالهم وأفعالهم .

(1/325)

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْعَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطِئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (121) وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا تَفَرَّقَ مِنْ كُلِّ بَرَقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)

120- ما كان يحل لأهل المدينة ، ومن يجاورونهم من سكان البوادي ، أن يتخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أن يضربوا بأنفسهم عما بذل الرسول فيه نفسه ، إذ أنهم لا يصيبهم فى سبيل الله ظمأ أو تعب أو جوع ، ولا ينزلون مكاناً يثير وجودهم فيه غيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو غرضاً كالهزيمة أو الغنيمه إلا حسب لهم بذلك عمل طيب يجزون عليه أحسن الجزاء ، وإن الله لا يضيع أجر الذين أحسنوا فى أعمالهم .

121- وكذلك لا يبذل المجاهدون أى مال - صغيراً أو كبيراً - ولا يسافرون أى سفر فى سبيل الله ، إلا كتبه الله لهم فى صحائف أعمالهم الصالحة ، لينالوا به أحسن ما يستحقه العاملون من جزاء .

122- ليس للمؤمنين أن يخرجوا جميعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم إذا لم يقتض الأمر ذلك ، فليكن الأمر أن تخرج إلى الرسول طائفة ليتفقها فى دينهم ، وليدعوا قومهم بالإنذار والتبشير حينما يرجعون إليهم ليشبوا دائماً على الحق ، وليحذروا الباطل والضلال .

(1/326)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (123) وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ رَأَىٰ هَذِهِ إِمَآئًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَآئًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَىٰ رَجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125) أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126) وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127)

123- يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الكفار الذين يجاورونكم ، حتى لا يكونوا مصدر خطر عليكم ، وكونوا أشدأ عليهم فى القتال ، ولا تأخذكم بهم رافة ، واعلموا أن الله بعونه ونصره مع الذين يتقونه .

124- وإذا ما أنزلت سورة من سور القرآن ، وسمعها المنافقون سخروا



واستهزأوا ، وقال بعضهم لبعض : أيكم زادته هذه السورة إيمانا؟ ولقد رد الله عليهم بأن هناك فرقا بين المنافقين والمؤمنين : فأما المؤمنون الذين أبصروا النور ، وعرفوا الحق ، فقد زادتهم آيات الله إيمانا ، وهم عند نزولها يفرحون ويستبشرون .

125- وأما المنافقون الذين مرضت قلوبهم وعميت بصائرهم عن الحق فقد زادتهم كفرا إلى كفرهم ، وماتوا وهم كافرين .

126- أو لا يعتبر المنافقون بما يتليهم الله به فى كل عام مرة أو مرات من ألوان البلاء بكشف أستارهم ، وظهور أحوالهم ، ونصر المؤمنين ، وظهور باطلهم ، ثم لا يتوبون عما هم فيه ، ولا هم يذكرون ما وقع لهم؟

127- وكذلك إذا ما أنزلت سورة ، وهم فى مجلس الرسول ، تغامزوا ، وقال بعضهم لبعض : هل يراكم أحد؟ ثم انصرفت قلوبهم عن متابعتة والإيمان به ، زادهم الله ضللا بسبب تماديهم فى الباطل وإعراضهم عن الحق ، لأنهم قوم لا يفقهون .

(1/327)

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)

128- لقد جاءكم - أيها الناس - رسول من البشر مثلكم فى تكوينه ، يشق عليه ما يصيبكم من الضرر ، وهو حريص على هدايتكم ، وبالمؤمنين عظيم العطف والرحمة .

129- فإن أعرضوا عن الإيمان بك - أيها الرسول - فلا تحزن لإعراضهم ، واعتز بربك ، وقل : يكفينى الله الذى لا إله غيره ، عليه - وحده - توكلت ، وهو مالك الملك ، ورب الكون ، وصاحب السلطان العظيم .

(1/328)

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (1) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاجِرٌ مُبِينٌ (2)

1- هذه حروف بدأ الله تعالى بها السورة ، وهو أعلم بمراده منها ، وهى مع ذلك تشير إلى أن القرآن مُكَوَّن من مثل هذه الحروف ، ومع ذلك عجزتم عن أن تأتوا بمثله ، وهذه الحروف الصوتية تثير انتباه المشركين فيستمعون إليه ، وإن اتفقوا على عدم استماع هذه الآيات الكريمة ونحوها التى هى آيات القرآن المحكم فى أسلوبه ومعانيه ، الذى اشتمل على الحكمة وما ينفع الناس فى أمور دينهم ودنياهم .

2- ما كان للناس أن يعجبوا ويُنكروا وحيناً إلى رجل منهم ( محمد ) ، ليُحَدِّر الناس من عذاب الله ، ويُبَشِّر الذين آمنوا منهم بأن لهم منزلة عالية عند ربهم

، لا يتخلف وعد الله ، وما كان لهؤلاء المنكرين أن يقولوا عن محمد - رسولنا  
- : إنه ساحر واضح أمره .

(1/329)

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ  
الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا  
تَذَكَّرُونَ (3) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ  
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (4) هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا  
وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ  
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (5)

3- إن ربكم - أيها الناس - هو الله الذى خلق السموات والأرض وما فيهما فى  
ستة أيام لا يعلم إلا الله مداها . ثم هيمن - بعظيم سلطانه - وحده ، ودبر أمور  
مخلوقاته ، فليس لأحد سلطان مع الله فى شئ ، ولا يستطيع أحد من خلقه أن  
يشفع لأحد إلا بإذنه . ذلكم الله الخالق ، هو ربكم وولى نعمتكم فاعبدوه -  
وحده - وصدقوا رسوله ، وأمنوا بكتابه . فعليكم أن تذكروا نعمة الله وتندبروا  
آياته الدالة على وحدانيته .

4- وكما بدأ الله الخلق فإليه - وحده - مرجعكم ، ومرجع المخلوقات كلها ، وقد  
وعد الله بذلك وعداً صادقاً لا يتخلف . وإنه سبحانه بدأ الخلق بقدرته ، وبعد  
فناؤه سيعيده بقدرته ، ليثيب المؤمنين المطيعين بعدله التام ، وأما الكافرون  
فلهم شراب فى جهنم شديد الغليان ، ولهم عذاب موجه جزاء كفرهم .  
5- وربكم الذى خلق السموات والأرض ، والذى جعل الشمس تشع الضياء ،  
والقمر يرسل النور ، وجعل للقمر منازل ينتقل فيها ، فيختلف نوره تبعاً لهذه  
المنازل ، لتستعينوا بهذا فى تقدير مواقيتكم ، وتعلموا عدد السنين والحساب ،  
وما خلق الله ذلك إلا بالحكمة ، وهو سبحانه يبسط فى كتابه الآيات الدالة على  
ألوهيته وكمال قدرته ، لكى تندبروها بعقولكم وتستجيبوا لما يقتضيه العلم .

(1/330)

إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَتَّقُونَ (6) إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ  
هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَاوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (8) إِنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي  
جَنَّاتِ النَّعِيمِ (9)

6- إن فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما بالزيادة والنقصان ، وفى خلق  
السموات والأرض وما فيهما من الكائنات ، لأدلة واضحة وحججاً بينة على  
ألوهية الخالق وقدرته لمن يتجنبون غضبه ويخافون عذابه .  
7- إن الذين لا يؤمنون بالبعث ولقاء الله فى اليوم الآخر ، واعتقدوا - واهمين -

أن الحياة الدنيا هي منتهاهم وليس بعدها حياة ، فاطمأنوا بها ، ولم يعملوا لما بعدها ، وغفلوا عن آيات الله الدالة على البعث والحساب .  
8- هؤلاء ماوَاهم الذى يستقرون فيه هو النار ، جزاء ما كسبوا من الكفر وقبيح الأعمال .  
9- إن الذين آمنوا إيماناً صحيحاً ، وعملوا الأعمال الصالحة فى دنياهم يثبتهم ربهم على الهداية بسبب إيمانهم ، وبدخلون يوم القيامة جنات تجرى الأنهار خلالها ، وينعمون فيها نعيماً خالداً .

(1/331)

---

دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَجِيبُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخِرَ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10) وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَظِي إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَدَّرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (11) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحَبِيهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (13)

10- دعاء المؤمنين فى هذه الجنات تسبيح وتنزيه لله عما كان يقوله الكافرون فى الدنيا ، وتحية الله لهم ، وتحية بعضهم لبعض تقرير للأمن والاطمئنان ، وخاتم دعائهم دائماً حمد الله على توفيقه إياهم بالإيمان ، وظفرهم برضوانه عليهم .

11- ولو أجاب الله ما يستعجل به الناس على أنفسهم من الشر مثل استعجالهم لطلب الخير ، لأهلكهم وأبادهم جميعاً ، ولكنه يتلطف بهم ، فيرجئ هلاكهم ، انتظاراً لما يظهر منهم حسب ما علمه فيهم ، فتتضح عدالته فى جزائهم ، إذ يتركون - والأدلة قائمة عليهم - يتعمدون الانحراف والاتجاه إلى طريق الضلال والظلم .

12- وإذا أصاب الإنسان ضر فى نفسه أو ماله أو نحو ذلك ، أحس بضعفه ودعا ربه على أى حال من حالاته ، مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً ، أن يكشف ما نزل به من محنته ، فلما استجاب الله له ، فكشف عنه ضره ، انصرف عن جانب الله واستمر على عصيانه ، ونسى فضل الله عليه ، كأنه لم يصبه ضر ولم يدع الله إلى كشفه ، وكمثل هذا المسلك زين الشيطان للكافرين ما عملوا من سوء وما اقترفوا من باطل .

13- ولقد أهلكنا الأمم السابقة عليكم بسبب كفرهم حين جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحة على صدق دعوتهم إلى الإيمان ، وما كان فى علم الله أن يحصل منهم إيمان ، بسبب تشبثهم بالكفر والعصيان ، فاعتبروا يا كفار قريش ، فكما أهلكنا من قبلكم ، سنجزى المجرمين بإهلاكهم .

(1/332)

---

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (14) وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِبَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنِّي وَكَأَنِّي أَبَدَلْتُمُ بِهِ قَدْحًا فَاسْتَبَسَّ وَجْهَهُ إِنَّ فِيكُمْ لَكُمْ عَلِيمًا يَعْلَمُ مَا تُكْتُمُونَ (15) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ حُرُوفًا وَلَا تَذَكَّرْتُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (16) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17)

14- ثم جعلناكم - يا أمة محمد - خلفاء في الأرض ، تعمرونها من بعد هؤلاء السابقين ، لنختبركم ونظهر ما تختارونه لأنفسكم من طاعة أو عصيان ، بعد أن عرفتم ما جرى علي أسلافكم .

15- وحينما تجلت آيات القرآن من رسولنا - محمد - علي المشركين ، قال له الكافرون الذين لا يخافون عذاب الله ولا يرجون ثوابه : أتنا كتاباً غير هذا القرآن ، أو بَدَل ما فيه مما لا يعجبنا . قل لهم - أيها الرسول : لا يمكنني ولا يجوز أن أُغير أو أُبدل فيه من عندي . ما أنا إلا متبع ومبلغ ما يوحى إلي من ربي ، إنى أخاف إن خالفت وحى ربي عذاب يوم عظيم خطره ، شديد هوله .  
16- قل لهم - يا أيها الرسول - : لو شاء الله ألا ينزل عليّ قرآناً من عنده ، وألا أبلغكم به ما أنزله ، وما تلوته عليكم ، ولا أعلمكم الله به . لكنه نزل ، وأرسلني به ، وتلوته عليكم كما أمرني ، وقد مكثت بينكم زمناً طويلاً قبل البعث لم أدع فيه الرسالة ، ولم أتل عليكم شيئاً ، وأنتم تشهدون لي بالصدق والأمانة ، ولكن جاء الوحي به فأمرت بتلاوته ، ألا فاعقلوا الأمور وأدركوها ، واربطوا بين الماضي والحاضر .

17- ليس هناك أشد ظلماً لنفسه ممن كفر وافتري الكذب على الله ، أو كذب بآيات الله التي جاء بها رسوله . إنه لا ينجح الكافر في عمله ، وقد خسر خسراناً ميبيناً بكفره ، ومغاضبته لله تعالى .

(1/333)

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَبْصُرُهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنبِئُونِي بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (18) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّي لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (19) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْنَا إِنَّمَا الْعَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (20) وَإِذَا ادَّفْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ صَرَاءٍ مَسَّئُهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (21)

18- وبعبد هؤلاء المشركون - المفترون على الله بالشرك - أصناماً باطلة ، لا تضرهم ولا تنفعهم ، ويقولون : هؤلاء الأصنام يشفعون لنا عند الله في الآخرة ، قل لهم - أيها الرسول - : هل تخبرون الله بشريك لا يعلم الله له وجوداً في السموات ولا في الأرض؟! تنزه الله عن الشريك و عما تزعمونه بعبادة هؤلاء الشركاء .

19- وما كان الناس في تكوينهم إلا أمة واحدة بمقتضى الفطرة ، ثم بعثنا إليهم الرسل لإرشادهم وهدايتهم بمقتضى وحى الله تعالى ، فكانت تلك

الطبيعة الإنسانية التي استعدت للخير والشر سبباً في أن يغلب الشر على بعضهم ، وتحكم الأهواء ونزغات الشيطان ، فاختلّفوا بسبب ذلك . ولولا حكم سابق من ربك بإمهال الكافرين بك - أيها النبي - وإرجاء هلاكهم إلى موعد محدد عنده ، لعجل لهم الهلاك والعذاب ، بسبب الخلاف الذي وقعوا فيه ، كما وقع لأمم سابقة .

20- ويقول هؤلاء المشركون : هلا أنزل على محمد معجزة من عند الله غير القرآن ، تقنعنا بصدق رسالته؟ فقل لهم - أيها الرسول - : إن نزول الآيات غيب ، ولا أحد يعلم الغيب إلا الله ، وإن كان القرآن لا يقنعكم فانتظروا قضاء الله بيني وبينكم فيما تجحدونه ، إنى معكم من المنتظرين .

21- ومن شأن الناس أننا إذا أنعمنا عليهم ، من بعد شدة أصابتهم في أنفسهم أو أهلهم أو أموالهم ، لم يشكروا الله على ما أنعم به عليهم بعد صرف الضر عنهم ، بل هم يقابلون ذلك بالإمعان في التكذيب والكفر بالآيات . قل - أيها الرسول - : إن الله قادر على إهلاككم والإسراع بتعذيبكم ، لولا حكم سابق منه بإمهالكم إلى موعد اختص - وحده - بعلمه . إن رسلنا من الملائكة الموكلين بكم يكتبون ما تمكرون ، وسيحاسبكم ويجازيكم .

(1/334)

هُوَ الَّذِي يُسَبِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ يَرْيحُ طَبِيبَةً وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِيفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَسَبِّحْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (23) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعَنَّ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24)

22- الله الذي تكفرون بنعمه ، وتكذبون بآياته ، هو الذي يُمكنكم من السير والسعى في البر مشاة وركباناً ، وفي البحر بما سخر لكم من السفن التي تجرى على الماء ، بما يهيب الله لها من ريح طيبة تدفعها في أمان إلى غايتها ، حتى إذا اطمأننتم إليها وفرحتم بها هبت ريح عاصفة أثارت عليكم الموج من كل جانب ، وأيقنتم أن الهلاك واقع لا محالة ، في هذه الشدة لا تجدون ملجأ غير الله فتدعونه مخلصين في الدعاء ، وموقنين أنه لا منقذ لكم سواه ، متعهدين له لئن أنجاكم من هذه الكربة لتؤمنن به ولتكونن من الشاكرين .

23- فلما أنجاهم مما تعرضوا له من الهلاك ، نقضوا عهدهم ، وعادوا مسرعين إلى الفساد الذي كانوا من قبل - يا أيها الناس - الناقضون للعهد إن عاقبة اعتدائكم وظلمكم سترجع عليكم - وحدكم - وإن ما تتمتعون به في دنياكم متاع دنيوي زائل ، ثم إلى الله مصيركم في النهاية فيجزئكم بأعمالكم التي أسلفتموها في دنياكم .

24- ما حالة الحياة الدنيا في روعتها وبهجتها ، ثم في فنائها بعد ذلك ، إلا كحالة الماء ينزل من السماء ، فيختلط به نبات الأرض ، مما يأكله الناس والحيوان ،

في زدهر ويثمر وتزدان به الأرض نضارة وبهجة ، حتى إذا بلغت هذه الزينة تمامها ، وأيقن أهلها أنهم ما يكون زمامها ومنافعون بثمارها وخيراتها ، فاجأها أمرنا بزوالها فجعلناها شيئاً محصوداً ، كان لم تكن أهلة بسكانها وأخذة بهجتها من قبل ، ففي كلتا الحالتين نضارة وازدهار يبتهج بهما الناس ، ثم يعقبهما زوال ودمار ، وكما بين الله ذلك بالأمثال الواضحة ، يبين الآيات ويفصل ما فيها من أحكام وآيات لقوم يتفكرون ويعقلون .

(1/335)

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَاتِكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَلَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَادِيًا تَعْبُدُونَ (28) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِعَافِينَ (29) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (30)

25- والله يدعو عباده بالإيمان والعمل الصالح إلى الجنة دار الأمن والاطمئنان ، وهو سبحانه يهدي من يشاء هدايته - لحسن استعداده وميله إلى الخير - إلى الطريق الحق وهو السلام .

26- للذين أحسنوا بالاستجابة لدعوة الله ، فأمنوا وعملوا الخير لدينهم وديانهم ، لهم المنزلة الحسنى في الآخرة وهي الجنة ، ولهم زيادة على ذلك فضلا من الله وتكريماً ، ولا يغشى وجوههم كآبة من هم وهوان ، وهؤلاء هم أهل الجنة الذين ينعمون فيها أبداً .

27- والذين لم يستجيبوا لدعوة الله ، فكفروا واقتروا المعاصي فسيجزون بمثل ما عملوا من سوء ، ويغشاهم الهوان ، وليس لهم واقٍ يمنعهم من عذاب الله ، ووجوههم مسودة من الغم والكآبة كأنما أسدل عليها سواد من ظلمة الليل ، وهم أهل النار يشقون فيها أبداً .

28- وإذكر - أيها الرسول - هول الموقف ، يوم نجمع الخلائق كافة ، ثم نقول للذين أشركوا في عبادتهم مع الله غيره : قفوا مكانكم أنتم ومن اتخذتموهم شركاء من دون الله ، حتى تنظروا ما يفعل بكم ، فوقعت الفرقة بين المشركين والشركاء ، وتبرأ الشركاء من عابديهم ، قائلين لهم : لم ندعكم إلى عبادتنا ، وما كنتم تعبدوننا ، وإنما كنتم تعبدون أهواءكم .

29- وكفينا الله بعلمه وحكمه شهيداً وفاصلاً بيننا وبينكم . إنا كنا بمعزل عنكم لا نشعر بعبادتكم لنا .

30- في ذلك الموقف تعلم كل نفس ما قدّمت من خير أو شر ، وتلقى جزاءها . وفي هذا الموقف أيقن المشركون بوحدانية الله الحق ، وبطل كل ما كانوا يفترونه على الله .

(1/336)

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (31) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (34)

31- ادع - أيها الرسول - إلى التوحيد الخالص ، وقل : مَنْ الذى يأتىكم بالرزق من السماء بإنزال المطر ، ومن الأرض بإخراج النبات والثمر؟ وَمَنْ الذى يمنحك السمع والأبصار؟ ومن يخرج الحى من الميت كالنبات وهو حى من الأرض وهى موات؟ ومن يخرج الميت من الحى كالإنسان يسلب عنه الحياة؟ ومن الذى يُدَبِّرُ ويصرف جميع أمور العالم كله بقدرته وحكمته؟ فسيعترفون - لا مناص - بأن الله - وحده - فاعل هذا كله . فقل لهم - أيها الرسول - عند اعترافهم بذلك : أليس الواجب المؤكد أن تدعونا للحق وتخافوا الله مالك الملك .

32- فذلكم الله الذى أقررتم به ، هو - وحده - ربكم الذى تحققت ربوبيته ، ووجبت عبادته دون سواه ، وليس بعد الحق من توحيد الله وعبادته إلا الوقوع فى الضلال ، وهو الإشراف بالله وعبادة غيره . فكيف تنصرفون عن الحق إلى الباطل؟ .

33- كما تحققت ألوهية الله ووجبت عبادته ، حق قضاؤه على الذين خرجوا عن أمر الله متمردين بأنهم لا يدعون للحق ، لأن الله تعالى لا يهدى إلى الحق إلا من سلك طريقه ، لا من تمرد عليه .

34- قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين : هل من معبوداتكم - التى جعلتموها شركاء لله - مَنْ يستطيع أن ينشئ الخلق ابتداء ، ثم يعيده بعد فناءه؟ إنهم سيعجزون عن الجواب ، فقل لهم حينئذ : الله - وحده - هو الذى ينشئ الخلق من عدم ، ثم يعيده بعد فناءه ، فكيف تنصرفون عن الإيمان به؟

(1/337)

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَقَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (35) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (36) وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (37) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38)

35- قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين : هل من معبوداتكم التى جعلتموها شركاء لله مَنْ يستطيع التمييز بين الهدى والضلال ، فيرشد سواه إلى السبيل الحق؟ فسيعجزون! فهل القادر على الهداية إلى الحق أولى بالاتباع والعبادة؟ أم الذى لا يستطيع أن يهتدى فى نفسه ، وهو بالأولى لا يهدى غيره ، اللهم إلا إذا هداه غيره؟ كرؤوس الكفر والأخبار والرهبان الذين اتخذتموهم أرباباً من

دون الله . فما الذى جعلكم تنحرفون حتى أشركتم هؤلاء بالله؟ وما هذه الحال العجيبة التى تجرکم إلى تلك الأحكام الغربية .

36- وما يتبع أكثر المشركين فى معتقداتهم إلا ظنوناً باطلة لا دليل عليها ، والظن - على وجه العموم - لا يفيد ، ولا يغنى عن العلم الحق أى غناء ، ولا سيما إذا كان ظناً وهمياً كظن هؤلاء المشركين . وإن الله عليم بما يفعله رؤساء الكفر وأتباعهم الذين يقلدونهم ، وسيجازيهم على ذلك .

37- وما كان يتأتى فى هذا القرآن أن يفتر به أحد ، لأنه فى إعجازه وهدايته وإحكامه لا يمكن أن يكون من عند غير الله . وليس هو إلا مصدقاً لما سبقه من الكتب السماوية فيما جاءت به من الحق ، وموضحاً لما كتب وأثبت من الحقائق والشرائع . لا شك فى أن هذا القرآن منزل من عند الله ، وأنه معجز لا يقدر أحد على مثله .

38- بل يقول هؤلاء المشركون : اختلق محمد هذا القرآن من عنده ، فقل لهم - أيها الرسول - : إن كان هذا القرآن من عمل البشر ، فاتوا أنتم بسورة واحدة مماثلة له ، واستعينوا على ذلك بمن تشاءون من دون الله ، إن كنتم صادقين فى زعمكم أن القرآن من عندى .

(1/338)

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا يَعْلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّابٌ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ  
بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (40) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ  
تُرِيدُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (41) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ  
أَقَانَتْ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَقَانَتْ تَهْدِي  
الْغُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ  
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44)

39- بل سارع هؤلاء المشركون إلى تكذيب القرآن من غير أن يتدبروا ، ويعلموا ما فيه ، فلم ينظروا فيه بأنفسهم ، ولم يقفوا على تفسيره وبيان أحكامه بالرجوع إلى غيرهم ، وبمثل هذه الطريقة فى التكذيب من غير علم ، كذب الكافرون من الأمم السابقة رسالهم وكتبهم ، فانظر - أيها الإنسان - ما آل إليه أمر المكذبين السابقين من خذلانهم وهلاكهم بالعذاب ، وهذه سنة الله فى أمثالهم .

40- ومن هؤلاء المكذبين من سيؤمر بالقرآن بعد أن يفطن إلى ما فيه ، ويتنبه لمعانيه ، ومنهم فريق لا يؤمن به ولا يتحول عن ضلاله ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالمكذبين المفسدين ، وسيجازيهم على ما فعلوه .

41- وإن أصروا على تكذيبك - أيها الرسول - بعد وضوح الأدلة على نبوتك - فقل لهم : إن لى جزاء عملى ، ولكم جزاء عملكم كيفما كان ، وإنى مستمر فى دعوتى ، وأنتم لا تؤخذون بعملى ، وأنا لا أؤخذ بعملكم ، فافعلوا ما شئتم وسيجازى الله كلا بما كسب .

42- ومن هؤلاء الكفار من يستمع إليك - أيها الرسول - حين تدعوهم إلى دين الله ، وقد أغلقت قلوبهم دون قبول دعوتك ، فأنت لا تقدر على إسماع هؤلاء الصم وهدايتهم ، وخاصة إذا أضيف إلى صممهم عدم تفهمهم لما تقول .



- 43- ومنهم من ينظر إليك ويفكر فى شأنك ، فيرى دلائل نبوتك الواضحة ، ولكن لا يهتدى بها ، فمثله فى ذلك مثل الأعمى ، ولست بقادر على هداية هؤلاء العمى ، فعمى البصر كعمى البصيرة ، كلاهما لا هداية له ، فالأعمى لا يهتدى حساً ، والصال لا يهتدى معنى .
- 44- إن الله سبحانه سيجازى الناس بأعمالهم بالعدل والقسطاس ، ولا يظلم أحداً منهم شيئاً ، ولكن الناس الذين يظلمون أنفسهم باختيارهم الكفر على الإيمان .

(1/339)

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (45) وَإِنَّمَا تَرِيكَ بَعْضَ الَّذِي يَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْتَنَّا قَالَتَا مَرَجَعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ يَشْهَدُ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (47) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49)

45- وأنذرهم - أيها الرسول - يوم نجمعهم للحساب ، فيتحققون مجئ اليوم الآخر بعد أن كانوا يكذبون به ، ويتذكرون حياتهم فى الدنيا ، كأنها ساعة من النهار لم تتسع لما كان ينبغى من عمل الخير ، ويعرف بعضهم بعضاً ، يتلاومون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال . قد خسر المكذبون باليوم الآخر ، فلم يقدموا فى دنياهم عملاً صالحاً ، ولم يظفروا بنعيم الآخرة بكفرهم .

46- وإن أريناك - أيها الرسول - بعض الذى نعدهم به ، من نصرتك عليهم ، وإلحاق العذاب بهم ، أو تتوفيتك قبل أن ترى كل ذلك ، فلا مناص من عودتهم إلينا للحساب والجزاء . والله سبحانه رقيب وعالم بكل ما يفعلونه ، ومجازيهم به .

47- ولقد جاء رسول لكل أمة فبلغها دعوة الله ، فأمن من آمن ، وكذب من كذب ، فإذا كان يوم الحشر ، وجاء رسولهم وشهد على مكذبيه بالكفر ، وللمؤمنين بالإيمان ، فيحكم الله بينهم بالعدل التام ، فلا يظلم أحداً فيما يستحقه من جزاء .

48- ويؤمن الكافرون فى التكذيب باليوم الآخر ، فيستعجلونه متهمين ، ويقولون : متى يكون هذا الذى تعدنا به من العذاب ، إن كنت - أيها الرسول - ومن معك ، صادقين فيما تؤمنون به وتدعوننا إليه ؟ .

49- قل لهم - أيها الرسول - إننى لا أملك لنفسى خيراً ولا شراً ، إلا ما أقدرنى الله عليه . فكيف أملك تقديم العقوبة؟ إن لكل أمة نهاية حددها الله ألا ، فإذا حانت هذه النهاية فلا يستطيعون التأخر عنها وقتاً ما ، كما لا يستطيعون سبقها .

(1/340)

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَّاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (50) أَلَمْ  
 إِذَا مَا وَقَعَ أَمْنُكُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (51) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا  
 ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (52) وَيَسْتَسْتَبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ  
 قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (53) وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي  
 الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَبُوا التَّدَامَةَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا  
 يُظْلَمُونَ (54) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ  
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (55) هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (56)

50- قل لهؤلاء المكذبين المستعجلين وقوع العذاب : أخبروني إن وقع بكم عذاب الله ليلا أو نهاراً ، فأى فائدة يحصل عليها من استعجاله المجرمون الآثمون؟ والعذاب كله مكروه .

51- أتذكرون العذاب الآن ، ثم إذا حل بكم يقال لكم توبيخاً : هل آمنتم به حين عايتموه ، وقد كنتم تستعجلونه فى الدنيا مستهينين جاحدين .

52- ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والتكذيب : ذوقوا العذاب الدائم ، لا تجزون الآن إلا على أعمالكم التى كسبتموها فى الدنيا .  
 53- ويطلب الكفار منك - أيها الرسول - على سبيل الاستهزاء والإنكار - أن تخبرهم أحق ما جئت به من القرآن وما تعدهم به من البعث والعذاب؟ قل لهم : نعم وحق خالقى الذى أنشأنى إنه حاصل لا شك فيه ، وما أنتم بغالبيين ولا مانعين ما يريد الله بكم من العذاب .

54- ولو أن كل ما فى الأرض مملوك لكل نفس ارتكبت ظلم الشرك والجحود ، لارتضت أن تقدمه فداء لما تستقبل من عذاب تراه يوم القيامة وتعاين هوله ، وحينئذ يتردد الندم والحسرة فى سرائرهم لعجزهم عن النطق به ، ولشدة ما دهاهم من الفزع لرؤية العذاب ، ونفذ فيهم قضاء الله بالعدل ، وهم غير مظلومين فى هذا الجزاء . لأنه نتيجة ما قدّموا فى الدنيا .

55- ليعلم الناس أن الله مالك ومهيمن على جميع ما فى السموات والأرض ، وليعلموا أن وعده حق ، فلا يعجزه شئ ، ولا يفلت من جزائه أحد ، ولكنهم قد غرّتهم الحياة الدنيا ، لا يعلمون ذلك علم اليقين .

56- والله سبحانه ، يهب الحياة بعد عدم ، ويسلبها بعد وجود ، وإليه المرجع فى الآخرة ، ومن كان كذلك لا يعظم عليه شئ .

(1/341)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِقَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى  
 وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) قُلْ يَفْضُلُ اللَّهُ وَيَرْحَمْتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا  
 يَجْمَعُونَ (58) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا  
 قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (59) وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ  
 الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (60)

57- يا أيها الناس : قد جاءكم على لسان الرسول محمد كتاب من الله ، فيه تذكير بالإيمان والطاعة وعظة بالترغيب فى الخير ، والترهيب من عمل السوء ، وسوق العبر بأخبار من سبقوكم ، وتوجيه نظركم إلى عظمة الخلق لتدركوا ،

عظمة الخالق ، وفيه دواء لأمراض قلوبكم من الشرك والنفاق ، وهداية إلى الطريق المستقيم . وذلك كله رحمة للمؤمنين الذين يستجيبون .  
58- قل لهم - أيها الرسول - : افرحوا بفضل الله عليكم ورحمته بكم ، بإنزال القرآن ، وبيان شريعة الإسلام ، وهذا خير من كل ما يجمعه الناس من متاع الدنيا ، لأنه غذاء القلوب وشفاء أسقامها .  
59- قل - أيها الرسول - للكفار الذين أوتوا بعض متاع الدنيا : أخبروني عما منحكم الله من رزق حلال طيب ، فأقمتم من أنفسكم مشرّعين ، تجعلون بعضه حلالا ، وبعضه حراما ، دون أن تأخذوا بشرع الله؟ إن الله لم يأذن لكم فى هذا ، بل أنتم تكذبون فى ذلك على الله .  
60- ما الذى يظنه يوم القيامة أولئك الذين كانوا يفترون الكذب على الله ، فيدّعون الجلل والتحريم من غير أن يكون عندهم دليل؟ إن الله أنعم عليهم نعماً كثيرة ، وأحلها لهم بفضله ، وشرع لهم ما فيه خيرهم ، ولكن الأكثرين لا يشكرون الله عليها ، بل يفترون على الله الكذب .

(1/342)

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (61) أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (65)

61- وإنك - أيها الرسول - قد بلغت وهو معلوم لله ، وما تكون فى أمر من أمورك ، وما تقرأ من قرآن ولا تعمل أنت وأمتك من عمل ، إلا ونحن شهود رقباء عليه حين تدخلون فيه مجاهدين ، ولا يغيب عن علم ربك شئ فى وزن الذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من هذا ولا أكبر منه . إن ذلك كله يسجل فى كتاب عند الله بين واضح .

62- تنبهوا - أيها الناس - واعلموا أن الموالين لله بالإيمان والطاعة يحبهم ويحبونه ، لا خوف عليهم من الخزي فى الدنيا ، ولا من العذاب فى الآخرة ، وهم لا يحزنون على ما فاتهم من عرض الدنيا؛ لأن لهم عند الله ما هو أعظم من ذلك وأكثر .

63- وهم الذين صدّقوا بكل ما جاء من عند الله ، وأذعنوا للحق ، واجتنبوا المعاصى ، وخافوا الله فى كل أعمالهم .

64- لهؤلاء الأولياء البشرى بالخير فى الدنيا ، وما وعدهم الله به من نصر وعزة ، وفى الآخرة يتحقق وعد الله ، ولا خلف لما وعد الله به ، وهذا الذى بشروا به فى الدنيا ، وظفروا به فى الآخرة هو الفوز العظيم .

65- ولا تحزن - أيها الرسول - لما يقوله المشركون من سخرية وطعن وتكذيب ، ولا تظن أن حالهم ستدوم ، بل إن النتيجة لك وسيعتز الإسلام ، فإن العزة كلها لله تعالى ، والنصر بيده ، وسينصرك عليهم ، وهو سبحانه السميع لما يفترون عليك ، العليم بما يضمرونه ، وسيجازيهم على ذلك .

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (66) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67) قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ هُوَ الْعَنِيِّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (68) قُلْ إِنْ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (69) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)

66- لتعلموا - أيها الناس - أن لله - وحده - كل من فى السموات والأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً ، وإن الذين أشركوا بالله لا يتبعون إلا أوهاماً باطلة لا حقيقة لها ، وليسوا إلا واهمين يظنون القوة فيما لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً .  
67- إن الذى يملك من فى السموات والأرض ، هو الذى خلق لكم الليل لتستريحوا فيه من عناء السعى فى النهار ، وخلق لكم النهار مضيئاً لتسعوا فيه وتجلبوا مصالحكم . إن فى خلق الليل والنهار لدلائل بينة لمن يسمعون ويتدبرون .  
68- وإذا كان عبدة الأوثان قد أشركوا فى العبادة حجارة ، ولم ينزهوا الله حق التنزيه ، وقالوا : إن لله ولداً . فالله منزه عن ذلك . إنه غنى عن أن يتخذ ولداً ، لأن الولد مظهر الحاجة إلى البقاء ، والله باق خالد ، وكل ما فى السموات وما فى الأرض مخلوق ومملوك له ، وليس عندكم - أيها المفترون - حجة ولا دليل على ما زعمتم ، فلا تخلقوا على الله أمراً لا أساس له من الحقيقة .  
69- قل لهم - أيها الرسول - : إن الذين يخلقون على الله الكذب ويزعمون أن له ولداً ، لن يفلحوا أبداً .  
70- لهم متاع فى الدنيا يغترون به ، وهو قليل ، طال أو قصر ، بجوار ما يستقبلهم . ثم إلينا مرجعهم ، فنحاسبهم ونذيقهم العذاب المؤلم بسبب كفرهم .

وَإِلَّاهِهِمْ تَبَّى نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ عِزْمَةً ثُمَّ أفيضوا إليَّ وَلَا يُنظِرُونِ (71) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا يسألُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَآمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (72) فَكَذَّبُوهُ فَتَبَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (73) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (74)

71- وإن ما ينزل بك من قومك قد نزل بمن سبقك من الأنبياء ، واقرأ - أيها الرسول - على الناس ، فيما ينزله عليك ربك من القرآن قصة نوح رسول الله لما أحس كراهية قومه وعداءهم لرسالته ، فقال لهم : يا قوم إن كان وجودي

فيكم لتبليغ الرسالة قد أصبح شديداً عليكم ، فإنى مستمر مثابر على دعوتى متوكل على الله فى أمرى ، فاحزموا أمركم ومعكم شركاؤكم فى التدبير ، ولا يكن فى عدائكم لى أى خفاء ، ولا تمهلونى بما تريدون لى من سوء ، إن كنتم تقدرّون على إيذائى ، فإن ربى يرعائى .

72- وإن بقيتم على الإعراض عن دعوتى ، فإن ذلك لن يضيرنى ، لأنى لم أقم بها لأتقاضاكم عليها أجراً أخشى عليه الضياع بسبب إغراضكم ، إنما أطلب أجرى عليها من الله - وحده - وقد أمرنى أن أكون مُسَلِّماً إليه جميع أمرى .

73- ومع هذا المجهود وتلك المثابرة التى بذلها من أجل هدايتهم ، أصروا على أن يستمروا فى تكذيبه وعدائه ، فنجاه الله ومَن معه من المؤمنين به ، الراكبين معه فى الفلك ، وجعلهم عَمَّاراً للأرض بعد هلاك الكافرين الذين أغرقهم الطوفان ، فانظر - يا محمد - كيف لقى المستخفون بالندى مصيرهم السيئ .

74- ثم أرسلنا من بعد نوح رُسُلًا آخرين ، داعين إلى التوحيد ، ومبشرين ومنذرين ، ومؤيدين بالمعجزات الدالة على صدقهم ، فكذبت أقوامهم كما كذب قوم نوح ، فما كان من شأن الجاحدين منهم أن يذعنوا ، لأن التكذيب سبق التبصر والاعتبار ، وبذلك طبع الله الباطل على قلوب الذين من شأنهم الاعتداء على الحقائق وعلى البيئات .

(1/345)

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (75) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ (76) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُونَ (77) قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِتَابُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ (78) وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنِّي نَبِيٌّ يَكْلُمُ النَّاسَ سِحْرًا وَعِلْمًا (79) فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ (80)

75- ثم أرسلنا من بعدهم موسى وأخاه هارون إلى فرعون ملك مصر وإلى خاصته ، داعين إلى عبادة الله - وحده - ومؤيدين بالحجج الباهرة ، فاستكبر فرعون وقومه عن متابعة موسى وهارون فى دعوتهما ، وكانوا بهذا الرفض مرتكبين جرماً عظيماً ، أثمين به .

76- فلما ظهر لهم الحق من عندنا على يد موسى ، قالوا فى معجزة موسى وهى العصا التى انقلبت حية أمام أعينهم : إن هذا سحر مؤكد واضح .

77- قال لهم موسى مستنكراً : أتصفون الحق الذى جئتكم به من عند الله بأنه سحر؟ ألكون هذه الحقيقة التى عاينتموها سحراً؟! وهأنذا أتحداكم أن تثبتوا أنها سحر ، فأتوا بالساحرين ليثبتوا ما تدعون ، ولن يفوز الساحرون فى هذا أبداً .

78- قال فرعون وقومه لموسى : إنما جئت إلينا قاصداً أن تضرقنا عن دين آبائنا ، وتقاليد قومنا؛ لكى نصير لكما أتباعاً ، ويكون لك ولأخيك الملك والعظمة والرياسة المسيطرة المتحكمة؟ وإذن فلن نؤمن بكما ولا برسالتكما .

79- وزعم فرعون وقومه أن موسى وأخاه ساحران لا رسولان ، فأمر رجاله

بأن يحضروا له من مملكته كل من له مهارة فى فنون السحر .  
80- ولما حضر السحرة ووقفوا أمام موسى ، لمنازلته بسحرهم على رؤوس  
الأشهاد ، قال لهم موسى : هاتوا ما عندكم من فنون السحر .

(1/346)

فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلُحُ عَمَلَ  
الْمُفْسِدِينَ (81) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (82) فَمَا آمَنَ  
لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ  
فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (83) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ  
كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا  
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَتَجَبْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ )  
(86) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَ لِقَوْمِكَ مِمَّا يَمُوتُ بِيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ  
قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87)

- 81- فلما ألقوا حبالهم وعصيتهم ، قال لهم موسى : إن الذى فعلتموه هو  
السحر حقاً ، والله سبحانه سيبطله على يدى ، إن الله لا يهين أعمال  
المفسدين لأن تكون صالحة ونافعة .
- 82- أما الحق فإن الله ناصره ومؤيده بقدرته وحكمته ، مهما أظهر الكافرون  
من بغضهم له ومحاربتهم إياه .
- 83- ومع ظهور الآيات الدالة على صدق الرسالة ، فإن الذين آمنوا بموسى لم  
يكونوا إلا فئة قليلة من قوم فرعون ، آمنوا على خوفٍ من فرعون ومن معه  
أن يردوهم عما آمنوا به ، وما أعظم طغيان فرعون فى أرض مصر ، وإنه لمن  
المغالين الذين أسرفوا فى استكبارهم واستعلائهم .
- 84- أما موسى فقد قال للمؤمنين مواسياً لهم ومشجعاً : يا قوم ، إن كان  
الإيمان قد دخل قلوبكم فى إخلاص لله فلا تخشوا سواه ، وأسلموا أموركم إليه  
. وتوكلوا عليه ، وثقوا فى النهاية إن كنتم ثابتين على الإسلام .
- 85- فقال المؤمنون : على الله - وحده - توكلنا ، ثم دعوا ربهم ألا يجعلهم أداة  
فتنة وتعذيب فى يد الكافرين .
- 86- ودعوا ربهم قائلين : نجنا بما أسبغت علينا من نعمة ورحمة ، وبفيض  
رحمتك التى اتصفت بها ، من القوم الجاحدين الظالمين .
- 87- وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن يتخذا لقومهما بيوتاً يسكنونها بأرض  
مصر ، وأن يجعلوا هذه البيوت قبلة يتجه إليها أهل الإيمان الذين يتبعون دعوة  
الله ، وأن يؤدوا الصلاة على وجهها الكامل . والبشرى بالخير للمؤمنين .

(1/347)

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا  
لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا  
حَتَّىٰ يَرَؤُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ  
سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ

وَجُنُودُهُ بَعِيًّا وَعَدُّوْا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرِيقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ  
بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قِيلٌ وَكُنْتَ مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ (91) قَالَتُومٌ نُنَجِّيكَ يَبَدِّنِكَ لِيَتَّكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ  
النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَعَافِلُونَ (92)

88- ولما تمادى الكفار فى تعنتهم مع موسى ، دعا الله عليهم ، فقال : يا رب  
إنك أعطيت فرعون وخاصته بهجة الدنيا وزينتها من الأموال والبنين والسلطان  
، فكانت عاقبة هذه النعم إسرافهم فى الضلال والإضلال عن سبيل الحق ،  
اللهم اسحق أموالهم . واطرهم فى ظلمة قلوبهم ، فلا يوفقوا للإيمان حتى  
يروا رأى العين العذاب الأليم ، الذى هو العاقبة التى تنتظرهم ليكونوا عبرة  
لغيرهم .

89- قال الله تعالى : قد أجيب دعاؤكما ، فاستمرا على السير فى الطريق  
المستقيم ، واطركا سبيل أولئك الذين لا يعلمون الأمور على وجهها ولا يدعون  
للحق الذى وضح .

90- ولما جاوزنا بنى إسرائيل البحر ، تعقبهم فرعون وجنوده للاعتداء عليهم  
فأطبقت عليهم البحر ، فلما أدرك الغرق فرعون ، قال : صدقت بالله الذى  
صدقت به بنو إسرائيل ، وأذعنت له ، وأنا من الطائعين الخاضعين .

91- لم يقبل الله من فرعون هذا الإيمان الذى اضطر إليه ، وتلك التوبة التى  
كانت وقد حضره الموت ، بعد أن عاش عاصياً لله مفسداً فى الأرض فمات  
كافراً مهاناً .

92- واليوم الذى هلكت فيه نُخرج جثتك من البحر ، ونبعثها لتكون عظة وعبرة  
لمن كانوا يعبدونك ، ولا ينتظرون لك مثل هذه النهاية المؤلمة المخزية ، ولكن  
كثيراً من الناس يغفلون عن البينات الباهرة فى الكون التى تثبت قدرتنا .

(1/348)

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ  
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ بَفِضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (93)  
فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَأَسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرُقُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ  
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (94) وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ (95) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا  
يُؤْمِنُونَ (96) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (97)

93- ولقد مكنا لبنى إسرائيل بعد ذلك فعاشوا فى أرض طيبة ، محافظين على  
دينهم ، بعيدين عن الظلم الذى كانوا فيه ، موفورة لهم الأرزاق والنعم ، ولكنهم  
ما إن ذاقوا نعمة العزة بعد الهوان ، حتى أصابهم داء الفرقة ، فاختلّفوا ، مع أنه  
قد تبين لهم الحق والباطل ، وسيقضى الله بينهم يوم القيامة ، ويجزى كلا  
منهم بما عمل .

94- فإن ساورك أو ساور أحداً غيرك شك فيما أنزلنا إليك من وحى ، فاسأل  
أهل الكتب السابقة المنزلة على أنبيائهم ، تجد عندهم الجواب القاطع الموافق  
لما أنزلنا عليك ، وذلك تأكيد للصدق ببيان الدليل عند احتمال أى شك ، فليس  
هناك مجال للشك ، فقد أنزلنا عليك الحق الذى لا ريب فيه ، فلا تجار غيرك فى

- الشك والتردد .
- 95- ولا تكن - أنت ولا أحد من الذين اتبعوك - من الذين يكذبون بالحجج والبيانات ، لئلا يحل عليك الخسران والغضب ، كما هو شأن الكفار الذين لا يؤمنون ، والخطاب للنبي خطاب لكل من اتبعه .
- 96- إن الذين سبق عليهم قضاء الله بالكفر ، لما عَلِمَ من عنادهم وتعصبهم ، لن يؤمنوا مهما أجهدت نفسك فى إقناعهم .
- 97- ولو جئتهم بكل حجة - مهما يكن وضوحها - فلن يقتنعوا وسيستمرون على ضلالهم إلى أن ينتهى بهم الأمر إلى العذاب الأليم .

(1/349)

فَلَوْلَا كَاتِبَتْ قَرْبَةَ أَمِيَّتٍ فَتَنَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنَسَ لَمَّا أَمَّنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (98) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَقْبَلْتَ تَكْرَهُ النَّاسِ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (100) قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101)

- 98- لو أن كل قرية من القرى تؤمن؛ لنفعها إيمانها ، لكنها لم تؤمن ، فلم يكن النفع إلا لقوم يونس ، فإنهم لما آمنوا وجدوا النفع لهم ، فكشفنا عنهم الخزي وما يترتب عليه من آلام ، وجعلناهم فى متعة الدنيا الفانية حتى كان يوم القيامة .
- 99- ولو أراد الله إيمان من فى الأرض جميعاً لآمنوا ، فلا تحزن على كفر المشركين ، ولا إيمان مع الرغبة؛ فلا تستطيع أن تكره الناس حتى يدعنا للحق ويستجيبوا له ، فليس لك أن تحاول إكراههم على الإيمان ، ولن تستطيع ذلك مهما حاولت .
- 100- لا يمكن لإنسان أن يؤمن إلا إذا اتجهت نفسه إلى ذلك ، وهياً الله لها الأسباب والوسائل ، أما من لم يتجه إلى الإيمان فهو مستحق لسخط الله وعذابه ، وسنة الله أن يجعل العذاب والغضب على الذين ينصرفون عن الحجج الواضحة ولا يتدبرونها .
- 101- قل - يا أيها النبى - لهؤلاء المعاندين : انظروا إلى ما فى السموات والأرض من بينات ترشد إلى ألوهيته ووحدانيته ، ففيها ما يقنعكم بالإيمان . ولكن الآيات على كثرتها ، والنذر على قوتها ، لا تغنى عن قوم جاحدين لا يتعقلون ، إذا لم يؤمن هؤلاء الجاحدون فلن ينظروا .

(1/350)

فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (102) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ (103) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي كُنْتُ مِنْكُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (104)



وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (105) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (106) وَإِنْ يَمَسُّسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (107)

102- فهل ينتظر أولئك الجاحدون إلا أن ينالهم من الأيام السَّداد مثل ما أصاب الذين مضوا من قوم نوح وقوم موسى وغيرهم؟! قل لهم - أيها النبي - : إذا كنتم تنتظرون غير ذلك ، فانتظروا إنى منتظر معكم ، وستصيبكم الهزيمة القريبة والعذاب يوم القيامة .

103- ثم ننجى رسلنا والمؤمنين من ذلك العذاب ، لأنه وعد بنجاتهم ، ووعدته حق لا يتخلف .

104- قل لهم - أيها الرسول - : إن كنتم تشكون فى صحة الدين الذى بُعثت به ، فاعلموا أنه مهما تشككتم فيه فلن أعبد الأصنام التى تعبدونها من دون الله ، ولكنى أعبد الله الذى بيده مصيركم ، وهو الذى يتوفاكم ، وقد أمرنى أن أكون من المؤمنين به .

105- يا أيها - النبي - قم حق القيام بالاتجاه إلى الله منصرفاً إليه ، ولا تدخل فى غمار الذين أشركوا بالله ، فجانبهم وابتعد عنهم أنت ومن اتبعك من المؤمنين .

106- ولا تلجأ بالدعاء والعبادة إلى غير الله ما لا يجلب لك نفعاً ، ولا ينزل بك ضرراً ، فإنك إن فعلت ذلك كنت داخلاً فى غمار المشركين الظالمين . والنهى الموجه للنبي هو موجه لأمته ، وهو تأكيد للنهى ، لأن النهى حيث لا يمكن وقوع المنهى عنه مبالغة فى النهى .

107- وإن يصيبك الله بضر - أيها النبي - فلن يكشفه عنك إلا هو ، وإن يقدر لك الخير فلن يمنعه عنك أحد؛ لأنه يهب الخير من فضله لمن يشاء من عباده ، وهو - سبحانه - الواسع المغفرة ، العظيم الرحمة .

(1/351)

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا بِأَبٍ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (108) وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (109)

108- بلغ - أيها الرسول - دعوة الله إلى الناس كافة ، وقل لهم : - أيها الناس - قد أنزل الله عليكم الشريعة الحقة من عنده ، فمن شاء أن يهتدى بها فليسارع ، فإن فائدة هداه ستكون لنفسه ، ومن أصرَّ على ضلاله ، فإن ضلاله سيقع عليه - وحده - وأنا لست موكلًا بإرغامكم على الإيمان ، ولا مسيطراً عليكم .

109- وأثبت - أيها الرسول - على دين الحق ، وأتبع ما أنزل عليك من الوحي ، صابراً على ما ينالك فى سبيل الدعوة من مكاره ، حتى يقضى الله بينك وبينهم ، بما وعدك به من نصر المؤمنين ، وخذلان الكافرين ، وهو خير الحاكمين .

(1/352)

## الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (1)

1- الر . . . حروف ابتدأت بها السورة للإشارة إلى أن القرآن معجز ، مع أنه مكون من الحروف التي ينطقون بها ، وللتنبية إلى الإصغاء عند تلاوة القرآن الكريم إلى أنه كتاب ذو شأن عظيم ، أنزلت آياته محكمة لا باطل فيها ولا شبهة ، ونظمت بأسلوب لا خلل فيه ، واضحة بينة ، ثم فصلت أحكامها . وللكتاب مع شرفه فى ذاته شرف أنه من عند الله الذى يعلم كل شئ ، ويضع الأمور فى مواضعها سبحانه .

(1/353)

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (2) وَإِنْ اسْتَعْفَرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُعْتِقْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَوُوبَ كُلِّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4) أَلَا إِنَّهُمْ يَبْتُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخِفُّوا مِنْهُ الْآلِينَ يَسْتَعْشُونَ تِبَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)

2- أرشد به الناس - أيها النبي - وقل لهم : لا تعبدوا إلا الله ، إننى مُرْسَلٌ منه لأنذركم بعذابه إن كفرتم ، وأبشركم بثوابه إن آمنتم وأطعتم .

3- وتضرعوا إلى الله داعين أن يغفر لكم ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه بإخلاص العبادة وعمل الصالحات ، قُيِّمْتُمْ مَتَاعًا حَسَنًا فى الدنيا إلى أن تنتهى أجالكم المقدَّرة لكم فيها ، ويُعطى فى الآخرة كل صاحب عمل صالح فاضل ثواب عمله وفضله . وإن تنصرفوا عمَّا أدعوكم إليه ، تعرضتم للعذاب ، فإنى أخاف عليكم هذا العذاب فى يوم كبير يحشر فيه الناس جميعاً ، ويكون فيه الهول الأكبر .

4- إلى الله - وحده - مرجعكم فى الدنيا ، ويوم القيامة حين يبعثكم من قبوركم ليجازيكم على أعمالكم ، وهو قادر على كل شئ ، لأنه كامل القدرة لا يعجز عن شئ من الأشياء .

5- إن الناس يطوون صدورهم كاتمين لما يجول فيها ، مجتهدين فى كتمانهم ، زاعمين أن عاقبة ذلك أن تستخفى خلجات صدورهم عن الله! ألا فليعلم هؤلاء أنهم إن أُووا إلى فراشهم لابسين لباس النوم ، فاستتروا بظلام الليل والنوم وطى ما فى الصدور ، فإن الله عليم بهم ، فى سرهم وعلنهم ، لأنه يعلم ما يصاحب الصدور ويطوى فيها .

6- وليعلم هؤلاء أن قدرة الله ونعمه وعلمه شاملة لكل شئ ، فلا توجد دابة تتحرك فى الأرض إلا وقد تكفل الله سبحانه برزقها المناسب لها فى مختلف البيئات تفضلاً منه ، ويعلم مكان استقرارها فى حال حياتها ، والمكان الذى تودع فيه بعد موتها . . كل شئ من ذلك مسجل عنده سبحانه فى كتاب مواضع لأحوال ما فيه .

(1/354)

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُظْهِرَ لَكُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْسِبُهُ الْيَوْمَ بِآيَاتِنَا لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَخَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهَ يَسْتَهْزِئُونَ (8) وَلَئِنْ أَدْفَنَّا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحِمْنَا مِنْهُ ثُمَّ تَرَّعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَبُوسُ كُفُورًا (9) وَلَئِنْ أَدْفَيْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ صَرَاءٍ مَسْنُونٍ لَيَقُولَنَّ دَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا (10) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (11)

- 7- والله خلق السموات والأرض وما فيهما في ستة أيام ، ومن قبل ذلك لم يكن الوجود أكثر من عالم الماء ، ومن فوقه عرش الله . وقد خلق الله هذا الكون ليظهر بالاختبار أحوالكم - أيها الناس - ليظهر منكم من يقبل على الله بالطاعة والأعمال الحسنة ، ومن يُعرض عن ذلك . . ومع هذه القدرة الخالقة إن قلت لهم مؤكداً : أنهم سيبعثون من قبورهم ، وأنهم خلقوا ليموتوا ويُبعثوا ، سارعوا إلى الرد عليك مؤكداً أن هذا الذي جئتهم به لا حقيقة له ، وما هو إلا كالسحر الواضح الذي يلعب بالعقول .
- 8- ولئن أفتضت حكمتنا تأخير عذاب كفرهم في الدنيا إلى وقت مُحدد عندنا هو يوم القيامة ، ليقولون مستهزئين : ما الذي يمنعه عنا الآن؟ فليأت به إن كان صادقاً في وعيده . ألا فليعلم هؤلاء أن العذاب آتٍ حتماً ، وأنه لا خلاص لهم منه حين يأتيهم ، وأنه سيحيط بهم بسبب استهزائهم واستهتارهم .
- 9- وإن من طبيعة الإنسان أن تستغرق نفسه الحال التي يكون عليها ، فإذا أعطيناه بعض النعم رحمة منا كالصحة والسعة في الرزق ، ثم نزعنا بعد ذلك هذه النعمة لحكمة منا ، أسرف في يأسه من عودة هذه النعمة إليه ، وأسرف في كفره بالنعم الأخرى التي لا يزال يتمتع بها .
- 10- وإنما لو أعطينا الإنسان نعمة بعد ضرر لحق به ، فإنه يقول : ذهب ما كان يسوؤني ولن يعود ويحمله ذلك على شدة الفرح بمتاع الدنيا ، وعلى المبالغة في التفاخر على الغير ، فينبشغل قلبه عن شكر ربه ، هذا هو شأن غالب بني الإنسان : مضطرب بين اليأس والتفاخر .
- 11- ولا يخلو من هذا العيب إلا الذين صبروا عند الشدائد ، وعملوا الصالحات في السراء والضراء . هؤلاء لهم مغفرة من الذنوب وأجر كبير على أعمالهم الصالحة .

(1/355)

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ هَلْكَ إِنَّمَا أَنْتَ تَذِيرُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (12) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ

أَلَيْسَ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْحَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي  
الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (16)

- 12- لا تحاول - أيها النبي - إرضاء المشركين لأنهم لا يؤمنون ، وعساك إن حاولت إرضاءهم أن تترك تلاوة بعض ما يوحى إليك مما يشق سماعه عليهم ، كاحتقار بعض ألهتهم ، خوفاً من قبح ردهم واستهزائهم ، وعسى أن تحس بالضيق وأنت تتلوه ، لأنهم يطلبون أن ينزل الله عليك كنزاً تنعم به كالمملوك ، أو يجئ معك ملكٌ يخبرنهم بصدقك ، فلا تبال - أيها النبي - بعنادهم ، فما أنت إلا منذرٌ ومحدّرٌ من عقاب الله من يخالف أمره ، وقد فعلت فأرح نفسك منهم . واعلم أن الله على كل شيء رقيب ومهيمن ، وسيفعل بهم ما يستحقون .
- 13- إن القرآن فيه الآية الدالة على صدقك ، فإن قالوا : إنه أله من عنده أو افتراه على الله ، فقل لهم : إن كان هذا القرآن من عند بشر ، أمكن للبشر أن يأتوا بمثله ، وأنتم فصحاء البشر . فاتوا بعشر سور مثله مُختَلَفَات ، واستعينوا بما يمكنكم الاستعانة به من الإنس والجن ، إن كنتم صادقين في دعواكم أنه كلام بشر .
- 14- فإن عجزتم ، وعجز من استعنتم بهم فاتوا بمثله ولو مُفترئاً ، فاعلموا أن هذا القرآن ما أنزل إلا مقترناً بعلم الله ، فلا يعلم علمه أحد ، واعلموا أنه لا إله إلا الله فلا يعمل عمله أحد . فأسلموا بعد قيام هذه الحجة عليكم ، إن كنتم طالبين للحق .
- 15- من كان يطلب الحياة الدنيا ، والتَّمتع بِلذاتِها وزينتها ، نعطهم ثمرات أعمالهم وافية لا ينقص منها شيء .
- 16- هؤلاء الذين قصروا همهم على الدنيا ، ليس لهم في الآخرة إلا عذاب النار ، وبطل نفع ما صنعوه في الدنيا لأنه لم يكن للآخرة فيه نصيب ، وهو في نفسه باطل أيضاً ، لأن العمل الذي لا يفيد السعادة الدائمة كأنه لم يكن .

(1/356)

أَقَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا  
وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالِنَارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي  
مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ إِلَى الْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ  
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ  
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19)

- 17- أقمَنْ كان يسير في حياته على بصيرة وهداية من ربه ، وبطلب الحق مخلصاً ، معه شاهد بالصدق من الله وهو القرآن ، وشاهد من قبله وهو كتاب موسى الذبأنزله الله قدوة يتبع ما جاء به ، ورحمة لمتبعيه ، كمن يسير في حياته على ضلال وعماية ، فلا يهتم إلا بمتاع الدنيا وزينتها؟! أولئك الأولون هم الذين أنار الله بصائرهم ، يؤمنون بالنبي والكتاب الذي أنزل عليه . ومن يكفر به ممن تألبوا على الحق وتحزبوا ضده ، فالنار موعده يوم القيامة . فلا تكن - أيها النبي - في شك من هذا القرآن ، إنه الحق النازل من عند ربك ، لا يأتيه الباطل ، ولكن أكثر الناس تضلهم الشهوات ، فلا يؤمنون بما يجب الإيمان به .

18- وليس أحد أكثر ظلماً لنفسه وبعداً عن الحق من الذين يختلقون الكذب وينسبونه إلى الله . إن هؤلاء سيعرضون يوم القيامة على ربهم ليحاسبهم على ما عملوا من سوء ، فيقول الأشهاد من الملائكة والأنبياء وغيرهم : هؤلاء هم الذين ارتكبوا أفعال الجرم والظلم بالنسبة لخالقهم . إن لعنة الله ستقع عليهم لأنهم ظالمون .

19- هؤلاء الذين يصرفون الناس عن دين الله ويمنعونهم - وهو سبيله المستقيم - ويطلبون أن تكون هذه السبيل موافقة لشهواتهم وأهوائهم ، فتكون معوجة ، وهم بالآخرة - وما فيها من ثواب المؤمن وعقاب الكافر - كافرون .

(1/357)

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسِرُونَ (22) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (23) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَقَلًّا تَذَكَّرُونَ (24) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (25)

20- أولئك الكافرون ، لم تكن لهم قوة تُعجز الله عن أخذهم بالعذاب في الدنيا ، ولم يكن لهم نصراء يمنعون عنهم عذابه لو شاء أن يجعل لهم العذاب ، وإن العذاب سيقع عليهم في الآخرة أضعاف ما كان سيقع عليهم في الدنيا ، لو أراد الله أن يقع ، لأنهم كرهوا أن يسمعوا القرآن ، ويبصروا آيات الله في الكون ، كأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يسمعوا أو يبصروا .

21- أولئك الكافرون لم يربحوا بعبادة غير الله شيئاً . بل خسروا أنفسهم وغاب عنهم في الآخرة ما كانوا يفترون من أكاذيب ودعاوى باطلة ، وما كانوا يختلقون من الآلهة الباطلة ، ويزعمون أنهم ينفعونهم أو يشفعون لهم ، فإن يوم القيامة هو يوم الحقائق التي لا زيف فيها ولا افتراء .

22- حقاً ، إنهم في الآخرة أشد الناس خُسراناً .

23- إن الذين آمنوا بالله ورسوله ، وعملوا الأعمال الصالحة ، وخضعت قلوبهم واطمأنت إلى قضاء ربها ، هؤلاء هم المستحقون لدخول الجنة والخلد فيها .

24- مثل الفريقين : المؤمنين والكافرين ، كالأعمى الذي يسير على غير هدى ، والأصم الذي لا يسمع ما يرشده إلى النجاة ، وكقوى البصر الذي يرى طريق الخير والنجاة ، وقوى السمع الذي يسمع كل ما ينفعه ، هذان الفريقان لا يستويان في الحال والمآل . أفلا تتفكرون - أيها الناس - فيما بينكم من التباين والكفر ، وفيما بين الباطل والحق من خلاف ، فتبتعدوا عن طريق الضلال ، وتسيروا في الطريق المستقيم ؟

25- وكما أرسلناك إلي قومك لتنذرهم وتبشرهم ، فقابلك فريق منهم بالعناد والجحود ، أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال لهم : إنى محذر لكم من عذاب الله ، مبين لكم طريق النجاة .

أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ (26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ إِلَّا تَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوا بِرَأْيِهِمْ وَهُمْ عَالَمِينَ (27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَتُعَمِّيَتِ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْ مُكْثَمُوهَا وَانْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30)

26- قائلاً لهم : إني أطلب منكم ألا تعبدوا إلا الله ، لأنى أخاف عليكم - إن عبدتم غيره أو أشركتم معه سواء فى العبادة - أن يحل عليكم يومٌ عذابه ذو ألم شديد .

27- قال الكفار من قومه : ما نرى إلا أنك بشر مثلنا ، فليس فيك ما يجعل لك ميزة خاصة ، وفضلاً يحملنا على الإيمان بأنك رسول من عند الله ، وما نرى الذين اتبعوك من بيننا إلا الطبقة الدنيا منا ، وما نرى لكم من فضل علينا . بل إنا نعتقد أنكم كاذبون فيما تزعمون .

28- قال نوح : يا قوم ، أخبرونى - إن كنت مؤيداً بحجة واضحة من ربي ، وأعطاني برحمته النبوة والرسالة ، فحجّب نورها عنكم ، وعمّاها عليكم اغتراركم بالجاه والمال - فهل يصح أن نلزمكم بالحجة والإيمان بها مضطربين كارهين؟ .

29- وبأ قوم ، لا أطلب منكم على تبليغ رسالة ربي مالا ، وإنما أطلب جزائى من الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا بربهم عن مجلسى ومعاشرتى ، لمجرد احتقاركم لهم . لأنهم سيلاقون ربهم يوم القيامة ، فيشكوننى إليه إن طردتهم لفقرهم ، ولكنى أراكم قوماً تجهلون ما يصح أن يتفاضل به الخلق عند الله . أهو الغنى والجاه ، كما تزعمون؟ أم اتباع الحق وعمل الخير؟ .

30- وبأ قوم ، لا أحد يستطيع منع عقاب الله عنى إن طردتهم ، وهم المؤمنون به ، أهل بعد هذا تصرون على جهلكم ، فلا تتذكرون أن لهم رباً ينتقم لهم؟ .

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا مِنَ اللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَلَكَ كَثْرَتٌ حِدَالَتًا فَإِنَّا بِمَا تَعَدَّاتَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شِئَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (34) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرَمُونَ (35) وَأَوْجِبَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ قَلِيلًا يُبَيِّنُ سَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)

- 31- ولا أقول لكم ، لأنى رسول ، إن عندى خزائن رزق الله أتصرف فيها كما أشاء ، فأجعل من يتبعنى غنياً! ولا أقول : إنى أعلم الغيب ، فأخبركم بما اختص به علم الله ، بحيث لا يعلمه أحد من العباد! ، ولا أقول : إنى ملك حتى تردوا على بقولكم : ما ذاك إلا بشر ، ولا أقول عن الذين تحتقرونهم إن الله لن يؤتيهم خيراً إرضاء لرغباتكم ، لأن الله - وحده - هو الذى يعلم ما فى أنفسهم من إخلاص . إنى إذا قلت لهم ما تحبونه ، أكون من زمرة الظالمين لأنفسهم ولغيرهم . د
- 32- قالوا : يا نوح قد جادلتنا لنؤمن بك فأكثرت جدالنا ، حتى مَلَلْنَا ، ولم نعد نتحمل منك كلاماً ، فأتنا بهذا العذاب الذى تهددنا به ، إن كنت صادقاً فى أن الله يعذبنا إذا لم نؤمن بك .
- 33- قال نوح : هذا أمر بيد الله - وحده - فهو الذى يأتىكم بما يشاء حسب حكمته ، ولستم بمفليتين من عذابه إذا جاء ، لأنه سبحانه لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء .
- 34- ولا ينفعكم نصحى لمجرد إرادتى الخير لكم ، إن كان الله يريد أن تضلوا لعلمه وتقديره فساد قلوبكم حتى صارت لا تقبل حقاً ، وهو سبحانه ربكم ، وسيرجعكم إليه يوم القيامة ، وبجازيكم على ما كنتم تعملونه .
- 35- إن هذا القصصَ الصادق ، ماذا يكون موقف المشركين منه؟ يقولون افتراه؟ وإن قالوا ذلك ، فقل - أيها الرسول - إن كنت افتريته على الله كما تزعمون ، فهو جرم عظيم ، علىّ وحدى إثمه ، وإذا كنت صادقاً ، فأنتم المجرمون وأنا برئ من آثار جرمكم .
- 36- وأوحى الله إلى نوح : أنه لن يصدّقك ويزعن للحق من قومك أحد بعد الآن - غير من سبق منه الإيمان قبل ذلك - فلا تحزن يا نوح بسبب ما كانوا يفعلونه معك من تكذيبك وإيذائك! لأننا سننتقم منهم قريباً .

(1/360)

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ (37)  
 وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا  
 نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ  
 عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (39) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ  
 رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلِكِ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ )  
 (40) وَقَالَ أَرَبِئْتُ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ (41)

- 37- وقلنا له : اصنع الفلك لننجيك عليها بعنايتنا ، وتحت رعايتنا ، ولا تخاطبني فى شأن هؤلاء الظالمين لأننى استجبت دعائك ، وأمرت بإهلاكهم غرقاً .
- 38- وشرع نوح فى عمل الفلك ، وكلما مرّ عليه قادة الكفر من قومه استهزأوا به ، لجهلهم ولعدم معرفة الغرض الذى يقصده ، قال نوح : إن تسخروا منا لجهلكم بصدق وعد الله ، فإننا أيضاً سنسخر منكم كما تسخرون منا .
- 39- فسوف تعلمون من منا الذى سيأتيه عذاب يُذله فى الدنيا ، ويحل عليه فى الآخرة عذاب دائم خالد .
- 40- حتى إذا جاء وقت أمرنا بإهلاكهم ، جاء الماء بقوة فائراً ذا رغوة ، كالماء

الذى يغلى فوق النار ، قلنا لنوح : احمِل معك فى السفينة من كل نوع من أنواع الحيوانات ذكراً وأنثى ، واحمِل فيها أيضاً أهل بيتك جميعاً ، إلا من سبق عليه حكمنا بإهلاكه ، واحمِل فيها أيضاً من آمن من قومك ، ولم يكونوا إلا عدداً قليلاً .

41- وقال نوح للذين آمنوا من قومه - بعد أن أعدّ الفلك - : اركبوا فيها متيمين بذكر اسم الله تعالى ، وقت إجرائها ، وفى وقت رسوها ، وعند النزول فيها والخروج منها ، وارجو مغفرة الله على ما فرط منكم ، ورحمته بكم ، فإن المغفرة والرحمة من شأنه سبحانه وتعالى .

(1/361)

وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَتَادِي نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ حَيْلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ أَفْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44) وَتَادِي نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (46)

42- ونزلوا فى السفينة ، فصارت تجرى بهم سائرة فى موج يعلو ويرتفع ، حتى يصير كالجبال فى علوها ، وفى ابتداء سيرها تذكر نوح ابنه بعاطفة الأبوة ، وقد كان فى معزل عن دعوة أبيه فناداه : اركب معنا يا بُنى ولا تكن مع الجاحدين بدين الله تعالى .

43- لم يطع الولد أباه الشفيق ، وقال : سأأخذ مأوى لى مكاناً يمنعنى من الماء ، فقال الأب العالم بقضاء الله فى شأن العصاة : يا بُنى لا يوجد ما يمنع من حكم الله تعالى بالإغراق للظالمين ، وغاب الولد عن أبيه الناصح بالموج المرتفع؛ فكان مع المغرقين الهالكين الجاحدين .

44- وبعد أن هلك الجاحدون بالإغراق ، جاء أمر الله التكويني ، فقبل بحكم التكوين : ابُلعى ماءك أيتها الأرض ، وامتنعى عن إنزال الماء أيتها السماء ، فذهب الماء من الأرض ، ولم تمد بشئ من السماء ، وانتهى حكم الله بالإهلاك واستوت الفلك ، ووقفت عند الجبل المسمى بالجودى ، وقضى الله بإبعاد الظالمين عن رحمته ، فقبل : هلاكاً للقوم الظالمين بسبب ظلمهم .

45- ثارت الشفقة فى قلب نوح على ابنه ، فنادى رَبَّهُ ضارعاً مشفقاً فقال : يا خالقي ومنشئى ، إن ابني قطعة منى ، وهو من أهلى . وقد وعدت أن تنجى أهلى ، وإن وعدك حق ثابت واقع ، وأنت أعدل الحاكمين ، لأنك أعلمهم ، ولأنك أكثر حكمة من كل ذوى الحكم .

46- قال الله سبحانه : إن ابنك ليس من أهلك ، إذ أنه بكفره وسيره مع الكافرين قد انقطعت الولاية بينك وبينه ، وقد عمل أعمالاً غير صالحة ، فلم يصر منك ، فلا تطلب ما لا تعلم : أهو صواب أم خطأ؟ ولا تسيّر وراء شفقتك وإنى أرشدك إلى الحق لكيلا تكون من الجاهلين الذين تنسيهم الشفقة الحقائق الثابتة .



قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنُ مِنَ الْخَاسِرِينَ (47) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّةٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمُ سُنَّمْتَهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (48) نِلِكَ مِنْ أُنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (50) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (51)

47- قال نوح : يا خالقي ومتولى أمرى ألقا إليك فلا أسألك من بعد ما لا أعلم الحق فيه ، واغفر لى ما قلته بدافع شفقتى ، وإن لم تتفضل على بمغفرتك ، وترحمنى برحمتك ، كنت فى عداد الخاسرين .

48- قيل بلسان الوحي : يا نوح ، انزل على الأرض من سفينة النجاة سالماً آمناً ، بسلام من الله تعالى وأمن منه ، وبركات من الله عليك وعلى الذين معك ، الذين سيكونون أمماً مختلفة من بعدك ، وسينال بركة الإيمان والإذعان بعضهم ، وبعضهم سيكونون أمماً يستمتعون بالدنيا وينالون متعها غير مدعنين للحق ، ثم يصيبهم يوم القيامة عذاب مؤلم شديد .

49- تلك القصة التى قصصناها عليك - أيها النبى - عن نوح وقومه ، من أخبار الغيب التى لا يعلمها إلا الله ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك على هذا الوجه من الدقة والتفصيل من قبل هذا الوحي ، فاصبر على إيذاء قومك كما صبر الأنبياء قبلك ، فإن عاقبتك الفوز مثل عاقبتهم ، والعاقبة الطيبة دائماً للذين يتقون عذاب الله بالإيمان وعمل الصالحات .

50- ولقد أرسلنا إلى قوم عادِ الأولى أخواً لهم من قبيلتهم هو ( هود ) فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله - وحده - إذ ليس لكم من يستحق العبادة غيره - وما أنتم إلا كاذبون فى ادّعاءكم أن لله شركاء فى استحقاقهم للعبادة ليكونوا شفعاء لكم عند الله .

51- يا قوم ، لا أطلب منكم على النصح مكافأة من جاه أو سلطان أو مال ، وإنما أجرى على الله الذى خلقنى ، ولا يصح أن تستولى عليكم الغفلة فلا تعقلون ما ينفعكم وما يضركم .

وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52) قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)

- 52- وبا قوم ، اطلبوا من خالقكم أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه . إنكم إن فعلتم ذلك يُرْسِلِ المطر عليكم متتابعاً ، فتكثر خيراتكم ، ويزدكم قوة إلى قوتكم التي تغترون بها ، ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه ، مصممين على الإجرام الذي يردكم في الهلاك .
- 53- قالوا : يا هود ما جئنا بحُجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه ، وما نحن بتاركى عبادة آلهتنا لمجرد قولك ، أنتركها وما نحن لك بمصدقين .
- 54- ما نقول فى موقفك منا : إلا أن بعض آلهتنا مَسَّنَكَ بِشَرٍ ، فصرت تهذى بهذا الكلام ، قال مُصِراً على إيمانه متحدياً : أقول ، وأشهد الله على ما أقول ، وأشهدكم عليه : إنى برئ من داء الشرك الذى أنتم فيه ، فأنتم المرضى .
- 55- ولا أبالى بكم ولا بالهتك التى تدعون أنها مسنتى بسوء ، فتعاونوا أنتم وآلهتكم على الكيد لى ، ثم لا تؤخرون عقابى لحظة ، إن استطعتم .
- 56- إننى اعتمدت على الله ، وهو مالك أمرى وأمركم ، لا يعجزه شئ عن رد كيدكم ، وهو القادر على كل شئ . فما من دابة إلا وهو مالك أمرها ومتصرف فيها ، فلا يعجزه حفظى من أذاكم ، ولا إهلاككم ، إن أفعال ربه تجرى على طريق الحق والعدل فى ملكه ، فينصر المؤمنين المصلحين ، ويخذل الكافرين المفسدين .

(1/364)

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبَلَّغْتُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ سَبِيًّا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (57) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (58) وَتِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَصُوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (59) وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ (60)

- 57- فإن تعرضوا عن دعوتى لم يضرنى إعراضكم ، والعاقبة السيئة عليكم ، فقد أبلغتكم ما أرسلنى الله به إليكم ، وليس علىّ إلا البلاغ ، والله يهلككم ويجئ بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم ، وأنتم لا تضرونه بإعراضكم عن عبادته ، إن ربه مهيمن على كل شئ ، مطلع عليه ، فما تخفى عليه أعمالكم ، ولا يغفل عن مؤاخذتكم .
- 58- ولما جاء أمرنا بإهلاك عاد نجينا هوداً ، والذين آمنوا معه ، من عذاب الريح العاتية التى أهلكتهم ، ونجيناهم من عذاب شديد كبير فى الدنيا والآخرة ، وذلك بسبب رحمتنا لهم بتوفيقهم للإيمان .
- 59- تلك عاد أنكروا الحجج الواضحة ، وعصوا رسل الله جميعاً ، بعصيانهم رسوله إليهم ، وطاعتهم لأمر كل طاغية شديد العناد من رؤسائهم وكبرائهم .
- 60- فاستحقوا من الله والملائكة والناس أجمعين لعنة تلحقهم فى الدنيا ، ولعنة تتبعهم يوم القيامة ، ألا فلينته كل من علم خبر عاد . أن عاداً جحدوا نعمة خالقهم عليهم ، ولم يشكروها بالإيمان به وحده ، فأصبحوا جديرين بطردهم من رحمة الله ، وإنزال الهلاك الشديد بهم ، ألا فهلاكاً لهم لتكذيبهم هوداً .

(1/365)

وَالْبِ تَمُودَ أَجَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ  
 أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ  
 مُجِيبٌ (61) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ  
 آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (62) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ  
 عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُنصِرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا  
 تَزِيدُونِي غَيْرَ تَحْسِيرٍ (63) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي  
 أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64)

61- وقد أرسلنا إلى ثمود واحداً منهم ، تربطه بهم صلة النسب والمودة ، وهو  
 صالح ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله - وحده - ليس لكم من يستحق العبادة  
 غيره ، هو خلقكم من الأرض ومكنكم من عمارتها ، واستثمار ما فيها والانتفاع  
 بخيرها . . فادعوه أن يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه بالندم  
 على معصيته والإقبال على طاعته كلما وقعتم فى ذنب . إن ربى قريب  
 الرحمة مجيب الدعاء لمن يستغفره ويدعوه .

62- قالوا : يا صالح قد كنت بيننا موضع الرجاء والمحبة والتقدير من نفوسنا ،  
 قبل هذا الذى تدعوننا إليه ، أتطلب منا أن نترك عبادة ما كان يعبد آبائنا وما  
 ألفناه وألفوه؟ إننا لفى شك من دعوتك إلى عبادة الله - وحده فهذا مثير للريب  
 ، وسوء الظن فيك ، وفيما تدعو إليه .

63- قال : يا قوم : خبرونى إن كنت على بصيرة نيرة وبينة مما أدعوكم إليه  
 مؤيداً بحجة من ربى ، وأعطانى ربى رحمة لى ولكم ، وهى النبوة والرسالة ،  
 فكيف أخالف أمره وأعصيه بعدم تبليغ رسالته ، استجابة لكم؟ ومن ينصرنى  
 ويعيننى على دفع عذابه إن عصيته؟ إنكم لا تستطيعون نصرتى ودفع عذابه  
 عنى ، فما تزيدوننى غير الضياع والوقوع فى الخسران إن أطعتم وعصيت  
 ربى وربكم .

64- وبأ قوم ، هذه ناقة الله جعلها لكم علامة تشهد على صدقى فيما أبلغه  
 لكم ، لأنها على غير ما تألفون من أمثالها ، فتركوها تأكل فى أرض الله لأنها  
 ناقته ، والأرض أرضه ، ولا تنالوها بسوء يؤذيها ، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم  
 من الله عذاب قريب .

(1/366)

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ (65) فَلَمَّا  
 جَاءَ أَمْرًا تَجِيئًا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ  
 الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (66) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67)  
 كَانُوا لَمْ يَعْتَبُوا فِيهَا إِلَّا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِيَمُودَ (68) وَلَقَدْ جَاءَتْ  
 رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69)

65- فلم يسمعوا نصحه ، ولم يستجيبوا له ، وبلغ بهم الكبرياء والاستهانة  
 بتهديده أن قتلوا الناقة ، فقال لهم : تمتعوا بحياتكم فى داركم ثلاثة أيام ، ثم  
 يأتيكم بعدها عذاب الله ، ذلك وعده الحق الذى لا يتخلف ، ولا يقع عليه تكذيب

- 66- فلما جاء عذابنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه من الهلاك برحمة خاصة منا ، ونجيناهم من مهانة وفضيحة يوم هلاك ثمود . إن ربك - أيها النبي - هو القوى الغالب ، فاطمئن إلى قوته وعزته وعونه ونصره .
- 67- وأخذت الصيحة ثمود بعنفها ورجفتها وصاعتها ، لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعدوان ، فأصبحوا فى ديارهم هامدين ، راقدين على وجوههم ، ميتين لا حراك بهم .
- 68- وانتهى أمرهم ، وزالت آثارهم من ديارهم ، كأنهم لم يقيموا فيها ، ونطق حالهم بما يجب أن يتنبه له ويعتبر به كل عاقل ، ويعلم أن ثمودَ جحدوا بآيات من خلقهم ، وبسبب ذلك كان الهلاك والبُعد عن رحمة الله .
- 69- ولقد أرسلنا الملائكة إلى إبراهيم ببشارته هو وزوجته بمولود . قالوا يحيونهُ : سلاماً قال يرد تحيتهم : سلام . وأسرع فلم يمكث أن حضر إليهم بعجل مشوى سمين ليأكلوا منه .

(1/367)

فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ تَكَرَّهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ (70) وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَصَحَّكَتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا يَتَعَلَّى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَخَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76)

70- فلما رأى أيديهم لا تبلغه ولا تمتد إليه ، كما هو معروف عن الضيوف أنكر أنهم ضيوف ، وأحس أنهم ملائكة ، وأضمر الخوف أن يكون مجيئهم لأمر أنكره الله عليه ، أو لتعذيب قومه . قالوا - وقد عرفوا أثر الخوف فى نفسه - : لا تخف إنا أرسلنا لهلاك قوم لوط .

71- وكانت امرأته قائمة تسمع كلامهم فى مكان قريب منهم ، فضحكت لسرورها لنجاة لوط ابن أخى زوجها ، فبشرناها على السبب الملائكة بأنها ستلد من إبراهيم زوجها ولداً يسمى إسحاق ، وسيعيش ولدها ، وسيكون لها منه بعد إسحاق يعقوب .

72- صاحت متعجبة وقالت : يا عجبا! أألد وأنا عجوز ، وهذا زوجى ترونه شيخاً كبيراً ولا يولد لمثله؟ إن هذا الذى أسمعته والله شئ عجيب ، إذ كيف يولد لهرمين مثلى ومثل زوجي؟ .

73- قالت الملائكة لها : أتعجبن من أن يولد لكما على كبركما ، وهو من أمر الله الذى لا يعجزه شئ؟ تلك رحمة الله ونعمه الكثيرة عليكم - أهل بيت النبوة - فليس بعجيب أن يهب لكم ما لا يهب لغيركم ، إنه فاعل ما يستوجب الحمد ، عظيم كثير الإحسان والكرم والعطاء .

74- فلما ذهب عن إبراهيم الخوف ، وسمع البشارة السارة بالولد ، أخذه الإشفاق ، وأخذ يجادل رسلنا فى هلاك قوم لوط .

75- إن إبراهيم لكثير الحلم ، لا يحب تعجيل العقاب ، كثير التأوه والتوجع من

السوء الذى يصيب غيره ، تائب راجع إلى الله بما يحبه وبرضاه ، فرفته ورحمته ورأفته حملته على المجادلة رجاء أن يرفع الله عذابه عن قوم لوط وأن يتوبوا وينبوا إليه .

76- قالت الملائكة : يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدل والتماس الرحمة لهؤلاء القوم ، إنه قد جاء أمر ربك بهلاكهم ، وأنهم لا بد أتتهم عذاب نافذ غير مردود بجدل أو غير جدل .

(1/368)

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهَرَّغُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُيِّلْنَا لَكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (81)

77- ولما جاءت الملائكة - رُسلنا - إلى لوط فى صورة شبان حسّان ، تألم واستاء ، وأحس بضعفه عن حمايتهم ، وضيقة بهم ، لخوفه عليهم من فساد قومه ، وقال : هذا يوم شديد المكاره والآلام .

78- وعلم قومه بهم ، فجاءوا مسرعين إليه ، ومن قبل ذلك كانوا يرتكبون الفواحش ، ويفترفون السيئات ، قال لهم لوط : يا قوم هؤلاء بناتى ، تزوجوا بهن ، فذلك أظهر لكم من ارتكاب الفواحش مع الذكور ، فخافوا الله ووصنوا أنفسكم من عقابه ، ولا تفضحونى وتهينونى بالاعتداء على ضيفى ، أليس فيكم رجل شديد الرأى ، رشيد العقل ، يردكم عن الغيِّ ويكفكم عن السوء؟ .

79- قالوا : لقد علمت يا لوط إنه ليس لنا فى بناتك أى حق فى نكاحهن أو رغبة فيهن ، وإنك دون شك تعلم ما نريد من مجيئنا وإسراعنا إليك .

80- قال لوط : لو أن لى قوة أو ركناً قوياً اعتمدت عليه ، لكان موقفى منكم غير هذا ، ولدفعتكم عن ضيفى ومنعتكم من السيئات .

81- قالت الملائكة ، وقد ظهرت على حقيقتها : يا لوط ، لا تخف ولا تحزن إنا رسل ربك ، لا نبشر كما بدأ لك ولقومك ، ولن يصل هؤلاء إليك بشراً يسوءك أو ضر يصيبك ، فسر أنت وأهلك فى بعض أوقات الليل ، إذا دخل جزء كبير منه ، وأخرج بهم من هذه القرية ، ولا يلتفت أحد منكم خلفه ، لكيلا يرى هول العذاب فيصاب بشراً منه ، لكن امرأتك التى خانتك فلا تكن من الخارجين معك ، إنه لا بد مصيبتها ما قُدر أن يصيب هؤلاء . . إن موعد هلاكهم الصبح ، وهو موعد قريب ، فلا تخف .

(1/369)

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ (83) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ

شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْفُسُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ  
إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (84) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا  
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقَيْسِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ  
مُفْسِدِينَ (85) بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86)

- 82- فلما جاء وقت العذاب الذي قدرناه وقضينا به ، جعلنا على القرية التي كان يعيش فيها قوم لوط سافلها ، فقلبناها ، وأمطرنا عليهم فى أثناء ذلك حجارة من طين حمى بالنار حتى تحجّر .
- 83- كانت تقع عليهم متتابعة منتظمة معلنة العذاب من عند ربك - أيها النبى - وليست بعيدة عن الظالمين من قومك .
- 84- ولقد أرسلنا إلى قوم مدين أخاهم فى النسب والمودة والترحام شعيبا ، قال لهم : يا قوم اعبدوا الله - وحده - ليس لكم من يستحق العبادة غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان حين تبيعون لغيركم ما يكال ويوزن ، إني أراكم يرجى منكم الخير ، بالشكر والطاعة لله ، وإعطاء الناس حقوقهم كاملة ، وإنى أخاف عليكم إذا لم تشكروا خيره وتطيعوا أمره ، أن يحل بكم عذاب يوم لا تستطيعون أن تفلتوا من أهواله ، لأنها تحيط بالمعذبين فيها فلا يجدون سبيلا إلى الخلاص منها .
- 85- وبأ قوم أدوا المكيل والموزون مما تبيعونه وافيأ على وجه العدل والتنسوية ، ولا تنقصوا الناس حقهم فى أشياءهم ، ولا تجوروا وتفسدوا فى الأرض بسرقة أموالهم ، أو الإغارة عليهم ، أو قطع الطريق على العابرين منهم ، تتخذون الفساد وسيلة للكسب الحرام .
- 86- ما يبقى لكم من المال الحلال الذى تفضل به الله عليكم ، خير لكم من المال الذى تجمعونه من حرام ، إن كنتم تؤمنون بالله وتجتنبون ما حرمه عليكم فحاسبوا أنفسكم ، وراقبوا ربكم ، لست عليكم رقيباً أحصى أعمالكم وأحاسبكم عليها .

(1/370)

قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (87) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَحَالِقَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمِ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (89) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (90)

- 87- قالوا ساخرين مستهزئين : يا شعيب ، أصلاتك هى التى تأمرك أن تحملنا على ترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام ، وعلى أن نمتنع عن التصرف فى أموالنا كما نريد مما نرى فيه مصلحتنا؟ إن ذلك غاية السّفه والطيش . ولا يتفق مع ما نعرفه عنك من العقل وسداد الرأى ، فأنت المعروف بكثرة الحلم والرشد .

88- قال : يا قوم : أخبرونى إن كنت على حجة واضحة وبقين من ربى ،

ورزقنى رزقاً حسناً تفضلاً منه ، أضح لى أن أكنم ما أمرنى بتبليغه لكم ، من ترك عبادة الأصنام ، وطلب إيفاء الكيل والميزان ، وترك الفساد فى الأرض ؟ وأنا لا أريد أن أتجه إلى فعل ما أنهاكم عنه من ذلك ، ما أريد بموعظتى ونصيحتى وأمرى ونهى إلا الإصلاح قدر طاقتى وجهدى واستطاعتى ، وما كنت موقفاً لإصابة الحق إلا بمعونة الله وتأييده وتسديده ، عليه - وحده - أعتد ، وإليه - وحده - أرجع .

89- وبا قوم لا يحملنكم الخلاف بينى وبينكم على العناد والإصرار على الكفر ، فيصيبكم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ، وما عهد قوم لوط ومكانهم وهلاكهم ببعيد عنكم ، فاعتبروا بهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم .

90- واطلبوا من الله أن يغفر لكم ذنوبكم ، ثم ارجعوا إليه نادمين مستغفرين كلما وقع الذنب منكم ، إن ربه كثير الرحمة محب ودود ، يغفر للتائبين ويحب الأوابين .

(1/371)

قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا تَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَتَرَاكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ (91) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (92) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ بِرَقِيبٍ (93) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (94)

91- قالوا : يا شعيب ما نعقل كثيراً مما تقول لنا ، ونؤكد لك أننا نراك بيننا ضعيفاً لا قدرة لك على الدفاع ، وعلى الإقناع ، إن أردنا بك ما تكره ، ولولا مجاملتنا لعشيرتك ، لأنها على ديننا ، لقتلناك رجماً بالحجارة ، وما أنت علينا بعزير حتى نجلك ونحترمك ونكرمك ونصونك عن القتل بالرجم ، وإنما هى المجاملة لعشيرتك تمنعنا عن قتلك .

92- قال : يا قوم ، أعشيرتى أحق بالمجاملة من الله ، فذكرتموها ونسيتها ، وجاملتمونى واتخذتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر؟ إن ربه محيط علمه بكل ما تعملون ، فلا يخفى عليه شئ من أعمالكم ، وسيحاسبكم عليها إن نسيتها .

93- وبا قوم اعملوا على ما أنتم قادرون عليه ، وما تستطيعون عمله ، إن لم تسمعوا نصحى إنى مثابر على العمل بما يخالف عملكم ، وسوف تعلمون من منا الذى يأتيه عذاب يفضحه وبذله ، ومن منا الذى هو كاذب : أنا الذى أنذركم بالعذاب ، أم أنتم الذين أنذرتمونى بالإخراج من القرية؟ وانتظروا ما سيحصل ، إنى معكم منتظر .

94- ولما وقع أمرنا بعذابهم وهلاكهم ، نجينا شعيباً والذين آمنوا معه من العذاب والهلاك ، وكانت نجاتهم بسبب رحمة منا لهم ، وأخذت الظالمين من أهل مدين الصيحة ، والرجفة المهلكة ، فأصبحوا فى ديارهم هامدين ، راقدين على وجوههم : لا حراك بهم .

(1/372)

كَانَ لَمْ يَعْتُوا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ تَمُودُ (95) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى  
بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (96) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ  
فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (97) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُنْسِ الْوَرْدُ  
الْمَمُورُ (98) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُنْسِ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ (99)  
ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى تَفْصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (100)

- 95- وانتهى أمرهم وزالت آثارهم ، كأنهم لم يقيموا فى ديارهم ، ونطق حالهم بما يجب أن ينتبه له ويعتبر به كل عاقل ، ألا هلاكاً لمدين ، وبعداً من رحمة الله كما بعدت تمود من قبلهم .
- 96- ولقد أرسلنا موسى مؤبداً بمعجزاتنا الدالة على صدقه ، وبالبرهان المبين ذى السلطان القاهر على النفوس .
- 97- أرسلناه إلى فرعون وكبار رجاله ، فكفر به فرعون وأمر قومه أن يتبعوه فى الكفر ، فاتبعوا أمر فرعون ، وخالفوا أمر موسى ، وما أمر فرعون بسديد حسن النتائج حتى يستحق أن يتبع .
- 98- يتقدم قومه يوم القيامة ويقودهم كما قادهم فى الدنيا ، فيوردهم النار حتماً ، يضلونها ويتجرعون عُصص عذابها ، وقبح هذا المورد الذى يشربون منه ماء حميماً؛ ليطفىئ ظمأهم ، فيقطع أمعاءهم .
- 99- وهم فى هذه الدنيا قد تبعتهم لعنة من الله والملائكة والناس ، ويوم القيامة تتبعهم كذلك اللعنة ، لأنها عطاؤهم ، وإنه لعطاء قبيح يثير الشعور بالذنب ، ويقال فيه : ينس هذا العطاء المعطى لهؤلاء .
- 100- ذلك القصاص - أيها النبى - هو بعض أخبار القرى التى أهلكتها ، نقصها عليك لتعظ بها قومك ، وتطمئن إلى نصر الله لك ، بعض هذه القرى كالزرع القائم على ساقه ، ليشهدوا بما حصل ، وبعضها عافى الأثر ، كالزرع الذى حصد .

(1/373)

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ  
دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبَابٍ (101) وَكَذَلِكَ أَخَذَ  
رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (103)  
وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (104) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ  
سَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (105) فَأَمَّا الَّذِينَ سَقُوا فَعَبِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَسَهيقٌ (106)  
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ  
(107)

- 101- وما ظلمناهم بإهلاكهم ، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر وعبادة غير الله والفساد فى الأرض ، فما استطاعت أن ترد عنهم الهلاك الالهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله ، ولا نفعتهم بشئ لما جاء أمر ربك - أيها النبى - وما زادهم إصرارهم على عبادة الأوثان إلا الهلاك والضياع .
- 102- ومثل هذا الأخذ الشديد ، الذى أخذ به ربك - أيها النبى - قوم نوح وعاد



وتمود وغيرهم ، أخذهُ الشديد إذا شاء أن يأخذ القرى وأهلها ظالمون بالكفر والفساد ، إنَّ أخذه قوى مؤلم شديد على الظالمين .

103- إن في ذلك القَصَص لموعظة يعتبر بها من أيقن بالبعث وخاف عذاب يوم الآخرة ، ذلك يوم مجموع للحساب فيه الناس ، وذلك يوم مشهود يراه الملائكة والناس .

104- وما نُؤخَّره إلا لمدة قليلة حددناها ، ومهما طالَت في نظر الناس فهي قليلة عند الله .

105- يوم يأتي هَوُّهُ لا يستطيع إنسان أن يتكلم إلا بإذن الله ، فمن الناس شقى بما يعانى من ألوان الشدة ، وهو الكافر ، ومنهم سعيد بما ينتظره من نعيم الآخرة ، وهو المؤمن .

106- فأما الذين شقوا ففي النار مآلهم ، لهم فيها تنفس مصحوب بآلام مزعجة ، عند خروج الهواء من صدورهم ، وعند دخوله فيها .

107- خالدين في النار ما دامت السموات والأرض ، لا يخرجون منها إلا في الوقت الذى يشاء الله إخراجهم فيه ، ليعذبهم بنوع آخر من العذاب ، وإن ربك أيها - النبي - فعَّال لما يريد فعله ، لا يمنعه أحد عنه .

(1/374)

وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَعِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا بَنَاءَ رَبِّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ (108) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُوهُمْ تَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (109) وَلَقَدْ أَنبَأْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (110) وَإِنَّ كَلَامًا لَيُوقِفِيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (111)

108- وأما الذين رزقهم الله السعادة فيدخلون الجنة خالدين فيها من أول لحظة ، بعد انتهاء موقف الحساب إلى ما لا نهاية ، إلا الفريق الذى يشاء الله تأخيره عن دخول الجنة مع السابقين ، وهم عصاة المؤمنين ، الذين يتأخرون فى النار بمقدار توقيع الجزاء عليهم ، ثم يخرجون منها إلى الجنة ، ويعطى ربك هؤلاء السعداء فى الجنة عطاء عظيماً مستديماً ، غير منقوص ولا مقطوع .

109- وإذا كان أمر الأمم المشتركة الظالمة فى الدنيا ثم فى الآخرة ، هو ما قصصنا عليك - أيها النبي - فلا يكن عندك أدنى شك فى مصير عبَّاد الأوثان من قومك ، إن استمروا على ضلالهم ، لأنهم كالسابقين من آبائهم ، الذين قصصنا عليك قصصهم من قبل ، كلهم مشركون ، وإننا لموقفون هؤلاء الكفرة استحقاقهم من العذاب كاملاً على قدر جرائمهم ، لا يُنقصون منه شيئاً .

110- ونؤكد لك - أيها النبي - أننا أعطينا موسى التوراة ، فاختلف قومه من بعده فى تفسيرها ومعناها ، حسب أهوائهم وشهواتهم ، كل يريد إخضاعها لشهواته ، فتفرقوا شيعاً ، وابتعد الكثير منهم عن الحق الذى جاءتهم به ، ولولا وعِد من الله سابق بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة ، لحل بهم فى دنياهم قضاء الله وحكمه بإهلاك المبطلين ونجاة المحققين ، كما حل بغيرهم من الأمم التى جاءتهم بها ، بعد اختلاف أسلافهم فى فهمها وتحريفهم لها ، مما جعل إدراك الحقائق منها أمراً عسيراً . وإن هؤلاء الذين ورثوا التوراة لفى حيرة وبعِد عن

الحقيقة .

111- إن كل فريق من هؤلاء سيوفيهم ربك حتما جزاء أعمالهم ، إنه سبحانه خبير بهم ، محيط بدقائق ما يعملون من خير أو شر ، ويجازى كلًّا منهم حسب عمله .

(1/375)

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112) وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (113) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (114) وَإِضْرِبْ قَانَ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (115) قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116)

112- وإذا كان هذا هو حال الأمم التي جاءها كتاب من الله فاختلفت فيه وخرجت عليه ، فداوم أنت ومن معك من المؤمنين على التزام الطريق المستقيم كما أمرك الله ، ولا تجاوزوا حدود الاعتدال بتقصير أو إهمال ومغالة في تكليف أنفسكم ما لا تطيقون . إنه سبحانه محيط علمه بكل ما تعملون فيجازيكم عليه .

113- ولا تميلوا أدنى ميل إلى أعداء الله وأعدائكم الذين ظلموا أنفسهم وتجاوزوا حدود الله ، ولا تُعْوَلُوا عليهم أو تستحسنوا طريقهم ، فتستحقوا بسبب هذا الميل عذاب النار ، ولا تجدوا أحداً يدفعه عنكم ، ثم تكون عاقبتكم أنكم لا تُنصرون على أعدائكم بخذلان الله لكم ، ولركونكم إلى عدوه .

114- وأدِّ الصلوة - أيها النبي - على أتم وجه في طرفي النهار ، وفي أوقات متفرقة من الليل ، فإنها تطهر النفوس فتتغلب على نزعة الشر ، وتمحو آثار السيئات التي قلما يخلو منها البشر ، ذلك الذي أمرت به - أيها النبي - من الإرشاد للخير عظة ينتفع بها المستعدون لقبولها ، الذين يذكرون ربهم ولا ينسونه .

115- واصبر - أيها النبي - على مشاق ما أمرناك به ، وأحسن تنفيذه ، يعطك الله أجراً عظيماً ، لأنه لا يضيع عنده أجر المحسنين لأعمالهم .

116- كان يجب أن يكون من تلك الأمم السابقة - التي أهلكتها بسبب ظلمها - جماعة منهم لهم كلمة مسموعة ، وفضل من دين وعقل ، ينهون غيرهم عن الفساد في الأرض ، فيحفظوهم من العذاب الذي حل بهم ، ولم يكن هذا ، لكن الذي حدث أنه كان فيهم قليل من المؤمنين لم يُسمع لهم رأى ولا توجيه ، فأنجاهم الله مع رسلهم ، في الوقت الذي أصرَّ فيه الظالمون المعاندون على ما تعوَّدوه من قبل من حياة الترف والفساد ، فحال ذلك بينهم وبين الانتفاع بدعوة الحق والخير ، وكانوا في إيثارهم لهذا الطريق غارقين في الذنوب والسيئات ، فأهلكهم الله تنفيذاً لسنَّته في خلقه .

(1/376)

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ (117) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ  
النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ  
وَوَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119) وَكَلَّا نَقْصُ  
عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ  
وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (120) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ  
(121) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122)

117- وما كان من سنة الله ، ولا من عدله فى خلقه ، أن يظلم أمة من الأمم  
فيهلكها وهى متمسكة بالحق ، ملتزمة للفضائل ، عاملة على ما يصلح أمرها  
وأمر غيرها .

118- ولو شاء ربك - أيها النبي - لجعل الناس على دين واحد ، مطيعين الله  
بطبيعة خلقتهم ، كالملائكة ، ولكان العالم غير هذا العالم ، ولكنه سبحانه لم  
يشأ ذلك ، بل تركهم مختارين ، فلا يزالون مختلفين فى كل شئ ، حتى فى  
أصول العقائد ، كالإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر ، مما لا يجوز  
الخلافاً فيه ، تبعاً لميولهم وشهواتهم وتفكيرهم ، يتعصب كل فريق لرأيه ، وما  
وجد عليه آباءه .

119- لكن الذين رحمهم الله لسلامة فطرهم ، فإنهم اتفقوا على حكم الله  
فيهم ، فأمروا بجميع رسله وكتبه واليوم الآخر . ولهذه المشيئة التى اقتضتها  
حكيمته تعالى فى نظام هذا العالم ، خلقهم الله سبحانه مستعدين لهذا الثواب  
والعقاب ، وبهذا يتحقق وعد ربك بأنه لا بد من أن يملأ جهنم من أتباع إبليس  
من الجن والناس .

120- ونقص عليك - أيها النبي - من كل نوع من أخبار الرسل السابقة مع  
أممهم ما نُقِوْى به قلبك على القيام بمشاق الرسالة ، وقد جاءك فى هذه  
الأنباء بيان الحق الذى تدعو إليه ، مثلما دعا إليه السابقون من الرسل ، من  
توحيد الله والبُعد عما يغضبه ، كما جاءك فيها ما فيه عظة وعبرة ينتفع بها  
المؤمنون ، فيزدادون إيماناً ، والمستعدون للإيمان فيسارعون إليه .

121- وقل - أيها النبي - للذين يصرون على العناد والكفر : ابدلوا أقصى ما  
فى قدرتكم من محاربة الإسلام وإيذاء المؤمنين به ، فإننا ماضون فى طريقنا  
ثابتون على عملنا .

122- وانتظروا ما تترقبونه لنا ، إننا كذلك منتظرون وعد الله لنا بنجاح الدعوة  
والانتصار على أعدائها .

(1/377)

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ  
بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)

123- ولله - وحده - علم كل غيب فى السموات والأرض ، فيعلم ما سيحل  
بكم ، وما يكون لنا ، وإليه وحده يرجع تصريف كل أمر من الأمور ، وإذا كان  
الأمر كذلك ، فاعبد - ربك - وحده - وتوكل عليه ، ولا تخش أحداً سواه ، وما ربك  
بغافل عما تعملون جميعاً - أيها المؤمنون والكافرون - وسيجازى كلا بما  
يستحقه فى الدنيا والآخرة .

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ  
نُقِضُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ  
الْغَافِلِينَ (3) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ  
فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (5)

- 1- ألف . لام . راء . تلك الحروف وأمثالها يتكون منها كلامكم - أيها العرب -  
هى التى تتكون منها آيات الكتاب المعجز بكل ما فيه . الواضح الموضح لمن  
يستترشد به ، ويستهديه . وفى هذه الحروف الصوتية تنبيه لهم ، فيستمعوا ولو  
اتفقوا على عدم السماع .
- 2- إنا أنزلنا على رسولنا بلغتكم - أيها العرب - كلاماً عربياً يُقرأ ويحفظ ، لكى  
تفهموه وتبلغوا الناس ما فيه .
- 3- نحن نلقى عليك - أيها النبى - أحسن القصص بإيحائنا إليك هذا الكتاب ، وقد  
كنت قبل تلقيه من الذين غفلوا عما فيه ، وعما اشتمل عليه من عظات وآيات  
بينات .
- 4- من ذلك القصص - أيها النبى - قصة يوسف ، إذ قال لأبيه : يا أبت ، إني  
رأيت فى منامى أحد عشر كوكباً ، والشمس والقمر ، رأيتهم جميعاً خاضعين  
لى ساجدين أمامى .
- 5- قال أبوه : يا بُنى ، لا تحك لإخوتك هذه الرؤيا ، فإنها تثير فى نفوسهم  
الحسد ، فيغريهم الشيطان بتدبير الحيل ضدك . يحتالون للكيد لك ويمكرون  
بك ، إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة .

وَكَذَلِكَ بَحْتَبِكَ رَبُّكَ وَبَعَلْمِكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَبُتْمُ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ  
يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)  
لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلنَّاسِ الَّذِينَ (7) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ  
إِلَى آبَائِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ  
أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا  
تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْمُ فِي عِيبَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ (10)

- 6- وكما رأيت نفسك فى المنام سيداً مطاعاً ، ذا شرف وسلطان ، يصطفيك  
ربك ويختارك ويعلمك تفسير الرؤى ، وبيان ما تؤول إليه ، فيعظم قدرك  
وذكرك ، ويتم الله نعمته عليك ، وعلى آل يعقوب ، بالنبوة والرسالة كما أتمها  
على أبويك من قبل أبيك يعقوب ، وهما إبراهيم وإسحاق ، إن ربك كثير الحكمة  
فلا يخطئ ، كثير العلم فيصطفى من عباده من يعلم أنه أهل للاصطفاء .
- 7- لقد كان فى قصة يوسف وإخوته دلائل وعبر ، للسائلين عنها والراغبين فى  
معرفتها .

- 8- إذ قال إخوة يوسف لأبيه فيما بينهم : ليوسف وأخوه الشقيق أحب إلى أبينا منا ، ونحن جماعة قوية هي أنفع له منهما ، إن أبانا بإيثاره يوسف وأخاه علينا لفي خطأ وبعد عن الحق ، والصواب واضح ، ظاهر الوضوح .
- 9- اقتلوا يوسف أو ألقوا به في أرض بعيدة عن أبيه ، لا يصل إليها ، يخلص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم ، وتكونوا من بعد إبعاد يوسف عنه بالقتل أو النفي قوماً صالحين إذ يقبل الله توبتكم ، ويقبل أبوكم اعتذاركم .
- 10- قال أحد المتحدثين منهم : لا تقتلوا يوسف ، فإن ذلك جرم عظيم ، وألقوه فيما يغيب عن العيون من غور البئر ، يلتقطه بعض السائرين في الطريق ، إذا ألقى دلوه في البئر ، فيذهب به بعيداً عنكم وعن أبيه ، إن كنتم مصرين على إبعاده وتحقيق غرضكم بالفعل .

(1/380)

قَالُوا يَا أَبَاتَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَخَافِطُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِدَّا لَخَاسِرُونَ (14) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (15) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (16) قَالُوا يَا أَبَاتَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17)

- 11- قالوا بعد أن تم اتفاقهم على إبعاد يوسف : يا أبانا ما الذي رابك منا حتى تبعد يوسف عنا ، ولا تشعر بالأمن إذا كان معنا؟ نحن نؤكد لك أننا نحبه ، ونشفق عليه ، ونريد له الخير ، ونرشده إليه ، وما وجد منا غير الحب وخالص النصح .
- 12- أرسله معنا إلى المراعى غداً ، يتمتع بالأكل الطيب ، ويلعب ويمرح وإنما لحريصون على المحافظة عليه ، ودفع الأذى عنه .
- 13- قال : إنني لأشعر بالحزن إذا ذهبت بعيداً عنى . . وأخاف إذا أمنتكم عليه أن يأكله الذئب وأنتم في غفلة عنه .
- 14- قالوا : نقسم لك ، لئن أكله الذئب ، ونحن جماعة قوية ، ليكون ذلك العار والخسار ، إنا إذا حدث هذا الذي تخشاه ، لخاسرون لكل ما يجب الحرص عليه وعدم التفريط فيه . فاطمئن فلن نتهاون في المحافظة عليه لأننا بذلك نعرض أنفسنا للضياع والهوان .
- 15- فلما مضوا به بعيداً عن أبيه ، واجتمعوا رأيهم في إلقائه في غور البئر ، أنفذوا ما عزموا عليه ، وألهمناه الاطمئنان والثقة بالله وأنه سيخبرهم بأمرهم هذا الذي دبروه وقدموا عليه ، وهم لا يشعرون حين تخبرهم أنك أخوهم يوسف الذي ائتمروا به ، ووطنوا أنهم قضاوا عليه واستراحوا منه .
- 16- ورجعوا إلى أبيهم وقت العشاء ، يظهر الحزن ويرفعون أصواتهم بالبكاء .
- 17- قالوا : يا أبانا ، إننا مضينا نتسابق في الرمي والجري ، وتركنا يوسف عند متاعنا ليحرسه ، فأكله الذئب ونحن بعيدون عنه ، مشغولون بالتسابق دونه ، وما أنت بمصدق لنا فيما نقوله لك ، ولو كان ما نقوله الحق والصدق .

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ  
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (18) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى  
دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19)  
وَبَشَرُوهُ بِتَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (20) وَقَالَ الَّذِي  
اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِهِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ  
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَى أَمْرِهِ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ  
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)

18- وأحضروا قميصه وعليه دم يشهد بادعائهم ، إذ زعموا أنه دم يوسف ليصدقهم أبوهم ، ولكنه قال : إن الذئب لم يأكله كما زعمتم ، بل قد سولت لكم أنفسكم أمراً عظيماً فأقدمتم عليه ، فشأنني صبر جميل لا يصحبه الجزع على ما أصابني منكم ، والله - وحده - الذي يُطلب منه العون على ما تزعمون وتدعون من الباطل .

19- وجاءت جهة البئر جماعة كانت تسرع في السير إلى مصر ، فأرسلوا من يرد الماء منهم ويعود إليهم من البئر بما يسقيهم ، فألقى دلوه فيه ورفع منه فإذا يوسف متعلق به . . قال واردهم يعلن ابتهاجه وفرحه : يا للخير وبا للخير السار . . هذا غلام . . وأخفوه في أمتعتهم ، وجعلوه بضاعة تُباع ، والله محيط علمه بما كانوا يعملون .

20- وباعوه في مصر بثمن دون قيمته ، كان الثمن دراهم قليلة ، وكانوا في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه ، لخوفهم أن يدركهم أهله ويعرفوه بينهم وينتزعوهم منهم .

21- وقال الذي اشتراه من مصر لزوجته : أحسنى معاملته وأكرميته حتى تطيب له الإقامة معنا ، لعله ينفعنا أو تتبناه ونتخذه ولداً لنا ، وكما كانت هذه المكانة عظيمة وهذه الإقامة كريمة جعلنا ليوسف في أرض مصر مكانة أخرى كبرى ، ليتصرف فيها بالعدل وحسن التدبير ، لنعلمه تفسير الأحاديث والرؤى فيعرف منها ما سيقع قبل أن يقع ويستعد له ، والله قوى قادر على تنفيذ كل أمر يريد ، لا يُعجزه شيء عن شيء ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون خفايا حكمته ولطف تدبيره .

22- ولما بلغ يوسف أقصى قوته أعطيناه حكماً صائباً ، وعلماً نافعاً ، ومثل هذا الجزاء الذي أعطيناه إياه على إحسانه ، نجزي المحسنين على إحسانهم .

وَرَأَوْنَاهُ الَّذِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ  
اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا  
لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا  
الْمُخْلِصِينَ (24) وَإِسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْقِيَا سَبَدَهَا لَدَى الْبَابِ  
قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ

رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27)

23- وأرادت التي هي كان هو يعيش في بيتها ، ويشعر بسلطانها ، أن تغريه بنفسها ، لتصرفه عن نفسه الطاهرة إلى مواقعتها ، فأخذت تذهب وتجيئ أمامه ، وتعرض عليه مجاسنها ومفاتنها ، وأوصدت الأبواب الكثيرة ، وأحكمت إغلاقها ، وقالت : أقبل عليّ فقد هيات لك نفسي ، قال : إني ألجأ إلى الله ليحميني من الشر ، وكيف أرتكبه معك وزوجك العزيز سيدي الذي أحسن مقامي؟ إنه لا يفوز الذين يظلمون الناس بالغدر والخيانة فيوقعون أنفسهم في معصية الزنى

24- ولقد عزمت أن تخالطه ونازعته نفسه إليها ، لولا أن رأى نور الله الحق نُضِبَ عينيه قد استضاء به ، ولم يطاوع ميل النفس ، وارتفع عن الهوى ، فامتنع عن المعصية والخيانة وثبت على طهره وعفته . وهكذا ثبتنا يوسف على الطهر والعفاف لنصرف عنه سوء الخيانة ومعصية الزنى ، إنه من عباد الله الذين أخلصوا دينهم لله .

25- وأسرع يوسف إلى الباب يريد الخروج منه ، فأسرعت تحاول أن تسبقه إليه ، لتحول دون خروجه ، وجذبت قميصه من خلفه تمنعه ، وقطعته . . ووجدنا عند الباب زوجها ، قالت تشيره عليه : لا جزاء لمن أراد بزوجك ما يسوؤك إلا السجن يوضع فيه ، أو عذاب مؤلم يقع عليه .

26- قال يوسف يدافع عن نفسه : هي طلبتني ، وحاولت أن تخدعني عن نفسي ، وتخاصما في الاتهام ، فحكم حكم من أهلها فقال : إن كان قميصه شق من أمام ، فقد صدقت في ادعائها ، وهو من الكاذبين فيما أخبر به .  
27- وإن كان قميصه شق من خلف ، فقد كذبت في قولها ، وهو من الصادقين فيما قال .

(1/383)

فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكِ إِنَّا كُنَّا مِنَ الْخَاطِئِينَ (29) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتهُنَّ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ خَاشِئٌ لَلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْجَتَنَّ وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ (32)

28- فلما رأى الزوج قميص يوسف قُدًّا من خلف ، قال لزوجته : إن اتهمك له بما وقعت أنت فيه مع براءته هو من كيدكن - معشر النسوة - إن مكركن عظيم .

29- يا يوسف أعرض عن هذا الأمر ، واكتمه ولا تذكره ، واستغفري أنت لذنبك ، إنك كنت من الأثمين الذين تعمدوا الوقوع في الخطأ وارتكاب الإثم ، واتهموا

غيرهم بما أثموا هم به .  
30- وانتهى الخبر إلى جماعة من النساء فى المدينة ، فتحدثن وقلن : إن امرأة العزيز تغرى خادمها وتخدعه عن نفسه ليطيحها فيما تريده منه ، قد خالط حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى صميمه ، إنا نعتقد أنها بمسلكها معه فى ضلال واضح وخطأ بين .  
31- فلما سمعت باغتيالهن وسوء كلامهن فيها ، دعتهن إلى بيتها ، وأعدت لهن ما يتكئن عليه من الوسائد والنامرق ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً ، بعد أن حضرن وجلسن متكئات ، وقدم لهن الطعام ليأكلن بالسكاكين ما تناله منه أيديهن . وقالت ليوسف : اخرج عليهن ، فلما ظهر ورأينه أعظمته وأخذهن جسثه الرائع وجماله البارع ، فجرحن أيديهن من فرط الدهشة والذهول ، وهن يأكلن طعامهن ، قلن متعجبات مندهشات : تنزيهاً لله ، ما هذا الذى نراه بشراً؛ لأن البشر لا يكون على هذا الحسن والجمال والصفاء والنقاء ، ما هذا إلا ملك كثير المحاسن طيب الشمائل ، سخي الصفات .  
32- قالت امرأة العزيز تُعقب على كلامهن : فذلك الفتى الذى بهركن حسنه ، وأذهلكن عن أنفسكن حتى حصل ما حصل ، هو الذى لُمّنتى فى شأنه ، ولقد طلبته وحاولت إغراءه ليستجيب لى فامتنع وتأبى ، كأنه فى عصمة كان يستزيد منها ، وأقسم إن لم يفعل ما أمره به ليعاقبن بالسجن وليكوتن من الأذلاء المهينين .

(1/384)

قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (34) ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُ حَتَّى جِئَ (35) وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي جُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْتُمَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا تَبَايَعْتُمَا بِتَأْوِيلِهِ قِيلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا دَلِيلٌ مِّمَّا عَلَّمَنِ رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37)

33- قال يوسف - وقد سمع منها التهديد والوعيد ، وسمع منهن النصح بمطاوعتها - يا رب : السجن أحب إلى نفسى مما يطلبنه منى لأن فى هذا معصيتك ، وإن لم تحوّل عنى شر مكرهن وكيدهن أمل إليهن ، وأكن من السفهاء الطائشين .  
34- فاستجاب الله له ، فصرف عنه شر مكرهن ، إنه هو - وحده - السميع لدعوات الملتجئين إليه ، العليم بأحوالهم وبما يصلحهم .  
35- ثم ظهر رأى للعزيز وأهله ، من بعد ما رأوا الدلائل الواضحة على براءة يوسف فأجمعوا على هذا الرأى ، وأقسموا على تنفيذه ، وهو أن يدخلوه السجن إلى زمن يقصر أو يطول ، لكى يدفع مقالة السوء عن امرأته ويُبَعدها عن الغواية .  
36- ودخل السجن مع يوسف فتیان من خدام الملك ، قال له أحدهما : لقد رأيت فى منامى أنى أعصر عنباً ليكون خمراً ، وقال له الآخر : لقد رأيت أنى



أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل منه الطير ، خبرنا يا يوسف بتفسير هذا الذي رأيناه ومآل أمرنا على هداة . إنا نعتقد أنك من الذين يتصفون بالإحسان وإجادة تفسير الرؤى .

37- قال لهما - يؤكد ما علماه عنه - لا يأتیکما طعام يُساق إليكما رزقاً مقدراً لکما إلا أخبرتکما بمآله إليكما قبل أن يأتیکما ، وذكرت لکما صنعته وكيفيته ، ذلكما التأويل للرؤيا والإخبار بالمغيبات مما علمنى ربى وأوحى به إلیّ . لأنى أخلصت له عبادتى ، ورفضت أن أشرك به شيئاً ، وابتعدت عن دين قوم لا يصدقون بالله ، ولا يؤمنون به على وجه صحيح ، وهم بالآخرة وحسابها منكرون كافرون .

(1/385)

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَمَا أَحَدَكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ (42)

38- إنى تركت ملة هؤلاء الكافرين ، واتبعت دين آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فعبدت الله - وحده - فما صح لنا أن نجعل لله أى شريك من أى شئ كان ، من ملك أو جنى أو إنسى ، فضلا عن الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر ، ذلك التوحيد مما تفضل به الله علينا وعلى الناس ، إذ أمرنا بتبليغه إليهم ، ولكن أكثر الناس لا يتلقون هذا الفضل بالشكر بل بالكفر .

39- يا صاحى فى السجن : أرباب شتى كثيرة يخضع المرء لكل واحد منها خير ، أم الله الواحد الذى لا يغالب ؟ .

40- ما تعبدون من غير الله إلا أسماء أطلقتموها أنتم وأباؤكم على أوهام لا وجود لها ، ما أنزل الله بتسميتها آلهة من حجة وبرهان ، ما الحكم فى أمر العبادة وفيما يصح أن يعبد وما لا تصح عبادته ، إلا لله أمر ألا تخضعوا لغيره وأن تعبدوه - وحده - ذلك الدين السليم القويم الذى تهدى إليه الأدلة والبراهين ، ولكن أكثر الناس لا يستترشدون بهذه الأدلة ، ولا يعلمون ما هم عليه من جهل وضلال .

41- يا صاحى فى السجن ، إليكما تفسير مناميكما : أمّا أحدكما الذى عصر العنب فى رؤياه فيخرج من السجن ويكون ساقى الخمر للملك ، وأمّا الثانى فيصلب ويترك مصلوبا فتقع عليه الطير وتأكل من رأسه ، تم الأمر على الوجه الذى بينته فيما تطلبان فيه تأويل الرؤيا .

42- وقال للذى توقع النجاة منهما : اذكرنى عند الملك - بصفتى وقصتى - عساه ينصفنى وينقذنى مما أعانيه ، فشغله الشيطان وأنساه أن يذكر للملك قصة يوسف ، فمكث يوسف فى السجن سنين لا تقل عن ثلاث .

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ  
خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَةُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43)  
قَالُوا أَضْعَافٌ أُخْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأُخْلَامِ بَعَالَمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا  
وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (45) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي  
سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ لَعَلِّي  
أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ  
فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ  
يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَحْصِنُونَ (48)

43- وقال الملك : إني رأيت في منامى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف  
ضعاف ، ورأيت سبع سنبلات خضر ، وسبع سنبلات أخر يابسات . . يا أيها  
الكبراء من العلماء والحكماء أفتونى فى رؤياى هذه إن كنتم تعرفون تفسير  
الرؤى وتفتون فيها .

44- قالوا : هذه أخلاط أحلام باطلة ، ووساوس تهجس فى النفس ، وما نحن  
بتفسير الأحلام الباطلة بعالمين .

45- وقال الذى نجا من صاحبه يوسف فى السجن ، وتذكر بعد مضي مدة  
طويلة وصية يوسف ، أنا أخبركم بتأويل الحديث الذى ذكره الملك ، فأرسلونى  
إلى من عنده علم بتأويله أتكم بنبئه .

46- مضي الساقى إلى يوسف حتى جاءه فناداه : يوسف - أيها الحريص على  
الصدق - أفتنا فى رؤيا سبع بقرات سمان يأكلهن سبع ضعاف ، وفى رؤيا سبع  
سنبلات خضر وأخر يابسات . أرجو أن أرجع إلى الناس بفتواك عساهم يعلمون  
معناها ، ويعرفون لك علمك وفضلك .

47- قال يوسف : تفسير هذه الرؤيا أنكم تزرعون الأرض قمحاً وشعيراً سبع  
سنين متواليات دائبين على العمل فى الزراعة ، فما تحصدونه احفظوه  
فاتركوه فى سنبله ، إلا قليلا مما تأكلونه فى هذه السنين ، مع الحرص على  
الاقتصاد .

48- ثم يأتى بعد هذه السنين المخصبة سبع سنين مجدبة ، تأكل ما ادخرتم لها  
، إلا قليلا مما تخبئونه وتحفظونه ، ليكون بذراً لما تزرعونه بعد ذلك .

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ (49) وَقَالَ الْمَلِكُ  
أَفْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي  
قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفُ  
عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ  
حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ  
أَخْنُهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ  
لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)

49- ثم يأتي بعد هذه السنين المجدية عام يغاث فيه الناس بالمطر ،  
ويعصرون فيه العنب والزيتون وكل ما يعصر .

50- تنبه الملك إلى يوسف بسبب تغييره لرؤياه ، وعزم على استدعائه فأمر  
أعوانه أن يحضروه ، فلما أتاه من يبلغه رغبة الملك لم يستخف الخبير ، رغم ما  
يحمل من بشرى الفرج ولم تززع حلمه لهفة السجين على الخلاص من ضيق  
السجن ووحشته ، وأثر التمهّل حتى تظهر براءته ، على التعجل بالخروج وأثار  
التهمة عالقة بأردافه ، فقال للرسول : عُذُّ إلى سيدك واطلب منه أن يعود إلى  
تحقيق تهمتي ، فيسأل النسوة اللواتي جمعتن امرأة العزيز كيداً لي ، فغلبهن  
الدهش وقطعن أيديهن : هل خرجن من التجربة معتقدات براءتى وطهرى ، أو  
دنسى وعهرى؟ إنى أطلب ذلك كشفاً للحقيقة فى عيون الناس ، أما ربي فإنه  
راسخ العلم باحتيالهن .

51- فاستحضر الملك النسوة وسألهن : ماذا كان حالكن حين حاولتن خداع  
يوسف ليغفل عن عصمته وطهاره نفسه؟ هل وجدتن منه ميلاً إليكن؟ فأجبنه :  
تنزه الله عن أن يكون نسي عبده حتى تلوث طهره ، فما لمسنا فيه شيئاً  
يشين . وحينئذٍ قويت نزعة الخير في نفس امرأة العزيز ، فاندفعت تقول :  
الآن وضح الحق وظهر . أنا التى خاتلته وحاولت فتنته عن نفسه بالإغراء  
فاستمسك بعصمته ، وأؤكد أنه من أهل الصدق والحق حين رد التهمة على  
ونسبها إلى .

52- هذا اعتراف منى بالحق أقدمه ، ليستيقن يوسف أنى لم أستغل غيبته فى  
السجن ، وأتمادى فى الخيانة ، وأعول على تثبيت اتهامه ، ولأن الله لا ينجح  
تدبير الخائنين .

53- وما أدعى عصمة نفسى من الزلل ، فإن النفس تميل بطبعها إلى  
الشهوات وتزيين السوء والشر ، إلا نفس من حفظه الله وصرفه عن السوء .  
وإنى لأطمع فى رحمة الله وغفرانه ، لأنه واسع الغفران لذنوب التائبين ، قريب  
لا ينجح تدبير الخائنين .

(1/388)

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ  
أَمِينٌ (54) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ (55) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا  
لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ يُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ  
الْمُحْسِنِينَ (56) وَلَا جُرْ الْأَخْرَةَ حَبْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (57) وَجَاءَ إِخْوَهُ  
يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (58)

54- فلما ظهرت براءة يوسف عند الملك ، صمم على استدعائه ، وكلف رجاله  
أن يحضروه ليحمله من خاصته وخلصائه ، فلما حضر إليه وجرى بينهما الحديث  
، تجلى له من يوسف ما تجلى من طهارة النفس وثقوب الرأى فقال له : إن  
لك فى نفسى لمقاماً كريماً ثابتاً وأنت الأمين الموثوق به .

55- وعلم الملك منه حسن التدبير وكفائه لما يقوم به ، وأحسن يوسف بذلك ،  
وحينئذٍ طلب منه أن يستوزره قائلاً له : ولنى على خزائن ملكك ومستودعات  
غلات أرضك ، لأنى كما تأكد لديك ضابط لأمر المملكة ، حافظ لها ، خبير  
بالتدبير وتصريف الأمور .

- 56- وقبل الملك عرضه ، فاستوزره ، وبذلك أنعم الله على يوسف نعمة جلية ، فجعل له سلطاناً وقدره فى أرض مصر ، ينزل منها بأى مكان يريد . وهذا شأن الله فى عباده ، يهب نعمته لمن يختاره منهم ، ولا يهدر ثوابهم وإنما يؤتيهم أجورهم على الإحسان بالإحسان فى الدنيا .
- 57- وأن ثوابه فى الآخرة لأفضل وأوفى لمن صدقوا به وبرسله ، وكانوا يراقبونه ويخافون يوم الحساب .
- 58- واشتد القحط بما حول مصر ، ونزل بآل يعقوب ما نزل بغيرهم من الشدة ، وقصد الناس مصر من كل مكان ، بعد ما علموا من تدبير يوسف للمؤمن ، واستعداده لسنوات الجذب . فبعث يعقوب إليها أبناءه طلباً للطعام ، واحتجز معه ابنه شقيق يوسف خوفاً عليه ، فلما بلغ أبناءه مصر توجهوا من فورهم إلى يوسف ، فعرفهم دون أن يعرفوه .

(1/389)

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (59) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ (60) قَالُوا سَتَرِلُودُ عَنْهُ آتَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (61) وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (62) فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَاتَا مُنْعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا تَكَتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (63) قَالَ هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ قَالَ لَهُ خَيْرٌ خَافِطًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (64)

- 59- وأمر يوسف أن يُكرِّموا فى ضيافته ، ويُدفع لهم من الميرة ما طلبوه فتم لهم ذلك ، وأخذ يُحدثهم ، ويسأل عن أحوالهم سؤال الجاهل بها ، وهو بها عليم ، فأخبروه أنهم تركوا أخا لهم حرص أبوهم ألا يفارقه ، وهو بنيامين شقيق يوسف ، فقال : ليحضر معكم أخوكم ، ولا تخافوا شيئاً ، فقد رأيتم إيفاء كيلكم وإكرامى لكم فى نزولكم .
- 60- فإن لم تحضروا أخاكم هذا ، فليس عندى لكم طعام ، ولا تحاولوا أن تأتونى مرة أخرى .
- 61- قال إخواته : سنحتال على أبيه لينزل عن إرادته ولا يخاف عليه ، ونؤكد لك أننا لن نقصر فى ذلك أو نتوانى فيه .
- 62- ولما هموا بالرحيل ، قال لأتباعه : ضعوا ما قدّموه من ثمن بضاعتهم فى أمتعتهم ، عساهم يرونها إذا عادوا إلى أهلهم ، فيكون ذلك أرجى لعودتهم مؤملين فى إعطائهم الطعام ، واثقين بالوفاء بالعهد ، وأمنين على أخيهم وليبعثوا الطمأنينة فى نفس أبيهم .
- 63- فلما عادوا إلى أبيهم قصوا عليه قصتهم مع عزيز مصر ، وتلطفه بهم ، وأنه أندرهم بمنع الكيل لهم فى المستقبل إن لم يكن معهم بنيامين ، وواعدهم بوفاء الكيل لهم ، وإكرام منزلتهم إن عادوا إليه بأخيهم ، وقالوا له : ابعث معنا آخانا فإنك إن بعثته اكتلنا ما نحتاج إليه من الطعام وأفياً ، ونعدك وعداً مؤكداً أنا سنبدل الجهد فى المحافظة عليه .
- 64- وثارَت فى نفس يعقوب ذكريات الماضى ، فربطها بالحاضر ، وقال لبنيه : إن أمرى إذا استجبت لكم لعجيب فلن تكون حالى حين أمنكم على أخيكم إلا

مثل حالى حين ائتمنتكم على يوسف فأخذتموه ، ثم عدتم تقولون : أكله الذئب ، فالله حسبي فى حماية ابنى ، ولا أعتمد إلا عليه ، فهو أقوى حافظ ، ورحمته أوسع من أن يفجنى بعد يوسف فى أخيه .

(1/390)

وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَتَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (65) قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُخَاطِبَكُمْ فَلَمَّا اتَّوَهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا تَقُولُونَ وَكِيلٌ (66) وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (67)

65- وكان إخوة يوسف يجهلون أن يوسف وضع أموالهم فى حقائبهم ، فلما فتحوها ووجدوا الأموال عرفوا جميل ما صنع بهم يوسف ، وتذرعوا بذلك إلى بث الطمانينة فى قلب يعقوب ، وإقناعه بالاستجابة إلى ما طلب العزيز وبالغوا فى استمالته ، فذكروه بما بينه وبينهم من رباط الأبوة ، فقالوا : يا أبانا أى شئ تريده أجمل مما جرى وينتظر أن تجرى به الأحداث؟ هذه أموالنا أعيدت إلينا دون أن يحتجز منها شئ ، فنسافر مع أخينا ونجلب الميرة لأهلنا ، ونرعى أخانا ، ويزيد ميرتنا حمل بعير لحق أخينا ، فقد رسم العزيز أن يعطى الرجل حمل بعير .

66- ونجحت محاولة أبناء يعقوب فى إقناعه ، وأثر مقالهم فيه ، فنزل عن التشدد فى احتجاز ابنه وحبسه عن الذهاب مع إخوته إلى مصر ، ولكن قلبه لا يزال فى حاجة إلى ما يزيد اطمئنانه ولذلك قال لهم : لن أبعثه معكم إلا بعد أن تعطونى ضماناً قوياً ، فتعاهدوا الله عهداً موثقاً أن تعيدوه إلئى ، وألا يمنعكم عن رده إلا أن تُهلكوا أو يحيط بكم عدو يغلبكم عليه . فاستجابوا له ، وقدموا ما طلب من الموثيق ، وعندئذ أشهد الله على عهودهم وأيمانهم بقوله : الله على ما دار بيننا مطلع رقيب .

67- اطمأن يعقوب إلى عهد أبنائه ، ثم دفعته الشفقة عليهم إلا أن يوصيهم عند دخولهم مصر بأن يدخلوا من أبواب متفرقة ، لكيلا يلفتوا الأنظار عند دخولهم ، ولا تترقبهم الأعين ، وقد يكون ما يسيئهم ، وليس فى قدرتى أن أدفع عنكم أذى ، فالدافع للأذى هو الله وله - وحده - الحكم ، وقد توكلت عليه وفوضت إليه أمرى وأمركم ، وعليه - وحده - يتوكل الذين يفوضون أمورهم إليه مؤمنين به .

(1/391)

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوْ عَلِمَ لِمَا عَلَّمَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (68) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (69) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ

أَخِيهِ ثُمَّ أَدَّانَ مُؤَدِّبًا أَبْنَاهُ الْعَيْرِ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَادًا تَفْقَدُونَ (71) قَالُوا تَفْقَدُ صُوعًا الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (72) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (73)

68- لقد استجابوا لوصية أبيهم ، فدخلوا من أبواب متفرقة ، وما كان ذلك ليدفع عنهم أذى كتبه الله لهم ، وإن يعقوب ليعلم ذلك ، فإنه ذو علم علمناه إياه ، ولكن وصيته كانت لحاجة فى نفسه ، وهى شفقة الأب على أبنائه أعلنها فى هذه الوصية ، وأن أكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب ، فيفوضون لله ويحترسون .

69- ولما دخلوا على يوسف أنزلهم منزلاً كريماً ، واختص أخاه شقيقه بأن أوامره إليه ، وأسرَّ إليه قائلاً : إني أخوك يوسف ، فلا تحزن بما كانوا يصنعون معك وما صنعوه معي .

70- فبعد أن أكرم وفادتهم ، وكالهم الطعام ، وزادهم حملاً لأخيه ، أعد رجالهم للسفر ، ثم أمر أعوانه أن يمسكوا إناء شرب الماء فى حمل بنيامين ، ثم نادى أحد أعوان يوسف : - أيها الركب القافلون بأحمالكم - قفوا إنكم لسارقون .

71- فارتاع إخوة يوسف للنداء ، واتجهوا إلى المنادين يسألونهم ، ما الذى ضاع منكم وعم تبحثون؟

72- فأجابهم الأعوان : نبحت عن الصواع ، وهو إناء الملك الذى يشرب به ، ومكافأة من يأتى به حمل جمل من الطعام ، وأكد رئيسهم ذلك ، فقال : وأنا بهذا الوعد ضامن وكفيل .

73- قال إخوة يوسف : إن اتهامكم إيانا بالسرقة لعجيب ، ونؤكد بالقسم أن فيما ظهر لكم من أخلاقنا وتمسكنا بديننا فى مرتى مجيئنا ما يؤكد علمكم أننا لم نأت بغية الإفساد فى بلادكم ، وما كان من أخلاقنا أن نكون من السارقين .

(1/392)

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (74) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ (75) قَبِدَا بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْهُ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْتَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن يَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَبْنَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (77)

74- وكان يوسف قد أوحى إلى أتباعه أن يكلوا إلى إخوته تقدير الجزاء الذى يستحقه من وجد الصواع عنده ، تمهيداً لأخذ أخيه منهم بحكمهم ، وليكون قضاؤهم مبرماً لا وجه للشفاعة فيه ، فقالوا لهم : فماذا يكون جزاء السارقين عندكم إن ظهر أنه منكم؟

75- ولوثوق أبناء يعقوب بأنهم لم يسرقوا الصواع ، قالوا غير متلجلجين : جزاء من أخذ الصواع أن يؤخذ رقيقاً ، فبمثل هذا الجزاء نجازى الظالمين الذين يأخذون أموال الناس .

76- وانتهى الأمر إلى تفتيش الرجال ، وكان لا بد من الأحكام حتى لا يظهر فى تنفيذ الخطة افتعال ، وتولى يوسف التفتيش بنفسه ، بعد أن مهد الأمر ، فبدأ

بتفتيش أوعية العشرة الأشقاء ، ثم انتهى إلى تفتيش وعاء أخيه ، فأخرج السقاية منه ، وبذلك نجحت حيلته ، وحق له بقضاء إخوته أن يحتجز بنيامين ، وهكذا دبر الله الأمر ليوسف فما كان في استطاعته أخذ أخيه بمقتضى شريعة ملك مصر إلا بإرادة الله ، وقد أرادها ، فدبرنا الأمر ليوسف ووفقناه إلى ترتيب الأسباب وإحكام التدبير والتلطف في الاحتيال ، وهذا من فضل الله الذي يعلى في العلم منازل من أراد ، وفوق كل صاحب علم من هو أعظم ، فهناك من يفوقه في علمه .

77- وكان إخراج الصواع من حقيبة أخيه مفاجأة أخلت إخوته ، فتنصلوا باعتذار يبرئ جماعتهم دونه ، ويطعنه هو ويوسف ، ويوحى بأن السرقة طبع ورثاه من قبل الأم ، وقالوا : ليس بعجيب أن تقع منه سرقة إذ سبقه إلى ذلك أخوه الشقيق ، ووطن يوسف إلى طعنهم الخفى ، فسأه ، ولكنه كتم ذلك ، وأضر في نفسه جواباً لو صارحهم به لكان هذا الجواب : أنتم أسوأ منزلة وأحط قدرا ، والله أعلم وأصدق علماً بكلامكم الذى تصفون به أخاه بوصمة السرقة .

(1/393)

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (78) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (79) فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْتِيَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (80)

78- ولم يكن بد من محاولة لتخليص أخيهم أو افتدائه ، رجاء أن تصدق موثيقهم ليعقوب ، فاتجهوا إلى ترفيق قلب يوسف بحديث الأبوة فى شيخوختها وقالوا له : - أيها العزيز - إن لأخينا أباً طاعناً فى السن ، فإن رحمته قبلت واحداً منا ليلقى الجزاء بدل ابنه هذا الذى تعلق به قلبه ، وأملنا أن تقبل الرجاء ، فقد جربنا عادتك الكريمة ، وتأكد لنا انطباعكم عن حب الإحسان وعمل المعروف .

79- وما كان ليوسف أن ينقض تدبيراً ووقعه الله إليه ، ويفلت من يده أخاه ، ولذلك لم يلنه استعطافهم ، وردهم رداً حاسماً ، وقال لهم : إنى الجأ إلى الله منزهاً نفسى عن الظلم فأحتجز غير من عثرنا على ما لنا معه ، إذ لو أخذنا سواه بعقوبته لكننا من المعتدين الذين يأخذون البرئ بذنب المسئ .

80- فلما انقطع منهم الأمل ، ويئسوا من قبول الرجاء ، اختلوا بأنفسهم يتشاورون فى موقفهم من أبيهم ، فلما انتهى الرأى إلى كبيرهم المدبر لشئونهم قال لهم : ما كان ينبغى أن تنسوا عهدكم الموثق بيمين الله لأبيكم أن تحافظوا على أخيكم حتى تردوه إليه ، ولأنكم عاقدتموه من قبل على صيانة يوسف ثم ضيعتموه ، ولذلك ساقى بمصر لا أفارقها ، إلا إذا فهم أبى الوضع على حقيقته ، وسمح لى بالرجوع إليه ، أو قضى الله لى بالرجوع الكريم ، ويسره لى بسبب من الأسباب ، وهو أعدل الحاكمين .

(1/394)

ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا  
لِلْعَيْبِ حَافِظِينَ (81) وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا  
لَصَادِقُونَ (82) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ  
يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ  
يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84)

81- عودوا - أنتم - إلى أبيكم وقصوا له القصة ، وقولوا له : إن يد ابنك امتدت  
إلى صواع الملك فسرقتها وقد ضبطت في حقيته ، وعوقب على ذلك  
باسترقاقه ، وما أخبرناك إلا بما عايناه ، وما كنا مطلعين على المستور من  
قضاء الله حين طلبناه وأعطيناك على حفظه وردّه إليك العهود والمواثيق وهو  
أعدل الحاكمين .

82- وإن كنت فى شك مما بلغناك ، فأرسل من يأتيك بشهادة أهل مصر  
واستشهد أنت بنفسك رفاقنا الذين عدنا معهم فى القافلة ، لتظهر لك براءتنا ،  
ونؤكد لك أننا صادقون فيما نقول .

83- فرجع بقية الأبناء إلى يعقوب ، وخبروه كما وصّاهم أخوهم الكبير فهتج  
الخبر أحزانه ، وضاعف منها فقد ابنه الثانى ، ولم تطب نفسه ببراءتهم من  
التسبب فى ضياعه وهو المفجوع بما صنعوا من قبل فى يوسف ، وصرح  
باتهامهم قائلا لهم : ما سلمت نيتكم فى المحافظة على ابنى ، ولكن زينت لكم  
نفوسكم أن تخلصتم منه مثلما تخلصتم من أخيه ، فلولا فتواكم وحكمكم أن  
يؤخذ السارق رقيقاً عقوبة له على السرقة ، ما أخذ العزيز ابنى ، ولا تخلف  
أخوكم الكبير بمصر ، ولا حيلة لى إلا أن أتجمل فى مصيبتى بالعزاء الحميد ،  
راجياً أن يرد الله على جميع أبنائى ، فهو صاحب العلم المحيط بحالى وحالهم ،  
وله الحكمة البالغة ، فيما يصنع لى ويُدبر .

84- وضاق بما قالوا فأعرض عنهم خالياً بنفسه ، مشغولاً بأساه وأسفه على  
فقد يوسف ، فذهب سواد عينيه من شدة الحزن ، وقد كظم غيظه وألمه أشد  
الكظم .

(1/395)

قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85) قَالَ  
إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (86) يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا  
فَتَحَسِّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَبْتَئِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْتَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ  
إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ (87) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلْنَا الصَّرُّ  
وَجُنْنَا بِبِضَاعَةِ مُزَاجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88)  
قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89)

85- وتوالت الأيام ويعقوب مسترسل فى لوعته ، وخشى أبنائه سوء العاقبة ،  
فاتجهوا إلى مراجعته وحمله على التخفيف من شدة حزنه ، وقالوا له - وهم  
بين الإشفاق عليه والغيظ من دوام ذكره ليوسف - : لئن لم تخفف عن نفسك  
لتزيدن ذكرى يوسف ألامك وأوجاعك ، إلى أن يذيبك الغم فتشرف على  
الموت ، أو تصبح فى عداد الميتين .



86- ولم يؤثر قولهم فيه ، فردهم قائلاً : ما شكوت لكم ، ولا طلبت منكم تخفيف لوعتي ، وليس لى إلا الله أضرع إليه وأشكو له همومى صعبها وسهلها ، وما أستطيع كتمانها منها وما لا أستطيع ، لأنى أدرك من حسن صنعه وسعة رحمته ما لا تدركون .

87- والثقة فى الله تحيى الأمل ولذلك لم يذهب الغم برجاء يعقوب فى عودة ولديه إليه ، وألقى فى روعه أنهما من الأحياء ، وأن موعد التقائه بهما قد حان ، فأمر بنيه أن ينقبوا عنهما ، قائلاً لهم : يا بنى ارجعوا إلى مصر فانضموا إلى أخيكم الكبير ، وابتحثوا عن يوسف وأخيه وتطلبوا أخبارهما فى رفق لا يشعربه الناس ، ولا تقنطوا من أن يرحمنا الله بردهما ، لأنه لا يقنط من رحمة الله غير الجاحدين .

88- واستجاب إخوة يوسف لطلب أبيهم ، فذهبوا إلى مصر ، وتحايلا لمقابلة حاكمها الذى ظهر لهم من بعد أنه يوسف ، فلما دخلوا عليه ، قالوا : - يا أيها العزيز - مسنا نحن وعشيرتنا الجوع وما يتبعه من ضر الأجسام والنفوس ، وجئنا إليك بأموال قليلة هى بضاعتنا وهى ترد لقلتها ورداءتها ، وليست كفاء ما نرجوه منك ، لأننا نرجو منك وفاء الكيل فأوفه لنا ، واجعل الزائد عن حقنا صدقة علينا ، إن الله تعالى يثيب المتصدقين بأحسن الثواب .

89- أخذت يوسف الشفقة الأخوية الرحيمة التى تعفو عن الإساءة ، وابتدأ يكشف أمره لهم قائلاً فى عتب ، هل أدركتم قبح ما فعلتموه بيوسف من إلقاءه فى الجب ، وبأخيه من أذى . مندفعين فى ذلك بجهل أنساكم الرحمة والأخوة؟

(1/396)

قَالُوا أَتَيْتَ لِأَيِّتِ يُوْسُفُ قَالَ أَبَا يُوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَبْقُ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (93) وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَتِّدُونِ (94) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (95)

90- نبهتهم تلك المفاجأة السارة إلى إدراك أن هذا يوسف ، فتفحصوه ، ثم قالوا مؤكدين : إنك لأنت يوسف حقاً وصدقا ، فقال يوسف الكريم مصدقا لهم : أنا يوسف ، وهذا أخى ، قد مَنَّ الله علينا بالسلامة من المهالك ، وبالكرامة والسلطان ، وكان ذلك جزاء من الله لإخلاصى وإحسانى ، وإن الله لا يضيع أجر من يُحسن ويستمر على الإحسان .

91- فقالوا : صدقت فيما قلت ، ونؤكد لك بالقسم أن الله فضلك بالتقوى والصبر وحسن السيرة وأثابك بالملك وعلو المكانة ، وإنما كنا آثمين فيما فعلنا بك وبأخيك ، فأذلنا الله لك ، وجزانا جزاء الأثمين .

92- فرد عليهم - النبى الكريم - قائلاً : لا لوم عليكم اليوم ، ولا تأنيب ، ولكم عندى الصفح الجميل لحرمة النسب وحق الأخوة ، وأدعوا الله لكم بالعفو والغفران ، وهو صاحب الرحمة العظمى .

93- ثم سألهم يوسف عن أبيه ، فلما أخبروه عن سوء حاله وسوء بصره من كثرة غمه وبكائه؛ أعطاهم قميصه ، وقال لهم : عودوا به إلى أبى فاطرحوه

على وجهه ، فسيؤكد له ذلك سلامتى ، وتملاً قلبه الفرحة ، ويجعله الله سبباً لعودة بصره ، وحينئذ تعالوا إلىَّ به ، وبأهلكم أجمعين .  
 94- وارتحلوا بالقميص ، وكان قلب يعقوب مستغرقاً فى ترقب ما تأتى به رحلة بنيه ، وكان الله معه فى هذا الترقب فوصل روحه بأرواحهم ، فحين تجاوزت قافلتهم أرض مصر فى طريقها إليه ، شرح الله صدره بالأمل ، وأحاطه بجو من الطمأنينة إلى اقتراب البشرى بسلامة يوسف ، وأخبر أهله بذلك إذ يقول : إني أشعر برائحة يوسف المحبوبة تغمرنى ، ولولا خشية أن تتهمونى فى قولى لأنباتكم عن يوسف بأكثر من الشعور والوجدان .  
 95- فرد عليه أهله رداً خشناً ، حالفين بالله أنه لا يزال ذاهباً عن صوابه هائماً فى خياله ، فتهاياً له ما تهاياً من فرط محبته ليوسف ، ولهجه بذكره ، ورجائه للقياه .

(1/397)

فَلَمَّا أُنْجِيَ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (96) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (97) قَالَ سَتُوفَ اسْتَعْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (98) فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يَوْسُفَ أَوْىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ أٰمِينَ (99)

96- واستمر على أمله منتظراً رحمة الله ، واستمر أهله على سوء الظن به إلى أن أتاه من يحمل القميص ويبشره بسلامة يوسف ، فحين طرح القميص على وجه يعقوب نفحته رائحة يوسف وغمرت قلبه الفرحة ، فعاد إليه بصره ، ولما حدثه الرسول بحال يوسف ، وأنه يطلب رحلته إليه بأهله ، اتجه إلى من حوله يذكرهم بنبوءته ، وبُعَاتبهم على تكذيبه ، وبوجه أذهانهم إلى ذكر ما أكده لهم آنفاً من أنه يدرك من رحمة الله وفضله ما لا يُدركون .  
 97- فقبلوا عليه معذرتين عمّا كان منهم ، راجين أن يصفح عنهم ، وأن يطلب من الله التجاوز عن أثامهم ، لأنهم كما أكدوا فى اعتذارهم كانوا أئمين .  
 98- فقال يعقوب : سأداوم طلب العفو من الله عن سيئاتكم ، إنه - وحده - صاحب المغفرة الثابتة والرحمة الدائمة .  
 99- رحل يعقوب إلى مصر ، وسار بأهله حتى بلغها ، فحين دخلوا على يوسف - وكان قد استقبلهم فى مدخل مصر - عَجَّلَ به الحنان والشوق إلى أبيه وأمه ، فقهرهما إليه ، وطلب منهما ومن أهله أن يقيموا فى مصر آمنين سالمين بإذن الله .

(1/398)

وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَحَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَعَ السَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالْصَّالِحِينَ

بِالصَّالِحِينَ (101) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا  
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102) وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)

100- وسار الركب داخل مصر حتى بلغ دار يوسف ، فدخلوها وصدر يوسف أبويه ، فأجلسهما على سرير ، وغمر يعقوب وأهله شعور بجليل ما هيا الله لهم على يدى يوسف ، إذ جمع به شمل الأسرة بعد الشتات ونقلها إلى مكان عظيم من العزة والتكريم ، فحيوه تحية مألوفة تعارف الناس عليها فى القديم للرؤساء والحاكمين ، وأظهروا الخضوع لحكمه ، فأثار ذلك فى نفس يوسف ذكرى حلمه وهو صغير ، فقال لأبيه : هذا تفسير ما قصت عليك من قبل من رؤيا ، حين رأيت فى المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين لى ، قد حققه ربى ، وقد أكرمنى وأحسن إليّ ، فأظهر براءتى ، وخلصنى من السجن ، وأتى بكم من البادية لنتلقى من بعد أن أفسد الشيطان بينى وبين إخوتى ، وأغراهم بى ، وما كان لهذا كله أن يتم بغير صنع الله ، فهو رفيق التدبير والتسخير لتنفيذ ما يريد ، وهو المحيط علما بكل شئ ، البالغ حكمه فى كل تصرف وقضاء .

101- واتجه يوسف إلى الله ، يشكره بإحصاء نعمه عليه ، ويرجوه المزيد من فضله ، قائلا : يا رب ما أكثر نعمك عليّ ، وما أعظمها ، لقد منحتنى من الملك ما أحمذك عليه ، ووهبتنى من العلم بتفسير الأحلام ما وهبت ، يا خالق السموات والأرض وبارئهما ، أنت مالك أمرى ومتولى نعمتى فى محياى وبعد مماتى ، اقبضنى إليك على ما ارتضيت لأنبيائك من دين الإسلام ، وأدخلنى فى زمرة من هديتهم إلى الصلاح من آبائى وعبادك الصالحين المخلصين .

102- ذلك الذى قصصنا عليك - أيها النبى - من أخبار الماضى السحيق ، لم يأتك إلا بإيحاء منا ، وما كنت حاضرا إخوة يوسف وهم يدبرون له من المكائد وما علمت بكيدهم إلا عن طريقنا .

103- وفى أغلب الطباع مرض يجعلها غير قابلة لتصديق ما أوحى إليك مهما تعلق قلبك بأن يؤمنوا أو أجهدت نفسك أن يكونوا من المهتدين .

(1/399)

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (104) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (105) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ  
بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106) أَقَامُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَائِبَةٌ مِنْ عَدَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ  
السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (107) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ  
أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَتَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ (108)

104- وما نقصد بما تحدثهم به من أحاديث الهدى نيل الجزاء أو منفعة ، فإن لم يهتدوا فلا تحزن عليهم ، وسيهدى الله قوما غيرهم ، فما أنزلناه إليهم خاصة ، وما هو إلا موعظة وعبرة لكل من خلق الله فى السموات والأرض .

105- وما أكثر الدلائل على وجود الخالق ووحدانيته وكماله ، الثابتة فى

السموات والأرض ، يشاهدها قومك ويتولون عنها مكابرين غير معتبرين .

106- وفيهم مصدقون بالله معترفون بربوبيته وأنه خالق كل شئ ، ولكن إيمان أكثرهم لا يقوم على أساس سليم من التوحيد ، فلا يعترفون بوحدانية

اللَّهِ اعْتِرَافاً خَالِصاً ، ولكنه مقترن فى نفوسهم بشوائب تسلكهم فى مسلك  
المشركين .

107- اتَّخِذُوا عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا بِعَدَمِ تَعْذِيبِهِمْ ، فَضَمِنُوا الْأَمْنَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ أَنْ  
يُصِيبَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ غَامِرٍ ، وَيَغْشَاهُمْ بِنِقْمَتِهِ ، كَمَا فَعَلَ بِأَسْلَافِهِمْ مِنْ قَبْلِ؟ أَوْ  
أَنْ تَفَاجَهُمُ الْقِيَامَةُ وَتَبْغِثَهُمْ وَهُمْ مَقِيمُونَ عَلَى الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ ثُمَّ يَكُونُ  
مَصِيرُهُمْ إِلَى النَّارِ؟! .

108- نَبِّهِمْ - يَا مُحَمَّد - إِلَى سَمُو غَايَتِكَ ، وَبَصِّرْهُمْ بِنَيْلِ مَهْمَتِكَ ، فَقُلْ لَهُمْ :  
هَذِهِ سُنَّتِي وَطَرِيقَتِي ، أَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَرِيقِ اللَّهِ وَأَنَا مُتَّبِعٌ مِنْ أَمْرِي ،  
وَكَذَلِكَ يَدْعُو إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ تَبِعَنِي وَأَمِنَ بِشَرِيعَتِي ، وَأَنْزَهُ اللَّهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ ،  
وَلَسْتُ مُشْرِكًا بِهِ أَحَدًا سِوَاهُ .

(1/400)

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَقَلَّمْ يَسْبُرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا  
أَقَلَّا تَعْقِلُونَ (109) حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرَّيْلُ وَاظُنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ  
تَنْصُرًا فَتَنْجِي مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (110) لَقَدْ كَانَ فِي  
قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)

109- وما تحولنا عن سنتنا فى اختبار الرسل حين اخترناك - أيها النبى - ولا  
خرجت حال قومك عن أحوال الأمم السابقة فما بعثنا من قبلك ملائكة ، وإنما  
اخترنا رجالا من أهل الأمصار ننزل عليهم الوحي ، ونرسلهم مبشرين ومنذرين  
، فيستجيب لهم المهتدون ، ويعاندهم الضالون! فهل غفل قومك عن هذه  
الحقيقة ، وهل قعد بهم العجز عن السعى فأهلكناهم فى الدنيا ومصيرهم إلى  
النار ، وآمن من آمن فنجيناهم ونصرناهم فى الدنيا ، ولثواب الآخرة أفضل لمن  
خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه ، أسلبت عقولكم - أيها المعاندون - فلا  
تفكروا ولا تدبروا؟! .

110- ولا تستبطئ يا محمد نصرى ، فإن نصرى قريب أكيد ، وقد أرسلنا من  
قبلك رسلا فاقتضت حكمتنا أن يتراخى عنهم نصرنا ، ويتناول عليهم التكذيب  
من قومهم ، حتى إذا زلزلت نفوس واستشعرت القنوط أدركهم نصرنا ،  
فأنعمنا بالنجاة والسلامة على الذين يستأهلون منا إرادة النجاة وهم المؤمنون  
، وأدرنا دائرة السوء على الذين أجرموا بالعناد وأصروا على الشرك ، ولا يدفع  
عذابنا وبطشنا دافع عن القوم المجرمين .

111- وقد أوحينا إليك ما أوحينا من قصص الأنبياء ، تثبيتاً لفؤادك ، وهداية  
لقومك ، وأودعناه من العبر والعظات ما يستنير به أصحاب العقول والفتن  
ويدركون أن القرآن حق وصدق ، فما كان حديثاً مختلقاً ولا أساطير مفتراة ،  
وإنما هو حق ووحى ، ويؤكد صدق ما سبق من كتب السماء ومن جاء بها من  
الرسل ، ويبين كل ما يحتاج إلى تفصيله من أمور الدين ، ويهدى إلى الحق  
والى طريق مستقيم ، ويفتح أبواب رحمة الله لمن اهتدى بهديه وكان من  
المؤمنين الصادقين .

المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (1)

1- ألف . لام . ميم . راء . هذه حروف صوتية تبدأ بها بعض سور القرآن ، وهي تشير إلى أنه معجز مع أنه مكون من الحروف التي تتكون منها كلمات العرب ، وهذه الحروف الصوتية كانت تجذب العرب ، لسماع القرآن . ذلك أن المشركين تواصلوا فيما بينهم ألا يسمعوا هذا القرآن ، فكان المؤمنون إذا ابتدأوا بهذه الحروف الصوتية استرعى ذلك أسماع المشركين فيسمعون . إن تلك الآيات العظيمة هي هذا القرآن ، الكتاب العظيم الشأن الذي نزل عليك - أيها النبي - بالحق والصدق من الله الذي خلقك واصطفاك ، ولكن أكثر المشركين الذين كفروا بما جاء به من الحق ليس من شأنهم أن يذعنوا للحق ، بل هم يعاندون فيه .

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْبَغَ عَلَيْهَا السَّمَاءَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجَاحِينَ أَنْتُمْ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَبَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْنٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقُضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)

2- إن الذي أنزل هذا الكتاب هو الله الذي رفع ما ترون من سموات تجري فيها النجوم بغير أعمدة تُرى ولا يعلمها إلا الله ، وإن كان قد ربط بينها وبين الأرض بروابط لا تنقطع إلا أن يشاء الله ، وذلك الشمس والقمر بسلطانه لمنفعتكم ، وهما يدوران بانتظام لزمان قدره الله سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه يُدبّر كل شئ في السموات والأرض ، ويُبين لكم آياته الكونية رجاء أن توقنوا بالوحدانية

3- وهو سبحانه الذي بسط لكم الأرض ، وجعلها ذلولاً تسبرون فيها شرقاً وغرباً ، وجعل في هذه الأرض جبالاً ثابتة وأنهاراً تجري فيها المياه العذبة ، وجعل من ماء هذه الأنهار الثمرات المختلفة التي تتوالد ، والأصناف المتقابلة ، منها الحلو والحامض ، ومنها الأبيض والأسود ، وأنه سبحانه يستر النهار بالليل ، وأن في هذا الكون وعجائبه لعلامات بينة تثبت قدرة الله ووحدانيته لمن يتفكر ويتدبر .

4- وإن الأرض ذاتها فيها عجائب ، فيها قطع من الأرض يجاور بعضها بعضاً ، وهي مختلفة التربة مع ذلك ، بعضها قاحل ، وبعضها خصب ، وإن اتحدت التربة ، ففيها حدائق مملوءة بكروم العنب ، وفيها زرع يحصد ، ونخيل مثمر ، وهي

مجتمعة ومتفرقة ، ومع أنها تسقى بماء واحد يختلف طعمها ، وإن فى هذه العجائب لدلائل واضحة على قدرة الله لمن له عقل يفكر به .

(1/403)

وَإِنْ تَعَجِبْتَ فَصَاحِبٌ قَوْلُهُمْ أَيْدَا كُنَّا تُرَابًا أَيْدَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِرَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ الْأَعْلَالُ فِي أَعْتَابِهِمْ وَأَوْلَيْكَ النَّارُ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (5)  
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو  
مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (6) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (7)

5- وإن أمر المشركين مع هذه الدلائل لعجب ، فإن كنت يا محمد تعجب ، فالعجب هو قولهم : أبعد الموت وبعد أن نصير تراباً نكون أحياء من جديد؟ وهذا شأن الذين يكفرون بخالقهم ، عقولهم قيدت بالضلال ، ومآلهم النار التى يخلدون فيها ، فهم جاحدون ، مع أن من يقدر على الإنشاء يقدر على الإعادة .  
6- ويذهب بهم فرط ضلالهم أن يطلبوا إنزال العذاب عاجلاً بدل أن يطلبوا الهداية التى تنقذهم ، ويتوهمون أن الله لا ينزل بهم العقوبة فى الدنيا إن أراد ، وقد مضت عقوبات أمثالهم على ذلك ، فيمن أهلكهم الله قبلهم ، وشأن الله أن يغفر الظلم لمن يتوب ويعود إلى الحق ، وينزل العقاب الشديد بمن يستمر على ضلاله .

7- ويقول هؤلاء الجاحدون غير معتدين بالمعجزة الكبرى ، وهى القرآن : هلا أنزل عليه ربه علامة على نبوته من الحس كتحرير الجبال ، فيبين الله لنبية الحق فى القضية؟ ويقول له سبحانه : إنما أنت - أيها النبى - منذر لهم بسوء العاقبة ، إن استمروا على ضلالهم ، ولكل قوم رسول يهديهم إلى الحق ، ومعجزة تبين رسالته ، وليس لهم أن يختاروا ، إنما عليهم أن يجيبوا التحدى وأن يأتوا بمثله .

(1/404)

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ  
بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ (9) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ  
الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10) لَهُ مُعَقَّبَاتٌ  
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى  
يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ  
وَالٍ (11) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12)

8- الذى أعطى الرسول تلك المعجزة الكبرى هو الذى يعلم كل شئ ، ويعلم النفوس الإنسانية من وجودها نطفة فى الرحم إلى موتها ، فيعلم ما تحمل كل أنثى من أجنة ليس فقط من ذكورة أو من أنوثة ، وإنما يعلم حال الجنين ومستقبله فى حياته الدنيا شقى أم سعيد ، مؤمن أم كافر ، غنى أم فقير ، ومقدار أجله فى الدنيا وكل ما يتصل بشئونه فى الحياة .

9- هو الذى يعلم ما يغيب عن حسنا ، ويعلم ما نشاهده علماً ، أعظم مما نشاهد ونرى ، وهو سبحانه العظيم الشأن الذى يعلم كل ما فى الوجود .  
10- يعلم كل أحوالكم فى حياتكم ، وكل أقوالكم وأعمالكم ، فيعلم ما تسرون ، وما تعلنون من أفعال وأقوال ، ويعلم استخفاءكم بالليل وبروزكم بالنهار ، والكل فى علمه سواء .

11- وأن الله سبحانه هو الذى يحفظكم ، فكل واحد من الناس له ملائكة تحفظه بأمر الله وتتناوب على حفظه من أمامه ومن خلفه ، وأن الله سبحانه لا يغير حال قوم من شدة إلى رخاء ، ومن قوة إلى ضعف ، حتى يغيروا ما بأنفسهم بما يتناسب مع الحال التى يصيرون إليها ، وإذا أراد الله أن ينزل بقوم ما يسوؤهم فليس لهم ناصر يحميهم من أمره ، ولا من يتولى أمورهم فيدفع عنهم ما ينزل بهم .

12- وإن قدرة الله تعالى فى الكون بارزة آثارها ظاهرة ، فهو الذى يريكم البرق فترهبون منظره ، أو تخافون أن ينزل عليكم المطر من غير حاجة إليه فيفسد الزرع ، أو تطمعون من وراء البرق فى مطر غزير تحتاجون إليه ليصلح الزرع . وهو الذى يكوّن السحب المملوءة بالأمطار .

(1/405)

---

وَيَسْبِخُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ قَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (14) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَّهُمْ بِالْعَدُوِّ وَالْأَصَالِ (15)

13- وإن الرعد خاضع لله سبحانه وتعالى خضوعاً مطلقاً ، حتى أن صوته الذى تسمعون كأنه تسبيح له سبحانه بالحمد على تكوينه ، دلالة على خضوعه ، وكذلك الأرواح الطاهرة التى لا ترونها تسبح حامدة له ، وهو الذى يُنزل الصواعق المحرقة فيصيب بها من يريد أن تنزل عليه ، ومع هذه الدلائل الظاهرة الدالة على قدرته سبحانه يجادلون فى شأن الله سبحانه ، وهو شديد القوة والتدبير فى رد كيد الأعداء .

14- وأن الذين يدعون فى خوفهم وأمنهم من الأصنام - دون أن يدعوا الله وحده - لا يجيبون لهم نداء ولا دعاء ، وحالهم معهم كحال مَنْ يَبْسُطُ كَفَّهُ ويضعها ليحمل بهذه اليد المبسوطة الماء ليلبغ فمه فيرتوى ، وليس من شأن الكف المبسوطة أن توصل الماء إلى الفم ، وإذا كانت تلك حالهم فما دعاؤهم الأصنام إلا ضياع وخسارة .

15- والله سبحانه يخضع لإرادته وعظمته كل من فى السموات والأرض من أكوان وأناس وجن وملائكة طائعين ، أو كارهين لما ينزل بهم ، حتى ظلالهم من طول وقصر حسب أوقات النهار فى الظهيرة وفى الأصيل خاضعة لأمر الله ونهيه .

(1/406)

---

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ  
لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ  
وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ  
كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا  
فَأَخْتَمَلَ السَّبِيلُ رَبَدًا وَإِيَّاكُمْ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ رَبَّدَ  
مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ  
النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17)

16- أمر الله نبيه أن يجادل المشركين هادياً مبيناً ، فقال له : قل لهم - أيها  
النبى - : مَنْ الذى خلق السموات والأرض ، وهو الحافظ لهما ، والمسير لما  
فيهما؟ ثم بين لهم الجواب الصحيح الذى لا يحارون فيه ، فقل لهم : هو الله  
المعبود بحق دون سواه ، فكان حقا عليكم أن تعبدوه - وحده - ثم قل لهم :  
أفترون الأدلة المثبتة لإنشائه - وحده - كل شئ . وتتخذون مع ذلك أوثانا  
تعتبرونها آلهة من غير أن تقرؤوا بوجدانيتها ، وهذه الأوثان لا تملك لذاتها نفعاً ولا  
ضراً ، فكيف تسوونها بالخالق المدبر ، إنكم تسوون بين الخالق لكل شئ ومن  
لا يملك شيئاً! فكنتم كمن يسوى بين المتضادين ، فهل يستوى من يبصر ومن  
لا يبصر؟ وهل تستوى الظلمة المتكاثفة الحالكة والنور المبين؟ أيسوغون تلك  
التسوية؟ أم ذهب بهم فرط ضلالهم إلى زعم أن أوثانهم شركاء له فى الخلق  
والتدبير ، فتشابه عليهم أمر الخلق ، كما ضلوا العبادة ، قل لهم ، أيها النبى :  
الله - وحده - هو الخالق لكل ما فى الوجود ، وهو المتفرد بالخلق والعبادة ،  
الغالب على كل شئ .

17- وأن نعمه تعالى مرئية لكم ، وأصنامكم لا تأثير لها فى هذه النعم ، فهو  
الذى أنزل عليكم الأمطار من السحاب ، فتسيل بها الأنهار والوديان كل  
بالمقدار الذى قدره الله تعالى لإنبات الزرع ، وإثمار الشجر . والأنهار فى  
جريانها تحمل ما لا نفع فيه ويعلو على سطحها ، فيكون فيها ما فيه نفع فيبقى ،  
وما لا نفع فيه يذهب . ومثل ذلك الحق والباطل ، فالأول يبقى والثانى يذهب ،  
ومن المعادن التى يصهرونها بالنار ما يتخذون منها حلية كالذهب والفضة ،  
ومنافع ينتفعون بها كالحديد والنحاس ، ومنها ما لا نفع فيه يعلو السطح ، وأن  
ما لا نفع فيه يرمى وينبذ ، وما فيه النفع يبقى ، كذلك الأمر فى العقائد ما هو  
ضلال يذهب ، وما هو صدق يبقى . وبمثل هذا يبين الله سبحانه الحقائق ،  
ويمثل بعضها ببعض لتكون كلها واضحة بينة .

(1/407)

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ  
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَتِيسَنَ  
الْمِهَادِ (18) أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ  
أُولُو الْأَلْبَابِ (19) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20)

18- وإن الناس فى تلقيهم للهدى قسمان : قسم أجاز دعوة الله الخالق  
المدبر ، فلهم العاقبة الحسنى فى الدنيا والآخرة ، وقسم لم يُجب دعوة الذى  
أنشأه ، وهؤلاء لهم العاقبة فى الآخرة ، ولو ثبت لهم ملك كل ما فى الأرض



جميعاً ومثله معه ، ما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم العاقبة السيئة ، ولكن أنى يكون لهم ذلك الملك؟ ولذلك كان لهم حساب يسوؤهم وينتهون به إلى جهنم وبئس القرار والمستقر .

19- إن المهتدين والضالين لا يستوون ، فهل يكون الذى يعلم أن ما نزل عليك من الله الذى ربّك وكوّنك واصطفاك لأداء رسالته ، هو الحق الذى لا شك فيه . هل يكون كمن ضل عن الحق ، حتى صار كالأعمى الذى لا يبصر؟ إنه لا يدرك الحق وما يتذكر عظمة الله إلا أصحاب العقول التى تفكر .

20- أولئك الذين يدركون الحق ، هم الذين يوفون بعهد الله تعالى عليهم بمقتضى الفطرة والتكوين وبمقتضى توثيق عقودهم وعهودهم ، ولا يقطعون المواثيق التى عقدها باسم الله بينهم وبين العباد ، ولا بالميثاق الأكبر الذى عقده بالفطرة والتكوين ، وجعلهم يدركون الحق ويؤمنون ، إلا أن يضلوا فى يقينهم .

(1/408)

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (25)

21- وأولئك المؤمنون من دأبهم المحبة والطاعة ، إنهم يعقدون المودة مع الناس ويخصون ذوى أرحامهم ، ويؤيدون ولاتهم فى الحق ، وهم يعرفون حق الله فيخشونه ، ويخافون الحساب الذى يسوؤهم يوم القيامة فيتوقون الذنوب ما استطاعوا .

22- وهم يصبرون على الأذى يطلبون رضا الله بتحملة فى سبيل إعلاء الحق ، ويؤدون الصلاة على وجهها تطهيراً لأرواحهم وتذكراً لربهم ، وينفقون من المال الذى أعطاهم الله فى السر والعلن من غير رياء ، ويدفعون السيئات بالحسنات يقومون بها ، وهم بهذه الصفات لهم العاقبة الحسنة ، بالإقامة يوم القيامة بأحسن دار وهى الجنة .

23- تلك العاقبة الطيبة إقامة مستمرة فى الجنات والنعيم ، يكونون فيها هم وآباؤهم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ، ومعهم أزواجهم وذرياتهم والملائكة تحيهم وتحيى إليهم من كل ناحية .

24- وتقول لهم : السلام الدائم لكم بسبب صبركم على الأذى وصبركم فى مكافحة أهوائكم ، وما أحسن هذه العاقبة التى صرتم إليها ، وهى الإقامة فى دار النعيم .

25- وأن أوصاف المؤمنين الطيبة تقابلها أوصاف المشركين الذميمة . فالمشركون ينقضون عهد الله الذى أخذه عليهم بمقتضى الفطرة ووثقه ، فيخالفون فطرتهم وعقولهم بعبادتهم حجارة لا تنفع ، ولا تضر ، وينكثون فى عهودهم مع العباد ، ثم يقطعون مودتهم مع الناس وصلتهم بالله ، فلا يطيعون

أوامره ولا يفرّدونه بالعبادة ويفسدون فى الأرض بالاعتداء فيها ، وعدم إصلاحها والانتفاع بها ، والله سبحانه لا يحب العبث والإفساد .

(1/409)

اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَقَرَّحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي  
الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (26) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ  
يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَ (27) الَّذِينَ آمَنُوا وَيَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ  
اللَّهِ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (28) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى  
لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (29) كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُو  
عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ  
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ (30)

26- وإذا كان أولئك المشركون يرون أنهم قد أوتوا مالاً وفيراً ، والمؤمنون فقراء ضعفاء ، فليعلموا أن الله تعالى يعطى الرزق الوفير لمن يشاء إذا أخذ فى الأسباب ، ويضيقه على من يشاء ، فهو يعطيه للمؤمن وغير المؤمن ، فلا تظنوا أن كثرة المال فى أيديهم دليل على أنهم على الحق ، ولكنهم يفرحون بما أوتوا من مال ، مع أن الله تعالى يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، وما الحياة الدنيا إلا متع عارضة ضئيلة فانية .

27- وأن أولئك المشركين تذهب بهم اللجاجة فيقولون : هلا أنزل على النبي من الله معجزة أخرى؟ فقل - أيها النبي - : إن السبب فى عدم إيمانكم ليس نقص المعجزة ، إنما هو الضلال ، والله سبحانه وتعالى يضل من يريد ضلاله ما دام يسير فى طريق الضلال ، ويهدى إلى الحق من يرجع إلى الله دائماً .

28- وأن هؤلاء الذين يرجعون إلى الله ، ويقبلون على الحق ، هم الذين آمنوا وهم الذين تسكن قلوبهم عند ذكر الله تعالى بالقرآن وغيره ، وإن القلوب لا تسكن وتطمئن إلا بتذكر عظمة الله وقدرته وطلب رضاه بطاعته .

29- وإن الذين أذعنوا للحق ، وقاموا بالأعمال الصالحة ، لهم العاقبة الطيبة والمال الحسن .

30- كما أرسلنا إلى الماضين من الأمم رسلاً بينوا لهم الحق ، فضل من ضل واهتدى من اهتدى ، وأتيناهم معجزات تدل على رسالتهم ، أرسلناك فى أمة العرب وغيرهم ، وقد مضت من قبلهم أمة ، وكانت معجزتك القرآن لتقرأه لهم قراءة توضح معانيه وجلاله ، وهم جاحدون برحمة الله عليهم بإنزال القرآن ، فقل لهم - أيها النبي - : الله هو الذى خلقنى ويحمينى وبرحمنى ، لا إله يُعبد - بحق - غيره ، اعتمد عليه - وحده - وإليه مرجعى ومرجعكم .

(1/410)

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ  
الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَتَسَاءَلُوا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا نُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ  
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31) وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَاْمَلَيْتُ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (32) أَقَمْنَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ  
بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ  
بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ  
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33)

31- إنهم يطلبون معجزة غير القرآن مع عظم تأثيره لو طلبوا الحق وأذعنوا له ، فلو ثبت أن كتاباً يُقرأ فتتحرك به الجبال من أماكنها ، أو تتصدع به الأرض ، أو تخاطب به الموتى ، لكان ذلك هو القرآن ، ولكنهم معاندون ، ولله - وحده - الأمر كله فى المعجزات وجزاء الجاحدين ، وله فى ذلك القدرة الكاملة ، وإذا كانوا فى هذه الحال من العناد ، أفلا يياس الذين أذعنوا للحق من أن يؤمن هؤلاء الجاحدين ، وإن جحودهم بإرادة الله ، ولو أراد أن يهتدى الناس جميعاً لاهتدوا ، وأن قدرة الله ظاهرة بين أيديهم ، فلا يزالون تصيبهم بسبب أعمالهم القوارع الشديدة التى تهلكهم ، أو تنزل قريباً منهم ، حتى يكون الموعد الذى وعد الله به ، والله تعالى لا يخلف مواعده .

32- وإذا كان أولئك الجاحدون قد استهزأوا بما تدعو إليه وبالقرآن ، فقد سخروا بالرسول الذين أرسلوا قبلك - أيها النبى - فلا تحزن لأنى أمهل الذين جحدوا ثم أخذهم فيكون العقاب الشديد الذى لا يقدر وصفه ولا تُعرف حاله .  
33- إن المشركين ضلوا فى جحودهم ، فجعلوا لله شركاء فى العبادة ، فهل من هو حافظ مراقب لكل نفس مُحص عليها ما تكسب من خير أو شر ، تماثله هذه الأوثان؟ قل لهم - أيها النبى - : صفوهم بأوصافهم الحقيقية ، أهم أحياء؟ أهم يدفعون الضر عن أنفسهم؟ فإن كانت حجارة لا تنفع ولا تضر ، فهل تخذعون أنفسكم بأن يخبروا الله بما تتوهمون أنه لا يعلمه فى هذه الأرض ، أم تضعونهم فى موضع العبادة بالفاظ تتلوى بها ألسنتكم ، بل الحقيقة أنه زين لهم تدبيرهم وتمويههم الباطل ، وبسبب ذلك صرفوا عن طريق الحق وتاهوا ، ومن يكن ضلالهم مثلهم ، فلن يهديه أحد ، لأنه صرف نفسه عن سبيل الهداية .

(1/411)

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (34)  
مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ  
عُقبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35) وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ إِذَا بَلَغُوا الْحُلُومَ  
بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا  
أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مآبُ (36) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ  
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (37)

34- لهم العذاب فى الدنيا بالهزيمة والأسر والقتل ، إن سار المؤمنون فى سبيل الحق ، ولعذاب الآخرة النازل بهم لا محالة أشد وأدوم ، وما لهم أحد يقيهم من عذاب الله القاهر فوق كل شئ .

35- وإذا كان لهؤلاء هذا العذاب ، فللمؤمنين الجنة ونعيمها ، وقد وعدوا بها .  
وحال هذه الجنة التى وعد بها أولئك الذين استقاموا على الحق ، وجعلوا بينهم وبين الباطل وقاية من الإيمان أنها تجرى من تحت أشجارها المياه العذبة ثمراتها دائمة لا تنقطع ، وظلها دائم . وهذه عاقبة الذين اتقوا الشر . أما

الجاحدون فعاقبتهم دخول النار .  
36- والذين أعطوا علم الكتب المنزلة من شأنهم أن يفرحوا بالكتاب الذي أنزل عليك : لأنه امتداد للرسالة الإلهية ، ومن يتخذون التدين تحزباً : ينكرون بعض ما أنزل إليك عداوة وعصية ، فقل - أيها النبي - : إني ما أمرت إلا بأن أعبد الله لا أشرك في عبادته شيئاً ، وإلى عبادته - وحده - أدعو ، وإليه - وحده - مرجعي .

37- ومثل الإنزال للكتب السماوية ، أنزلنا إليك القرآن حاكماً للناس فيما بينهم ، وحاكماً على الكتب السابقة بالصدق . وقد أنزلناه بلغة عربية ، فهو عربى ، ولا تساير المشركين أو أهل الكتاب بعد الذى جاءك من الوحي والعلم ، ولئن سايرتهم فما لك ناصر ينصرك من الله ، أو يقيك منه . والخطاب للنبي ، وهو أولى بالمؤمنين ، والتحذير لهم حقيقى ، وللنبي لبيان أنه مع اصطفائه وعلو منزلته قابل للتحذير .

(1/412)

---

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ  
بِآيَةٍ إِلَّا يَأْذُنَ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ  
الْكِتَابِ (39) وَإِنْ مَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ  
وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (40) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ  
لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (41)

38- وإذا كان المشركون يثيرون العجب من أن لك أزواجاً وذرية ، ويطلبون معجزة غير القرآن ، فقد أرسلنا من قبلك رسلا لهم أزواج وأولاد ، فالرسول من البشر له أوصاف البشر ، ولكنه خير كله ، وليس لنبي أن يأتى بمعجزة كما يحب أو يحب قومه ، بل الذى يأتى بالمعجزة هو الله ، وهو الذى يأذن له بها . لكل جيل من الأجيال أمر كتبه الله لهم يصلح به أمرهم ، فلكل جيل معجزته التى تناسبه .

39- يمحو الله ما يشاء من شرائع ومعجزات ، ويحل محلها ما يشاء ويثبته وعنده أصل الشرائع الثابت الذى لا يتغير ، وهو الوجدانية وأمهات الفضائل ، وغير ذلك .

40- ولئن أريناك بعض الذى نعدهم من ثواب أو عقاب ، أو توفيناك قبل ذلك ، لرأيت هول ما ينزل بالمشركين ، ولرأيت نعيم المؤمنين ، وليس عليك هذا ، إنما الذى عليك أن تبلغ الرسالة والحساب علينا وحدنا .

41- وإن أمارات العذاب والهزيمة قائمة ، ألم ينظروا إلى أننا نأتى الأرض التى قد استولوا عليها ، يأخذها منهم المؤمنون جزءاً بعد جزء؟ وبذلك ننقص عليهم الأرض من حولهم ، والله - وحده - هو الذى يحكم بالنصر أو الهزيمة ، والثواب أو العقاب ، ولا راد لحكمه ، وحسابه سريع فى وقته ، فلا يحتاج الفصل إلى وقت طويل ، لأن عنده علم كل شئ ، فالبيانات قائمة .

(1/413)

---

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ  
الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (42) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ  
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (43)

42- وقد دبر الذين من قبلهم التدبير السيئ لرسولهم ، ولله سبحانه تدبير الأمر  
كله فى حاضر الكافرين وقابلهم ، وسيكون الجزاء على ما يصنعون ، وهو يعلم  
ما تعمله كل نفس . وإذا كانوا يجهلون أن العاقبة الحسنة للمؤمنين ،  
فسيعلمون يوم القيامة - بالرؤية - لمن تكون العاقبة الحسنة بالإقامة فى دار  
النعيم .

43- والغاية من المراء الذى يقوم به الذين جحدوا ولم يذعنوا للحق أن يقولوا  
لك - أيها النبى - لست مرسلا من عند الله ، فقل لهم : حسبى أن الله هو الذى  
يحكم بينى وبينكم ، والذى يعلم حقيقة القرآن ، وما يدل عليه من إعجاز باهر  
تُدركه العقول السليمة .

(1/414)

الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى  
صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (1) اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ  
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (2)

1- ألف . لام . راء : فى الابتداء بهذه الحروف تنبيه إلى إعجاز القرآن ، مع أنه  
مكون من حروف يتكلمون بها ، وتنبيه للاستماع . هذا المذكور فى السورة  
كتاب منزل إليك يا محمد من عندنا ، لتخرج الناس كافة من ظلمات الكفر  
والجهل إلى نور الإيمان والعلم بتيسير ربهم .

2- طريق الله الذى له كل ما فى السموات وما فى الأرض - خلقاً ومُلْكاً - إذا  
كان هذا هو حال الإله الحق ، فالهلاك بعذاب شديد للكافرين .

(1/415)

الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا  
عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (3) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رِسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ  
لَهُمْ قِيَصِيلِ اللَّهِ مِنْ بَيِّنَاتٍ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا  
مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبُّوْنَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ  
نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (6) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ  
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7)

3- الذين يفضلون الحياة الدنيا على الآخرة ، ويمنعون الناس عن شريعة الله ،  
ويرغبون أن تصير الشريعة معوجة فى نظر الناس لينفروا منها؛ أولئك  
الموصوفون بما ذكر قد ضلوا ضللا بعيدا عن الحق .

- 4- وما أرسلنا رسولا قبلك - يا أيها النبي - إلا متكلماً بلغة قومه الذين بعثناهم ليفهمهم ما أتى به ، فيفقهوه ويدركوه بسهولة ، وليس عليه هدايتهم ، فإله يضل من يشاء لعدم استعداده لطلب الحق ، ويهدى من يشاء لحسن استعداده ، وهو القوى الذي لا يغلب على مشيئته ، والذي يضع الأمور في مواضعها ، فلا يهدى ولا يضل إلا لحكمة .
- 5- ولقد أرسلنا موسى مؤيداً بمعجزاتنا ، وقلنا له : أخرج قومك بنى إسرائيل من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، وذكرهم بالوقائع والنقم التي أوقعها الله بالأمم قبلهم . إن في ذلك التذكير دلائل عظيمة على وحدانية الله ، تدعو إلى الإيمان وإلى كل ما يتحقق به كمال الصبر على البلاء ، والشكر على النعماء ، وهذه صفة المؤمن .
- 6- وإذكر - أيها النبي - لقومك ، لعلمهم يعتبرون ، وقت قول موسى لقومه تنفيذاً لأمر ربك : اذكروا نعمة الله عليكم ، حين أنجاكم من قوم فرعون وهم يذيقونكم العذاب الأليم ، بتكليفكم الأعمال الشاقة ، وبذبحون أبناءكم الذكور ، ويستبقون نساءكم بلا قتل ذليلات مهانات ، وفي كل ما ذكر من التعذيب والإنجاء اختبار من الله عظيم ، ليظهر مقدار الصبر والشكر .
- 7- واذكروا - يا بنى إسرائيل - حين أعلمكم ربكم وقال : والله إن شكرتم ما وهبناكم من نعمة الإنجاء وغيرها ، وبالثبات على الإيمان والطاعة لأربيدنكم من نعمي ، وإن جحدتم نعمي بالكفر والمعصية ، لأعذبنكم عذاباً مؤلماً ، لأن عذابي شديد للجاحدين .

(1/416)

وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَلَيْلَ اللَّهُ لَعَنِي حَمِيدٌ (8)  
 أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (10) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُرُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَلْبَتُوكُلِ الْمُؤْمِنُونَ (11)

8- وقال موسى لقومه - حينما عاندوا وجحدوا - : إن تجحدوا نعم الله ولا تشكروها بالإيمان والطاعة ، أنتم وجميع من فى الأرض ، فإن ذلك لن يضر الله شيئاً ، لأن الله غنى عن شكر الشاكرين ، مستوجب الحمد بذاته ، وإن لم يحمده أحد .

9- ألم يصل إليكم خبر الذين مَضَوْا من قبلكم ، قوم نوح وعاد وثمود ، والأمم الذين جاءوا من بعدهم ، وهم لا يعلمهم إلا الله لكثرتهم ، وقد جاءتهم رسلهم بالهُجج الواضحة على صدقهم ، فوضعوا أيديهم على أفواههم استغراباً واستنكاراً ، وقالوا للرسول : إنا كفرنا بما جئتم به من المعجزات والأدلة ، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه من الإيمان والتوحيد ، لأننا لا نطمئن إليه ونشك فيه .

10- قالت الرسل لأقوامهم - منكربين عليهم شكهم فى وجود الله ووحدانيته ،

متعجبين من ذلك - أفى وجود الله وألوهيته - وحده - شك ، وهو خالق السموات والأرض على غير مثال يحتذيه ، وهو يدعوكم ليغفر لكم بعض ذنوبكم التى وقعت منكم قبل الإيمان ، ويؤخركم إلى انتهاء أجالكم؟! قالت الأقوام لرسلمهم تعنتاً : ما أنتم إلا بشر مثلنا ، لا فضل لكم علينا يؤهلكم للرسالة . . تريدون أن تمنعوننا بما تدعوننا إليه عمّا كان عليه أبأؤنا من العبادة ، فأتونا بحجة واضحة مما نقترحه عليكم .

11- قالت لهم رسلمهم : ما نحن إلا بشر مثلكم كما قلتم ، ولكن الله يصطفى من يشاء من عباده فيخصهم بالنبوة والرسالة ، وما كان فى قدرتنا أن نأتىكم بحجة مما تقترحون إلا بتيسير منه ، وعلى الله - وحده - فليتوكل المؤمنون ولتتوكل عليه بالصبر على معاندتكم .

(1/417)

---

وَمَا لَنَا إِلَّا التَّوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَتَصْبِرَنَّ عَلَى مَا أَدَّبْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَتُسْكِنَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17)

12- وأى عذر لنا فى ترك التوكل على الله ، وهو قد أرشدنا إلى سبيله ومنهاجه الذى شرع له ، وأوجب عليه سلوكه فى الدين ، وإنا لنؤكد توكلنا على الله ، ولنصبرن على أذاكم لنا بالعناد واقترح المعجزات ، والله - وحده - هو الذى يتوكل عليه المتوكلون .

13- عمد الكفار المتجبرون إلى القوة ، بعد أن عجزوا جميعاً عن مقاومة الدليل ، وقالوا لرسلمهم : ليكونن أحد أمرين : إما أن نخرجكم من أرضنا ، وإما أن تدخلوا فى ديننا ، فأوحى الله إلى الرسل قائلاً : لنهلكن الكافرين لظلمهم .

14- ولتسكننكم أرضهم من بعد هلاكهم . وذلك الإسكان للمؤمنين حق لمن خاف موقف حسابى ، وخاف وعيدى بالعذاب ، فإن من غلب عليه الخوف أطاع .

15- إن الرسل استنصروا على أقوامهم لما يؤسوا من إيمانهم وطلبوا النصر من ربهم على الكافرين من أقوامهم ، فنصرهم الله وربحوا ، وخسر كل متكبر عن طاعة الله شديد العناد .

16- وقد استقبل الهزيمة فى الدنيا ، ومن ورائه فى الآخرة عذاب جهنم ، ويسقى فيها من ماء كريبه ، وهو كالصديد يسيل من أهل النار .

17- يتكلف شربه كأنه يتلعه مرة أخرى ، ولا يقرب من استساغته لأنه لا يمكن أن يستساغ لكراهته وقذارته ويحيط به أسباب الموت من الشدائد من كل جهة ، وما هو فى جهنم بميت فيستريح مما هو فيه ، بل يستقبل فى كل وقت عذاباً أشد .

(1/418)

---

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَاةُ النَّعِيدُ (18) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (20) وَتَبَرَّوْا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (21)

18- إن حال أعمال الخيبرين الكافرين الدنيوية وكسبهم فيها - لبنائها على غير أساس من الإيمان - كحال رماد اشتدت لتفريقه الريح فى يوم شديد العواصف ، لا يقدرّون يوم القيامة على شئ مما كسبوا فى الدنيا من تلك الأعمال فلا يمكنهم الانتفاع بشئ منها إذ لا يرون لها أثراً من الثواب ، كما لا يقدر صاحب الرماد المتطاير فى الريح على إمساك شئ منه ، وهؤلاء الضالون يحسبون أنهم محسنون ، مع أن أعمالهم بعيدة أشد البعد عن طريق الحق .  
19- ألم تعلم - أيها المخاطب - أن الله تعالى خلق السموات والأرض لتقوموا على الحق بمقتضى حكمته ، ومن قدر على هذا كان قادراً على إهلاككم أيها الكافرون والإتيان بخلق جديد غيركم يعترفون بوجوده ووحدانيته إذا شاء .  
20- وما ذلك الإذهاب والإتيان على الله بمتعذر ولا بمتعسر .  
21- وسيظهر الكفار جميعاً من قبورهم للرئين - لأجل حساب الله تعالى - ظهوراً لا شك فيه كأنه واقع الآن فعلاً ، فيقول ضعفاء الرأى من الأتباع للقادة المستكبرين : إنا كنا لكم تابعين فى تكذيب الرسل ومحاربتهم والإعراض عن نصائحهم ، فهل أنتم اليوم دافعون عنا من عذاب الله بعض الشئ؟ قال المستكبرون : لو هदानا الله إلى طريق النجاة ووفقنا له لأرشدنا ودعوناكم إليه ، ولكن ضللنا فأضللناكم ، أى اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا ، ونحن وأنتم الآن سواء علينا الجزع والصبر ، ليس لنا مهرب من العذاب .

(1/419)

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22) وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَجِيئُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (23) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْلَاهَا تَابِتٌ وَقَرُّهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَصْرُبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26)

22- ويقول إبليس - حين يقضى الله الأمر بتنعيم الطائعين وتعذيب العاصين - لمن اتبعه : إن الله تعالى وعدكم وعداً حقاً بالبعث والجزاء فأنجزه ، ووعدتكم وعداً باطلاً بأن لا بعث ولا جزاء فأخلفتكم وعدى ، وما كان لى عليكم قوة أقهركم بها على اتباعى ، لكن دعوتكم بوسوستى إلى الضلالة فأسرعتم إلى طاعتى ، فلا تلومونى بوسوستى ، ولوموا أنفسكم على إجابتى وما أنا اليوم



- بمغيثكم من العذاب ، وما أنتم بمغيثي . إنى جحدت اليوم إشراككم إياي مع الله فى الدنيا حيث أطمعتمونى كما يطع العبد ربه . إن الكافرين لهم عذاب مؤلم .
- 23- وأدخل فى الآخرة الذين صدقوا وعملوا الأعمال الصالحة جنات تجرى من تحت قصورها الأنهار خالدين فيها بإذن الله تعالى وأمره ، تحيتهم فيها من الملائكة تفيد الأمن والاطمئنان .
- 24- ألم تعلم - أيها الإنسان - كيف ضرب الله مثلا لكلمة الحق الطيبة ، وكلمة الباطل الخبيثة ، فجعل الكلمة الحسنة الفائدة مثل شجرة حسنة المنفعة ، أصلها ضارب بجذورها فى الأرض ، وأفنانها مرتفعة إلى جهة السماء .
- 25- تعطى ثمرها كل وقت عيَّنه الله؛ لإثمارها بإرادة خالقها ، كذلك كلمة التوحيد ثابتة فى قلب المؤمن ، وعمله يصعد إلى الله ، وينال بركته وثوابه كل وقت ، ويبين الله الأمثال للناس ، فيشبه المعانى بالمحسوسات ليتعضوا فيؤمنوا .
- 26- الكلمة الباطلة الخبيثة شبيهة بشجرة خبيثة ، كأنها اقتلعت ، وكأنها ملقاة على الأرض لأنها ليس لها ثبات فيها ، كذلك كلمة الباطل داحضة لا ثبات لها . لأنها لم تعاضد بحجة .

(1/420)

يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْلَهُمْ دَارَ الْبُورِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنْسَوْنَ الْفَرَارِ (29) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَيْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَنَّعُوا فَإِن مَّصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30) قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ (31) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32)

- 27- يثبت الله الذين آمنوا على القول الحق فى الحياة الدنيا وفى يوم القيامة ، ويُبعد الله الكافرين عنه لسوء استعدادهم ، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض وإضلال آخرين ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .
- 28- ألم تنظر - أيها السامع - إلى المشركين الذين وضعوا مكان شكر نعمة الله بمحمد ودينه كفراً بالله تعالى وأنزلوا أتباعهم - بإضلالهم إياهم - دار الهلاك .
- 29- وهى جهنم يقاسون حرَّها وقبح المقر جهنم .
- 30- وجعلوا لله - الواحد الأحد - أمثالا من الأصنام فى العبادة ، لتكون عاقبة عملهم إضلال الناس عن سبيل الله ، وقل - أيها النبى - لأولئك الضالين : تمتعوا بشهواتكم فإن مرجعكم إلى النار! .
- 31- قل - يا محمد - لعبادى الصادقين الذين آمنوا وأحسنوا : أقيموا الصلاة ، وأنفقوا بعض ما رزقناكم فى وجوه البر ، مسرين ومعلنين ، وفى كل خير ، من قبل أن يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا صداقة .
- 32- الله - وحده - هو الذى أنشأ السموات وما فيها ، والأرض وما فيها ، وأنزل

من السحاب ماء مدراراً ، فأخرج بسببه رزقاً لكم . هو ثمرات الزرع أو الشجر ، وسخر لكم السفن لتجري في البحر تحمل أرزاقكم وتجارركم بإذنه ومشيتته ، وسخر لكم الأنهار العذبة لتنتفعوا بها في رى الأنفس والزرع .

(1/421)

وَيَسْحَرُ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَحَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُمْ أَصْلَحُوا كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)

- 33- وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، للإضاءة وإصلاح النبات والحيوان ، وسخر لكم الليل للراحة ، والنهار للسعى .
- 34- وهياً لكم كل ما تحتاجون إليه في حياتكم مما شأنه أن يطلب سواء أطلبتموه أم لا ، وإن تعدوا ما أنعم الله به عليكم لا يمكنكم حصر أنواعه ، فضلاً عن أفراده . إن الجاحد الذي قابل النعم بالجحود لشديد الظلم والجحود .
- 35- واذكر - أيها النبي - لقومك ، ليعتبروا فيرجعوا عن إشراكهم ، قول أبيهم إبراهيم بعد بناء الكعبة : يا رب اجعل هذا البلد الذي فيه الكعبة ذا أمن من الظالمين وأبعدنى وأبنائى عن عبادة الأصنام .
- 36- لأن الأصنام تسببت فى إضلال كثير من الناس بعبادتهم لها . فمن تبعنى من ذريتى ، وأخلص لك العبادة ، فإنه من أهل دينى ، ومن عصانى - بإقامته على الشرك - فأنت قادر على هدايته لأنك كثير المغفرة والرحمة .
- 37- يا ربنا إني أسكنت بعض ذريتى فى وادى مكة الذى لا ينبت زرعاً ، عند بيتك الذى حرمت التعرض له والتعاون بشأنه ، وجعلت ما حوله آمناً . ربنا فأكرمهم ليقيموا الصلاة بجوار هذا البيت ، فاجعل قلوباً خيرة من الناس تميل إليهم لزيارة بيتك ، وارزقهم من الثمرات بإرسالها إليهم مع الوافدين ، ليشكروا نعمتك بالصلاة والدعاء .

(1/422)

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41) وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَافِيًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً (43)

- 38- ربنا ، إنه يستوى عند علمك سرنا وعلانيتنا ، فأنت أعلم بمصالحنا ، وأرحم بنا منا ، وما يخفى عليك شئ ولو كان صغيراً فى الأرض ولا فى السماء ، فلا حاجة بنا إلى الدعاء ، ولكننا ندعوك إظهاراً للعبودية ، ونخشع لعظمتك ، ونفتقر إلى ما عندك .
- 39- الحمد لله الذى أعطانى - مع كبر سنى ، واليأس من الولد - إسماعيل ثم إسحاق . إن ربى لسميع دعائى ، مجيب له .
- 40- رب وفقنى لأداء الصلاة على وجهها ، ووفق لأدائها كذلك الأخيار من ذريتى ، ربنا تقبل دعائى قبول المستجيب .
- 41- ربنا اغفر لى ما فرط منى من الذنوب ، واغفر لوالدى وللمؤمنين . يوم يتحقق الحساب ، ويكون من بعده الجزاء .
- 42- ولا تطنن - أيها الرسول - ربك غافلاً عما يعمل الظالمون من محاربة الإسلام وأهله؛ بل هو عالم بمخالفتهم ، وقدّر تأخير عقوبتهم ليوم عسير ، تبقى فيه أبصارهم مفتوحة ، لا يسيطرون عليها ، فلا ترد إليهم من هول ما ترى .
- 43- وهم مسرعون نحو الداعى ، رافعو رؤوسهم إلى السماء ، لا ترجع أعينهم إلى إرادتهم ، وقلوبهم خالية ليس فيها تفكير من شدة الخوف .

(1/423)

وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِبْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعَ الرَّسُولَ أَوْلِمَ تَكُونُوا أَفْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (44) وَسَكَتِكُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَصَرَّرْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (45) وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (47) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَتَزُولُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (49)

- 44- وبين - أيها النبي - للناس أهوال يوم القيامة الذى يأتيهم فيه العذاب فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى : ربنا أحر العذاب عنا ، وردنا إلى الدنيا ، وأمهلنا إلى أجل من الزمان قريب ، نتدارك ما فرطنا بإجابة دعوتك إلى التوحيد واتباع الرسل . فيقال لهم : أتقولون اليوم هذا ونسيتم أنكم حلفت من قبل فى الدنيا أنكم إذا متم لا تزول عنكم هذه النعمة ، إن كان بعث يوم القيامة؟ .
- 45- وسكنتم فى الدنيا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى من الأمم قبلكم ، وظهر لكم بمشاهدة آثارهم كيف عاقبناهم فلم تنزجروا ، وبينا لكم صفات ما فعلوا وما حل بهم ، فلم تعتبروا .
- 46- وقد دبر هؤلاء المشركون تدبيرهم لإبطال الدعوة ، وعند الله علم مكرهم وما كان مكرهم لتزول منه الشريعة الثابتة ثبات الجبال .
- 47- فلا تظن - أيها الرسول - أن الله تعالى مُخْلِفَ رُسُلِهِ ما وعدهم به من النصر ، لأنه غالب لا يمنعه أحد عما يريد ، شديد الانتقام ممن كفر به وعصى رسله .
- 48- فينتقم منهم يوم القيامة حين نجعل الأرض غير الأرض الموجودة الآن ، ونجعل السموات غير السموات كذلك ، وبخرج الخلائق من قبورهم لحكم الله

الذى لا شريك له ولا غالب له .  
49- وترى الكافرين يوم القيامة مشدودين بالقيود مع شياطينهم .

(1/424)

---

سَرَّابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَعَشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ (50) لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ بِسِرِّعِ الْحِسَابِ (51) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52)

- 50- مطلية جلودهم بسائل من القطران ، كالملابس على أجسادهم ، وتعلو النار وجوههم وتجللها .  
51- يفعل بهم ذلك ، ليجزى الله كل نفس منهم بما كسبته فى الدنيا ، والله سريع الحساب يوم القيامة ولا يشغله عنه شئ .  
52- هذا القرآن هو البلاغ لنصحهم ولإنذارهم وتخويفهم من عذاب الله ، وليعلموا إذا خافوا وتأملوا أنه لا إله إلا إله واحد ، وليتذكر أصحاب العقول عظمة ربهم ، فيبتعدوا عما فيه هلاكهم .

(1/425)

---

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ (1) رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (2)

- 1- تلك آيات الكتاب المنزل المقروع المبين الواضح .  
2- يود ويتمنى الذين جحدوا بآيات الله - سبحانه وتعالى - كثيرا عندما يرون عذاب يوم القيامة ، أن لو كانوا قد أسلموا فى الدنيا وأخلصوا دينهم لله .

(1/426)

---

دَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (3) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (4) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (5) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (6) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (7) مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ (8) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي سَبْعِ الْأَوَّلِينَ (10)

- 3- ولكنهم الآن غافلون عما يستقبلهم فى الآخرة من عذاب ، فدعهم بعد تبليغهم وإنذارهم ، ليس لهم هم إلا أن يأكلوا ويستمتعوا بملاذ الدنيا ، ويصرفهم أملمهم الكاذب ، فمن المؤكد أنهم سيعلمون ما يستقبلهم عندما يرونه رأى العين يوم القيامة .  
4- وإذا كانوا يطلبون إنزال العذاب الدنيوى كما أهلك الله الذين من قبلهم ،

- فليعلموا أن الله لا يهلك مدينة أو أمة إلا لأجل معلوم عنده .
- 5- لا يتقدمون عليه ولا يتأخرون عنه .
- 6- وإن من فيج حالهم وشدة غفلتهم أن ينادوا النبي متهكمين قائلين : - أيها الذي نُزِّل عليه الكتاب للذكر - إن بك جنونا مستمرا ، فليس النداء بنزول الذكر عليه إلا للتهكم .
- 7- ولفرط جحودهم يقولون بعد ذلك الشتم والتهكم : هلا أتيتنا بدل الكتاب المنزل بملائكة تكون لك حجة إن كنت صادقاً معدوداً في الصادقين .
- 8- وقد أجابهم الله تعالت كلماته : ما نُزِّل الملائكة إلا ومعهم الحق المؤكد الثابت الذي لا مجال لإنكاره ، فإن كفروا به فإنهم لا يمهلون ، بل ينزل بهم العذاب الديوي فوراً .
- 9- وأنه لأجل أن تكون دعوة النبي بالحق قائمة إلى يوم القيامة ، لم ننزل الملائكة ، بل أنزلنا القرآن المستمر تذكيره للناس ، وإنا لحافظون له من كل تغيير وتبديل أو زيادة أو نقصان حتى تقوم القيامة .
- 10- ولا تحزن - أيها الرسول الأمين - فقد أرسلنا قبلك رسلاً في طوائف تتعصب للباطل مثل تعصبهم ، ولقد مضوا مع الأولين الذين هلكوا لجحودهم .

(1/427)

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (11) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (12) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ بَيْنَهُمُ الْوَالِيينَ (13) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (14) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (15) وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَاتٍ لِلنَّاطِرِينَ (16) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (17)

- 11- وما كان شأن الذين سبقوهم في تعصبهم للباطل إلا أن يستهزئوا برسلمهم رسولا رسولا ، كما يستهزئون بك ، فتلك سنة المبطلين .
- 12- كما أدخلنا القرآن في قلوب المؤمنين فأضاءها ، أدخلنا الباطل في قلوب الذين اتسموا بالإجرام ، فانقلبت الأوضاع في قلوبهم ، إذ تأصل الباطل في نفوسهم .
- 13- لا يؤمن المجرمون به وقد مضت طريقة الله تعالى في إمهالهم حتى يروا عذاب يوم القيامة المؤلم .
- 14- إن هؤلاء يطلبون أن تنزل عليهم الملائكة ، ولا تظن - أيها النبي - أنهم يؤمنون لو نزلت ، بل لو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يصعدون ، يرون العجائب ويرون الملائكة .
- 15- ما آمنوا ، ولقالوا : إنما حبست أبصارنا عن النظر ، وغطيت ، بل إن ما كان هو السحر ، وقد سحرنا ، فلا جدوى في أي آية مع الجحود في قلوبهم .
- 16- وإننا قد جعلنا في السماء نجوماً لتكون مجموعات متعددة مختلفة الأشكال والهيئات ، وزيناها بذلك للذين ينظرون متأملين معتبرين مستدلين بها على قدرة مبدعها .
- 17- ولكن حفظناها من كل شيطان جدير بالرجم والطرده من رحمة الله تعالى

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ (18) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَإِلَيْنَا رَوَّاسِيٌّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)

- 18- من يحاول من هؤلاء الشياطين أن يسترق الاستماع إلى الكلام الذى يجرى بين سكان هذه النجوم ، فإننا نلحقه بجرم سماوى واضح بين .
- 19- وخلقنا لكم الأرض ومهدناها حتى صارت كالبساط الممدود ، ووضعنا فيها جبالاً ثابتة ، وأنبتنا لكم فيها من كل أنواع النبات ما يحفظ حياتكم ، وجعلناه مُقدراً بأزمان معينة فى نموه وغذائه ، ومُقَدَّراً بمقدار حاجتكم ومقدار كميته ، وفى أشكاله فى الخلق والطبيعة .
- 20- وجعلنا فى الأرض أسباب المعيشة الطيبة لكم ، ففيها الحجاره التى تبون منها المساكن ، والحيوان الذى تنتفعون بلحمه أو جلده أو ريشه ، والمعادن التى تخرج من بطنها ، وغير ذلك ، وكما أن فيها أسباب المعيشة الطيبة ، ففيها المعيشة أيضاً لمن يكونون فى ولايتكم من عيال وأتباع ، فالله - وحده - هو يرزقهم وإياكم .
- 21- وما من شئ من الخير إلا عندنا كالخزائن المملوءة ، من حيث تهيئته وتقديمه فى وقته ، وما ننزله إلى العباد إلا بقدر معلوم حددته حكمتنا فى الكون .
- 22- وقد أرسلنا الرياح حاملة بالأمطار وحاملة بذور الإنبات ، وأنزلنا منها الماء وجعلناه سقياً لكم ، وأن ذلك خاضع لإرادتنا ، ولا يتمكن أحد من التحكم فيه حتى يصير عنده كالخزائن .

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (23) وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (24) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَخْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (25) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ تَارِ السَّمُومِ (27) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28)

- 23- وإنا - وحدنا - نُمد الأشياء بالحياة ، ثم ننقلها إلى الموت إذ الوجود كله لنا .
- 24- وكل منكم له أجل محدود ، نعلمه نحن ، فنعلم الذين يتقدمون فى الموت والحياة ، والذين يتأخرون .
- 25- وأن المُتقدمين والمتأخرين سيجمعون فى وقت واحد ، وسيحاسبهم ويجازيهم الله ، وإن ذلك مقتضى حكمته وعلمه ، وهو الذى يسمى الحكيم العليم .
- 26- وإنا فى خلقنا للعاملين فى هذه الأرض خلقنا طبيعتين : خلقنا الإنسان

من طين يابس يصوت إذا نقر عليه .  
27- وعالم الجن خلقناه من قبل حين خلق أصله إبليس من النار ذات الحرارة  
الشديدة النافذة فى مسام الجسم الإنسانى .  
28- واذكر - أيها النبى - أصل الخلق ، إذ قال خالقك رب العالمين للملائكة :  
إنى مبدع بشراً خلقته من طين يابس ، له صوت إذا نقر عليه ، هو متغير اللون  
له صورة .

(1/430)

فَإِذَا سَبَّوْهُ وَنَفَخُوا فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعُّوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ  
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ  
مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ  
صَلْصَالٍ مِنْ حَمَآ مَسْنُونٍ (33) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ  
اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ  
مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38)

29- فإذا أكملته خلقاً ونفخت فيه الروح التى هى ملكى ، فانزلوا بوجوهكم  
ساجدين له تحية وإكراما .  
30- فسجدوا جميعاً خاضعين لأمر الله .  
31- لكن إبليس أبى واستكبر أن يكون مع الملائكة الذين خضعوا لأمر الله .  
32- عند إذ قال الله تعالى : يا إبليس ، ما الذى سَوَّغَ لك أن تعصى ولا تكون  
مع الخاضعين الساجدين .  
33- قال إبليس : ما كان من شأنى أن أسجد لإنسان خلقته من طين يابس له  
صوت إذا نقر عليه ، وهو متغير اللون مصور .  
34- قال الله تعالى : إذا كنت متمرداً خارجاً على طاعتي ، فاخرج من الجنة  
فإنك مطرود من رحمتى ومن مكان الكرامة .  
35- وإنى قد كتبت عليك الطرد من الرحمة والكرامة إلى يوم القيامة ، يوم  
الحساب والجزاء ، وفيه يكون لك ولمن اتبعك العقاب .  
36- قال إبليس - وهو المتمرد على طاعة الله : يا خالقى ، أمهلنى ولا تقبضنى  
إلى يوم القيامة ، يوم يبعث الناس أحياء بعد موتهم .  
37- قال الله تعالى : إنك من المؤجلين الممهلين .  
38- إلى وقت قدرته وهو معلوم لى ، ومهما يطل فهو محدود .

(1/431)

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ  
مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ  
عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْعَاوِينَ (42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43)  
(43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّفْسُومٌ (44) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ  
وَعُيُونٍ (45) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ (46) وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا  
عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (47)

- 39- قال إبليس المتمرد العاصي : يا خالقى الذى يبقينى ، لقد أردت لى الضلال فوقعت فيه ، وبسبب ذلك لأزين لبنى آدم السوء ، ولأعملن على ضلالهم أجمعين .
- 40- ولن ينجو من إضلالى إلا الذين أخلصوا لك من العباد ، ولم أتمكن من الاستيلاء على نفوسهم لعمرانها بذكرك .
- 41- إن خلوص العباد الذين أخلصوا دينهم هو طريق مستقيم بحق على لا أعداءه ، لأنى لا أستطيع إضلالهم .
- 42- قال الله تعالى : إن عبادى الذين أخلصوا لى دينهم ليس لك قدرة على إضلالهم ، لكن من اتبعك من الضالين الموعلين فى الضلال لك سلطان على نفوسهم .
- 43- وإن النار الشديدة العميقة هى ما يوعدون به أجمعين من عذاب أليم .
- 44- وليس للنار الشديدة باب واحد ، بل لها أبواب سبعة لكثرة المستحقين لها ، لكل باب طائفة مختصة به ، ولكل طائفة مرتبة معلومة تتكافأ مع شرهم .
- 45- هذا جزاء الذين يتبعون الشيطان ، أما الذين عجز الشيطان عن إغوائهم لأنهم يجعلون بينه وبين نفوسهم حجابا ، فلهم حدائق عظيمة وعيون جارية .
- 46- يقول لهم ربهم : ادخلوا هذه الجنات باطمئنان أمنين فلا خوف عليكم ، ولا تحزنون على أوقاتكم .
- 47- وإن أهل الإيمان يعيشون فى هذا النعيم طيبة نفوسهم ، فقد أخرجنا ما فيها من حقد ، فهم جميعاً يكونون إخوانا يجلسون على أسيرة تتقابل وجوههم بالبشر والمحبة ، ولا يتدابرون كل ينقب عما وراء الآخر .

(1/432)

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا يَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (48) تَبَّيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ  
الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50) وَتَبَّيُّهُمْ عَنْ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ )  
(51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ (52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا  
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ )  
(54)

- 48- لا يمسهم فيها تعب ، وهى نعيم دائم لا يخرجون منها أبدا .
- 49- أخبر - أيها النبى الأمين - عبادى جميعاً : أنى كثير الغفران والعفو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ، وأنى كثير الرحمة بهم .
- 50- وأخبرهم أن العذاب الذى أنزله بالعصاة الجاحدين هو العذاب المؤلم حقا ، وكل عذاب غيره لا يعد إلى جواره .
- 51- وتبئهم - أيها النبى - فى بيان رحمتى الخاصة فى الدنيا ، وعذابى للعصاة فيها ، عن الصيف من الملائكة الذين نزلوا على إبراهيم .
- 52- اذكر - أيها الأمين - إذ دخلوا عليه فخاف منهم ، فقالوا له : أمانا واطمئنانا . فقال لهم : إنا خائفون منكم إذ فاجأتمونا وجئتم فى غير وقت للصيف عادة ، ولا نعلم ما وراءكم .
- 53- قالوا : لا تخف واطمئن ، فإننا نبشرك بمولود لك يؤتبه الله - تعالى - فى مستقبل حياته علما عظيما .



54- قال : كيف تبشرونى بمولود يولد لى مع أنه قد أصابتنى الشيخوخة بضعفها ، فعلى أى وجه تبشروننى بهذا الأمر الغريب؟! .

(1/433)

قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (55) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (58) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمَجُوبُهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا أَمْرًا تَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَائِبِينَ (60) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (61) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (62) قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (63) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (64)

55- قالوا : بشرناك بالأمر الثابت الذى لا شك فيه ، فلا تكن ممن ييأسون من رحمة الله .

56- قال إبراهيم : إنى لا أياس من رحمة الله ، فإنه لا يياس من رحمة الله إلا الضالون الذين لا يدركون عظمتهم وقدرته .

57- قال ، وقد استأنس بهم : إذا كنتم قد بشرتمونى بهذه البشرى ، فماذا يكون من شأنكم بعدها ، أيها الذين أرسلكم الله .

58- قالوا : إنا أُرْسِلْنَا اللهُ - تعالى - إلى قوم أجرموا فى حق الله وحق نبيهم وحق أنفسهم ، من شأنهم الإجرام - هم قوم لوط - فسنهلكهم .

59- ولم يسلم من الإجرام وعذابه إلا أهل لوط ، فإن الله - تعالى - قد أمرنا بأن ننجيهم أجمعين .

60- ولا يستثنى من أهله إلا امرأته ، فإنها لم تتبع زوجها ، بل كانت مع المجرمين الذين استحقوا العذاب .

61- ولما نزل أولئك الملائكة الذين أرسلهم الله - تعالى - لإنزال ما توعد به ، بأرض لوط وآله .

62- قال لهم لوط : إنكم قوم تنكركم نفسى وتنفر منكم ، مخافة أن تمسوننا بشر .

63- قالوا : لا تخف منا ، فما جنناك بما تخاف ، بل جنناك بما يسرك ، وهو إنزال العذاب بقومك الذين كذبوك ، وكانوا يشكون فى صدقه أو ينكرونه .

64- وجنناك بالأمر الثابت الذى لا شك فيه وهو إنزال العذاب ، وإن صدق الوعد من صفاتنا بأمر الله .

(1/434)

فَأَسْرِبَ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (65) وَقَصَّيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (66) وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (67) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي فَلَا تَفْصَحُونَ (68) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونِ (69) قَالُوا أَوْلَمْ تَنْهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ (70) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (71) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72) فَأَخَذْتَهُمْ

الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73) فَجَعَلْنَا عَلَيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ  
(74)

- 65- وما دام العذاب نازلاً بهم ، فسر ليلاً مع أهلك الذين كتبت نجاتهم ، بعد مرور قطع من الليل .
- 66- وقد أوحى الله - سبحانه وتعالى - إلى لوط : أنا حكمنا وقدرنا أن هؤلاء المجرمين هالكون ، يستأصلون عند دخول الصباح ، ولا يبقى منهم أحد .
- 67- ولما أصبح رأوا الملائكة فى صورة جميلة من صور البشر ، ففرحوا بهم رجاء أن يفعلوا معهم جريماتهم الشنيعة ، وهى إتيان الرجال .
- 68- خشى لوط أن يفعلوا فعلتهم الشنيعة فقال : إن هؤلاء ضيوفى فلا تفضحونى بفعلتكم القبيحة .
- 69- وخافوا الله تعالى ، فلا تركبوا فاحشتكم ، ولا توقعونى فى الخزى والذل أمامهم .
- 70- قال أولئك المجرمون : أو لم ننهك أن تستضيف أحدا من الناس ثم تمنعنا من أن نفعل معهم ما نشتهي؟! .
- 71- قال نبي الله لوط - ينبههم إلى الطريق الطبيعى الشرعى : هؤلاء بنات القرية وهم بناتى ، تزوجوهن إن كنتم راغبين فى قضاء الشهوة .
- 72- بحق حياتك - أيها النبي - الأمين ، إنهم لفى غفلة عما سينزل بهم ، جعلتهم كالسكارى ، إنهم لضالون متحIRON لا يعرفون ما يسلكون .
- 73- وبينما هم فى هذه السكرة الغافلة ، استولى على ألبابهم صوت شديد الإزعاج وقد أشرقت الشمس .
- 74- ولقد نفذ الله - سبحانه - حكمه فقال : جعلنا على مدائنهم سافلها بانقضاضها ، وأنزلنا عليه طينا متحجرا كان ينزل كالمطر ، فدورهم تهدمت ، وإن خرجوا إلى العراء استقبلتهم تلك الأمطار من الحجارة ، وبذلك أحيط بهم .

(1/435)

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (75) وَإِنَّهَا لَإِسْبِيلٌ مُّقِيمٌ (76) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً  
لِّلْمُؤْمِنِينَ (77) وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَّالِمِينَ (78) فَاتَّقَمَتَا مِنْهُمُ وَإِنَّهُمَا  
لِيَأْمَامُ مُّبِينٌ (79) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ (80) وَأَتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا  
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (81) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (82) فَآخَذْنَاهُمْ  
الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ (83)

- 75- إن فى هذا الذى نزل بقوم لوط لعلامة بينة تدل على تنفيذ الله وعيده ، يعرفها الذين يتعرفون الأمور ويدركون نتائجها من سماتها . فكل عمل موصوف بالإجرام متنسب به ، له مثل هذه النتيجة فى الدنيا وفى الآخرة .
- 76- وأن هذه المدينة أثارها قائمة ثابتة ، وهى واقعة على طريق ثابت يسلكه الناس ويعرفونه ويعتبر بها من أراد الاعتبار .
- 77- وأن فى بقائها قائمة على طريق واضح لدليلا على تنفيذ الله - تعالى - وعيده ، يدركه المؤمنون المذعنون للحق .
- 78- ومثل تكذيب قوم لوط ، كذب أصحاب الغيضة العظيمة ذات الثمرات رسولهم ، وكانوا ظالمين شديدي الظلم فى عقائدهم ومعاملاتهم .

- 79- فأنزلنا نعمتنا عليهم ، وإن أثارهم بطريق واضح بين يعتبر بهم من يمر بديارهم ، إن كان من أهل الإيمان .
- 80- ولقد كذب - مثل السابقين - أصحاب الحجر رسولهم الذى أرسل إليهم ، وكانوا لهذا مكذبين كل المرسلين ، لأن رسالة الله واحدة .
- 81- بينا لهم الحجج الدالة على قدرتنا ورسالة رسولنا ، فكانوا معرضين عنها لا يفكرون فيها .
- 82- وكانوا قوما ذوى منعة وعمران ، فكانوا يصنعون بيوتهم فى الجبال ومن الجبال ، كانوا بها مطمئنين على أنفسهم وأموالهم .
- 83- فلما كفروا ووجدوا أنهم أصوات مزعجة منذرة بالهلاك ، فأهلكوا فى وقت الصباح .

(1/436)

فَمَا أَعْتَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (84) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (86) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَتَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87) لَا تَهْدِنَا عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاجْفُضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (88) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (89) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (90)

- 84- وما دفع عنهم الهلاك الذى نزل بهم ما كانوا يكسبون من أموال ، ويتحصنون به من حصون .
- 85- ما أنشأنا السموات والأرض وما بينهما - من فضاء ، وما فيهما من أناس وحيوان ونبات وجماد ، وغيرها مما لا يعلمه البشر - إلا بالعدل والحكمة والصلاح والذى لا يتفق معه استمرار الفساد وعدم نهايته ، ولذا كان اليوم الذى يكون فيه انتهاء الشر أتيا لا محالة ، واصفح - أيها النبى - الكريم عن المشركين بالنسبة للعقاب الدنيوى ، وعاملهم بالصبر على أذاهم ، والدعوة بالحكمة معاملة الصفوح الحليم .
- 86- إن الله الذى خلقك - أيها النبى - وربك هو الكثير الخلق ، العليم بحالك وحالهم ، فهو حقيق بأن تكل إليه أمرك وأمرهم ، وهو الذى يعلم الأصلح لك ولهم .
- 87- ولقد آتيناك - أيها النبى الأمين - سبع آيات من القرآن ، هى الفاتحة التى تكررهما فى كل صلاة ، وفيها الضراعة لنا ، وكمال طلب الهداية ، وأعطيناك القرآن العظيم كله ، وفيه الحجة والإعجاز ، فأنت بهذا القوى الذى يجدر منه الصفح .
- 88- لا تنظر - أيها الرسول - نظرة تمن ورغبة إلى ما أعطيناك من مُتَع الدنيا أصنافاً من الكفار المشركين واليهود والنصارى والمجوس ، فإنه مستصغر بالنسبة لما أوتيته من كمال الاتصال بنا ومن القرآن العظيم ، ولا تحزن عليهم بسبب استمرارهم على غيرهم ، وَالرَّبُّ جَانِبُكَ وتواضع وارفق بالذين معك من المؤمنين ، فإنهم قوة الحق وأهل الله .
- 89- وقل - أيها النبى - للجاحدين جميعاً : إنى أنا المنذر لكم بعذابى الشديد ، والمبين إنذارى بالأدلة القاطعة المعجزة .

90- وإن هذا مثل إنذار أولئك الذين قسموا القرآن إلى شعر وكهانة وأساطير وغيرها ، ولم يؤمنوا به مع قيام الحجة عليهم .

(1/437)

---

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (91) فَوَرَّكَ لِنَسَائِلِهِمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنَّا كَفَيْتَكَ الْمُسْتَهِزِّينَ (95) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96) وَلَقَدْ تَعْلَمُ أَنَّا كَيْفَ نَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ (97) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)

- 91- الذين جعلوا القرآن بهذا التقسيم قطعاً متفرقة ، وهو كل لا يقبل التجزئة فى إعجازه وصدقه .
- 92- وإذا كانت تلك حالهم ، فوالذى خلقك وحفظك وبارك لنحاسبتهم أجمعين يوم القيامة .
- 93- على أعمالهم من إيذاء وجحود واستهزاء .
- 94- فاجهر بدعوة الحق ولا تلتفت إلى ما يفعله المشركون ويقولونه .
- 95- وإن أولئك المشركين - الذين يسخرون من دعوتك - لن يتمكنوا منك ولن يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين دعوتك .
- 96- أولئك المشركون قد ضعفت مداركهم فجعلوا مع الله آلهة أخرى من الأوثان ، وسوف يعلمون نتائج شركهم حين ينزل بهم العذاب الأليم .
- 97- وإنا لنعلم ما يصيبك من ضيق وألم نفسى بما يقولونه من ألفاظ الشرك والاستهزاء والاستهانة .
- 98- فإذا أصابك ذلك الضيق فافزع إلى الله - تعالى - واتجه إليه ، وكن من الخاضعين الضارعين إليه ، واستعن بالصلاة فإن فيها الشفاء .
- 99- والتزم عبادة الله الذى خلقك وهو حافظك حتى ينتهى أجلك وتلحق بالرفيق الأعلى .

(1/438)

---

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (1)

- 1- تأكدوا - أيها المشركون - أن ما توعدكم الله به يوم القيامة واقع قريب الوقوع لا شك فيه ، فلا تستهزئوا باستعجال وقوعه ، تنزه الله عن أن يكون له شريك يُعبد من دونه ، وعمّا تشركون به من آلهة لا تقدر على شئ .

(1/439)

---

يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَيَّ مَنْ يَبْنِئُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
 آبَا قَاتِنُونَ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3) خَلَقَ  
 الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ قَادًا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ  
 وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6)  
 وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ  
 رَّحِيمٌ (7)

- 2- ينزل الملائكة بما يحيى القلوب من وحيه على من يختاره للرسالة من عباده ، ليعلموا الناس أنه لا إله يُعبد بحق إلا أنا . فابتعدوا عما يغضبني ويعرضكم للعذاب ، والتزموا الطاعات لتكون وقاية لكم من العذاب .
- 3- خلق السموات والأرض بمقتضى الحكمة ، تنزه الله عن أن يكون له شريك يتصرف فى شئ من ملكه ، أو يستحق أن يعبد مثله .
- 4- خلق كل فرد من أفراد الإنسان من مادة سائلة لا تماسك فيها وهى النطفة ، فإذا به إنسان قوى مجادل عن نفسه ، مكافح لخصومه ، مبين لحجته .
- 5- وقد تفضل الله عليكم - أيها العباد - فخلق لكم الإبل والبقر والضأن والمعز لتتخذوا من أصوافها وأوبارها وأشعارها ما تستدفتون به ، ومن لحومها تأكلون ما يحفظ حياتكم .
- 6- ولكم فيها بهجة وسرور ، حين ترونها راجعة من مراعيها ملأى البطون والضروع ، وحين تذهب إلى الحقول والمراعى تُسرع الخطا إلى غذائها .
- 7- وتحمل أمتعتكم الثقيلة إلى بلد لم تكونوا مستطيعين الوصول إليه بدونها إلا بتحميل أنفسكم أقصى جهدها ومشقتها . إن ربكم الذى هيا ذلك لراحتكم لشديد الرأفة بكم ، واسع الرحمة لكم .

(1/440)

وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) وَعَلَى اللَّهِ  
 قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ  
 السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) بُنِيَ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ  
 وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11)  
 وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّلَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ  
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12)

- 8- وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها ، فتتخذوا منها زينة تُدخل السرور على قلوبكم ، وسيخلق ما لا تعلمون الآن من وسائل الركوب وقطع المسافات ، مما سخره الله لبنى الإنسان ، إذا استخدم عقله وفكر به واهتدى إلى استخدام كل القوى .
- 9- وعلى الله بمقتضى فضله ورحمته أن يُبين لكم الطريق المستقيم الذى يوصلكم إلى الخير ومن الطريق ما هو مائل منحرف لا يوصل إلى الحق ، ولو شاء هدايتكم جميعا لهداكم وحملكم على الطريق المستقيم ، ولكنه خلق لكم عقولا تدرك ، وإرادة توجه . وترككم لاختياركم .
- 10- هو الذى أنزل من جهة السماء ماء لكم منه شراب ، وبعضه ينبت منه الشجر ، وفى هذا الشجر ترسلون أنعامكم لتأكل منه ، وتمدكم باللبن واللحوم

، والأصواف والأوبار والأشعار .

11- ينبت لكم بالماء الذى ينزل من السماء الزرع الذى نخرج منه الحبوب والزيتون والنخيل والأعناب ، وغيرها من كل أنواع الثمرات التى تأكلونها غير ما ذكر ، إن فى إيجاد هذه الأشياء لعلامة هادية لقوم ينتفعون بعقولهم ويفكرون فى القدرة التى أوجدتها .

12- وسخر لكم الليل إذ جعله مهينا لراحتكم ، والنهار إذ جعله مناسبا لسعيكم وحرركم وأعمالكم ، والشمس إذ تمدكم بالدفء والضوء ، والقمر لتعرفوا به عدد السنين والحساب ، والنجوم مسخرات بأمر الله يهتدوا بها فى الظلمات ، إن فى ذلك لعلامات وأدلة لقوم ينتفعون بما وهبهم الله من عقل يدرك .

(1/441)

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً يَلْبَسُوهَا وَيَتَّيَرُوا فِيهَا لِقَاءَ رِوَاسِيَ الْبِحْرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (14) وَالْقَلْبُ فِي الْأَرْضِ رَاسِيٌّ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّهَا الْأَرْضُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ (15) وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ (16) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (17) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ (18) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوبُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (19)

13- وجوار ما خلقه لكم فى السماء وهياه لمنافعكم ، خلق لكم على سطح الأرض كثيرا من أنواع الحيوان والنبات والجماد ، وجعل فى جوفها كثيرا من المعادن المختلفة الألوان والأشكال والخواص ، وجعل كل ذلك لمنافعكم . إن فى ذلك كله لأدلة واضحة كثيرة لقوم يتدبرون فيها فيتعظون ، ويعرفون من خلالها قدرة خالقهم ورحمته بهم .

14- وهو الذى ذلل البحر وجعله فى خدمتكم لتصطادوا ولتأكلوا منه لحم الأسماك طريا طازجا ، وتستخرجوا منه ما تتحلون به كالمرجان واللؤلؤ . وترى - أيها الناظر المتأمل - السفن تجرى فيه شاقة مياهه تحمل الأمتعة والأقوات . سخره الله لذلك لتنتفعوا بما فيه وتطلبوا من فضل الله الرزق عن طريق التجارة وغيرها . ولتشكروه على ما هياه لكم ، وذلك لخدمتكم .

15- وجعل الله فى الأرض جبالا ثابتة تحفظها أن تضطرب ، وجعل فيها أنهارا تجرى فيها المياه الصالحة للشرب والزرع ، وطرقا ممهدة لتهدوا بها فى السير إلى مقاصدكم .

16- وجعل علامات ترشد الناس فى أثناء سيرهم فى الأرض ، وهم فى ذلك يسترشدون فى أثناء سيرهم بالنجوم التى أودعها السماء إذا عميت عليهم السبل والتبست معالم الطرق .

17- هل يستوى فى نظر العقل السليم التسوية بين القادر والعاجز فيجعل من يخلق هذه الأشياء كمن لا يستطيع خلق أى شئٍ أتعلمون - أيها المشركون - عن آثار قدرة الله . فلا تعتبروا وتشكروا عليها الله؟

18- وإن تحاولوا عد أنعم الله عليكم فلن يمكنكم إحصاؤها ، إن الله كثير المغفرة واسع الرحمة ، فتوبوا إليه وأخلصوا العبادة له ، يغفر لكم ويرحمكم .

19- والله يدرك بعلمه الشامل ما تخفون وما تظهرون ، لا يخفى عليه شئ من سركم وجهركم .

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَبَّانَ يُبْعَثُونَ (21) إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ قَالِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (24) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (25) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ الْسَّفْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (26)

- 20- هذا الخالق المنعم العالم بكل شيء ، هو - وحده - المستحق للعبادة ، أما الأصنام التي تعبدونها ، فهي عاجزة لا تستطيع أن تخلق شيئاً ، ولو كان ذباباً . بل هي نفسها مخلوقة ربما صنعتموها بأيديكم .
- 21- وهي جمادات ميتة لا حس لها ولا حركة ، ولا تدري متى تكون القيامة والبعث لعابديها ، فلا يليق بكم - أيها العقلاء - بعد هذا أن تظنوا أنها تنفعكم فتشركوها مع الله في العبادة .
- 22- وقد وضح بكل هذه الدلائل أن إلهكم الذي يجب أن تعبدوه وحده إله واحد لا شريك له ، ومع ذلك فالذين لا يؤمنون بالبعث والحساب قلوبهم منكرة لوحدانيتها ، منعهم الاستكبار عن اتباع الحق والخضوع له .
- 23- لا شك أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون من عقائد وأقوال وأفعال ، وسيحاسبهم على كل ذلك ويعاقبهم على استكبارهم ، لأنه - سبحانه - لا يحب المستكبرين عن سماع الحق والخضوع له .
- 24- وإذا سئل هؤلاء الكفار المستكبرون : أى شيء أنزله ربكم على محمد؟ قالوا فى عناد : هذا الذى يزعم أن الله أنزله عليه ما هو إلا أباطيل وخرافات سطرها السابقون فنقلها وصار يرددنها .
- 25- قالوا ذلك ، ليصدوا الناس عن اتباع رسول الله ، لتكون عاقبة أمرهم أنهم يعذبون يوم القيامة عذاب ضلالهم كاملاً ، وعذاب بعض الناس الذين خدعوهم وغرورا بهم حتى ضلوا دون علم أو بحث . تنبه - أيها السامع - لقيح ما ارتكب هؤلاء من ذنوب ما أشد عقابهم عليها .
- 26- وقد سبق هؤلاء الكافرين المتكبرين أمثال لهم ، دبّروا المكائد لأنبيائهم ، واحتالوا فى إضلال الناس فأبطل الله كيدهم ، ودمر بلادهم ونزل بهم عذاب النار فى الدنيا من حيث لا يتوقعون .

يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (27) الَّذِينَ يَتَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (28) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليَسَنَّ مَنَوَى

الْمُتَكَبِّرِينَ (29) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30)

27- ثم فى الآخرة حيث يبعث الناس ويحاسبون على أعمالهم ، ويوقفهم الله موقف الخزى والعار ، حين يفضحهم ويظهر ما كانت تخفيه صدورهم ، ويقول لهم : أين هؤلاء الذين اتخذتموهم شركاء لى فى العبادة؟ وكنتم تحاربوننى ورسلى فى سبيلهم . أين هم حتى يمدوا لكم العون كما كنتم تزعمون ، فلا يستطيعون جوابا ، وحينئذ يقول الذين يعلمون الحق من الأنبياء والمؤمنين والملائكة : إن الخزى اليوم والعذاب المسئى واقعان على الجاحدين .  
28- الخزى على الكافرين الذين استمروا على كفرهم حتى قبضت الملائكة أرواحهم ، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وبارتكاب السوء ، واستسلموا بعد طوال العناد إذ علموا حقيقة جرمهم ، وقالوا كذبا من شدة دهشتهم : ما كنا فى الدنيا نعمل شيئا من المعاصى ، فتقول لهم الملائكة والأنبياء : كلا ، إنكم كاذبون ، وقد ارتكبتم أفظع المعاصى . والله - سبحانه - محيط بكل صغيرة وكبيرة مما كنتم تعملونه فى دنياكم ، فلا يفيدكم إنكاركم .  
29- ويقال لهم بعد ذلك : مآلكم دخول النار والعذاب فيها عذابا مؤبدا لا ينقطع ، وقبحت جهنم دارا ومقاما لكل متكبر على الانقياد إلى الحق والإيمان بالله ، ورسله .

30- وقيل للذين آمنوا بالله وابتعدوا عما يغضبه من قول أو فعل أو عقيدة : ما الذى أنزله ربكم على رسوله؟ قالوا : أنزل عليه القرآن ، فيه خير الدنيا والآخرة للناس جميعا ، فكانوا بذلك من المحسنين . والله - سبحانه - يكافئ المحسنين بحياة طيبة فى هذه الحياة الدنيا ، ويكافئهم فى الآخرة بما هو خير وأحسن مما نالوه فى الدنيا . ولنعم الدار التى يقيم فيها المتقون فى الآخرة .

(1/444)

جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (33) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَخَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (34) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35)

31- وهى جنات ثابتة للإقامة ، تجرى من تحت قصورها وأشجارها الأنهار ، لهم فيها ما يشاءون من النعيم ، ومثل هذا الجزاء الحسن ، يجزى الله كل المتقين الذين آمنوا به ، واتقوا ما يغضبه ، وأحسنوا عملهم .

32- وهم الذين تقبض أرواحهم الملائكة ، وهم طاهرون من دنس الشرك والمعاصى ، وتقول الملائكة تطمينا لهم : أمان من الله لكم ، فلا يصيبكم بعد اليوم مكروه ، وأبشروا بالجنة تدخلونها بسبب ما قدمتم من أعمال صالحة فى دنياكم .



33- هؤلاء هم المتقون الذين استعدوا لآخرتهم ، وذلك جزاؤهم . أما المشركون ، فإنهم بعنادهم وبقائهم على شركهم ، لا ينتظرون إلا الملائكة تقبض أرواحهم ، وهم ظالمون لأنفسهم بالشرك وعمل الشر ، وبأتيهم عذاب ربك بإهلاكهم جميعاً . ومثل ما فعل هؤلاء الكفار المعاندون ، فعل الذين سبقوهم فى ذلك مع أنبيائهم فعاقبهم الله على فعلهم ، ولم يكن ظالماً لهم حين عاقبهم ، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم حين عرضوها لعذاب الله بكفرهم .

34- فأصابهم جزاء ما عملوا من سيئات ، وأحاط بهم العذاب الذى كانوا ينكرونه ويستنهضون به .

35- وقال الذين أشركوا عناداً ومغالطة : لو شاء الله أن نعبده - وحده - ونطيعه فيما يأمر به لما عبدنا غيره ، ولما حرّمنا من عندنا ما لم يحرمه ، كالبحيرة والسائبة وهى حجة باطلة يستندون عليها فى كفرهم . وقد احتج بها من سبقوهم من الكفار ، بعد ما أرسلنا إليهم رسلنا ، فأمرؤهم بالتوحيد وطاعة الله ، ونهؤهم عن الشرك وعن تحريم ما حرّمه الله ، فقامت عليهم الحجة ، وأدى رسلنا ما أمرناهم بتبليغه ، وعليّنا نحن حسابهم ، وليس على الرسل شئ بعد ذلك .

(1/445)

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَبِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (36) إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَاصِرِينَ (37) وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (38) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (39)

36- ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ليقول لهم : اعبدوا الله - وحده - واجتنبوا كل طاغية مفسد ، فبلغهم وأرشدهم ، ففريق استمع إلى الإرشاد وتقبله ، فهده الله بحسن استعداده إلى الطريق المستقيم ، وفريق أعرض عن سماع الحق فانحرف عن سواء السبيل ، فأنزل الله به العذاب . وإذا كنتم فى شك من هذا - يا مشركى مكة - فسبروا فى الأرض ، قريباً منكم ، فانظروا وتأملوا كيف حل بالمكذبين - من عاد وثمود وقوم لوط - عذاب الله ، وكيف كانت عاقبة أمرهم خسراناً وهلاكاً؟! .

37- إن تكن حريصاً - أيها النبى - على هداية المشركين من قومك ، بدلاً معهم أقصى ما فى جهدك ، فلا تهلك نفسك حزناً إذا لم يتحقق ما تريد ، فقد تحكمت فيهم الشهوات ، والله لا يجبر على الهداية من اختاروا الضلال وتمسكوا به ، لأنه يتركهم لما اختاروا لأنفسهم ، وسيلقون جزاءهم عذاباً عظيماً ، ولا يجدون لهم يوم القيامة من ينصرهم ويحميهم من عذاب الله .

38- وقد أضاف المشركون إلى شركهم بالله إنكارهم ليوم القيامة ، فأقسموا بالله غاية طاقتهم فى القسم ، وأكدوا أن الله لا يبعث من يموت وهم كاذبون فى قسمهم ، وسببعتهم الله جميعاً ، لأنه أخذ العهد على نفسه بذلك ، ولن يخلف الله عهده ، ولكن أكثر الناس من الكفار لا يعلمون حكمة الله فى خلق

هذا العالم وأنه لم يخلقه عبثاً ، ولا عن حسابه في الآخرة ومجازاته .  
39- وأن من عدل الله في خلقه أن يبعثهم جميعاً بعد موتهم ، فيظهر لهم  
حقائق الأمور التي اختلفوا فيها ، ليعلم المؤمنون أنهم على حق ، ويعلم  
الكافرون أنهم كانوا مخطئين في اتخاذهم شركاء .

(1/446)

إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (40) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ  
مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)  
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (42) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا  
نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا  
إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)

- 40- وليس بعث الناس يوم القيامة بعسير علينا حتى يستبعده هؤلاء الكفار ،  
لأننا إذا أردنا شيئاً لا يحتاج إيجاده إلا أن نقول له : كن . فيكون كما نريد .  
41- والمؤمنون الذين هاجروا من ديارهم لوجه الله تعالى ، وإخلاصاً لعقيدتهم  
، من بعد ما وقع عليهم الظلم والعداب من المشركين ، لنعوضهم في الدنيا  
على إخلاصهم واحتمالهم للعداب ، حياة طيبة حسنة لا تأتي إلا بالجهاد ،  
وسيكون أجرهم يوم القيامة أكبر ، ونعيمهم في الجنة أعظم ، لو كان  
المخالفون لهم يعلمون ذلك لما ظلموهم وظلموا أنفسهم .  
42- وهؤلاء المهاجرون هم الذين صبروا على ما تحملوه من عذاب في سبيل  
عقيدتهم ، وفوضوا أمرهم إلى الله - وحده - غير مباليين بما سواه ، ومن أجل  
هذا أحسنا لهم الجزاء .  
43- وما أرسلنا إلى الأمم السابقة قبل إرسالك إلى أمتك - أيها النبي - إلا  
رجالاً نوحى إليهم بما نريد تبليغه لهم ، ولم نرسل ملائكة كما يريد كفار قومك  
، فاسألوا - أيها الكافرون - أهل العلم بالكتب السماوية ، إن كنتم لا تعلمون  
ذلك ، فستعرفون أن رسل الله جميعاً ما كانوا إلا رجالاً لا ملائكة .  
44- وقد أيدنا هؤلاء الرسل بالمعجزات والدلائل البينة لصدقهم ، وأنزلنا عليهم  
الكتب تبين لهم شرعهم الذي فيه مصلحتهم ، وأنزلنا إليك - أيها النبي - القرآن  
لتبين للناس ما اشتمل عليه من العقائد والأحكام ، وتدعوهم إلى التدبر فيه ،  
رجاء أن يتدبروا فيتعضوا ويستقيم أمرهم .

(1/447)

أَقَامِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ  
جَهَنَّمَ لَا يَشْعُرُونَ (45) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (46) أَوْ  
يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَحَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (47) لَوْلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ  
مِنْ شَيْءٍ يَتَّقِيًا ظَلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (48) وَلِلَّهِ  
يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49)  
يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50)

- 45- فكيف يصح بعد كل هذا أن يتمادى المشركون في عنادهم ، ويدبروا المكائد للرسول؟ هل أغراهم حلم الله بهم فاعتقدوا أنهم في مأمن من عذاب الله ، فلا يخسف بهم الأرض كما فعل بقارون؟ أو يأتيهم العذاب فجأة بصاعقة كما فعل بتمود وهم لا يدرون أين نزل .
- 46- أو يهلكهم في أثناء تنقلهم في الأرض للتجارة بعيدين عن مساكنهم فلا يستطيعون الإفلات من عقاب الله ، لأنه لا يعجزه شيء يريد .
- 47- أو ينزل بهم العذاب في أنفسهم وأموالهم رويداً رويداً ، وهم في كل لحظة في عذاب من الخوف منه والترقب لوقوعه ، فلا تتمادوا - أيها المشركون - وتغثروا بتأخير عقوبتكم ، فقد اقتضت رافة الله الشاملة ورحمته الواسعة ألا يعاجلكم بالعقوبة في الدنيا ، كي تتفكروا وتتدبروا لأنه - سبحانه - رؤوف رحيم .
- 48- أغفل هؤلاء الكفار عن آيات الله حولهم ، ولم ينظروا ويتدبروا فيما خلقه الله من الأشياء القائمة ، تنتقل ظلالها وتمتد تارة يميناً وتارة شمالاً ، تابعة في ذلك لحركة الشمس نهاراً والقمر ليلاً ، وكل ذلك خاضع لأمر الله ، منقاد لأحكام تدبيره . لو تدبر المشركون هذا لعلموا أن خالقه ومدبره هو - وحده - المستحق للعبادة والخضوع ، القادر على إهلاكهم لو أراد .
- 49- ولله - وحده - لا لغيره - يخضع وينقاد جميع ما خلقه في السموات وما دب على الأرض ومشى على ظهرها من مخلوقات ، وفي مقدمتهم الملائكة يخضعون له ولا يستكبرون عن طاعته .
- 50- وحالهم أنهم دائماً على خوف من ربهم القادر القاهر ، ويفعلون ما يأمرهم به .

(1/448)

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ (51) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَعَبَرْتُمُ اللَّهُ تَتَّقُونَ (52) وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ قَالَيَهُ تَجَاوَزْ (53) ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا قَرِيبٌ مِّنْكُمْ يَرِيهِمْ يُشْرِكُونَ (54) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَيَسُوفَ تَعْلَمُونَ (55) وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسُبَّانٌ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ (56) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَتَاتِ سُبْحَانَةً وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (57) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58)

- 51- وقال الله : لا تعبدوا اثنين ، وتجعلوهما إلهين ، لأن الإِشْرَاقَ في العبادة تنافى وحدانية الخلق والتكون ، إنما المعبود بحق إله واحد ، فخافوني ولا تخافوا غيري .
- 52- وله - وحده - ما في السموات والأرض خلقاً ، وملكاً ، وعبيداً ، فحقه - دون غيره - أن يُعبد ويُحمد ، ويُخضع له ، وتُرْجى رحمته ، وبخاف عذابه .
- 53- وأي شيء جاءكم من النعم فهو من الله - وحده - ثم إذا لحقكم ما يضركم فلا تتضرعوا بأعلى أصواتكم إلا إليه .
- 54- ثم إذا استجاب لدعائكم ورفع ذلك الضر عنكم ، نسي بعضكم حق الله عليه من التوحيد وإخلاص العبادة له ، فيشركون بخالقهم ومربيهم ويعبدون معه غيره .

55- ذلك يحدث منهم لتكون عاقبة أمرهم إنكار فضلنا على ما أعطيناهم ، فتمتعوا - أيها الكافرون - بما لا تؤدون حق شكره ، فسوف تعلمون عاقبة الكفر .

56- ويجعل المشركون لأوثانهم التي يسمونها بغير علم آلهة نصيبا يتقربون بها إليها ، من الرزق الذي أعطيناهم إياه من الحرث والأنعام وغيرهما ، لأسألكم وعزتي - أيها المشركون - عما كنتم تخلقونه من الكذب وتفترونه من الباطل ، وأجازيكم عليه .

57- ويجعلون لله ما يكرهون ، فيزعمون أن الملائكة بنات ، ويعبدونها ، تنزه الله عن ذلك ، ويجعلون لأنفسهم ما يحبون ، وهم الذكور من الأولاد .

58- وهم إذا خُبر أحدهم بأنه ولدت له أنثى ، صار وجهه مسودا من الحزن وهو مملوء غيظاً يكظمه .

(1/449)

يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّيِّئِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (60) وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (61) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السَّبِيحَةَ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ (62) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (63)

59- يحاول الاختفاء عن أعين الناس ، لئلا يروا كآبته من الألم الذي أصابه من وجود المولود الذي أخبروه به ، وتستولى عليه حيرة . أبقىه حياً مع ما يلحقه من الهوان على ذلك فى زعمه؟! أم يدفعه فى التراب وهو حى حتى يموت تحته؟ تنبه - أيها السامع - لفظاعة عمل هؤلاء . وقبح حكمهم الذي ينسبون فيه لله ما يكرهون أن ينسب إلى أنفسهم .

60- الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب الحال التي تسوء ، وهى الحاجة إلى الأولاد الذكور وكرهة الإناث ، ولله الصفة العليا ، وهو الغنى عن كل شئ ، فلا يحتاج إلى الولد ، وهو الغالب القوى الذى لا يحتاج إلى معين .

61- ولو يعجل الله عقاب الناس بما ارتكبوا من ظلم ، ما ترك على ظهر الأرض دابة ، ولكنه بحلمه وحكمته يؤخر الظالمين إلى وقت عيَّنه ، وهو وقت انتهاء أجالهم ، فإذا جاء هذا الوقت لا يتأخرون عنه لحظة كما لا يتقدمون عليه لحظة .

62- وينسب المشركون إلى الله ما يكرهون أن ينسب إليهم من البنات والشركة ، وتنطق ألسنتهم الكذب ، إذ يزعمون مع ذلك أن لهم فى الدنيا الغنى والسلطان الذى يقيهم العذاب ، وأن لهم الجنة كذلك . والحق أن لهم النار ، وأنهم مسوقون إليها قبل غيرهم .

63- تأكد - أيها النبى - أننا أرسلنا رسلاً إلى أمم من قبل بمثل ما أرسلناك به إلى الناس جميعاً ، فحسَّن لهم الشيطان الكفر والشرك والمعاصى فكذبوا

رسلمهم ، وعصوهم ، وصدقوا الشيطان وأطاعوه ، فهو متولى أمورهم فى الدنيا يزبن لهم ما يضرهم ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد الألم .

(1/450)

وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَقَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سِكِّيرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68)

64- وما أنزلنا عليك القرآن إلا لتبين به للناس الحق فيما كان موضع خلافهم من الدين ، وليكون هداية تامة ، ورحمة عامة لقوم يؤمنون بالله وبالكتاب الذى أنزله .

65- والله أنزل من السماء ماء يحمله السحاب ، فجعل الأرض منبته فيها حياة ، بعد أن كانت قاحلة لا حياة فيها . إن فى ذلك لدليلاً واضحاً على وجود مدبر حكيم .

66- وإن لكم - أيها الناس - فى الإبل والبقر والغنم لموعظة تعتبرون بها ، وتنتقلون بتدبر عطائها إلى العلم بالصانع المبدع الحكيم ، ونسقيكم من بعض ما فى بطونها من بين فضلات الطعام والدم لبناً صافياً سهل التناول للشاربين .

67- ومن ثمرات النخيل والأعناب التى أنعمنا بها عليكم ومكناكم منها تتخذون عصيراً مسكراً غير حسن ، وطعاماً طيباً حسناً ، إن فى ذلك لعلامة دالة على القدرة والرحمة لقوم ينتفعون بعقولهم .

68- وألهم ربك - أيها النبى - النحل أسباب حياتها ، ووسائل معيشتها ، بأن تتخذ من الجبال بيوتاً فى كهوفها ، ومن فجوات الشجر ، ومن عرائش المنازل والكروم بيوتاً كذلك .

(1/451)

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ سَنِينًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَقْبِنِعْمَةَ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71)

69- ثم هداها - سبحانه - للأكل من كل ثمرات الشجر والنبات ، وسهّل لها أن تسلك لذلك طرقاً هياها لها ربهامذلة سهلة ، فيخرج من بطونها شراب

مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن فى ذلك الصنع العجيب لأدلة قوية على وجود صانع قادر حكيم ، ينتفع بها قوم يستعملون عقولهم بالتأمل فيفوزون بالسعادة الدائمة .

70- والله خلقكم ، وقدر لكم آجالاً مختلفة ، منكم من يتوفاه مبكراً ، ومنكم من يبلغ أَرذل العمر ، فيرجع بذلك إلى حال الضعف ، إذ تأخذ حيويته فى الضعف التدريجى ، فيقل نشاط الخلايا وتهن العظام والعضلات والأعصاب فتكون عاقبته أن يفقد كل ما عليه . إن الله عليم بأسرار خلقه ، قادر على تنفيذ ما يريد .

71- والله فضّل بعضكم على بعض فى الرزق . فجعل رزق السيد المالك أفضل من رزق مملوكه ، فما الذين كثر رزقهم من السادة بمعطين نصف رزقهم لعبيدهم المملوكين لهم ، حتى يصيروا مشاركين لهم فى الرزق على حد المساواة ، وإذا كان هؤلاء الكفار لا يرضون أن يشاركونهم عبيدهم فى الرزق الذى جاء من عند الله ، مع أنهم بشر مثلهم ، فكيف يرضون أن يشركوا مع الله بعض مخلوقاته فيما لا يليق إلا به تعالى ، وهو استحقاق العبادة؟ فهل تستمر بعد كل هذا بصائر هؤلاء المشركين مطموسة ، فيجحدوا نعمة الله عليهم بإشراكهم معه غيره؟ .

(1/452)

---

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَقْبَالَ بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73) فَلَا تَصْرَبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74)

72- والله جعل لكم من جنس أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وأبناء بنين ، ورزقكم ما أباحه لكم مما تطيب به نفوسكم . أبعد ذلك يشرك به بعض الناس؟ فيؤمنون بالباطل ، ويجحدون نعمة الله المشاهدة ، وهى التى تستحق منهم الشكر ، وإخلاص العبادة لله .

73- ويعبدون غير الله من الأوثان وهى لا تملك أن ترزقهم رزقا - أي رزق - ولو قليلا سواء كان هذا الرزق أتيا من جهة السماء كالماء ، أم خارجاً من الأرض كثمر الأشجار والنبات ، ولا تستطيع هذه الآلهة أن تفعل شيئاً من ذلك ولا أقل منه .

74- وحيث ثبت لكم عدم نفع غير الله لكم ، فلا تذكروا لله تعالى أشباهاً ، وتبرروا عبادتها بأقيسة فاسدة ، وتشبيهات غير صحيحة تعبدونها معه . إن الله يعلم فساد ما تعملون ، وسيجازيكم عليه ، وأنتم فى غفلة لا تعلمون سوء مصيركم .

(1/453)

---

صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَيَمِينُ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهَوَّ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75)

وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى سَبِيٍّ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ  
أَيْتَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ (76) وَلِلَّهِ عَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أُمِرَ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةٍ الْبَصْرِ أَوْ  
هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77)

75- جعل الله مثلا يوضح فساد ما عليه المشركون ، بعبد مملوك لا يقدر على فعل شيء ، وبحرّ رزقه الله رزقا طيبا حلالا ، فهو يتصرف فيه ، وينفق منه في السر والجهر . هل يستوى العبيد الذين لا يقدرّون على شيء ، والأحرار الذين يملكون ويتصرفون فيما يملكون؟ إن الله ملك كل شيء ، فهو يتصرف في ملكوته كما يريد ، وغيره لا يملك أي شيء فلا يستحق أن يُعبد ويُحمد ، الثناء كله حق لله وحده ، والتنزيه له وحده ، وله العلو وحده ، لأن كل خير صدر عنه ، وكل جميل مرده إليه ، ولا يفعل هؤلاء ما يفعلون عن علم ، وإنما يفعلون ما يفعلون تقليدا لرؤسائهم ، بل أكثرهم لا يعلمون ، فيضيفون نعمه إلى غيره ، ويعبدونه من دونه .

76- وجعل الله مثلا آخر هو رجلان : أحدهما أخرس أصم لا يفهم غيره : كلُّ على من يلي أمره ، إذا وجهه سيده إلى جهة ما لا يرجع بفائدة . هل يستوى هذا الرجل مع رجل فصيح قوى السمع . يأمر بالحق والعدل ، وهو في نفسه على طريق قويم لا عوج فيه؟ إن ذلك الأخرس الذي لا يسمع ولا يتكلم ولا يفهم ولا يفهم ، هو مثل الأصنام التي عبدوها من دون الله ، فإنها لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع ، فلا يمكن أن تستوى مع السميع العليم الداعي إلى الخير والحق ، وإلى الطريق المستقيم .

77- ولله - وحده - علم ما غاب عن العباد في السموات والأرض ، وما أمر مجئ يوم القيامة ، وبعث الناس فيه ، عند الله في السرعة والسهولة ، إلا كرد طرف العين بعد فتحها . بل هو أقرب سرعة من ذلك . إن الله عظيم القدرة لا يعجزه أي شيء .

(1/454)

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ  
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا  
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (79) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ  
بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ  
إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَتَانَا وَمَتَّعْنَا إِلَى حِينٍ (80)

78- والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تدركون شيئا مما يحيط بكم ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، وسائل للعلم والإدراك ، لتؤمنوا به عن طريق العلم ، وتشكروه على ما تفضل به عليكم .

79- ألم ينظر المشركون إلى الطير مذلات للطيران في الهواء إلى السماء بما زودها الله به من أجنحة أوسع من جسمها تبسطها وتقبضها ، وسخر الهواء لها ، فما يمسكهن في الجو إلا الله بالنظام الذي خلقها عليه؟ إن في النظر إليها والاعتبار بحكمة الله في خلقها ، لدلالة عظيمة ينتفع بها المستعدون للإيمان .

80- والله سبحانه وتعالى هو الذى جعلكم قادرين على إنشاء بيوت لكم تتخذون منها مساكن ، وجعل لكم من جلود الإبل والبقر والغنم وغيرها أخبية تسكنون فيها وتنقلونها فى حللكم وترحالكم ، وجعلكم تتخذون من صوفها وشعرها ووبرها فرشاً تتمتعون بها فى هذه الدنيا إلى حين أجالكم .

(1/455)

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81) فَإِنْ بَوَّلُوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (82) يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (84) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (85) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالِقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86)

81- والله جعل لكم من الأشجار التى خلقها وغيرها ظلالا تقيكم شر الحر ، وجعل لكم من الجبال كهوفاً ومغارات تسكنون فيها كالبيوت ، وجعل لكم ثياباً من الصوف والقطن والكتان وغيرها تصونكم من حرارة الشمس ، ودروعاً من الحديد تصونكم من قسوة حروب أعدائكم ، كما جعل لكم هذه الأشياء ، يتم عليكم نعمته بالدين القيم ، لتنفادوا لأمره وتخلصوا عبادتكم له دون غيره .

82- فإن أعرض عنك - أيها النبى - الذين تدعوهم إلى الإسلام ، فلا تبعه عليك فى إعراضهم ، فليس عليك إلا التبليغ الواضح ، وقد فعلت .

83- إن إعراض هؤلاء الكفار ليس لأنهم يجهلون أن الله - سبحانه - هو مصدر كل النعم عليهم ، ولكنهم يعملون عمل من ينكرها حيث لم يشكروه عليها ، وأكثرهم جمد على تقليد الآباء فى الكفر بالله ، حتى كان أكثرهم هم الجاحدون .

84- وحذر - أيها النبى - كل كافر بربه مما سيحصل ، يوم نبعث من كل أمة نبياً ليشهد لها أو عليها بما قابلت به رسول ربها ، وإذا أراد الكافر منهم أن يعتذر لا يؤذن له فى الاعتذار ، ولا يوجد لهم شفيع يمهد لشفاعته ، بأن يطلب منهم الرجوع عن سبب غضب الله عليهم ، لأن الآخرة ليست دار توبة .

85- وإذا رأى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاب جهنم ، وطلبوا أن يخففه الله عنهم ، لا يُجاب لهم طلب ، ولا يؤخرون عن دخول جهنم لحظة .

86- وإذا رأى الذين أشركوا آلهتهم التى عبدوها وزعموا أنها شركاء لله قالوا : يا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم مخطئين ، فخفف عنا العذاب بإلقاء بعضه عليهم ، فيجيبهم شركاؤهم قائلين : إنكم - أيها المشركون - لكاذبون فى دعواكم أننا شركاء ، وأنكم عبدتمونا ، إنما عبدتم أهواءكم ولسنا كما زعمتم شركاء .

(1/456)



وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (87) الَّذِينَ كَفَرُوا  
 وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (88) وَيَوْمَ  
 نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا  
 عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89) إِنَّ اللَّهَ  
 يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنَّعْيِ  
 يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ  
 بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91)

87- حينئذ استسلم المشركون لله ، وخضعوا لقضائه ، وغاب عنهم ما كانوا  
 يخلقونه من أن معبوداتهم تشفع لهم ، وتدفع العذاب عنهم .  
 88- الذين كفروا ومنعوا غيرهم عن طريق الله ، وهو طريق الخير والحق ،  
 زدناهم عذابا فوق العذاب الذي استحقوه بالكفر ، بسبب ما كانوا يتعمدونه من  
 الإفساد وإضلال العباد .

89- وحذر - أيها النبي - كفار قومك مما سيحصل يوم تُحضر من كل أمة  
 شهيداً عليها ، هو نبيها الذي يكون بين أبنائها ، ليكون ذلك أقطع لعذرها ، ونجى  
 بك - أيها النبي - شهيداً على هؤلاء الذين كذبوك ، وعليهم أن يعتبروا من الآن ،  
 قد نزلنا القرآن فيه بيان كل شيء من الحق ، وفيه الهداية ، وفيه الرحمة  
 والبشرى بالنعيم ، للذين يذعنون له ويؤمنون به .

90- إن الله يأمر عباده بأن يعدلوا في أقوالهم وأفعالهم ، ويقصدوا إلى  
 الأحسن من كل الأمور ، فيفضلوه على غيره ، كما يأمر بإعطاء الأقارب ما  
 يحتاجون إليه لدعم روابط المحبة بين الأسر ، وينهى عن فعل كل خطيئة ،  
 خصوصاً الذنوب المفرطة في القبح ، وكل ما تنكره الشرائع والعقول السليمة  
 ، كما ينهى عن الاعتداء على الغير ، والله - سبحانه - بهذا يذكركم ويوجهكم  
 إلى الصالح من أموركم ، لعلكم تتذكرون فضله في حسن توجيهكم ، فتمثلوا  
 كلامه .

91- وأوفوا بالعهود التي تقطعونها على أنفسكم ، مشهدين الله على الوفاء بها  
 ، ما دام الوفاء متسقاً مع ما شرعه الله ، ولا تنقضوا الأيمان بالحنث فيها ، بعد  
 تأكيدها بذكر الله ، وبالعزم والتصميم عليها وقد راعيتكم في عهودكم وحلفكم  
 أن الله يكفل وفاءكم ، وأن الله رقيب ومطلع عليكم ، فكونوا عند عهودكم  
 وأيمانكم ، لأن الله - سبحانه - يعلم ما يكون منكم من وفاء وخلف وبر وحنث ،  
 فيجازيكم على ما تفعلون .

(1/457)

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غُرْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَارًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ  
 تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ  
 فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ  
 وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنُسْأَلَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93)

92- ولا تكونوا في الحنث في أيمانكم بعد توكيدها مثل المرأة المجنونة التي  
 تغزل الصوف وتحكم غزله ، ثم تعود فتنقضه وتتركه محلولاً ، متخذين أيمانكم  
 وسيلة للتغريب والخداع لغيركم ، مع أنكم مصررون على الغدر بهم ، لأنكم أكثر

وأقوى منهم ، أو تنوون الانضمام لأعدائهم الأقوى منهم ، أو لترجون زيادة القوة بالصدر ، وإنما يختبركم الله فإن أثمرتم الوفاء كان لكم الغنم فى الدنيا والآخرة ، وإن أجهتم إلى العدر كان الخسران . وليبين لكم يوم القيامة حقيقة ما كنتم عليه تخيلفون عليه فى الدنيا ، ويجازيكم حسب أعمالكم .

93- ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة فى الجنس واللون والإيمان ليس بينها تخالف ، وذلك بخلقكم خلقاً آخر . كالملائكة لا اختيار لها ، ولكن شاء الله أن تختلفوا فى الأجناس والألوان ، وأن يجعل لكم اختياراً ، فمن اختار شهوات الدنيا وأثرها على رضا الله تركه وما يريد ، ومن أراد رضا الله بالعمل الصالح سهّل له ما أراد . وتأكدوا بعد ذلك أنكم ستسألون جميعاً يوم القيامة عما كنتم تعملون فى الدنيا ، وتجاوزون حسب أعمالكم .

(1/458)

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشُّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (94) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَتُّلاً قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ حَبِيبٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (95) مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (96) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

94- ولا تسلكوا سبيل العدر ، فتنخذوا الأيمان سبيلاً للتغيير والخديعة ، فإنه بسبب ذلك تزل الأقدام فتبتعدوا عن المحجة المستقيمة ، ويكون فى ذلك إعراض عن سبيل الله فى الوفاء ، وتكونون قدوة سيئة فى العدر ، ويرى الناس فيكم صورة مشوهة للإسلام ، فيعرضون عنه ، وينزل السوء بكم فى الدنيا لعدم الثقة فيكم بسبب صدكم عن طريق الحق وينزل بكم عذاب مؤلم شديد الإيلام .

95- ولا تستبدلوا بالوفاء بالعهد المؤكدة متاع الدنيا ، فهو قليل مهما كان كثيراً ، لأن ما عند الله من جزاء المحافظين على العهد فى الدنيا ، ومن نعيم الآخرة الدائم ، خير لكم من كل ما يغريكم بنقض العهود ، فتدبروا ذلك وافهموه إن كنتم من أهل العلم والتميز بين الصالح وغير الصالح ، ولا تفعلوا إلا ما فيه صلاح لكم فى دنياكم وأخراكم .

96- فإن ما عندكم - أيها الناس - من نعيم ينفد وينتهى مهما طال زمنه ، وما عند الله من نعيم الآخرة خالد لا ينقطع ، ولنكافئن الذين صبروا على مشاق التكاليف بما وعدناهم به ، من حسن الثواب المضاعف على أعمالهم ، ينعمون به نعيماً دائماً فى الآخرة .

97- أن من عمل عملاً صالحاً فى هذه الدنيا ، سواء كان ذكراً أو أنثى مندفعاً إلى هذا العمل الصالح بقوة الإيمان بكل ما يجب الإيمان به ، فإننا لا بد أن نحياه فى هذه الحياة الدنيا حياة طيبة لا تنغيص فيها ، تغمرها القناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا ، والشكر على نعم الله فيها ، وفى الآخرة لا بد أن نجزي هذا الفريق من الناس حسن الثواب المضاعف على أعمالهم فى الدنيا .

(1/459)

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (100) وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102)

- 98- وإن الذي يحمي النفس من نزعات الهوى هو القرآن ، فإذا تدبرت هذا - أيها المؤمن - وأردت أن تحيا بعيداً عن تلاعب الشيطان ، وتفوز بطيب الحياة فى الدارين ، فإني أرشدك إلى أمر يعينك على هذا ، وهو قراءة القرآن ، وإذا أردت قراءة القرآن فاستفتح قراءته بالدعاء الخالص إلى الله أن يمنع عنك وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله ، أخذ العهد على نفسه أن يغوى الناس ويوقعهم فى عصيان الله
- 99- فإنك إن فعلت هذا مخلصاً لله ، حماك الله منه ، وَبَعَدَتْ عَنْكَ وساوسه ، إنه ليس له تأثير على الذين عمرت قلوبهم بالإيمان بالله ، واستمداد العون منه - وحده - والاعتماد عليه .
- 100- إنما تأثيره وخطره على الذين خلت قلوبهم من التعلق بالله وحبه فلم يكن لهم عاصم من تأثيره ، فانقادوا له كما ينقاد الصديق لصديقه ، حتى أوقعتهم فى أن يُشركوا بالله فى العبادة آلهة لا تضر ولا تنفع .
- 101- وإذا جعلنا معجزة لك بدل معجزة مساوية لنبى سابق ، فحنناك بالقرآن معجزة ، رموك بالافتراء والكذب على الله ، والله - وحده - هو العليم علماً ليس فوقه علم بما ينزل على الأنبياء من معجزات ، ولكن أكثرهم ليسوا من أهل العلم والمعرفة الصادقة .
- 102- قل لهم مبينا منزلة معجزتك - أيها النبى - : إن القرآن قد نزل على من ربي مع جبريل الروح الطاهر ، مقترنا بالحق ، مشتملا عليه ، ليثبت به قلوب المؤمنين ، وليكون هاديا للناس إلى الصواب ومبشرا بالنعيم لكل المسلمين .

(1/460)

وَلَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِّسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (105) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107)

- 103- إننا لنعلم ما يقوله كفار مكة : إنه لا يُعلم محمدا هذا القرآن إلا رجل من البشر نعرفه ، هو شاب رومى ، وما ينزله عليه ملك من عند الله كما يقول قولهم ، وهذا باطل ، لأن الشاب الذى يقولونه عنه أنه يعلمك هذا التعليم أعجمى لا يحسن العربية ، والقرآن لغة عربية واضحة الفصاحة ، إلى حد أنكم عجزتم أيها المكابرون عن محاكاتها ، كيف يصح بعد ذلك اتهامكم ؟ .

104- إن الذين لا يذعنون لآيات الله التي عجزوا عن محاکاتها ، وأصروا مع عجزهم ، على كفرهم بها ، لا يهديهم الله ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد بسبب كفرهم وعنادهم .

105- إنما يجرؤ على افتراء الكذب على الله من لا يؤمنون بآيات الله ، وأولئك هم - وحدهم - البالغون فى الكذب نهايته ، ولست - أيها النبى - من هؤلاء حتى يتهموك بما اتهموك به .

106- إن الذين ينطقون بالكفر بعد الإيمان عليهم غضب من الله إلا من أكره على النطق بكلمة الكفر وهو عامر القلب بالإيمان ، فإنه ناج من غضب الله . أما الذين تنشرح قلوبهم للكفر ، وتتجاوب مع قلوبهم ألسنتهم ، فأولئك عليهم غضب شديد من الله الذى أعد لهم عذاباً عظيماً فى الآخرة .

107- وذلك الذى استحقوه من غضب الله وعذابه إنما كان بسبب حبهم الشديد لنعيم الدنيا ومتاعها الزائل حتى صرفهم هذا الحب عن الحق ، وأعماهم عن الخير ، فتركهم الله وما يحبون من الكفر ، لأنه قد جرت سنته فى خلقه بترك أمثال هؤلاء ، وعدم هدايتهم لفسادهم ، وتماديهم فى الباطل .

(1/461)

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافُونَ ( 108 ) لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ( 109 ) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ( 110 ) يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ( 111 ) وَصَبَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ( 112 )

108- هؤلاء هم الذين طبع الله على قلوبهم ، فصارت لا تقبل الحق ، وعلى أسماعهم فلم يعودوا يسمعون سماع فهم وتدبر ، كأنهم صم ، وعلى أبصارهم فلا ترى ما فى الكون أمامهم من عبر ودلالات ، وأولئك هم الغارقون فى الغفلة عن الحق ، فلا خير فيهم إلا إذا أزالوا الغفلة من عقولهم .

109- وهؤلاء لا شك أنهم - وحدهم - هم الخاسرون لكل خير فى الآخرة .

110- ثم اعلم - أيها النبى - أن ربك مُعين وناصر للذين هاجروا من مكة فرارا بدينهم من الضغط ، وبأنفسهم من عذاب المشركين ، ثم جاهدوا بما يملكون الجهاد به من قول أو فعل ، وصبروا على مشاق التكليف ، وعلى ما يلاقونه فى سبيل دينهم ، إن ربك من بعد ما تحملوا ذلك لغفور لما حصل منهم إن تابوا ، رحيم بهم فلا يؤاخذهم على ما أكرهوا عليه .

111- اذكر لقومك - أيها النبى - محذراً إياهم يوم ، يأتى فيه كل إنسان لا يهيمه إلا الدفاع عن نفسه ، لا يشغله عنها والد ولا وليد ، وهو يوم القيامة ، ويوفى الله فيه كل نفس جزاء ما كسبت من أعمال ، خيراً كانت أو شراً ، ولا يظلم ربك أحداً .

112- وجعل الله - سبحانه - لأهل مكة مثلاً يعتبرون به هو قصة قرية من القرى كان أهلها فى أمن من العدو ، وطمأنينة من ضيق العيش ، يأتهم رزقهم واسعاً من كل مكان ، فجدوا نعم الله عليهم ، ولم يشكروه بطاعته وامتنال

أمره ، فعاقبهم الله بالمصائب التي أحاطت بهم من كل جانب ، وذاقوا مرارة الجوع والخوف بعد الغنى والأمن ، وذلك بسبب تماديهم فى الكفر والمعاصى .

(1/462)

---

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (113) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ لِعَبْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (115) وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (117)

113- ولقد جاءهم رسول منهم فكان يجب عليهم شكر الله على ذلك ، ولكنهم كذبوه عنادا وحسدا ، فأخذهم العذاب حال تلبسهم بالظلم ، وبسبب هذا الظلم .

114- إذا كان المشركون يكفرون بنعم الله فيبدلها بؤسا ، فاتجهوا - أيها المؤمنون - إلى الشكر ، وكلوا مما رزقكم الله ، وجعله حلالا طيبا لكم ، ولا تحرموه على أنفسكم ، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته - وحده - إن كنتم تخصونه حقا بالعبادة .

115- فإن الله لم يحرم عليكم إلا أكل الميتة ، والدم الذى ينزل من الحيوان عند ذبحه ، ولحم الخنزير ، وما ذبح لغير الله ، فمن ألجأته ضرورة الجوع إلى تناول شئ مما حرّمه الله عليكم غير طالب له ، ولا يتجاوز فى أكله حد إزالة الضرورة ، فإن الله لا يؤاخذة على ذلك ، لأنه - سبحانه - غفور لعباده يغفر لهم ما يقعون فيه من أخطاء لا يصرون عليها ، رحيم بهم حين منعهم مما يضرهم ، وأباح لهم ما يحفظ حياتهم .

116- وإذا كان الله قد بين حكم الحلال والحرام ، فالتزموا ما بين لكم ، ولا تجرءوا على التحليل والتحریم انطلاقاً وراء ألسنتكم ، فتقولوا : هذا حلال وهذا حرام ، فتكون عاقبة قولكم هذا : أنكم تفترون على الله الكذب ، وتنسبون إليه ما لم يقله ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفوزون بخير ولا فلاح .

117- وإذا كانوا يجرون بذلك وراء شهواتهم ومنافعهم الدنيوية فإن تمتعهم بها قليل زائل ، ولهم فى الآخرة عذاب شديد .

(1/463)

---

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123)

- 118- ولم تحرم إلا على اليهود - وحدهم - ما قصصناه عليك - أيها النبي - من قبل نزول هذه الآيات ، وهو كل ذى ظفر ، وشحوم البقر والغنم ، إلا ما حملت ظهورها ، أو الحوايا أو ما اختلط بالعظام . وما ظلمناهم بهذا التحريم ، ولكنهم الذين ظلموا أنفسهم ، لتسببهم فيه بسبب تماديهم وشراهتهم وعدم وقوفهم عند الحلال .
- 119- ثم إن الذين عملوا السوء تحت تأثير طيش وغفلة عن تدبير العواقب ، ثم تابوا من ذلك الذنب ، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم ، فإن ربك - أيها النبي - يغفر لهم ذنوبهم ، لأنه - سبحانه - بعد هذه التوبة كثير التجاوز عن السيئات ، واسع الرحمة بالعباد .
- 120- إن إبراهيم الذى تفخرون به - أيها المشركون أنتم واليهود - كان جامعاً لكل الفضائل ، بعيداً عما أنتم عليه من باطل ، خاضعاً لأمر ربه ولم يكن مثلكم مشركاً به .
- 121- وكان شاكراً لنعم ربه عليه ، ولهذا كله اختاره الله لحمل رسالته ، ووفقه لسلوك طريق الحق المستقيم الموصل للنعيم الدائم .
- 122- وجعلنا له فى الدنيا ذكراً حسناً على كل لسان ، وسيكون قطعاً فى الآخرة فى زمرة الصالحين المنعمين بجنات الله ورضوانه .
- 123- ثم أوحينا إليك - أيها النبي - بعد إبراهيم بقرون عديدة ، وأمرناك باتباع إبراهيم فيما دعا إليه من التوحيد والفضائل والبعد عن الأديان الباطلة ، فإنه لم يكن من الذين يشركون مع الله الهةً أخرى كما يزعم هؤلاء المشركون .

(1/464)

إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَجْعَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّى عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126)

124- وليس تعظيم يوم الجمعة ، وترك تعظيم يوم السبت فى الإسلام مخالفاً لما كان عليه إبراهيم كما يدعى اليهود ، فإن تحريم الصيد يوم السبت احتراماً له لم يكن من شريعة إبراهيم ، وإنما فرض على اليهود فقط ، ومع ذلك لم يحترموه بل خرج بعضهم على هذا التعظيم ، وخالفوا أمر ربهم فكيف يعيرون على غيرهم ممن لم يكلف بتعظيمه عدم تعظيمه ، مع أنهم - وهم المكلفون بذلك - خرجوا عليه؟ وتأكد - أيها النبي - أن ربك سيفضى بينهم يوم القيامة فى الأمور التى اختلفوا فيها ، ويجازى كلا منهم بعمله .

125- أيها النبي : ادع إلى طريق الحق الذى شرعه ربك مع قومك ، واسلك فى دعوتهم الطريق الذى يناسب كل واحد منهم ، فادع خواصهم ذوى المدارك العالية بالقول الحكيم المناسب لقولهم ، وادع عوامهم بما يناسبهم من إيراد المواعظ ، وضرب الأمثال التى توجههم إلى الحق ، وترشدهم من أقرب طريق مناسب لهم ، وجادل أصحاب الملل السابقة من أهل الكتب بالمنطق والقول اللين ، والمجادلة الحسنة التى لا يشوبها عنف ولا سبَاب حتى تتمكن من إقناعهم واستمالتهم . هذا هو الطريق لدعوة الناس إلى الله على اختلاف

ميولهم ، فاسلك هذا الطريق معهم ، واترك أمرهم بعد ذلك إلى ربك الذي يعلم من غرق في الضلال منهم وابتعد عن طريق النجاة ، من سلم طبعه فاهتدى وأمن بما جئت به .

126- وإن أردتم عقاب من يعتدى عليكم - أيها المسلمون - فعاقبوه بمثل ما فعل بكم ، ولا تتجاوزوا هذا المثل ، وتأكدوا لو صبرتم ، ولم تقتصوا لأنفسكم ، لكان خيرا لكم في الدنيا والآخرة ، فعاقبوا لأجل الحق ، ولا تعاقبوا لأجل أنفسكم .

(1/465)

---

وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)

127- واصبر أنت - أيها النبي - فإن ذلك يسهل عليك كثيرا من مشقات الحياة ، ويعالج مشاكلها ، ولا تحزن على عدم استجابة قومك لدعوتك ، وإيمانهم بك ، ولا يضق صدرك من مكرهم وتدابيرهم لخنق دعوتك ، فإنك لن يضرك شئ من فعلهم ، وقد أدبت ما عليك واتقيت ربك .

128- فإن ربك مع الذين اتقوا غضب الله باجتنا نواهيهم ، وأحسنوا لله أعمالهم بالإقبال على طاعته ، يعينهم وينصرهم في الدنيا ويجزيهم خير الجزاء في الآخرة .

(1/466)

---

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)

1- تنزيهاً لله عما لا يليق به ، وهو الذي سار بعبده محمداً في جزء من الليل من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بيت المقدس ، الذي بارك الله حوله لسكانه في أقواتهم ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ما فيه البرهان الكافي على وحدانيتنا وعظم قدرتنا ، إن الله - وحده - هو السميع البصير .

(1/467)

---

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا (2) ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (3) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلِنَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيِّنَاتٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6)

إِنْ أَحْسَبْتُمْ أَحْسَبْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا  
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7)

- 2- وأن بيت المقدس كان يسكنه بنو إسرائيل من بعد موسى ، حتى أفسدوا فيه ، فَشَرَّدُوا مِنْهُ مِنْ قَبْلِ ، مع أننا أعطينا موسى التوراة ، وجعلنا فيها هداية لهم ، وقلنا لهم : لا تتخذوا غير الله معبوداً تفوضون إليه أموركم .
- 3- أنتم - أيها الإسرائيليون - ذرية المخلصين الذين كانوا مع نوح فى الفلك بعد إيمانهم ، ونجيناهم من الغرق . اجعلوا نوحاً قدوتكم كما جعله أسلافكم ، فإنه كان عبداً كثير الشكر لله على نعمته .
- 4- وأنفدنا بقضائنا إلى بنى إسرائيل فيما كتبناه فى اللوح المكنون أنهم يُفْسِدُونَ فى بيت المقدس لا محالة مرتين ، فى كل مرة منهما كان الظلم والطغيان ، وترك أحكام التوراة ، وقتل النبيين ، والتعاون على الإثم . وأنه ليسط سلطانكم وتعلون مستكبرين ظالمين .
- 5- فإذا جاء وقت عقاب أولاهما سلطنا عليكم بسبب إفسادكم عباداً لنا أصحاب بطش شديد ، فأخذوا يسبرون فى داخل الديار ، لم يتركوا جزءاً منها ليقتلوكم ، وكان وعد العقاب وعداً لا بد أن يكون .
- 6- ثم لما استقام أمركم ، واهتديتم ، وجمعتم شملكم ، ورجعتم عن الفساد ، رددنا لكم الغلبة على الذين بعثوا عليكم ، ورزقناكم أموالاً وبنين ، وجعلناكم أكثر مما كنتم عدداً .
- 7- وقلنا لهم : إن أحسنتم فأطعتم الله كان إحسانكم لأنفسكم فى الدنيا والآخرة ، وإن أسأتم بالعصيان فإلى أنفسكم تسيئون . فإذا جاء وقت عقاب المرة الآخرة من مَرَّتِي إفسادكم فى الأرض ، بعثنا عليكم أعداءكم ، ليجعلوا آثار المساءة والذلة والكآبة بادية على وجوهكم ، وتكون العاقبة أن يدخلوا مسجد بيت المقدس ، فيخربوه كما دخلوه وخربوه أول مرة ، وليهلكوا ما غلبوا عليه إهلاكاً شديداً .

(1/468)

عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8) إِنْ  
هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ  
لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10)  
وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ  
وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُنْصَرَةً لِيَتَّبِعُوا فَمَنْ رَّبُّكُمْ  
وَلْيَتْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا (12) وَكُلَّ إِنْسَانٍ  
الرَّمْيَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخِرْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13)

- 8- عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم ، وإن عدتم إلى الفساد عدنا إلى العقوبة ، وجعلنا جهنم للكافرين سجناً ومحبساً .
- 9- إن هذا القرآن يرشد الناس للسبيل التى هى أقوم السبل وأسلمها فى الوصول إلى السعادة الحقيقية فى الدنيا ، ويبشر المؤمنين بالله ورسوله الذين يُدْعُونَ لِلْحَقِّ ويعملون الأعمال الصالحات بالأجر العظيم يوم القيامة .
- 10- وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعددنا لهم فى جهنم عذاباً شديداً الأليم .



- 11- وأن فى طبع الإنسان تعجلاً فى الحكم على ما يقع من الناس ، وفى أقواله وأفعاله ، فهو يسارع بالدعوة إلى الشر مسارعه فى الدعوة إلى الخير ، ويسارع فى دعاء الله - تعالى - بأن ينزل الشر على من يبادر بالغضب عليه مسارعه بالدعاء له بالخير .
- 12- وجعلنا الليل والنهار بهيئتهما وتعاقبهما علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا فأزلنا من الليل الضوء فلا يستبان فيه شئ ، وكانت علامته ظلاماً لا تسرى فيه الشمس ، تلك العلامة الكبرى ، وجعلنا النهار مبصراً ، وترى فيه الشمس الآية الكبرى لتتجهوا فى ضوء النهار إلى التصرف فى معاشكم ، ولتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد السنين وحساب الأشهر والأيام ، وكل شئ لكم فيه مصلحة بيّناه لكم بياناً واضحاً ، لتقوم عليكم الحجة بعد تمام النعمة .
- 13- وألزمنا كل إنسان عمله لزوم القلادة للعنق ، ونخرج له يوم القيامة كتاباً فيه أعماله ، يلقاه مفتوحاً ، ليسرع فى قراءته .

(1/469)

اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) مَنْ اهْتَدَىٰ فَأَتَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَتَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا (15) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19)

- 14- ويقال له : اقرأ بقدره الله - ولو لم يكن فى الدنيا قارئاً - كتاب أعمالك تكفيك نفسك اليوم حاسبة ومحاسبة عليك عملك .
- 15- من اتبع طريق الحق فإنما ينفع نفسه ، ومن حاد عنه فإنما إثم ضلاله على نفسه ، ولا تتحمل نفس مذنبه فوق ذنبها ذنب نفس أخرى ، وما صح لنا أن نعذب أحداً على فعل شئ قبل أن نبعث إليه رسولاً من لدنا يهدى إلى الحق ويردع عن الباطل .
- 16- وإذا قدرنا فى اللوح المحفوظ إهلاك أهل قرية حسب اقتضاء حكمتنا سلطنا المترفين فيها فأفسدوا فيها ، وخرجوا عن جادة الحق ، وأتبعهم غيرهم من غير أن يتبينوا ، وبذلك يحق عليها كلها العقاب ، فندمرها تدميراً شديداً .
- 17- وكثيراً من أهل القرون من بعد نوح أهلكناهم بتمردهم على أنبيائهم ، ويكفيك بيان ربك وإعلامه ، لأنه العالم بكل شئ علماً دقيقاً كعلم من يبصر ، وهو الخبير بذنوب عباده البصير بها ، فلا يخفى عليه أفعال أحد من العباد وسيجازيهم بما يستحقون .
- 18- مَنْ كَانَ يَطْلُبُ مَتَاعَ الدُّنْيَا الْعَاجِلَةَ وَيَعْمَلُ لَهُ مَتَخِذًا الْأَسْبَابِ ، وَلَا يُوقِنُ بِمِيعَادِ ، وَلَا يَنْتَظِرُ جَزَاءَ الدَّارِ الْآخِرَةِ ، عَجَّلْنَا لَهُ فِي الدُّنْيَا مَا نَشَاءُ تَعَجِيلًا مِنَ الْبَسْطِ وَالسَّعَةِ ، وَكَانَ هَذَا لِمَنْ نُرِيدُ التَّعْجِيلَ لَهُ ، ثُمَّ أَعَدَدْنَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ جَهَنَّمَ يِقَاسَى حَرَّهَا ، وَهُوَ مَذْمُومٌ بِمَا قَدَّمَ ، هَالِكٌ مَطْرُودٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .
- 19- ومن أراد بعمله الآخرة ، ولها عمل ، وهو مصدق بالله وجزائه ، فأولئك كان عملهم مقبولاً عند الله ينالون الثواب عليه .

كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20) انْظُرْ  
 كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21) لَا تَجْعَلْ  
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعَّدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا (22) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ  
 وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا  
 تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ  
 رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا  
 صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (25) وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ  
 السَّبِيلِ وَلَا تُبْدِرُوا تَابَ بَرًا (26)

20- وإننا نمد كلا الفريقين إذا اتخذوا الأسباب من عطاء ربك في الدنيا ، وما كان عطاء ربك فيها ممنوعاً من أحد ، مؤمناً كان أو كافراً ، ما داموا قد اتخذوا الأسباب .

21- انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعض عبادنا على بعض في المال والحياة والسعة ، إذا اتخذوا أسباب ذلك في الدنيا لحكمة نعلمها ، وأن تفاوتهم في الدار الآخرة أكبر درجات من تفاوتهم في الدنيا ، فينبغي الاعتناء بها ، فالآخرة هي التي تكون فيها الرفعة الحقيقية والتفاضل الحقيقي .

22- لا تجعل - أيها المكلف - مع الله شريكاً فتصير موصوماً بالإهانة ، ويكون الخذلان مكتوباً عليك .

23- وحكم ربك ألا تعبدوا إلا إياه ، وبأن تبروا الوالدين برّاً تاماً ، وإذا بلغ الوالدان أو أحدهما عندك - أيها المخاطب - حال الضعف وصارا في آخر العمر فلا تتأفف لما يصدر منهما بصوت يدل على الضجر ، ولا تزجرهما ، وقل لهما قولا جميلاً ليّنا فيه إحسان وتكريم لهما .

24- وإلّا لهما جانبك وتواضع لهما وكن شقيقاً عليهما ، وقل في شأنهما : رب ارحمهما كما رحمتني حين ربّيتني صغيراً .

25- ربكم - أيها الناس - أعلم منكم بما في ضمائركم ، ويحاسبكم عليه بالثواب أو العقاب ، فإن تكونوا قاصدين الصلاح فاعلين له ثم كانت منكم هفوة ثم أنبتم إلى الله فإن الله - سبحانه - يغفر لكم ، لأنه دائم المغفرة للراجعين إليه .

26- وأعط ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ ، وَذَا الْحَاجَةِ الْمِسْكِينَ ، وَالْمَسَافِرَ الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ مَالِهِ ، حَقَّهُمَا مِنَ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَةِ ، وَلَا تَبْعَثْ مَالَكَ فِي غَيْرِ الْمَصْلَحَةِ تَبْذِيرًا كَثِيرًا .

إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) وَإِمَّا يَنْظُرَنَّ عَنْهُمْ أَنْبَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَسْبَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِبَائِكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خِطْبًا كَبِيرًا (31)

(31) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33)

27- لأن المبذرين كانوا قرناء الشياطين ، يقبلون وسوستهم حين يسخرونهم للفساد والإنفاق فى الباطل ، ودأب الشيطان أنه يكفر بنعمة ربه دائماً ، وصاحبه مثله .

28- وإن أرغمتك أحوالك المالية على الإعراض عن هؤلاء المذكورين ، فلم تعطهم لعدم وجود ما تعطيمهم فى الحال مع رجاء أن يفتح الله عليك به ، فقل لهم قولاً حسناً يؤملهم فيك .

29- ولا تمسك يدك عن الإنفاق فى الخير ، وتجعلها كأنها مربوطة فى عنقك يغل من الحديد لا تقدر على مداها ، ولا تبسطها كل البسط بالإسراف فى الإنفاق ، فتصير مذموماً على الإمساك نادماً أو منقطعاً لا شئ عندك بسبب التبذير والإسراف .

30- إن ربك يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء منهم ، لأنه خبير بطبائعهم بصير بحوائجهم ، فهو يعطى كلا منهم ما يتفق مع الحكمة إن اتخذ الأسباب .

31- وإذا كان أمر الأرزاق بيد الله فلا يجوز أن تقتلوا أولادكم خوف فقر متوقع ، لأننا نحن ضامنون رزقهم ورزقكم ، إن قتلهم كان إثماً عظيماً .

32- ولا تقرىوا الزنى بمباشرة أسبابه ودواعيه ، لأنه رذيلة واضحة القبح ، وبئس طريقاً طريقه .

33- ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها إلا قتلاً يكون للحق ، بأن تكون النفس مستحقة للقتل قصاصاً أو عقوبة ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لأقرب قرابته سلطاناً على القاتل بطلب القصاص من القاضى ، فلا يجاوز الحد فى القتل ، بأن يقتل غير القاتل ، أو يقتل اثنين بواحد ، فإن الله نصره وأوجب له القصاص والدية ، فلا يصح أن يتجاوز الحد .

(1/472)

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39) أَفَأَصْحَابُكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40)

34- ولا تتصرفوا فى مال اليتيم إلا بالطريقة التى هى أحسن الطرق لتنميته وشميره ، واستمروا على ذلك حتى يبلغ رشده ، وإذا بلغ فسلموه له ، وحافظوا على كل عهد التزمتموه ، فإن الله سيسأل ناقض العهد عن نقضه وبحاسبه عليه .

- 35- وأوفوا الكيل إذا كلتم للمشتري ، وزنوا له بالميزان العدل ، فإن إيفاء الكيل والوزن خير لكم فى الدنيا ، لأنه يرغب الناس فى معاملتكم ، وأجمل عاقبة فى الآخرة .
- 36- ولا تتبع - أيها المرء - ما لا علم لك به من قول أو فعل ، فلا تقل : سمعت ، وأنت لم تسمع ، أو علمت ، وأنت لم تعلم ، فإن نَعَمَ السمع والبصر والقلب يسأل صاحبها عما يفعل بكل منها يوم القيامة .
- 37- ولا تمش فى الأرض متكبراً مختلاً ، فإنك مهما فعلت فلن تخرق الأرض بشدة وطأتك ، ولن تبلغ مهما تناولت أن تحاذى بطولك قمم الجبال .
- 38- كل ذلك المذكور من الوصايا ، كان القبيح منه من المنهيات مكروهاً مبعوضاً عند ربك .
- 39- وهو مما أوجاه إليك ربك من معرفة الحق بذاته ، والخير للعمل به ، ولا تجعل مع الله إلهاً غيره فتلقى فى جهنم ملوماً عند نفسك ، وعند غيرك هالِكاً مطروداً من رحمة ربك .
- 40- أنكر - سبحانه - على من قالوا : الملائكة بنات الله ، فقال : أفصلكم ربكم على نفسه ، فخصكم بأقوى الأولاد ، وهم البنون ، واتخذ هو لنفسه من الملائكة بنات بزعمكم؟ إنكم فى قولكم هذا تفترون بهتاناً عظيماً .

(1/473)

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (41) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ  
 آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا  
 يَقُولُونَ عَلَؤًا كَبِيرًا (43) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ  
 شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)  
 وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ جِبَابًا مَّسْتُورًا (45)  
 وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آدَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي  
 الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أُنْبِيَائِهِمْ نُفُورًا (46) تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ  
 يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا )  
 (47)

- 41- لقد بيّنا فى هذا القرآن أحسن بيان ضرورياً من الأمثال والمواعظ والأحكام ، ليتعظ هؤلاء المشركون ، ولكنهم لتحجر قلوبهم لا يزيدهم ذلك التبيين إلا شروداً عن الحق .
- 42- قل - أيها النبى - إظهاراً لإبطال زعمهم الشركاء لله : لو كان مع الله آلهة فى الوجود كما يقولون لطلب هؤلاء الآلهة طريقاً يصلون منه إلى صاحب الملك المطلق لينازعوه عليه .
- 43- تنزه الله تنزهاً لائقاً به ، وتعالى جل شأنه عما يزعمون من أنه معه آلهة .
- 44- إن السموات السبع والأرض ومن فيهن من المخلوقات تنزهه وتقدسه ، وتدل بإتقان صنعها على تنزهه الله - سبحانه - عن كل نقص وكمال ملكه ، وأنه لا شريك له ، وما من شئ من المخلوقات فى ملكه الواسع إلا ينزهه كذلك مع الثناء عليه ، ولكن الكافرين لا يفهمون هذه الأدلة لاستيلاء الغفلة على قلوبهم ، وكان الله حلماً عليهم غفوراً لمن تاب فلم يعاجلهم بالعقوبة .
- 45- وإذا قرأت - أيها النبى - القرآن الناطق بدلائل الحق جعلنا بينك وبين

الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء حين إرادة الفتك بك حجاباً ساتراً لك عنهم ، فلا يرونك .  
 46- وجعلنا بمقتضى حكمتك فى الإضلال والهداية على قلوبهم أغطية ، كراهة أن يفهموا القرآن على حقيقته ، وفى آذانهم صمماً فلا يسمعون سماع انتفاع ، لأنهم أسرفوا فى العناد والمكابرة ، وإذا ذكرت ربك فى القرآن منفرداً عن ذكر الهتهم رجعوا على أعقابهم نافرين عن استماعه .  
 47- نحن أعلم بما يستمعون القرآن متلبسين به من الاستهزاء والسخرية حين استماعهم إليك ، وهم ذوو مسارة بما ذكر ، وذلك قول الظالمين لغيرهم فى مسارتهم : إن اتبعتم فأنتم لا تتبعون إلا رجلاً مغلوباً على عقله .

(1/474)

انْظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَصَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48) وَقَالُوا أَيُّدَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيُّنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا (50) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (51) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52) وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53) رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (54)

48 انظر كيف ذكر لك الأشباه فشبهوك بالمسحور ، والكاهن ، والشاعر ، فصلوا بذلك عن منهاج الحجة فلا يستطيعون طريقاً إلى الطعن يمكن قبوله ، أو فصلوا بذلك عن الهدى فلا يجدون طريقاً إليه .  
 49- قال المنكرون للبعث : أنبعث إذا صرنا عظاماً نخرة ، وقطعاً متفرقة ، فنكون خلقاً جديداً فيه حياة؟ إن هذا ما لا يدخل العقول .  
 50- فقل لهم - أيها النبي - : لو كنتم حجارة لا تقبل الحياة بحال ، أو حديداً وهو أصلب من الحجارة .  
 51- أو خلقاً آخر غيرهما مما تنكر قلوبكم قبوله الحياة لبعثتم ، فسيقولون - مستبشرين - : من يعيدنا؟ فقل لهم : يعيدكم الله الذى أوجدكم أول مرة ، فسيحركون إليك رؤوسهم تعجباً ويقولون استهزاء : متى البعث الذى تعدنا به؟ فقل لهم : أرجو أن يكون قريباً .  
 52- وسيكون يوم بيعتكم الله فيه من قبوركم فتبعثون حامدين ربكم على كمال قدرته وتظنون أنكم ما لبثتم فى قبوركم إلا زمناً قليلاً ، تستقصرون المدة الطويلة فى جنب ما أنتم قادمون عليه .  
 53- وقل - يا أيها النبي - لعبادى المؤمنين : أن يقولوا عند محاربتهم المشركين العبارات التى هى أحسن للإقناع ، ويتركوا الكلام الخشن الذى يتسبب عنه الشر والفساد ، فإن الشيطان يفسد بين المؤمنين والكافرين ، لأنه دائماً عدو للإنسان بين العداوة .  
 54- ربكم أعلم بعاقبة أمركم إن يشأ يرحمكم بالتوفيق للإيمان ، أو إن يشأ يعذبكم بعدمه ، وما أرسلناك موكولاً إليك أمرهم فتجبرهم على الإيمان ، وإنما

أرسلناك بشيراً للمصدقين ونذيراً للمكذبين ، فدارهم ، ومُر أصحابك بالاحتمال منهم .

(1/475)

وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَصَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ  
وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (55) قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعِمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ  
الصُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ  
أَقْرَبُ وَيَتَّخِذُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57) وَإِنْ  
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ  
فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ  
وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا (59)

55- وربك أعلم بكل من فى السموات والأرض وبأحوالهم فيختار منهم لنبوته من يشاء ، وقد اختارك لرسالته فلا يصح أن يستكثروا عليك النبوة ، وهؤلاء الأنبياء ليسوا سواء فى الفضل عنده - جل شأنه - بل بعضهم أفضل من بعض ، ولقد فضل بعض النبيين على بعض بالمعجزات وكثرة التابعين ، لا بالملك ، فَصَّلَ داود أنه أوتى الزبور ، لا لأنه أوتى الملك . فلا عجب أن تنال الفضل العظيم بما أوتيت من القرآن .

56- قل لهؤلاء الذين يعبدون المخلوقين ، ويزعمونهم آلهة من دون الله : ادعوا من تعبدونه إذا نزلت بكم شدة ، أو خفتم نزولها ، وسلوهم فى شأنها ، فلن تجدوا منهم كشفاً لضركم ، ولا تحويلاً له عنكم .

57- وإن هؤلاء المخلوقين الذين يدعوهم من يعبدهم يعبدون الله ، وبطلبون الدرجة والمنزلة عنده بالطاعة ، ويحرص كل منهم أن يكون أقرب إلى الله ، ويطمعون فى رحمته ، ويرهبون عذابه ، إن عذاب الله ينبغى أن يحذر ويخاف !!

58- وقد جرت سنتنا أن نهلك كل قرية ظالمة بمن فيها ، أو نعذب أهلها عذاباً شديداً بالقتل وغيره ، فليحذر ذلك قومك ، فقد جرى بذلك قضاؤنا ، وسُطر فى كتابنا .

59- لقد اقترح عليك قومك أن تأتيهم بالآيات والمعجزات ، ولم يقنعوا بما أتاهم مما يقنع ذوى الألباب ، وقد جرت سنتنا مع من يقترح الآيات ثم يجاب إليها ولا يؤمن بها أن نستأصله بالعذاب كما فعلنا بالأولين . ومنهم ثمود ، إذ اقترحوا آيات ، فكانت الناقة معجزة مضيئة نيرة واضحة مجلية للشك والريب فكفروا بها ، فكان ما كان من أمرهم ، وكان من حكمة الله ألا يجيب قومك إلى ما طلبوا خشية أن يكفروا بها ، ويرجى منهم مَنْ يؤمن أو يلد مَنْ يؤمن . والآيات إنما نرسل بها إلى الناس تخويلاً وإرهاباً .

(1/476)

وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ  
وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَحْوَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60) وَإِذْ

قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63)

60- واذكروا - أيها النبي - حين قلنا لك : إن ربك أحاط بالناس ، فهم في قبضة قدرته ، فبلغهم ولا تخف أحداً فهو يعصمك منهم ، وما جعلنا ما عاينته ليلة الإسراء من العجائب إلا امتحاناً واختباراً للناس ، يزداد به إيمان المؤمن وكفر الكافر ، وما جعلنا الشجرة المذمومة في القرآن - وهي شجرة الرقوم التي تنبت في أصل الجحيم - إلا اختباراً لهم أيضاً ، إذ قالوا : النار تحرق الشجر ، فكيف تنبت؟ ونخوفهم بها ، فما يزيدهم تخويفنا إلا تجاوزا للحد الكبير .  
61- وأن الله ليذكر بأصل الخلق والعداوة بين آدم وإبليس ، إذ قال للملائكة : اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء ، فسجدوا على الفور ، إلا إبليس امتنع وقال منكرًا : كيف أسجد لمن خلقته من طين ، وأنا من نار ، فأنا خير منه .

62- قال إبليس : أخبرني يا رب عن هذا الذي كرمته عليّ ، بأن أمرتني بالسجود له . لِمَ كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ وأنا خير منه؟ وعزتك لئن أخرتني حياً إلى يوم القيامة لأهلكن ذريته بالإغواء ، إلا قليلاً منهم ممن عصمته وحفظته .  
63- قال له المولى - تهديداً واستدراجاً - : امض لشأنك الذي اخترته لنفسك ، فمن أطاعك من ذرية آدم فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وافرًا كاملاً .

(1/477)

وَاسْتَفْزِرُ مَنْ ابْتِطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65) رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَلِئَوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّه كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَ فَلَمَّا تَجَاكَمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (67) أَقَامْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ لِيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69)

64- واستخف واستنزل بدعائك إلى معصية الله من استعطت منهم ، وأفرغ جهدك في جميع أنواع الإغراء ، وشاركهم في كسب الأموال من الحرام وصرفها في الحرام ، وتكفير الأولاد وإغرائهم على الإفساد ، وعدهم المواعيد الباطلة كشفاة آلهتهم ، والكرامة عند الله بأنسابهم ، وما يعد الشيطان أتباعه إلا بالتغريب والتمويه .

65- أما عبادي المخلصون لي فليس لك على إغوائهم قدرة ، لتوكلهم على ربهم ، وكفى به ناصراً يستمدون منه العون في الخلاص منك .  
66- ربكم هو - وحده - الذي يجري لكم السفن في البحر ، لتطلبوا من فضله الأرباح بالتجارة وغيرها . إنه دائم الرحمة بكم .  
67- وإذا أصابكم الأذى وتعرضتم للمخاطر في البحر ، غاب عنكم كل من

تدعونه فى حوائجكم من الأصنام ، إلا الله - وحده - فإنكم لا تذكرون سواه ، فلما نجّاكم من الغرق ، وأخرجكم إلى البر ، أعرضتم عن توحيدِهِ وكفرتم النعمة ، وشان الإنسان دائماً جحد النعمة .

68- وإذا نجّوكم بخروجكم إلى البر أفأنتم من عذاب الله؟ كلا إن شاء قلب بكم جانباً من البر فهلكتم تحته ، وإن شاء أرسل عليكم ريحاً شديدة ترميكم بالحصى والحجر ، فلا تجدون حافظاً مما يصيبكم .

69- أم أمنتُم أن يعيدكم ربكم فى البحر مرة أخرى ، فيرسل عليكم قاصفاً من الريح يكسر فللكم؟ فيغرقكم بسبب جحودكم نعمته حين أنجاكم أولاً ، ثم لا تجدوا لكم علينا من يطالبنا بما فعلنا انتصاراً لكم .

(1/478)

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (70) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَمُونَ فَتِيلاً (71) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً (72) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلاً (73) وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كَدَّتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (74) إِذَا لَادَفْتَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً (75)

70- ولقد كرّمنا أولاد آدم بحسن القوام والنطق وتخير الأشياء ، وأعطيناهم الكرامة والعزة إن أطاعوا ، وحملناهم فى البر على الدواب ، وفى البحر على السفن ، ورزقناهم من المستلذات ، وفضلناهم على كثير من المخلوقات بالعقل والتفكير تفضيلاً عظيماً .

71- واذكر - أيها النبى - لقومك يوم ندعو كل جماعة بشعارهم الذى يعرفون به ، أو زعيمهم من رئيس اتبعوه ، أو نبى ، أو كتاب ، فيقال : يا أهل موسى ، يا أهل القرآن ، وهكذا ليتسلموا كتب أعمالهم ، فمن أعطى كتاب أعماله بيمينه - وهم السعداء - فأولئك يقرأون كتابهم مبتهجين ولا ينقصون من أجورهم أدنى شئ .

72- وأما الفريق الآخر فيغمه ما يرى ، وتسد عليه مسالك النجاة ، ويعمى عن كشف ضره ، كما كان أعمى فى الدنيا عن طريق الحق والرشاد ، ومن كان فى الدنيا أعمى فهو أشد فى الآخرة وأبعد عن سبيل الخير .

73- وإن المشركين يتفنون فى محاولة صرفك عن القرآن لتطلب غيره من المعجزات ، وتكون كالمفتري علينا ، وحينئذ يتخذونك صاحباً لهم ، وإن هذه المحاولات قد تكررت وكثرت ، وكان من شأنها أن تقربك مما يريدون ولكنك رسولنا الأمين .

74- وقد شملك لطفنا فصرفناك عن الاستجابة لهم ، وثبتناك على الحق ، ولولا ذلك لأوشكت أن تميل إلى استجابتهم طمعاً فى أن يكمل إيمانهم يوماً إذا دخلوا فى أوائل الإسلام .

75- ولو قاربت الركون إليهم لجمعنا عليك عذاب الدنيا وضاعفناه ، وعذاب الآخرة وضاعفناه ، ثم لا تجد لك نصيراً علينا يمنع عنك العذاب ، ولكن لا يكون ذلك أبداً لأنه ممتنع على رسولنا الأمين .



وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِئُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةٌ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77) أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (80) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81) وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (82)

76- ولقد حاول كفار مكة - وكادوا أن يزعجوك من أرض مكة بعداوتهم ومكرهم - ليخرجوك منها ، ولو تحقق منهم ذلك لا يبقون بعد خروجك منها إلا زمناً قليلاً ، ثم يغلبون على أمرهم وتكون الكلمة لله .

77- وذلك كطريقنا فى الرسل قبلك من إهلاك من أخرجوا نبينهم ، ولن تجد لطريقنا تبديلاً .

78- أقم الصلاة المفروضة من أول زوال الشمس من وسط السماء نحو الغرب إلى ظلمة الليل ، وهى صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وأقم صلاة الفجر التى تشهدها الملائكة .

79- وتيقظ من نومك فى بعض الليل فتعبد بالصلاة عبادة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك ، رجا أن يقيمك ربك يوم القيامة مقاماً يحمدك فيه الخلائق .

80- وقل : يا رب أدخلنى إدخالاً مرضياً كريماً فى كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان ، وأخرجنى منه إخراجاً مرضياً كريماً ، واجعل من فضلك قوة تنصرنى بها على أعدائى .

81- وقل منذراً قومك - المشركين - : جاء الحق من التوحيد والدين الصحيح والعدل ، وذهب الباطل والشرك والدين الفاسد ، إن الباطل مضمحل زائل دائماً .

82- وكيف لا يقوى الحق ونحن ننزل من القرآن ما هو شفاء لما فى الصدور من الشك والريب ، وسبب رحمة لمن آمن به ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً لكفرهم به .

وَإِذَا أَوْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّلُ (83) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (84) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَتَدَّهِنَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلِيًّا وَكَيْلًا (86) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْنَهُ كَبِيرًا (87) قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89)

- 83- وإن فى طبع الإنسان الغرور والقنوط ، فإذا أنعمنا عليه بالصحة والسعة ، أعرض عن ذكرنا ودعائنا ، وَعَدَّ عَنَا بِنَفْسِهِ تَكْبَرًا وَتَعَاظَمًا ، وإذا مسه الشر كالمرض والفقر ، كان شديد القنوط من رحمة الله .
- 84- قل - أيها النبى - لكفار قريش - رغبة عن إثارة الشر والجدال - : كل منا ومنكم يعمل ويسير على طريقته ، فربكم عليم علماً ليس فوقه علم بمن هو أوضح طريقاً واتباعاً للحق فيؤتيه أجره موفوراً ، ومن هو اضل سبيلاً فيعاقبه بما يستحق .
- 85- ويسألك - يا محمد - قومك - بإيعاز من اليهود - عن حقيقة الروح ، قل : الروح من علم ربى الذى استأثر به ، وما أوتيتم من العلم إلا شيئاً قليلاً فى جانب علم الله تعالى .
- 86- ولئن أردنا أن نمحو من صدرك القرآن الذى أوحينا إليك لفعلنا ثم لا تجد من يقوم لك وينصرك .
- 87- ولكن أبقيناه رحمة من ربك لأن فضله فى هذه المعجزة كان عليك عظيماً .
- 88- قل لهم متحدياً : أن يأتوا بمثله وإنهم ليعجزون ، ولئن اجتمعت الإنس والجن وتعاونوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى نظمه ومعانيه ، لا يستطيعون ، ولو كانوا متعاونين بعضهم يظاهر بعضاً .
- 89- ولقد نوعنا مناهج البيان بوجوه مختلفة للناس فى هذا القرآن من كل معنى هو كالمثل فى غرابته فأبى أكثر الناس إلا الجحود والإنكار .

(1/481)

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشِيرًا رَسُولًا (93) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشِيرًا رَسُولًا (94) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (96)

90- ولما ظهر إعجاز القرآن ولزمتهم الحجة ، اقترحوا الآيات والمعجزات ، فعل المحجوج المبهوت المتحير ، فقالوا : لن نؤمن حتى تفجر لنا من أرض مكة عيناً لا ينقطع ماؤها .

91- أو يكون لك بمكة بستان من نخيل وعنب فتفجر الأنهار وسطه تفجيراً كثيراً .

92- أو تسقط السماء فوق رؤوسنا قطعاً كما زعمت أن الله توعدنا بذلك ، أو تأتي بالله والملائكة نقابلهم معاينة ومواجهة .

93- أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب ، أو تصعد فى السماء ولن نصدقك فى هذه الحال إلا إذا جئتنا بكتاب من الله يقرر فيه صدقك نقرؤه ، قل لهم : أنزه ربى عن أن يتحكم فيه أحد ، أو يشاركه فى قدرته ، ما كنت إلا بشيراً كسائر الرسل ، ولم يأتوا قومهم بأية إلا بإذن الله .

- 94- وما منع مشركى مكة أن يذعنوا للحق حين جاءهم الوحي مقرّوناً بالمعجزات إلا زعمهم جهلاً منهم إن الله تعالى لا يبعث رسلاً من البشر بل من الملائكة . 95- قل - يا محمد - رداً عليهم : لو كان فى الأرض بدل البشر ملائكة يمشون فيها كالآدميين مستقرين فيها ، لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً من جنسهم ، ولكن الملائكة لا يكونون كالشجر ، ولو كانوا لجاءوا فى صورة البشر .
- 96- وقل : إن أنكرتم رسالتى فكفى بالله حاكماً بينى وبينكم مقررأً صدق رسالتى إليكم ، إنه كان بعباده عالماً بأحوالهم بصيراً بأفعالهم وهو مجازيهم عليها .

(1/482)

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكَمًّا وَضَمًّا مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (97) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرِفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ وَيَجْعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ قَابِى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا (100) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ قَاسِمًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا (101)

- 97- وقل لهم : من يهده الله لحسن استعداده فهو المهتدى ، ومن يضلله لفساد طبعه فلن تجد له أنصاراً غيره يهدونهم فى الدنيا ، ونحشرهم فى الآخرة مسحوبين على وجوههم لا ينظرون ولا ينطقون ولا يسمعون ، ومكانهم الذى ياوون إليه جهنم كلما ضعف لهيبها زادها الله تلهاً واشتعالاً .
- 98- ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بالأدلة التى أقمناها لهم على الحق ، وقولهم : أنبعث خلقاً جديداً بعد أن نصير عظاماً ورفاتاً؟ .
- 99- أغفلوا ولم يعلموا أن الله الذى خلق السموات والأرض - مع عظمهما - قادر على أن يخلق مثلهم من الإنس والجن ، ومن هو قادر على ذلك كيف لا يقدر على إعادتهم ، وهى أهون عليه ، وقد جعل - سبحانه - لإعادتهم بعد الموت أجلاً محددًا لا شك فى حصوله وهو يوم القيامة ، ومع ذلك أبى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ، بعد إقامة هذه الحجة إلا جحوداً .
- 100- قل لهؤلاء المشركين : لو كنتم تملكون خزائن رزق ربي لبخلتم خشية الفقر ، لأن الإنسان مطبوع على شدة الحرص والبخل ، والله هو الغنى الجواد ، يمنح ما شاء لمن يشاء ، وينزل من المعجزات ما شاء لا ما شاء الناس ، وهو فى ذلك كله حكيم عليم .
- 101- ولو أوتى هؤلاء من الآيات ما اقترحوا لصرفوها عن وجهها ، ولم يؤمنوا بها ، ولقد آتينا موسى تسع آيات واضحات ومع ذلك كفروا ، وقال فرعون : إنى لأظنك مسحوراً يا موسى .

(1/483)

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (102) فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَمِّي مَعَهُ جَمِيعًا (103) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنبِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جُنَّتَا بِكُمْ لَفِيفًا (104) وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ تَرَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105) وَفِرْعَوْنًا فَرفَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَنْكُورُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109)

- 102- قال موسى : لقد علمت يا فرعون أن الذي أنزل هذه الآيات هو رب السموات والأرض ، لأنه هو الذي يقدر عليها وهي واضحات تبصرك بصدقى ، ولكنك تكابر وتعاند ، وإنى لأظنك يا فرعون هالكا إذا لم ترجع عن عنادك .
- 103- فتمادى فرعون فى طغيانه ، فأراد أن يخرج موسى وبنى إسرائيل من أرض مصر ، فأغرقناه مع جنوده جميعاً .
- 104- ونجينا موسى وقومه ، وقلنا من بعد إغراق فرعون لبنى إسرائيل : اسكنوا الأرض المقدسة بالشام ، فإذا جاء وقت الحياة الأخرى جئنا بكم من قبوركم مختلطين ثم نحكم بينكم بالعدل .
- 105- وما أنزلنا القرآن إلا مؤيداً بالحكمة الإلهية التى اقتضت إنزاله ، وهو فى ذاته وما نزل إلا مشتملاً على الحق كله ، فعقائده هى الصحيحة ، وأحكامه هى المستقيمة ، وما أرسلناك - أيها النبى - إلا مبشراً لمن آمن بالجنة ، ونذيراً لمن كفر بالنار . فليس عليك شئ إذا لم يؤمنوا .
- 106- وقد فرّقنا هذا القرآن ونزلناه منجماً على مدة طويلة لتقرأه على الناس على مهل ليفهموه ، نزلناه شيئاً بعد شئ تنزيلاً مؤكداً لا شبهة فيه .
- 107- قل لكفار مكة تهديداً لهم : اختاروا لأنفسكم ما تحبون من الإيمان بالقرآن أو عدمه ، فإن الذين أوتوا العلم الصحيح والإدراك السليم من قبل نزوله ، إذا يتلى عليهم يقعون على الوجوه سجداً ، شكراً لله على نعمته .
- 108- ويقولون : تنزه ربنا عن خلف الوعد الذى وعد به من نعيم وعذاب ، إن وعده كان حاصلًا لا محالة .
- 109- ويقعون ثانياً على الوجوه سجداً باكين من خوف الله ، ويزيدهم القرآن تواضعاً لله .

(1/484)

قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا (111)

- 110- قل لهؤلاء المشركين : سموا الله باسم الله أو اسم الرحمن فأى اسم تسمونه فهو حسن ، وهو تعالى له الأسماء الحسنى ، ولا شبهة لكم فى أن تعدد الأسماء يستوجب تعدد المسمى . وإذا قرأت القرآن فى صلاتك فلا ترفع صوتك به ، لئلا يسمع المشركون فيسبوك ويؤذوك ، ولا تسر به فلا يسمع

المؤمنون ، وكن وسطا فى قراءتك .  
111- وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا لعدم حاجته إليه ، ولم يكن له شريك  
فى الملك ، لأنه - وحده - منشئه ، ولم يكن له ناصر يعطيه عزة من دُلِّ لحقه ،  
وعظم ربك تعظيماً يليق به .

(1/485)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1)

1- الثناء الجميل مستحق لله تعالى الذى أنزل على عبده محمد صلى الله  
تعالى عليه وسلم القرآن ، ولم يجعل فيه شيئاً من الانحراف عن الصواب ، بل  
كان فيه الحق الذى لا ريب فيه .

(1/486)

قَبِيماً لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ  
لَهُمْ أَجْرًا حَسْبًا (2) مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا  
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِبَائِهِمْ كِبِيرَةٌ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)  
(5) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ بِفَسْكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6) إِنَّا  
جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا  
عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا  
عَجَبًا (9)

2- وجعله قيماً مستقيماً فى تعاليمه لينذر الجاحدين بعذاب شديد صادر من  
عنده ، ويبشر المصدقين الذين يعملون الأعمال الصالحات بأن لهم ثواباً جزيلاً

3- هو الجنة خالدين فيها أبداً .

4- وينذر - على وجه الخصوص - الذين قالوا عن الله : إنه اتخذ ولداً ، وهو  
المنزه عن أن يكون كالحوادث يلدُ أو يؤلِّدُ له .

5- وليس عندهم علم بذلك ولا عند آبائهم من قبل ، فما أعظم الافتراء فى  
هذه الكلمة التى تجرءوا على إخراجها من أفواههم! ما يقولون : إلا افتراء  
ليس بعده افتراء .

6- لا تهلك نفسك - أيها النبى - أسفاً وحرناً على إعراضهم عن دعوتك غير  
مصدقين بهذا القرآن .

7- إنا قد خلقناهم للخير والشر ، وصيرنا ما فوق الأرض زينة لها ومنفعة لأهلها  
، لنعاملهم معاملة المختبر ليظهر منهم الأصلح عملاً ، فمن استهوته الدنيا ولم  
يلتفت إلى الآخرة ضلَّ ، ومن آمن بالآخرة اهتدى .

8- وإنا لمصيرون عند انقضاء الدنيا ما فوقها مثل أرض مستوية لا نبات فيها ،  
بعد أن كانت خضراء عامرة بمظاهر الحياة .

9- لقد أنكر الذين استهوتهم الدنيا بزينتها البعث ، مع أن الوقائع تثبت الحياة  
بعد الرقود الطويل ، وهذه قصة أهل الكهف فى الجبل واللوح الذى رقمت فيه

أسماءهم بعد موتهم لم تكن عجباً وحدها دون سائر الآيات ، وإن كان شأنها خارقاً للعادة ، فليس أعجب من آياتنا الدالة على قدرتنا .

(1/487)

إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رِسَدًا (10) فَصَرَّبْنَا عَلَى آدَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْجَرْيِينَ أَحْسَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا (12) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15)

- 10- اذكر حين صار هؤلاء الفتيان إلى هذه المغارة وجعلوها مأوى لهم ، فراراً بدينهم من الشرك والمشركين ، فقالوا : يا ربنا آتنا من عندك مغفرة وأماناً من عدونا ، ويسر لنا من شأننا هداية وتوفيقاً .
- 11- فاستجبنا دعاءهم قَاتَمْنَاَهُمْ آمِنِينَ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدِيدَةً .
- 12- ثم أيقظهم الله بعد أن ظلوا نياماً أمداً طويلاً ، لتكون عاقبة ذلك إظهار علمنا بمن أصاب من الفريقين فى تقدير مدة مكثهم .
- 13- نحن نقص عليك - أيها الرسول - خبرهم بالصدق : إنهم فتيان كانوا قبل العهود السابقة على دين الحق ، صدّقوا بوحدانية ربهم وسط قوم مشركين وزدناهم يقيناً .
- 14- وثبتنا قلوبهم على الإيمان والصبر على الشدائد حين قاموا فى قومهم فقالوا متعاهدين : ربنا أنت الحق رب السموات والأرض لن نعبد من غيره إلها ، ولن نتحول عن هذه العقيدة . والله إذا قلنا غير هذا لكان قولنا بعيداً عن الصواب .
- 15- ثم قال بعضهم لبعض : هؤلاء قومنا أشركوا بالله غيره ، هلاً يأتون على ألوهية من يعبدونهم من دون الله بحجة ظاهرة؟ إنهم لظالمون فيما فعلوا ، ولا أحد أشد ظلماً ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه .

(1/488)

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقًا (16)

- 16- وقال بعضهم لبعض : ما دمنا قد اعتزلنا القوم فى كفرهم وشركهم فالجأوا إلى الكهف فراراً بدينكم ، يبسط لكم ربكم من مغفرته ، ويسهل لكم من أمركم ما تنتفعون به من مرافق الحياة .

(1/489)

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ بِهِمُ الْبُحُرَى وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرِيدًا (17) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا (18) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ نِسَاءً لَوْ بَيَّنَّهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)

- 17- وقد كان فى الكهف فتحة متسعة فى الجبل ، وهى متجهة إلى الشمال يجيئهم منها النسيم العليل ، وإذا طلعت الشمس من الشرق عن يمينهم مالت أشعتها عنهم ، وإذا غربت عن يسارهم تجاوزتهم ولم تدخل أشعتها فى كهفهم ، فحرارة الشمس لا تؤذيهم . ونسيم الهواء يأتيهم ، وذلك كله من دلائل قدرة الله ، ومن يوفقه الله لإدراكها يهتدى ، ومن لا يوفقه فلا مرشد له من بعد .
- 18- وتظنهم - أيها الناظر - منتبهين ، وفى الحقيقة هم نيام ، ونقلهم فى نومهم يمينا مرة ويسارا مرة لنحفظ أجسامهم من تأثير الأرض ، وكلبهم - الذى صاحبهم - ماذا ذراعيه بالفناء وهو نائم أيضا فى شكل اليقظان ، لو اطلعت - أيها المخاطب - عليهم وهم على تلك الحال لفررت منهم هاربا ، ولملئ قلبك منهم فرعا لهيبتهم فى منامهم ، فلا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم ، كيلا يدنو منهم أحد ، ولا تمسهم يد حتى تنتهى المدة .
- 19- وكما أتمناهم أيقظناهم ليسأل بعضهم بعضاً عن مدة مكثهم نائمين ، فقال واحد منهم : ما الزمن الذى مكثتموه فى نومكم؟ فقالوا : مكثنا يوماً أو بعض يوم ، ولما لم يكونوا مُسْتَيْقِنِينَ من ذلك قالوا : اتركوا الأمر لله ، فهو الأعلم به ، وليذهب واحد منكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة وليتخير أطيب الأطعمة فيأتيكم بطعام منه ، وليكن حسن التفاهم ، ولا يظهرن أمركم لأحد من الناس .
- 20- إنهم إن رأوكم يقتلوكم رجماً بالحجارة أو يعيدوكم إلى الشرك بالقوة ، وإذا عدتم إليه فلن تفلحوا فى الدنيا والآخرة .

(1/490)

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عُنُقٍ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلِمُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لِنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كَلْبُهُمْ وَبِقَوْلُونَ خَمْسَةٌ سَارِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سِتْنَةٌ وَتَأْمِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَبْدًا (23) إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24) وَلَبِئْنَا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25)

- 21- وكما أنماهم وبعثناهم أطلعنا أهل المدينة عليهم ليعلم المطلعون أن وعد الله بالبعث حق ، وأن القيامة لا شك فى إتيانها . فأمن أهل المدينة بالله واليوم الآخر ، ثم أمات الله الفتية فتنازعوا فى شأنهم ، فقال بعضهم : ابناوا على باب الكهف بنياناً وتركهم وشأنهم فربهم أعلم بحالهم ، وقال أصحاب الكلمة فى القوم : لتتخذن على مكانهم مسجداً للعبادة .
- 22- سيقول فريق من الخائضين فى قصتهم من أهل الكتاب : هم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقول آخرون : هم خمسة سادسهم كلبهم . ظنا خالياً من الدليل ، ويقول آخرون : هم سبعة وثمانهم كلبهم . قل لهؤلاء المختلفين : ربي عليم علماً ليس فوقه علم بعددهم . ولا يعلم حقيقته إلا قليل من الناس أطلعهم الله على عددهم ، فلا تجادل هؤلاء المختلفين فى شأن الفتية إلا جدالاً ظاهراً لينا دون محاولة إقناعهم ، فإنهم لا يقتنعون . ولا تسأل أحداً منهم عن نبئهم ، فقد جاءك الحق الذى لا مِرْيَةَ فيه .
- 23- ولا تقولن لشيء تُقَدِّم عليه وتهتم به : إني فاعل ذلك فيما يستقبل من الزمان .
- 24- إلا قولاً مقترناً بمشيئة الله بأن تقول : إن شاء الله! وإذا نسيت أمراً فتدارك نفسك بذكر الله ، وقل عند اعتزامك أمراً وتعليقه على مشيئة الله : عسى أن يوفقنى ربي إلى أمر خير مما عزمت عليه وأرشد منه .
- 25- وإن الفتية مكثوا فى كهفهم نياماً ثلاثمائة سنين زادت تسعاً .

(1/491)

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُوا لَهُ عَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26) وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا (27) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطًا ) (28) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقًا (29)

- 26- وقل - أيها الرسول - للناس : إن الله - وحده - هو العالم بزمنهم كله ، إنه سبحانه - هو المختص بعلم الغيب فى السموات والأرض ، فما أعظم بصره فى كل موجود ، وما أعظم سمعه لكل مسموع ، وما لأهل السموات والأرض من يتولى أمورهم غيره ، ولا يشرك فى قضائه أحداً من خلقه .
- 27- واقرأ - أيها الرسول - ما أوحى إليك من القرآن ، ومنه ما أوحى إليك من نبأ الفتية ، ولا تستمع لما يهزأون به من طلب تبديل معجزة القرآن بمعجزة أخرى ، فإنه لا مغيّر لما ينبتة الله بكلمة الحق فى معجزاته ، فإنه لا يقدر أحد على تبديله ، ولا تخالف أمر ربك ، فإنك حينئذ لن تجد غيره ملجأ يحفظك منه .
- 28- واحتفظ - أيها الرسول - بصحبة صحابتك من المؤمنين الذين يعبدون الله - وحده - فى الصباح وفى العشى دائماً ، يريدون رضوانه ، ولا تنصرف عينك عنهم إلى الجاحدين من الكفار لإرادة التمتع معهم بزينة الحياة الدنيا ، ولا تطع فى طرد فقراء المؤمنين من مجلسك من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا ، لسوء



استعداداه ، وصار عبداً لهواه ، وصار أمره فى جميع أعماله بعيداً عن الصواب ، والنهى للنبي نهى لغيره ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يريد الحياة الدنيا وزينتها ، ولكن كان اتجاه النهى إليه لكى يحترس غيره من استهواء الدنيا ، فإنه إذا فرض فيه إرادة الزينة للأبدان؛ لفرض كل إنسان فى نفسه ذلك ليحترس .

29- وقل - أيها الرسول - : إن ما جئت به هو الحق من عند ربكم ، فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن ، فذلك خير له ، ومن شاء أن يكفر فليكفر فإنه لم يظلم إلا نفسه . إننا أعدنا لمن ظلم نفسه بالكفر ناراً تحيط بهم كالسرادق . وإن يستغث الظالمون بطلب الماء وهم فى جهنم؛ يؤت لهم بماء كالزيت العكر الشديد الحرارة يحرق الوجوه بلهبه . قَبِحَ هذا الشراب لهم ، وقبحت جهنم مكاناً لراحتهم .

(1/492)

---

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31) وَأَصْرَبُ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا نَهْرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34)

30- أما الذين آمنوا بالله وبيدنه الحق الذى يوحى إليك ، وعملوا ما أمرهم به ربهم من الأعمال الصالحة ، فإننا لا نضيع أجرهم على ما أحسنوا من الأعمال .  
31- هؤلاء لهم جنات يقيمون فيها منعّمين أبداً ، تنساب الأنهار من بين أشجارها وقصورها ، يتحلون فيها بمظاهر السعادة فى الدنيا ، كالأساور الذهبية ، وملابسهم فيها الثياب الخضراء من الحرير على اختلاف أنواعه ، متكئين فيها على السرر بين الوسائد والستائر ، نعم الثواب لهم ، وحسنت الجنة دار مقام وراحة ، يجدون فيها كل ما يطلبون .

32- بين - أيها الرسول - فى شأن الكفار الأغنياء مع المؤمنين الفقراء مثلاً وقع فيما سلف بين رجلين : كافر ومؤمن ، وللکافر حديقتان من أعناب ، وأحطناهما بالنخيل زينة وفائدة ، وجعلنا بين الجنتين زرعاً نصراً مثمراً .  
33- وقد أثمرت كل واحدة من الجنتين ثمرها ناضجاً موفوراً ، ولم تنقص منه شيئاً ، وفجّرنا نهراً ينساب خلالهما .

34- وكان لصاحب الجنتين أموال أخرى مثمرة ، فداخله الزهو بتلك النعم ، فقال لصاحبه المؤمن فى غرور وهما يتناقشان : أنا أكثر منك مالا وأقوى عشيرة ونصيراً .

(1/493)

---

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ  
السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ  
وَهُوَ يُخَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37)  
لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ  
اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَّا أَقْلٌ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي  
خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْحِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ  
يُصْحِحَ مَائِهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41)

- 35- ثم دخل إحدى جنتيه مع صاحبه المؤمن ، وهو مأخوذ بغروره فقال : ما  
أظن أن تفنى هذه الجنة أبدا! .
- 36- وما أظن القيامة حاصلة ، ولو فرض ورجعت إلى ربي بالبعث كما تزعم ،  
والله لأجدن خيرا من هذه الجنة عاقبة لي؛ لأننى أهل للنعيم فى كل حال ، فهو  
يقيس الغائب على الحاضر ، ولا يعلم أن الغائب فيه الجزاء على الإيمان وفعل  
الخير .
- 37- قال صاحبه المؤمن مجيباً له : أتسوغ لنفسك أن تكفر بربك الذى خلق  
أصلك آدم من تراب ، ثم من نطفة مائية ، ثم صورك رجلا كاملا ، فإن اعتزرت  
بمالك وعشيرتك ، فاذكر ربك وأصلك الذى هو من الطين .
- 38- لكن أقول : إن الذى خلقنى وخلق هذا العالم كله هو الله ربي ، وأنا أعبد  
وحده - ولا أشرك معه أحدا .
- 39- ولولا قلت عند دخولك جنتك والنظر إلى ما فيها : هذا ما شاء الله ولا قوة  
لى على تحصيله إلا بمعونة الله ، فيكون ذلك شكراً كفيلا بدوام نعمتك . ثم  
قال له : إن كنت ترانى أقل منك مالا وأقل ولدا ونصييرا .
- 40- فلعل ربي يعطينى خيراً من جنتك فى الدنيا أو الآخرة ، ويرسل على  
جنتك قدراً قدره لها كصواعق من السماء ، فتصير أرضاً ملساء لا ينبت فيها  
شئ ، ولا يثبت عليها قدم .
- 41- أو يصير ماؤها غائراً فى الأرض لا يمكن الوصول إليه ، فلا تقدر على  
إخراجه لسقيها .

(1/494)

وَأَحْيَا بَثْمَهِ فَاصْبَحَ بِقَلْبٍ غَفِيٍّ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِبَةٌ عَلَىٰ غُرُوبِهَا  
وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)  
وَإَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ  
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) الْمَالُ  
وَالنُّبُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا )  
(46) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا )  
(47)

- 42- قد عاجل الله الكافر ، وأحاطت المهلكات بثمار جنته ، وأهلكتها ، وأبادت  
أصولها ، فأصبح يقلب كفيه ندماً وتحسراً على ما أنفق فى عمارتها ، ثم عاجلها  
الخراب ، فتمنى أن لم يكن أشرك بربه أحدا .

- 43- عند هذه المحنة لم تكن له عشيرة تنصره من دون الله كما كان يعتز ، وما كان هو بقادر على نصرة نفسه .
- 44- فإن النصرة فى كل حال ثابتة لله الحق - وحده - وهو - سبحانه - خير لعبده المؤمن يجزل له الثواب ويحسن له العقابة .
- 45- واذكر - أيها الرسول - للناس مثلاً للحياة الدنيا فى نصرتها وبهجتها ثم سرعة فنائها ، بأنها كماء أنزل من السماء فارتوى به نبات الأرض فاخضر وأينع ، ثم لم يلبث طويلاً حتى جف وصار يابساً متكسراً تفرقه الرياح ، والله قادر على كل شئ إنشأً وإفناءً .
- 46- المال والبنون جمال ومنتعة لكم فى الحياة الدنيا وهما قوتها ، ولكن لا دوام لها ، بل هى فانية غير باقية ، والأعمال الصالحة الباقية خير لكم عند الله ، يجزل ثوابها ، وخير أمل يتعلق به الإنسان .
- 47- وأنذر الناس - أيها الرسول - بيوم يفنى هذا الوجود ، فيزيل فيه الجبال ، وتبصر فيه الأرض ظاهرة مستوية لا يسترها شئ مما كان عليها ، ونحشر فيه الناس للحساب فلا نترك منهم أحداً .

(1/495)

وَعَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ رَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48) وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا خَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَّخِذِي الْمُضِلِّينَ عَصَدًا (51) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (52)

- 48- ويعرض الناس فى هذا اليوم على الله فى جموع مصفوفة للحساب ، ويقول الله تعالى : لقد بعثناكم بعد الموت كما أحييناكم أول مرة ، وجئتمونا فرادى بلا مال ولا بنين ، وكنتم فى الدنيا تكذبون بالبعث والحساب .
- 49- ووضع فى يد كل واحد كتاب أعماله ، فيبصره المؤمنون فرحين مما فيه ، ويبصره الجاحدون خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ، ويقولون إذا رأوها : يا هلاكنا ، إنا نعجب لهذا الكتاب الذى لم يترك من أعمالنا صغيرة ولا كبيرة إلا سجلها علينا ، ووجدوا جزاء ما عملوا حقاً ، ولا يظلم ربك أحداً من عباده .
- 50- واذكر - أيها الرسول - لهم بدء خلقهم ليعلموا أنهم من الطين ، وليس لهم أن يغتروا بما هم فيه ، ويخضعوا لعدو أبيهم إبليس ، لأنه كان من الجن ، فاستكبر وتمرد على الله ، فكيف بعد ما عرفتم من شأنه تتخذونه وذريته أنصاراً لكم من دون الله ، وهم لكم أعداء؟! قبح هذا البديل لمن ظلم نفسه فأطاع الشيطان .
- 51- ما أحضرت إبليس ولا ذريته خلق السموات والأرض ، ولا أشهدت بعضهم خلق بعض لأستعين بهم ، وما كنت فى حاجة إلى معين . فضلا عن أن أتخذ المفسدين أعواناً ، فكيف تطيعون الشيطان وتعصوننى ؟ .
- 52- واذكر لهم يوم يقول الله للمشركين : نادوا الذين ادعيتم فى الدنيا أنهم

شركائى فى العبادۃ ليشفعوا لكم بزعمكم ، فاستغاثوا بهم فلم يجيبوهم ،  
وجعلنا الآن ما كان بينهم هلاكاً للكفار بعد أن كان فى الدنيا تواصل عبادة  
ومحبة .

(1/496)

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَلَيْهَا مَصْرَفًا (53) وَلَقَدْ  
صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ بَسِيئًا جَدَلًا (54)  
وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ  
الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ  
وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُذِرُوا هُرُورًا (56)  
جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ  
يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57)

53- وعلم المجرمون النار فأيقنوا أنهم واقعون فيها ، ولم يجدوا بديلا عنها  
مكاناً يحلون فيه .

54- ولقد ذكر الله للناس فى هذا القرآن الذين كفروا به ، وطلبوا معجزة  
أخرى غيره ، أمثلة متنوعة ليعظهم بما فيها ، ولكن الإنسان فى طبيعته حب  
الجدل ، فإذا كان جاحداً بالباطل .

55- وما منع المشركين من الإيمان حين جاءهم سبب الهدى - وهو الرسول  
والقرآن ليؤمنوا ويستغفروا الله - إلا تعنتهم وطلبهم من الرسول أن تأتيهم  
سنة الله فى الأولين ، وهى الهلاك المستاصل الذى أتى الأولين ، أو تأتيهم  
العذاب عياناً .

56- ولكن الله لا يرسل رسله إلا للتبشير والإنذار ، ولم يرسلهم ليقتح عليهم  
المعاندون معجزات معينة ، ولكن الذين كفروا يعرضون عن الحجة ، ويجادلون  
المرسلين بالباطل ليبطلوا الحق ، وقد وقفوا من القرآن والتذمر موقف  
المستهزئ الساخر الذى لا يُعنى بطلب الحقائق .

57- وليس أحد أظلم ممن وعظ بآيات ربه فلم يتدبرها ، ونسى عاقبة ما عمل  
من المعاصى . إنا بسبب ميلهم إلى الكفر جعلنا على قلوبهم أغطية ، فلا تعقل  
ولا يصل إليها النور ، وفى آذانهم صمما فلا تسمع سماع فهم ، وإن تدعهم - أيها  
الرسول - إلى الدين الحق فلن يهتدوا ما دامت هذه طبيعتهم البتة .

(1/497)

وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ  
لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58) وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا  
لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ  
أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ  
سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتَاهُ أَتَيْتَا عِدَاءَتَا لَقِدْنَا لِقِينًا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا تَصَبًا (62)  
قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ

أَنْ أَدْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى  
أَتَارِهِمَا قَصَصًا (64)

- 58- وربك العظيم المغفرة لذنوب عباده ، صاحب الرحمة الواسعة لمن أناب إليه منهم ، ولو شاء أن يؤاخذهم بما اجترحوا من السيئات لعجل لهم العذاب كما سلف لغيرهم ، ولكنه - لحكمة قدرها - آخرهم لموعدهم يذوقون فيه أشد العقاب ، ولن يجدوا ملجأ يحفظهم منه .
- 59- وها هي ذى القرى الماضية التى دمرناها لما ظلم أهلها بتكذيب رسلهم ، وجعلنا لهلاكهم مؤعدا لا يتخلف ، فكذلك حال المكذبين من قومك إذا لم يؤمنوا .
- 60- وإن علم الله لا يحيط به أحد ، إلا أن يعطيه نبياً أو صالحاً ، واذكر - أيها الرسول - أن موسى ابن عمران قال لفتاه - خادمه وتلميذه - : لا أزال أسير حتى أبلغ ملتقى البحرين أو أسير زمناً طويلاً .
- 61- فلما بلغ موسى وفتاه المكان الجامع بين البحرين ، نسيا فيه حوتهما الذى حملاه بأمر الله ، فانحدر فى البحر واتخذ طريقه فى الماء .
- 62- فلما ابتعد موسى وفتاه عن المكان ، وأحسا بالجوع والتعب ، قال موسى لفتاه : أتنا ما نتغذى به ، لقد لقينا فى سفرنا هذا تعباً ومشقة .
- 63- قال له فتاه : أتذكر حين التجأنا إلى الصخرة ، فإنى نسيت الحوت ، وما أنساني ذلك إلا الشيطان ، ولا بد أن يكون الحوت قد اتخذ سبيله فى البحر ، وإنى لأعجب من نسيانى هذا .
- 64- قال له موسى : إن هذا الذى حدث هو ما كنا نطلبه لحكمة أرادها الله ، فرجعا فى الطريق الذى جاءا منه يتتبعان أثر سيرهما .

(1/498)

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ  
لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ  
تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ  
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا  
تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي  
السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ  
إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ  
أَمْرِي عُسْرًا (73)

- 65- حتى وصلا الصخرة ، فوجدا عبداً من عبادنا الصالحين أعطيناه الحكمة ، وعلمناه من عندنا علماً عزيزاً .
- 66- قال موسى للعبد الصالح : هل أسير معك على أن تعلمن مما علمك الله؟
- 67- قال له : إنك لن تستطيع الصبر على مصاحبتي .
- 68- وكيف يمكنك الصبر على شئ لا خبرة لك بمثله؟
- 69- قال موسى : سترانى إن شاء الله صابراً مطيعاً لك فيما تأمر به .
- 70- قال العبد الصالح : فإن اتبعنى ورأيت ما تنكره ، فلا تفاتحنى بالسؤال

عنه حتى أحدثك عنه .

71- فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى وجدا سفينة ، فركباها ، فخرقها العبد الصالح فى أثناء سيرها ، فاعترض موسى قائلا : أخرجتها قاصداً إغراق أهلها؟ لقد ارتكبت أمراً منكراً! .

72- قال العبد الصالح : إننى قلت لك : إنك لن تستطيع الصبر على مصاحبتى .

73- قال له موسى : لا تؤاخذنى على نسيان وصيتك ، ولا تكلفنى مشقة فى تحصيل العلم منك وتجعله عسيراً .

(1/499)

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَفَيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي سَفِينًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ حِثَّتْ سَفِينًا نَكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنِ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأْتَبُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79)

74- وبعد أن خرجا من السفينة ذهبا منطلقين ، فلقيا فى طريقهما صبياً فقتله العبد الصالح ، فقال موسى مستنكراً : أنقتل نفساً طاهرة بريئة من الذنوب بغير أن يقتل صاحبها أحداً؟! لقد أتيت فعلاً مستنكراً! .

75- قال العبد الصالح لموسى : لقد قلت لك : إنك لن تستطيع صبرا على السكوت عن سؤالى .

76- قال موسى : إن سألتك عن شئ بعد هذه المرة فلا تصاحبنى ، لأنك قد بلغت الغاية التى تعذر بها فى فراقى .

77- فساروا حتى أتيا قرية ، فطلبوا من أهلها طعاماً ، فأبوا ضيافتهم ، فوجدا فيها جداراً مائلاً يكاد يسقط ، فنقضه العبد الصالح وبناه حتى أقامه ، قال موسى : لو شئت طلب أجر على النقض والبناء لفعلت .

78- قال العبد الصالح : هذا التعرض منك مراراً لما أفعل بسبب الفراق بينى وبينك . وسأخبرك بحكمة هذه التصرفات التى خفى عليك أمرها ، ولم تستطع صبراً على ما خفى حتى تعرف حقيقته وسره .

79- أما السفينة التى خرقتها ، فهى لضعفاء محتاجين يعملون بها فى البحر لتحصيل رزقهم ، فأردت أن أحدث بها عيباً يزهدها فيها ، لأن خلفهم ملكاً يغتصب كل سفينة سالحة .

(1/500)

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ

يَتِيمِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82) وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَاتَّبَعَ سَبَبًا (85)

80- وأما الغلام الذي قتلته فكان أبواه مؤمنين ، فعلمنا - إن عاش - أنه سيصير سبباً لكفرهما .

81- فأردنا بقتله أن يعوّضهما الله عنه ولداً خيراً منه ديناً وأعظم برأً وعطفاً .

82- وأما الجدار الذي أقمته - دون أجر - فكان لغلامين يتيمين من أهل المدينة ، وكان تحته كنز تركه أبوهما لهما ، وكان رجلاً صالحاً ، فأراد الله أن يحفظ

لهما الكنز حتى يبلغا رشدهما ، ويستخرجا ، ورحمة بهما ، وتكريماً لأبيهما في ذريته . وما فعلت ما فعلت باجتهادي ، إنما فعلته بتوجيه من الله ، هذا تفسير

ما خفى عليك يا موسى ولم تستطع الصبر عليه .

83- يسألك - أيها الرسول - بعض الكفار عن نبي ذى القرنين ، فقل لهم :

سأقص عليكم بعض أخباره .

84- لقد مكّنا لأمره في الأرض ، يتصرف فيها بتدبيره وسلطانة ، وآتيناه الكثير

من العلم بالأسباب ما يستطيع به توجيه الأمور .

85- فاستعان بهذه الأسباب على بسط سلطانه في الأرض ، واتخذ سبباً

يوصله إلى بلوغ مغرب الشمس .

(2/1)

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنذِرُ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَيَّمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا (90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92)

86- وسار حتى وصل إلى مكان سحيق جهة الغرب ، فوجد الشمس - في رأى

العين - تغرب في مكان به عين ذات ماء حار وطين أسود ، وبالقرب من هذه

العين وجد ذو القرنين قوماً كافرين ، فألهمه الله أن يتخذ فيهم أحد أمرين : إما

أن يدعوهم إلى الإيمان ، وهذا أمر حسن في ذاته ، وإما أن يقاتلهم إن لم

يجيبوا داعى الإيمان .

87- فأعلن ذو القرنين فيهم : أن من ظلم منهم نفسه بالبقاء على الشرك ،

استحق العذاب الدنيوى على يديه ، ثم يرجع إلى ربه فيعذبه عذاباً شديداً ليس

معروفاً لهم .

88- وأن من استجاب له وآمن بربه وعمل صالحاً ، فله العاقبة الحسنى في

الآخرة ، وسنعامله في الدنيا برفق وبسر .

89- ثم سار ذو القرنين كذلك ، مستعيناً بتوفيق الله ، واتبع سبباً للوصول إلى

مطلع الشمس مشرقاً .

90- حتى بلغ مشرق الشمس - في رأى العين - فى نهاية ما وصل إليه من

العمران ، فوجدها تطلع على قوم يعيشون على الفطرة الأولى لا يسترهم من حرها سائر .

91- وكما دعا ذو القرنين السابقين من أهل المغرب إلى الإيمان دعا هؤلاء

وسار فيهم سيرته الأولى .

92- ثم سار كذلك مستعيناً بما هياً الله له من أسباب التوفيق ، سالكاً طريقاً بين الشرق والغرب .

(2/2)

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا دَا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) أَنُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدْقَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَنُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْتَبَاحُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَبَاحُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100)

93- حتى وصل - فى رحلته الثالثة - إلى مكان سحيق بين جبلين مرتفعين ، وهناك وجد قوماً لا يفقهون ما يُقال لهم إلا فى عسر ومِشقة .

94- فلما آنسوا فيه القوة ، طلبوا منه أن يُقيم لهم سداً فى وجه يأجوج

ومأجوج ، وهم قوم كانوا يغيرون عليهم ، فيفسدون فى أرضهم ويخربون ، على أن يجعلوا له ضريبة فى نظير هذا العمل .

95- فرد عليهم قائلاً : إن ما منحنىه الله من الثروة والسلطان خير مما

تعرضون علىّ . وشرع يُقيم السد طالباً منهم أن يعينوه بكل ما يقدرون عليه من رجال وأدوات ، ليحقق لهم ما أرادوا .

96- وطلب منهم أن يجمعوا له قطع الحديد . فجمعوا له منها ما أراد ، فأقام به

سداً عالياً ساوى به بين حافتى الجبلين ، ثم أمرهم أن يوقدوا عليه النار ، فأوقدها حتى انصهر الحديد ، فصب عليه النحاس المذاب فأصبح سداً صلباً منيعاً .

97- فما استطاع هؤلاء المغيرون أن يتسلقوا السد لارتفاعه ، ولا أن يثقبوه لصلابته .

98- وبعد أن أتم ذو القرنين بناء السد قال شاكراً لله : هذا السد رحمة من ربي بعباده ، وسيظل قائماً حتى يحنى أمر الله بهدمه ، فيصير أرضاً مستوية ، وأمر الله نافذ لا محالة .

99- ومنذ إتمام السد ظل يأجوج ومأجوج من ورائه يضطربون فيما بينهم ، وحسب شرهم عن الآخرين ، فإذا كان يوم القيامة ونفخ فى الصور جمع الله الخلائق جميعاً للحساب والجزاء .

100- وعند ذلك يبرز الله جهنم للكافرين إبرازاً يروعههم ويحشرهم فيها .

(2/3)



الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101)  
 أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ  
 لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ صَلَّ  
 سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105)  
 ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106) إِنَّ  
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107)

101- وذلك لأن أعينهم فى الدنيا كانت فى غفلة عن التبصر فى آيات الله كأن  
 عليها غطاء ، وكانوا لضلالتهم لا يستطيعون سماع دعوة الحق كفاقدى حاسة  
 السمع .

102- هل عميت بصائر الذين كفروا ، فظنوا أن اتخاذهم آلهة من عبادى -  
 كالملائكة وعيسى - يعبدونها من دونى نافع لهم وصراف عنهم العذاب؟ إنا  
 أعتدنا لهم جهنم مقراً ينالون فيه ما يستحقون من جزاء .  
 103- قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكافرين : هل أخبركم بأشد الناس خسراً  
 لأعمالهم ، وحرماناً من ثوابها؟

104- هم الذين بطل عملهم فى الحياة الدنيا لفساد اعتقادهم ، وهم يعتقدون  
 أنهم يحسنون بعملهم صنيعاً .

105- هؤلاء هم الذين كفروا بدلائل قدرة الله ، وأنكروا يوم البعث والحساب ،  
 فضاعت أعمالهم ، واستحقوا يوم القيامة التحقير والإهمال ، إذ ليس لهم عمل  
 يُعْتَدُّ به .

106- ذلك الذى بيّناه وفصلناه شأن هؤلاء ، وجزاؤهم عليه جهنم ، بسبب  
 كفرهم وسخرتهم بما أنزل الله من آيات ، وما أرسل من رسل .

107- إن الذين صدقوا فى الإيمان وعملوا الأعمال الصالحة؛ جزاؤهم جنات  
 الفردوس ينزلون فيها .

(2/4)

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي  
 لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109) قُلْ إِنَّمَا آتَا بَشَرٌ  
 مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا  
 صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

108- وينعمون فيها أبدا لا يبغون عنها بديلا .

109- قل - أيها الرسول - للناس : إن علم الله محيط بكل شئ ، ولو كان ماء  
 البحر مدادا يُسطر به كلمات الله الدالة على علمه وحكمته ، لنفد هذا المداد ،  
 ولو مُدَّ بمثله قبل أن تنفذ كلمات الله .

110- قل - أيها الرسول - للناس : إنما أنا إنسان مثلكم ، مرسل إليكم ،  
 أعلمكم ما علمنى الله إياه ، يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد لا شريك له ، فمن  
 كان يطمع فى لقاء الله وثوابه؛ فليعمل الأعمال الصالحة مخلصاً ، وليتجنب  
 الإشراك بالله فى العبادة .

(2/5)

كهيعص (1) ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ يَدَايَ رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ  
إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4)

- 1- حروف صوتية لبيان أن القرآن المعجز من هذه الحروف ، ولتنبيههم فيسمعون .
- 2- هذا - أيها الرسول - قصص ربك عن رحمته لعبده ونبيه زكريا .
- 3- حين التجأ إلى الله ودعاه في خفية عن الناس .
- 4- فقال : رب إنى قد ضعفت ، وشاب رأسى ، وكنت بدعائك غير شقى يا رب ، بل كنت سعيداً مستجاب الدعوة .

(2/6)

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5)  
يَرِيئِي وَيَبْرُثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ  
اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ  
امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئُ  
وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا (9) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَلَّ آيَتِكَ إِلَّا تُكَلِّمَ  
النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) فَخَرَجَ عَلَيَّ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ  
سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12)

- 5- وإنى خفت أقاربي ألا يحسنوا القيام على أمر الدين بعد موتى ، وكانت ولا تزال امرأتى عقيماً ، فارزقنى من فضلك غلاماً يخلبنى فى قومى .
- 6- يرثنى فى العلم والدين ، ويرث من آل يعقوب الملك ، واجعله يا رب مرضياً عندك وعند الناس .
- 7- فنودى : يا زكريا إنا نبشرك بغلام سميناه يحيى ، ولم نسم به أحداً قبل .
- 8- قال زكريا متعجباً : يا رب كيف يكون لى ولد وزوجى عقيم وأنا فى سن الشيخوخة ؟ .
- 9- فأوحى الله لعبده زكريا أن الأمر كما بشرت به ، وأن منحك الولد مع كبر السن وعقم الزوج هيئ على ، ولا تستبعد ذلك فقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً موجوداً .
- 10- قال زكريا : رب اجعل لى علامة تدل على حصول ما بشرت به . قال الله تعالى : علامتك أن تُحبس عن الكلام ثلاث ليال ، وأنت سليم الحواس واللسان .
- 11- فخرج زكريا على قومه من مصلاه ، فأشار إليهم أن سبحوا الله صباحاً ومساءً .
- 12- ولد يحيى وشب ثم نودى ، وأمر بأن يعمل بما فى التوراة فى جد وعزم ، وقد آناه الله فى طور الصبا فقه الدين وفهم الأحكام .

(2/7)

وَحَاتَا مِنْ لَدُنَّا وَرَكَاهُ وَكَانَ تَقِيًّا (13) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَاصِيًّا (14) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (15) وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاتًا سَرَفِيًّا (16) فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئُ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَفْضِيًّا (21)

- 13- وطبَّعه الله على الحنان ، وسمو النفس ، ونشأه على التقوى .  
 14- وجعله الله كثير البر بوالديه والإحسان إليهما ، ولم يجعله مُتَجَبِّراً على الناس ، ولا عاصياً لله .  
 15- وسلامة له وأمان ، أن لا يمسه ضر أو أذى يوم ولادته ، ويوم موته ، ويوم بعثه حياً .  
 16- واذكر - أيها الرسول - ما فى القرآن من قصة مريم ، حينما انفردت عن أهلها وعن الناس ، وذهبت إلى مكان جهة الشرق من مقامها .  
 17- وضربت بينها وبينهم حجاباً ، فأرسل الله إليها جبريل فى صورة إنسان تام الخلق ، حتى لا تفزع من رؤيته فى هيئته الملكية التى لا تألفها .  
 18- قالت مريم : إنى أتجئ إلى الرحمن منك إن يُرجى منك أن تتقى الله وتخشاه .  
 19- قال الملك : ما أنا إلا رسول من ربك لأكون سبباً فى أن يوهب لك غلام طاهر خير .  
 20- قالت مريم : كيف يكون لى غلام ولم يقربنى إنسان ، ولست فاجرة ؟ .  
 21- قال الملك : الأمر كما قلت : لم يمسك رجل . قال ربك : إعطاء الغلام بلا أب على سهل ، وليكون ذلك آية للناس تدل على عظيم قدرتنا ، كما يكون رحمة لمن يهنئى به . وكان خلق عيسى أمراً مقدرأ لا بد منه .

(2/8)

فَحَمَلْنَاهُ فَاتَّيَدَّتْ بِهِ مَكَاتًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (23) فَوَدَّعَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهَرَّى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ نُسَاقِطَ عَلَيْنِكَ رُطَبًا حِينًا (25) فَكَلِمِي وَأَسْرِبِي وَقِرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أختَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكِ بَغِيًّا (28)

- 22- وتحققت إرادة الله ، وحملت مريم بعيسى على الوجه الذى أراده الله ، وذهبت بحملها إلى المكان البعيد عن الناس .  
 23- فألجأها ألم الولادة إلى أن تركز إلى جذع نخلة لتستند إليه وتستتر به ، وتخيلت ما سيكون من إنكار أهلها هذا الأمر ، وتمنت لو أدركها الموت ، وكانت شيئاً منسيا لا يذكر .  
 24- فناداها الملك من مكان منخفض عنها : لا تحزنى بالوحدة وعدم الطعام

- والشراب ومقالة الناس ، فقد جعل ربك بالقرب منك نهراً صغيراً .
- 25- وهزى النخلة نحوك يتساقط عليك الرطب الطيب .
- 26- فكلني منه واشربي ، وطيبى نفساً . فإن رأيت أحداً من البشر ينكر عليك أمرك ، فأشيرى إليه أنك صائمة عن الكلام ، ولن تتحدثى اليوم إلى أحد .
- 27- فأقبلت مريم على أهلها تحمل عيسى ، فقالوا لها فى دهشة واستنكار : لقد أتيت أمراً فطيعاً منكراً .
- 28- يا سلالة هارون النبي التقى الورع ، كيف تأتين ما أتيت وما كان أبوك فاسد الأخلاق وما كانت أمك فاجرة .

(2/9)

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ لِلَّهِ رَبِّكُمْ قَاعِبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37)

- 29- فأشارت إلى ولدها عيسى ليكلموه ، فقالوا : كيف نتحدث مع طفل لا يزال فى المهد .
- 30- فلما سمع عيسى كلامهم أنطقه الله فقال : إني عبد الله سيؤتيني الإنجيل ، ويختارنى نبياً .
- 31- ويجعلنى مباركاً مُعلماً للخير نفاعاً للناس ، ويأمرنى بإقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حياتى .
- 32- كما يأمرنى أن أكون باراً بوالدى ، ولم يجعلنى متجبراً فى الناس ، ولا شقياً بمعصيته .
- 33- والأمان من الله علىَّ يوم ولادتى ، ويوم موتى ، ويوم بعثى حياً .
- 34- ذلك الموصوف بهذه الصفات ، هو عيسى ابن مريم ، وهذا هو القول الحق فى شأنه ، الذى يجادل فيه المبطلون ، ويشكك فى أمر نبوته الشاكون .
- 35- وما صح ولا استقام فى العقل أن يتخذ الله ولداً - تنزه الله عن ذلك - وشأنه - سبحانه - أنه إذا قضى أمراً من الأمور نفذت إرادته لا محالة ، بكلمة - كن - فيتحقق فى الوجود كأننا .
- 36- وإن الله سيدى وسيدكم فاعبدوه ، ولا تشركوا به أحداً ، هذا الذى دعوتكم إليه طريق يوصلكم إلى السعادة .
- 37- ومع ما تقدم من قول الحق فى عيسى ، قد اختلف أهل الكتاب فيه ، وذهبوا مذاهب شتى . والعذاب الشديد للكافرين يوم يحضرون موقف الحساب ، ويشهدون موقف القيامة ، ويلقون سوء الجزاء .

(2/10)

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَا لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (38)  
 وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (39) إِنَّا  
 نَحْنُ تَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (40) وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ  
 كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي  
 عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ  
 صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44)  
 يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)

38- ما أشد سمعهم وأقوى بصرهم يوم يلقون الله!! لكنهم اليوم فى الدنيا  
 بظلمهم أنفسهم ، وتركهم الانتفاع بالسمع والبصر فى ضلال عن الحق ، ظاهر  
 لا يخفى .

39- وحذر - أيها الرسول - هؤلاء الظالمين يوماً يتحسرون فيه على تفریطهم  
 فى حق الله وحق أنفسهم - وقد فرغوا من حسابهم ، ونالوا جزاءهم - وقد  
 كانوا فى الدنيا غافلين عن ذلك اليوم ، لا يصدقون بالبعث ولا بالجزاء .

40- ألا فليعلم الناس أن الله هو الوارث لهذا الكون وما فيه ، وحسابهم على  
 الله .

41- واذكر - أيها الرسول - للناس ما فى القرآن من قصة إبراهيم ، إنه كان  
 عظيم الصدق ، قولا وعملا ، مخبرا عن الله تعالى .

42- واذكر حين وجه إبراهيم الخطاب إلى أبيه فى رفق قائلا له : يا أبى كيف  
 تعبد أصناما لا تسمع ولا تبصر ولا تجلب لك خيرا ، ولا تدفع عنك شرأ؟! .

43- يا أبى ، لقد جاءنى من طريق الوحي الإلهى ما لم يأتك من العلم بالله ،  
 والمعرفة بما يلزم الإنسان نحو ربه ، فاتبعنى فيما أدعوك إليه من الإيمان ،  
 أدلك على الطريق المستقيم ، الذى يوصلك إلى الحق والسعادة .

44- يا أبت : لا تطع الشيطان فيما يُزين لك من عبادة الأصنام ، فإن الشيطان  
 دأب على معصية الرحمن ومخالفة أمره .

45- يا أبت : إنى أخشى - إن أضرت على الكفر - أن يُصيبك عذاب شديد من  
 الرحمن ، فتكون قرينا للشيطان فى النار تليه ويليك .

(2/11)

قَالَ أَرَأَيْتُ أَنْتَ عَنِ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46)  
 قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ  
 وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا  
 لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50) وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ  
 كَانَ مُخْلِصًا وَمَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51) وَتَادِيَتَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا  
 (52) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (53)

46- قال الأب لإبراهيم منكرأ عليه ، مهدداً له : كيف تنصرف عن آلِهتي يا  
 إبراهيم وتدعونى إلى عبادة إلهك؟ لئن لم تكف عن شتم الأصنام لأضربنك  
 بالحجارة ، فاحذرنى واتركنى زماناً طويلاً ، حتى تهدأ ثائرتى عنك .

- 47- تَلَطَّفَ إِبرَاهِيمَ مَعَ أَبِيهِ وَوَدَّعَهُ قَائِلًا : سَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْي ، وَسَادُّعُوكَ رَبِّي بِالْهِدَايَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، وَقَدْ عَوَّدَنِي رَبِّي أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا بِي قَرِيبًا مِنْي .
- 48- وَهَآنَذَا أَهْجَرَكُم وَأَبْتَعِدُ عَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَأَعْبُدُ رَبِّي - وَحْدَهُ - رَاجِيًا أَنْ يَقْبَلَ طَاعَتِي وَلَا يَخِيبَ رَجَائِي .
- 49- فَلَمَّا فَارَقَ إِبرَاهِيمَ أَبَاهُ وَقَوْمَهُ وَالْهَيْهَاتُمْ ، أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالذَّرِيَةِ الصَّالِحَةِ عَلَيَّ يَأْسُ مِنْهُ ، إِذْ بَلَغَ هُوَ وَزَوْجُهُ حَدَّ الْكِبَرِ الَّذِي لَا يَنْجُبُ ، فَوَهَبَ لَهُ إِسْحَاقَ ، وَرَزَقَهُ مِنْ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ، وَجَعَلْنَاهُمَا نَبِيَّيْنِ .
- 50- وَأَعْطَيْنَاهُم فَوْقَ مَنْزِلَةِ النَّبُوَّةِ كَثِيرًا مِنْ خَيْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِرَحْمَتِنَا ، وَأُورَثْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا ذِكْرِي طَيِّبَةً خَالِدَةً ، بِلِسَانِ صِدْقٍ عَلَيَّ يَتَحَدَّثُ بِذِكْرِهِمْ .
- 51- وَاتْلُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَلَيَّ النَّاسَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى ، إِنَّهُ كَانَ خَالصًا بِنَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَجَسَمِهِ لِلَّهِ ، وَقَدْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ لِلنَّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ .
- 52- وَكَرَّمْنَاهُ فَنَادَيْنَاهُ عِنْدَ جَبَلِ الطُّورِ ، وَسَمِعَ مُوسَى النِّدَاءَ الْإِلَهِيَّ مِنَ الْجَهَةِ الِیْمَنِ ، وَقَرَّبْنَاهُ تَقْرِيبَ تَشْرِيفٍ وَاصْطَفَيْنَاهُ لِمَنَاجَاتِنَا .
- 53- وَمَنْحْنَاهُ مِنْ رَحْمَتِنَا وَنِعْمَانَا ، وَاخْتَرْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ، يِعَاوَنُهُ فِي تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ .

(2/12)

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (54) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (55) وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (56) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (57) أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (58) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (59) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (60) جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61)

- 54- وَاتْلُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَلَيَّ النَّاسَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَّةِ إِسْمَاعِيلَ ، إِنَّهُ كَانَ يَصْدُقُ فِي وَعْدِهِ ، وَقَدْ وَعَدَ أَبَاهُ بِالصَّبْرِ عَلَيَّ ذَبْحَهُ لَهُ ، وَوَفَّى بِوَعْدِهِ ، فَفَدَاهُ اللَّهُ وَشَرَّفَهُ بِالرِّسَالَةِ وَالنَّبُوَّةِ .
- 55- وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَكَانَ فِي الْمَقَامِ الْكَرِيمِ مِنْ رِضَا رَبِّهِ .
- 56- وَاتْلُ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - عَلَيَّ النَّاسَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ قِصَّةِ إِدْرِيسَ ، إِنَّهُ كَانَ شَأْنُهُ الصِّدْقَ قَوْلًا وَفِعْلًا وَعَمَلًا . وَقَدْ مَنَحَهُ اللَّهُ شَرَفَ النَّبُوَّةِ .
- 57- وَقَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ مَكَانًا سَامِيًّا .
- 58- أُولَئِكَ الَّذِينَ سَلَفَ ذِكْرُهُمْ ، مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ بِنِعْمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِنْ ذُرِّيَةِ مَنْ نَجَّاهُ اللَّهُ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ ، وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبرَاهِيمَ كَأِسْمَاعِيلَ ، وَمِنْ ذُرِّيَةِ يَعْقُوبَ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَمِمَّنْ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَاخْتَرْنَاهُمْ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ . هَؤُلَاءِ إِذَا سَمِعُوا آيَاتَ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِمْ خَشَعُوا وَخَرُّوا سَاجِدِينَ لِلَّهِ مُتَضَرِّعِينَ لَهُ .
- 59- ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ الْأَخْيَارِ أَجْيَالٌ عَلَيَّ غَيْرُ هَدْيِهِمْ تَرَكَوا الصَّلَاةَ ، وَأَهْمَلُوا الْإِنْتِفَاعَ بِهَدْيِهَا ، وَانْهَمَكُوا فِي الْمَعَاصِي ، وَسَيَلِقَى هَؤُلَاءِ جِزَاءَ غِيهِمْ وَضَلَالِهِمْ

فى الدنيا والآخرة .  
60- لكن من تداركوا أنفسهم بالتوبة ، وصدق الإيمان ، والعمل الصالح ، فإن الله يقبل توبتهم ، ويدخلهم الجنة ، ويوفيهم أجورهم .  
61- هذه الجنات دار خلود ، وعد الرحمن بها عباده التائبين ، فأمنوا بها بالغيب ، فهم داخلوها لا محالة ، فإن وعد الله لا يتخلف .

(2/13)

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (62) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (63) وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65) وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِنِّي إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ سَيِّئًا (67) فَوَرَّبُّكَ لِيُخْشِرَهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لِنُخْضِرَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (68) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (69)

62- وهم فى تلك الجنات لا يجرى بينهم لغو الحديث ، ولا يسمعون إلا خيراً وأمناً ، ورزقهم فيها رغد مكفول دائماً .  
63- وإنما يؤتى الله تلك الجنة ويملكها لمن كان تقياً فى الدنيا بترك المعاصى وفعل الطاعات .  
64- وكان الوحي قد تأخر وقلق الرسول - عليه الصلاة والسلام - فجاءه جبريل - عليه السلام - ليطمئنه وقال له : إن الملائكة لا تنزل إلا بإذن ربها ، فاطمئن أيها الرسول الكريم فإن ربك لا ينسى .  
65- فهو سبحانه الخالق المالك للسموات والأرض وما بينهما ، والمدبر لشئونهما ، والمستحق - وحده - للعبادة ، فاعبده - أيها المخاطب - وثابر على عبادته صابراً مطمئناً ، فهو سبحانه المستحق - وحده - للعبادة ، وليس له نظير يستحق العبادة ، أو يسمى باسم من أسمائه .  
66- ويقول الإنسان مستغرباً البعث : كيف أبعث حياً بعد الموت والفناء؟! .  
67- كيف يستغرب قدرة الله على البعث فى الآخرة ، ولا يذكر أنه تعالى خلقه فى الدنيا من عدم؟ ، مع أن إعادة الخلق أهون من بدئه فى حكم العقل .  
68- وإذا كان أمر البعث غريباً ينكره الكافرون ، فوالذى خلقك ورباك ونمأك لنجمعن الكافرين يوم القيامة مع شياطينهم - الذين زينوا لهم الكفر - وسنحضرهم جميعاً حول جهنم جاثين على ركبهم فى ذلة لشدة الهول والفرع .  
69- ثم لننزعن من كل جماعة أشدهم كفراً بالله ، وتمرداً عليه ، فيدفع بهم قبل سواهم إلى أشد العذاب .

(2/14)

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (70) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72) وَإِذَا

تُبْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا  
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا (73) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرَبِّيًّا (74) قُلْ  
مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ  
وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا (75) وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ  
اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا (76)

70- ونحن أعلم بالذين هم أحق بسبقهم إلى دخول جهنم والاصطلاء بلهيبها .  
71- وإن منكم - معشر الخلق - إلا حاضر لها ، يراها المؤمن ويمر بها ، والكافر  
يدخلها ، وتنفيذ هذا أمر واقع حتماً ، جرى به قضاء الله .  
72- ثم إننا نشمل المتقين برحمتنا فننجيهم من جهنم ، ونترك بها الذين ظلموا  
أنفسهم جاثين على ركبهم ، تعذيباً لهم .  
73- وكان الكافرون في الدنيا إذا تليت عليهم آيات الله واضحة الدلالة أعرضوا  
عنها ، وقالوا للمؤمنين - معتزين بمالهم وجمعهم - لستم مثلنا خطأ في الدنيا ،  
فنحن خير منكم منزلاً ومجلساً ، فكذلك سيكون حظنا في الآخرة التي تؤمنون  
بها .

74- وكان على هؤلاء الكافرين أن يتعظوا بمن سبقهم من أمم كثيرة كفرت  
بالله وكانوا أحسن منهم خطأ في الدنيا ، وأكثر متاعاً وأبهى منظراً ، فأهلكهم  
الله بكفرهم - وهم كثيرون - وفي آثارهم عبر لكل معتبر .  
75- قل - أيها الرسول - لهؤلاء : من كان في الضلالة والكفر أمهله الرحمن ،  
وأملى له في العمر ليزداد طغياناً وضلالاً ، وسيردد الكفار قولهم للمؤمنين :  
أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً؟ إلى أن يشاهدوا ما يوعدون : إما تعذيب  
المسلمين إياهم في الدنيا بالقتل والأسر ، وإما خزي القيامة لهم ، فحينئذ  
يعلمون أنهم شر منزلاً وأضعف أنصاراً .  
76- أما المؤمنون بآيات الله ، فحينما يسمعونها يقبلون عليها ، ويزيدهم الله  
بها توفيقاً لحسن العمل ، والأعمال الصالحة خير وأبقى عند الله ثواباً وعاقبة .

(2/15)

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (77) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ  
الرَّحْمَنِ عَهْدًا (78) كَلَّا سَتَكُنُّبُ مَا يُقُولُ وَتَمُدُّ لهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَتَرَى لَهُ  
مَا يَفْعَلُ وَيَأْتِنَا فَزْدًا (80) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (81) كَلَّا  
سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (82) أَلَمْ يَرَأ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى  
الْكَافِرِينَ تُوَزُّهُمْ آزًّا (83) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا (84)

77- تعجب - أيها الرسول - من أمر الكافر بآيات الله ، الذي فتنته دنياه ، فأنكر  
البعث وقال - مستهزئاً - : إن الله سيعطيني في الآخرة التي تزعمونها مالا  
وولداً أعتز بهما هناك ، وظن أن الآخرة كالدينا ، تقاس عليها ، ونسى أنها جزاء  
الخير والشر ، وأن الفضل فيها بالعمل الصالح .  
78- فهل اطلع ذلك الكافر على الغيب حتى يخبر عن صدق؟ ، وهل أخذ من  
الله عهداً بذلك حتى يتعلق بأمل؟ .  
79- فليرتدع عما يفتربه ، فإننا نحصى عليه افتراءه ، وسيصل عذابه ممدوداً  
مدّاً طويلاً لا يتصوره .



- 80- سيسلبه الله ما يعتز به فى الدنيا من مال وولد ، وبهلكه ، وبأتى فى الآخرة وحيداً منفرداً ، دون مال أو ولد أو نصير .
- 81- أولئك الكافرون اتخذوا غير الله آلهة مختلفة عبدوها ، لتكون لهم شفعاء فى الآخرة .
- 82- عليهم أن يرتدعوا عما يظنون ، سيجحد الآلهة عبادتهم وينكرونها ، ويكون هؤلاء المعبودون خصماً للمشركين يطالبون بتعذيبهم .
- 83- ألم تعلم - أيها الرسول - أننا مكنا الشياطين من الكافرين - وقد استحوذت على هؤلاء الكافرين - تُغريهم وتدفعهم إلى التمرد على الحق فانقادوا لها .
- 84- فلا يضق صدرك - أيها الرسول - بكفرهم ، ولا تستعجل لهم العذاب ، فإنما نتركهم فى الدنيا أمداً محدوداً ونحصى عليهم أعمالهم وذنوبهم ، لنحاسبهم عليها فى الآخرة .

(2/16)

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا (85) وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (88) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (89) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْدًا (95) إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96)

- 85- اذكر - أيها الرسول - اليوم الذى نجمع فيه المتقين إلى جنة الرحمن وفوداً وجماعات مكرمين .
- 86- وندفع فيه المجرمين إلى جهنم عطاشاً ، كاندفاع الدواب العطاش إلى الماء .
- 87- ولا يملك الشفاعة فى هذا اليوم أحد إلا من يأذن الله تعالى له ، لعهد كان له .
- 88- لقد قال المشركون واليهود والنصارى : إن الله اتخذ ولداً من الملائكة أو من الناس .
- 89- لقد أتيتم - أيها القائلون - بذلك القول أمراً منكراً ، تنكره العقول المستقيمة .
- 90- تكاد السموات يتشققن منه ، وتنخسف الأرض ، وتسقط الجبال قطعاً مفتتة .
- 91- وإنما تقرب حوادث السموات والأرض والجبال أن تقع ، لأنهم سموا لله ولداً .
- 92- وما يستقيم فى العقل أن يكون لله ولد ، لأن إثبات الولد له يقتضى حدوثه وحاجته .
- 93- ما كل من فى السموات والأرض إلا سيأتى الله سبحانه يوم القيامة عبداً خاضعاً لألوهيته .
- 94- لقد أحاط علمه بهم جميعاً وأعمالهم ، فلا يخفى عليه أحد منهم ولا شئ

- من أعمالهم .  
95- وهم جميعاً يجيئون إليه يوم القيامة منفردين عن النصراء وعن الولد  
والمال .  
96- إن المؤمنين العاملين الصالحات يُحبهم الله ، ويُحبهم إلى الناس .

(2/17)

---

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا هُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (97) وَكَمْ أَهْلَكْنَا  
قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ نُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا (98)

- 97- فإنما يسرنا القرآن بلغتك لنُبشِّرَ برضا الله ونعيمه من اتبع أوامره واجتنب  
نواهيه ، ونُنذِرَ بسخط الله وعذابه من كفر به واشتد في خصومته .  
98- فلا يحزنك - أيها الرسول - عنادهم لك ، فقد أهلك الله قبلهم كثيراً من  
الأمم والأجيال ، لعنادهم ولكفرهم ، ولقد اندثروا ، فلا ترى منهم أحداً ، ولا  
تسمع لهم صوتاً .

(2/18)

---

طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (3)

- 1- بدأ الله تعالى السورة بهذه الحروف لتحدى المنكرين ، والإشارة إلى أن  
القرآن مُكَوَّن من هذه الحروف التي تتكلمون بها ، ومع ذلك عجزتم عن الإتيان  
بسورة قصيرة أو آيات من مثله .  
2- إنا ما أوحينا إليك - أيها الرسول - هذا القرآن ليكون سبباً في إرهابك نفسك  
أسفاً على إعراض المعرضين عنك .  
3- لكن أنزلناه تذكرة لمن يخاف الله فيطيعه .

(2/19)

---

تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا (4) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (5)  
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6) وَإِنْ تَجْهَرُ  
بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (8)  
وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا  
لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدى (10) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (11)  
إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَى (12)

- 4- قد نزل عليك هذا القرآن من عند الله القادر خالق الأرض والسماوات  
الرفيعة العالية .  
5- عظيم الرحمة على ملكه استوى .

- 6- له - وحده - سبحانه ملك السموات وما فيها والأرض وما عليها ، وملك ما بينهما ، وما اختبأ فى الأرض من معادن وخيرات .
- 7- وكما شملت قدرة الله - عز وجل - كل شئ قد أحاط علمه بكل شئ ، وإن ترفع صوتك - أيها الإنسان - بالقول ، فإن الله يعلمه ، لأنه يعلم حديثك مع غيرك ويعلم حديث نفسك .
- 8- هو الله الإله الواحد المستحق للعبادة دون سواه؛ إذ هو المتصف بصفات الكمال ، وله الصفات الحسنى .
- 9- هل علمت - أيها النبى - خبر موسى مع فرعون؟
- 10- حين أبصر ناراً فى مسيره ليلا من مدين إلى مصر ، فقال عند ذلك لزوجته ومن معها : انتظروا فى مكانكم ، إني أبصرت ناراً ، أرجو أن أحمل لكم منها جمرة تدفنكم ، أو أجد حول النار من يهدينى إلى الطريق .
- 11- فلما بلغ مكانها ، سمع صوتاً غلويًا يناديه : يا موسى .
- 12- إني أنا الله ربك ، فاخلع نعليك تكريماً للموقف ، فإنك بالوادي المطهر المبارك وهو « طوى » .

(2/20)

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (13) إِنِّي بَاتَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (16) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَى بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَارَبٌ أُخْرَى (18) قَالَ أَلَيْسَ يَا مُوسَى (19) قَالَهَا قَادًا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ سُنْعِيذَهَا بِسِيرَتِهَا الْأُولَى (21) وَأَصْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى (22)

- 13- وأنا الله أصطفيك بالرسالة ، فاصغ لما أوحى إليك لتعلمه وتبلغه قومك .
- 14- إني أنا الله الإله الواحد ، لا معبود بحق سواى ، فأمن بى واعبدنى ، وداوم على إقامة الصلاة لتظل فى ذكر دائم بى .
- 15- إن الساعة - التى هى مؤعد لقاتى ، وقد أخفيت موعدها عن عبادى ، وأظهرت لهم دلالتها - آتية لا محالة ، لتحاسب كل نفس على ما عملت وتُجزى به .
- 16- فلا يصرفنك يا موسى عن الإيمان بالساعة والاستعداد لها من لا يصدق بها ، ومال مع هواه فتهلك .
- 17- وما تلك التى تمسكها بيدك اليمنى؟
- 18- وأجاب موسى : إنها عصاى أعتمد عليها فى مسيرى ، وأسوق بها غنمى ، ولى فيها منافع أخرى ، كدفع أذى الحيوان .
- 19- قال الله سبحانه لموسى : ارم بها على الأرض .
- 20- فرمى بها موسى ، ففوجئ بها تنقلب حية تمشى .
- 21- فارتاع منها ، فطمأنه الله قائلا : تناولها دون خوف ، فإننا سنعيدها عصا كما كانت .
- 22- وأدخل يدك فى جيب ثوبك مضمومة إلى جنبك تخرج بيضاء ناصعة من غير داء ، وقد جعلناها لك معجزة ثانية على رسالتك .

لِئْرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (23) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَتَذُكَّرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)

- 23- لئْرِيكَ بعض معجزاتنا الكبرى لتكون دليلا على صدقك فى الرسالة .
- 24- اذهب إلى فرعون وادعه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ، فإنه قد تجاوز الحد فى كفره وطغيانه .
- 25- فتصرّع موسى إلى ربه أن يشرح له صدره ، ليذهب عنه الغضب ، وليؤدى رسالة ربه .
- 26- وسهّل لى أمر الرسالة لأؤدى حقا .
- 27- وفك عُقْدَةً لِسَانِي لأبين .
- 28- ليفهم الناس فهماً دقيقاً ما أقول لهم .
- 29- واجعل لى مؤازراً من أهلى .
- 30- هو أخى هارون .
- 31- اشدد به قوتى .
- 32- وأشركه معى فى تحمل أعباء الرسالة وتبليغها .
- 33- كى تُتْرَهَكَ كثيراً عما لا يليق بك .
- 34- ونردد أسماءك الحسنى كثيراً .
- 35- يا ربنا : إنك دائماً بصير بنا ، ومتكفل بأمرنا .

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (36) وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أَمْكَمَ مَا يُوحَى (38) أَنْ افْذِفْ فِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفْ فِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أَمْكَمَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِيتَ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (40) وَأَصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي (41) اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِنَا وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (42)

- 36- نادى الله رسوله موسى قائلا : قد أعطيتك ما سألت ، وهذه منة عليك .
- 37- ولقد سبق أن تفضلنا عليك بمنة أخرى دون سؤال منك .
- 38- حين ألهمنا أمك إلهاماً كريماً كانت فيه حياتك .
- 39- ألهمناها أن تضعك - طفلاً رضيعاً - فى الصندوق ، وأن تلقى به فى النيل ، لننجيك من قتل فرعون ، إذ كان يقتل من يولد فى بنى إسرائيل من الذكور ، وسخرنا الماء ليلقى الصندوق بالشاطئ ، وشاءت إرادتنا أن يأخذ الصندوق فرعون عدوى وعدوك ، وأحببتك حب رحمة وولاية ، ليحبك كل من يراك ،

- ولترى تربية كريمة ملحوظاً برعايتى .
- 40- واعلم يا موسى سابق عنايتنا بك حين مشيت أختك ترقب أمرك ، فلما صرت فى قصر فرعون ، وراهم يبحثون لك عن مُرْضِع دلتهم على أمك ، فرددناك إليها لتفرح بحياتك وعودتك ، ولتكف عن الحزن والبكاء ، ولما كبرت وقتلت خطأ رجلا من قوم فرعون نجيناك من الغم الذى لحق بك ، وخلصناك من شرهم ، فذهبت إلى مدين ومكثت فيها سنين عدة ، ثم عدت من مدين فى الموعد الذى قدرناه لإرسالك .
- 41- واصطفيتك لوحى وحمل رسالتى .
- 42- اذهب مع أخيك مُؤَيَّدِينَ بمعجزاتى الدالة على النبوة والرسالة ، ولا تَصْغُفا فى تبليغ رسالتى ، ولا تغفلا عن ذكرى والاستعانة بى .

(2/23)

أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)  
 قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنَّهُ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا  
 أَسْمِعُ وَأَأْتِيهِ قَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا  
 نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (47) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ  
 إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48) قَالَ قَمْن رَبَّكُمَا يَا مُوسَى (49)

- 43- اذهب مع أخيك هارون إلى فرعون ، إنه كافر تجاوز الحد فى كفره وطغيانه .
- 44- فادعوا إلى الإيمان بى فى رفق ولين ، راجين أن يتذكر ما غفل عنه من الإيمان ، ويخشى عاقبة كفره وطغيانه .
- 45- فتضرع موسى وهارون إلى الله قائلين : يا ربنا إننا نخشى أن يُبادرنا فرعون بالأذى ، ويتجاوز الحد فى الإساءة .
- 46- فطمأنهما الله بقوله : لا تخافا فرعون ، إننى معكما بالرعاية والحفظ ، سميع لما يقول ، مبصر لما يفعل ، فلا أمكنه من إيدائكما .
- 47- فاذهبا إلى فرعون فقولا له : إننا رسولان إليك من ربك ، جئنا ندعوك إلى الإيمان به ، وأن تطلق بنى إسرائيل من الأسر والعذاب ، قد أتيناك بمعجزة من الله تشهد لنا بصدق ما دعوناك إليه ، وبالأمان من عذاب الله وغضبه لمن اتبع هداه .
- 48- وإن الله قد أوحى إلينا أن عذابه الشديد واقع على من كذبنا وأعرض عن دعوتنا .
- 49- قال فرعون فى طغيانه وجبروته : قَمْن رَبَّكُمَا يَا مُوسَى ؟ .

(2/24)

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى  
 (51) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52) الَّذِي جَعَلَ  
 لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَانزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا  
 مِنْ تَبَاتٍ شَتَّى (53) كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ (54)

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (55) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا  
كَلِّهَا فَكَذَّبَ وَآبَى (56)

- 50- فأجابه موسى : ربنا الذى منح نعمة الوجود لكل موجود ، وخلقه على الصورة التى اختارها سبحانه له ، ووجهه لما خلق .
- 51- قال لفرعون : فما شأن القرون الماضية وما جرى لها؟ .
- 52- قال موسى : عِلْمُ هذه القرون عند ربى - وحده - وهى مسجلة فى صحائف أعمالهم ، لا يغيب عن علمه شئ منها ولا ينساه .
- 53- هو الإله المتفضل على عبادته بالوجود والحفظ ، مهَّد لكم الأرض فبسطها بقدرته ، وشنق لكم فيها طرقاً تسلكونها ، وأنزل المطر عليها تجرى به الأنهار فيها ، فأخرج سبحانه أنواع النبات المختلفة المتقابلة فى ألوانها وطعومها ومنافعها ، فمنها الأبيض ، ومنها الأسود ، ومنها الحلو ، ومنها المر .
- 54- ووجه - سبحانه - عباده إلى الانتفاع بما أخرج من النبات بالأكل ورعى الأنعام ، ونحو ذلك . فذكر أن فى هذا الخلق وإبداعه والإنعام به دلائل واضحة ، يهتدى بها ذوو العقول إلى الإيمان بالله ورسالاته .
- 55- ومن تراب هذه الأرض خلق الله آدم وذريته ، وإليها يردهم بعد الموت لمواراة أجسامهم ، ومنها يخرجهم أحياء مرة أخرى للبعث والجزاء .
- 56- ولقد أرينا فرعون على يد موسى المعجزات البينة المؤيدة لرسالته وصدقه فى كل ما أخبره به عن الله وعن آثار قدرته ، ومع هذا فقد تمادى فرعون فى كفره ، فكذب بكل ذلك ، وآبى أن يؤمن به .

(2/25)

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ  
فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58) قَالَ مَوْعِدُكُمْ  
يَوْمَ الرِّيبَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحَى (59) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (60)  
قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ  
مَنْ افْتَرَى (61) فَيَتَارَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَا  
لَسَاحِرٌ أَوْ يَرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى (63)  
فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (64)

- 57- قال فرعون لموسى : أجيئنا لتخرجنا من أرضنا ، وتجعلها فى يد قومك بسحرك الذى قننت الناس به؟ .
- 58- وأنا سنبطل سحرك من عندنا ، فاجعل بيننا وبينك موعداً نلتقى فيه ، ولا يتخلف منا أحد .
- 59- فأجابه موسى : موعدنا يوم عيدكم الذى تتزينون فيه مبهجين به ، فيجتمع الناس فى ضحى ذلك اليوم ، ليشهدوا ما يكون بيننا وبينكم .
- 60- فأنصرف فرعون وتولى الأمر بنفسه ، فجمع وسائل تدييره ، وعلية من السحرة ، وأدوات السحر ، ثم حضر فى الموعد بكل ذلك .
- 61- قال لهم موسى يحذرهم هلاك الله وعذابه ، وبنهاهم عن اختلاق الكذب ، بزعمهم الوهية فرعون وتكذيبهم رسل الله ، وإنكارهم المعجزات ، وهددهم بأن الله يستأصلهم بالعذاب إن استمروا على هذا ، ويؤكد خسران من افترى

الكذب على الله .  
62- فذعروا من تحذير موسى ، وتفاوضوا سرا فيما بينهم متجاديين وكلُّ يشير  
برأى فيما يلقون به موسى .  
63- وأجمعوا فيما بينهم على أن موسى وهارون ساحران ، يعملان على  
إخراجهم من بلادهم ، بإخراج السلطان من أيديهم ، وذلك بالسحر ليتمكن بنو  
إسرائيل فيها ، وليبطلا عقيدتهم الطيبة فى زعمهم .  
64- فاجعلوا ما تكيدون به موسى أمراً متفقاً عليه ، ثم احضروا مُصْطَفَّين ،  
لتكون لكم فى نفوس الرائين الهيبة والغلبة ، وقد فاز اليوم من غلب .

(2/26)

---

قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا  
حَبَالُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَتْهُمُ (66) فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ  
خَيْفَةً مُوسَى (67) فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِثْكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ  
مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69) قَالَ قُلِّبِي  
السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا أَمَّا رَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى (70) قَالَ أَمْنُكُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ  
لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافِ  
وَأَصْلَبَتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَعَلَّمَنَّ أَيُّنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)

65- واجه السحرة موسى برأى واحد ، وخيروه فى شموخ واعتزاز ، بين أن  
يبدأ فيلقى عصاه ، أو أن يكونوا هم البادئين .  
66- قال موسى : بل ابتدئوا ، فألقوا حبالهم وعصيهم ، فتخيّل موسى من  
السحر أنها انقلبت ثعابين تتحرك وتسير ؛  
67- فأحس موسى بالخوف لِمَا رآه من أثر السحر ، ومن احتمال أن يلتبس  
السحر على الناس بالمعجزة .  
68- فادركه الله بلطفه قائلاً : لا تخش شيئاً ، إنك الغالب المنتصر على باطلهم

69- وألق العصا التى بيمينك لتبتلع ما زوروا من السحر ، إن صنيعهم لا يجاوز  
تمويه السحرة ، وإن الساحر لا يفوز أينما كان .  
70- فألقى موسى عصاه ، فإذا بها تنقلب حقاً بقدرة الله حية كبيرة مخيفة ،  
وابتلعت كل ما أعدّوه ، فلما رأى السحرة تلك المعجزة بادروا إلى السجود  
موقنين بصدق موسى قائلين : أمنا بالله - وحده - رب هارون وموسى ، ورب  
كل شئ .

71- قال فرعون : كيف تؤمنون به دون إذن منى؟ إنه لرئيسكم الذى علّمكم  
السحر ، وليس عمله معجزة كما توهمتم ، وهددهم : لأقطعن أيديكم وأرجلكم  
مختلفات يقطع اليمنى من واحدة والبسرى من الأخرى ، ولأصلبنكم فى جدوع  
النخل ، وستعلمون أى الإلهين أشد عذاباً وأدوم زمناً : أنا أم إله موسى .

(2/27)

---

قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا أَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي (73) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (74) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (75) جَنَّاتٌ عَذْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ (76) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَىٰ (77)

72- ثبت السحرة على إيمانهم ، ودفعوا تهديد فرعون بقولهم : لن نبقي على الكفر معك بعدما تبين لنا الحق في معجزة موسى ، ولن نختارك على إله موسى الذي خلقنا ، فافعل ما تريد أن تفعله ، إن سلطانتك لا يتجاوز هذه الحياة القصيرة .

73- فإننا مقيمون على الإيمان بربنا الحق ، ليتجاوز لنا عمَّا سلف من السيئات ، وليغفر لنا ممارسة السحر الذي أكرهتنا على تعلمه والعمل به ، وربنا خير منك ثواباً ، إذا أطيع ، وأبقى منك سلطاناً وقدرة على الجزاء .

74- إن من يموت على الكفر ويلقى الله مجرماً فجزاؤه جهنم لا يموت فيها فيستريح من العذاب ، ولا يحيا حياة يتمتع فيها بنعيم .

75- ومن يلقى ربه على الإيمان وصالح العمل فله المنازل السامية .

76- تلك المنازل هي الإقامة في جنات النعيم تجري بين أشجارها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء لمن طهر نفسه بالإيمان والطاعة بعد الكفر والمعصية .

77- ثم تتابعت الأحداث بين موسى وفرعون ، وأوحى الله إلى رسوله موسى أن يخرج بنى إسرائيل من مصر ليلاً ، وأن يضرب البحر بعصاه فتحدث معجزة أخرى ، إذ يفتح له الطريق يبساً في الماء ، وطمانه ألا يخاف من إدراك فرعون لهم ، ولا أن يغرقهم الماء .

(2/28)

فَأَبْغَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (78) وَأَصْلَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَيَا هَدَىٰ (79) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ (80) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (81) وَإِنِّي لَعَقَابٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (82) وَمَا أَغْلَقَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (83) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّمِيرُ (85)

78- فنقذ موسى ما أمر الله به ، فخرج فرعون بجنوده وراءه ، فأدرکهم عند البحر ، وسار وراءهم في الطريق التي تفتحت في البحر لموسى وقومه ، وهنا تحققت المعجزة الأخرى ، وهى انطباق مياه البحر على فرعون وقومه ، فأغرقتهم جميعاً .

79- وهكذا انحرف بقومه عن طريق الحق ، وغرر بهم ، فهلكوا جميعاً .

80- يا بنى إسرائيل ، قد أنجيناكم من عدوكم فرعون ، وواعدناكم بالنجاة من



- عدوكم على لسان موسى أن تصلوا آمنين إلى جانب الطور ، ونزلنا عليكم  
المن والسلوى رزقاً طيباً من الحلو ولحم الطير الشهى .
- 81- كلوا من هذه الطيبات التي رزقتم بها دون مجهود ، ولا تظلموا ، ولا  
ترتكبوا معصية الله في هذا العيش الرغيد ، حتى لا ينزل بكم غضبي ، فإن من  
ينزل عليه غضبي ينحدر إلى أسفل الطبقات من عذاب الله .
- 82- وإنى عظيم الغفران لمن رجع عن كفره ، وأحسن الإيمان ، وأصلح العمل  
، واستمر على ذلك حتى يلقي الله .
- 83- سبق موسى قومه إلى الطور ، ليظفر بمناجاة ربه ، فسأله الله عن  
السبب الذي أعجله بالحضور دون قومه .
- 84- قال موسى : إن قومي قرييون منى ، لاحقون بى ، وإنما سبقتهم إليك يا  
رب رغبة فى رضاك .
- 85- قال الله له : إنا قد امتحنا قومك من بعد مغادرتك لهم ، فوقعوا فى فتنة ،  
إذ أضلهم السامرى .

(2/29)

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا  
أَقْصَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي  
(86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا  
فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ  
وَإِلَهُ مُوسَى فَتَسَبَّى (88) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا  
تَفَعًّا (89) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ  
الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (90)

- 86- فعاد موسى إلى قومه فى غضب شديد وحزن مؤلم ، وخاطب قومه -  
منكراً عليهم - بقوله : لقد وعدكم ربكم النجاة والهداية بنزول التوراة ، والنصر  
بدخول الأرض المقدسة ، ولم يطل عليكم العهد حتى تنسوا وعد الله لكم ،  
أردتم بسوء صنيعكم أن ينزل بكم غضب الله بطغيانكم الذى حذرکم منه ،  
فأخلفتم عهدكم لى بالسير على سنتى والمجئ على أثرى .
- 87- قال قوم موسى معتذرين : لم نتخلف عن موعده باختيارنا ، ولكننا حُمِّلنا  
حين خرجنا من مصر أثقالا من حلى القوم ، ثم رأينا - لشؤمها علينا - أن  
نتخلص منها ، فأشعل السامرى النار فى حفرة ورمىنا فيها هذه الأثقال ،  
فكذلك رمى السامرى ما معه من الحلى .
- 88- فصنع السامرى لهم عجلا مجسماً من الذهب ، يمر الريح فى جوفه  
فيكون له صوت يسمع كخوار البقر ، لتتم الخديعة به ، ودعاهم إلى عبادته  
فاستجابوا ، وقال هو وأتباعه : هذا معبودكم ومعبود موسى . فنسى أنه يسهل  
بالتأمل والاستدلال على أن العجل لا يكون إلهاً .
- 89- لقد عميت بصائرهم حين يعتبرون هذا العجل إلهاً! أفلا يرون أنه لا يرد  
على أقوالهم ، ولا يستطيع أن يدفع عنهم ضرراً ، ولا أن يجلب لهم نفعاً؟
- 90- وكان هارون مقيماً فيهم - حين قيام هذه الفتنة - ولقد قال لهم قبل  
رجوع موسى - عليه السلام - : يا قوم ، لقد وقعتم فى فتنة السامرى بهذا

الباطل ، وإن إلهكم الحق هو الله الرحمن دون سواه ، فاتبعوني فيما أنصحكم به ، وامثلوا رأيي بالامتناع عن هذه الضلالة .

(2/30)

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (91) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي (93) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (94) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (96) قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلَقَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (97)

91- قالوا : سنظل مستمرين على عبادة هذا العجل إلى أن يعود موسى إلينا! .

92- قال موسى متأثراً بما علمه ورآه من قومه : يا هارون ، أى سبب منعك أن تكفهم عن الضلالة إذ رأيتهم وقعوا فيها؟

93- ولم تقم مقامى بنصحهم كما عهدت إليك ، أفلا تتبعنى فيما عهدت به إليك أم هل عصيت أمرى؟ .

94- قال هارون لموسى : يا ابن أُمى : لا تعاجلنى بغضبك ، ولا تمسك بلحيتى ولا برأسى . لقد خفت إن شددت عليهم فتفرقوا شيعاً وأحزاباً أن تقول لى : فرقت بين بنى إسرائيل ، ولم تخلفنى فيهم كما عهدت إليك .

95- قال موسى - عليه السلام - للسامرى : ما هذا الأمر الخطير الذى يُعد خطاباً ووقعت فيه؟! .

96- قال السامرى لموسى : عرفت من حذق الصناعة وجيلها ما لم يعلمه بنو إسرائيل ، وصنعت لهم صورة عجل له هذا الصوت ، وقبضت قبضة من أثر الرسول فألقيتها فى جوف العجل ، تموهاً على الناس ، وكذلك ربيت لى نفسى أن أفعل ما فعلت .

97- قال موسى للسامرى : اخرج من جماعتنا ، وابتعد عنا ، وإن جزاءك فى الدنيا أن تهيم على وجهك ، وينفر الناس منك ، حتى لا تكون بينك وبينهم صلة ، فلا يقربك أحد ، ولا تقترب أنت من أحد ، وإن لعذابك فى الآخرة موعداً محددًا لا تستطيع الفرار منه ، وندد موسى به وبإلهه قائلاً : انظر الآن ماذا نصنع بإلهك الذى عكفت على عبادته ، وفتنت الناس به ، لنحرقه ثم لنذروه فى البحر ذروا .

(2/31)

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (98) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (99) مَنِ اعْرِضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (100) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (101) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (102) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ

إِلَّا عَشْرًا (103) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِئْتُمْ إِلَّا يَوْمًا  
(104) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105)

98- وقام موسى بإنجاز ما قال ، ثم اتجه إلى بنى إسرائيل بعد هذه العبرة قائلاً لهم : إن إلهكم الواحد ، هو الذى لا يُعبد بحق سواه ، وقد أحاط علمه بكل شئ مما كان ومما سيكون .

99- كما قصصنا عليك - أيها الرسول - نبأ موسى ، نخبرك بالحق عن الأمم السابقة ، وقد أنزلنا عليك من عندنا كتاباً فيه تذكير لك ولأمتك ، بما فيه صلاح دينكم ودنياكم .

100- من انصرف عن تصديقه والاهتداء به فإنه يضل فى حياته ، ويأتى يوم القيامة حاملاً إثم ما صنع ، ويجازى بالعذاب الشديد .

101- ويخلد فى هذا العذاب ، وبئس هذا الحمل السيئ يوم القيامة .

102- اذكر - أيها الرسول - لأمتك اليوم الذى نامر فيه الملك أن ينفخ فى الصور ( البوق ) نفخة الإحياء والبعث من القبور ، وندعوهم إلى المحشر ، ونسوق المجرمين إلى الموقف زرق الوجوه رعباً وفضعاً .

103- يتهامسون فيما بينهم فى ذلة واضطراب عن قصر الحياة الدنيا ، حتى كأنهم لم ينعموا بها ، ولم يلبثوا فيها إلا عشرة أيام .

104- وليس تهامسهم خافياً ، فنحن أعلم بما يتهامسون به ، وبما يقول

أقربهم إلى تصوير شعورهم نحو الدنيا بأنها لم تكن إلا كيوم واحد .

105- ويسألك المنكرون للبعث - أيها الرسول - عن مصير الجبال يوم القيامة الذى تتحدث عنه ، فأجبههم بأن الله يفتتها كالرمل ، ثم يطيرها بالرياح فتكون هباء .

(2/32)

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (107) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ  
الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (108) يَوْمَئِذٍ  
لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ  
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (110) وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ  
حَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (111) وَمِمَّنْ يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ  
ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (112) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113)

106- فيدع أماكنها من الأرض بعد نسفها ملساء مستوية .

107- لا تبصر فى الأرض انخفاضاً ولا ارتفاعاً ، كأنها لم تكن معمورة من قبل .

108- يوم القيامة يتبع الناس بعد قيامهم من قبورهم دعوة الداعى إلى المحشر مستسلمين ، لا يستطيع أحد منهم أن يعدل عنه يميناً ولا شمالاً ، وتخضع الأصوات بالسكون والرهبة لعظمة الرحمن ، فلا يُسمع إلا صوت خفى .

109- يومئذ لا تنفع الشفاعة من أحد إلا من أكرمه الله فأذن له بالشفاعة ورضى قوله فيها ، ولا تنفع الشفاعة فى أحد إلا من أذن الرحمن فى أن يُشفع له وكان مؤمناً ، ورضى الله قوله بالتوحيد والإيمان .

- 110- والإله - جل شأنه - يعلم ما تقدم من أمورهم فى دنياهم ، وما يستقبلونه منها فى آخراهم ، فهو سبحانه يُدبّر الأمر فيهم بمقتضى علمه ، وهم لا يحيطون علماً بتدبيره وحكمته .
- 111- ودلّت وجوه فى هذا اليوم ، وخضعت للحى الذى لا يموت ، القائم بتدبير أمور خلقه ، وقد خسر النجاة والثواب فى اليوم الآخر من ظلم نفسه فى الدنيا فأشرك بربه .
- 112- ومن يعمل من الطاعات وهو مصدق بما جاء به - محمد صلى الله عليه وسلم - فهو لا يخاف أن يزداد فى سيئاته ، أو ينقص من حسناته .
- 113- ومثل هذا البيان الحق الذى سلف فى هذه السورة - فى تمجيد الله وقصة موسى ، وأخبار القيامة - أنزل الله هذا الكتاب قرآناً عربى البيان ، وصرف القول فى أساليب الوعيد ووجوهه ، لينتهوا عما هم فيه من العصيان ، وليجدد القرآن لهم عظة واعتباراً .

(2/33)

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ الْفِطْرَةَ لَكَ أَنْ قُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (120)

- 114- فارتفع عن الظنون ، وتنزّه عن مشابهة الخلق ، المَلِكُ الذى يحتاج إليه الحاكمون والمحكومون ، المحق فى ألوهيته وعظمته ، ولا تعجل يا محمد بقراءة القرآن من قبل أن يفرغ المَلِكُ من إلقائه إليك ، وقل : رب زدنى علماً بالقرآن ومعانيه .
- 115- ولقد وصينا آدم - أيها الرسول - من أول أمره ، ألا يخالف لنا أمراً ، فنسى العهد وخالف ، ولم نجد له أول أمره عزمًا وثيقاً ، وتصميماً قوياً يمنع من أن يتسلل الشيطان إلى نفسه بوسوسته .
- 116- واذكر - أيها الرسول - حين أمر الله الملائكة بتعظيم آدم على وجه أراده سبحانه ، فامتثلوا ، لكن إبليس - وهو معهم وكان من الجن - خالف وامتنع ، فأخرج وطرد!
- 117- فخاطب الله آدم قائلاً : إن هذا الشيطان الذى خالف أمرنا فى تعظيمك عدو لك ولحواء - زوجتك - فاحذروا وسوسته بالمعصية ، فيكون سبباً فى خروجكما من الجنة ، فتشقى يا آدم فى الحياة بعد الخروج من الجنة .
- 118- إن علينا أن نكفل لك مطالب حياتك فى الجنة ، فلن يُصيبك فيها جوع ولا عرى .
- 119- وأنه لن يصيبك فيها عطش ، ولن تتعرض فيها لحر الشمس ، كما هو شأن الكادحين فى خارج الجنة .
- 120- فاحتال عليه الشيطان يهمس فى نفسه ، مُرَعِّباً له ولزوجه فى الأكل من الشجرة المنهى عنها ، قائلاً : أنا أدلك يا آدم على شجرة ، من أكل منها رزق الخلود ، ورزق مُلكاً لا يفنى .

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى  
 آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا  
 جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا  
 يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ  
 كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ  
 وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)

121- ودلّه على الشجرة المحرّمة ، فخدع آدم وزوجه بإغراء إبليس ، ونسبها  
 نهى الله ، وأكلا منها ، فظهرت لهما عوراتهما ، جزاء طمعهما ، حتى نسبا  
 ووقعا في مخالفته ، وصارا يقطعان من ورق شجر الجنة ويستران ما بدا منهما  
 ، وخالف آدم ربه ، وكان ذلك قبل النبوة ، فحُرِّم الخلود الذي تمناه وفسد  
 عيشه .

122- ثم اصطفاه الله للرسالة ، فقبل توبته ، وهداه إلى الاعتذار والاستغفار .  
 123- أمر الله آدم وزوجه أن يخرجوا من الجنة ويهبطا إلى الأرض ، وأخبرهما  
 سبحانه بأن العداوة ستكون في الأرض بين ذريتهما ، وأنه سبحانه سيهداهم  
 بالهدى والرشاد ، فمن اتبع منهم هدى الله فلا يقع في المآثم في الدنيا ، ولا  
 يشقى بالعذاب .

124- ومن أعرض عن هدى الله وطاعته فإنه يحيا حياة لا سعادة فيها ، فلا  
 يقنع بما قسم الله ، ولا يستسلم إلى قضاء الله وقدره ، حتى إذا كان يوم  
 القيامة جاء إلى موقف الحساب مأخوذاً بذنبه ، عاجزاً عن الحجة التي يعتذر  
 بها ، كما كان في دنياه أعمى البصيرة عن النظر في آيات الله .

125- وفي هذا الموقف يسأل ربه في فزع : يا رب كيف أنسيتني الحجة ،  
 وأعجزتني عن المعذرة ، ووقفنتي كالأعمى؟! وقد كنت في الدنيا أبصر ما  
 حولي وأجادل وأدافع .

126- الأمر في شأنك كما وقع : جاءتك دلائلنا ورسلنا في الدنيا فنسيتها ،  
 وتعاميت عنها ، ولم تؤمن بها ، وكذلك اليوم تترك منسيا في العذاب والهوان .  
 127- ومثل هذا الجزاء السيئ نجزي في الدنيا من أقبل على المعصية ، وكذب  
 بالله وآياته ، وإن عذاب الآخرة لأشدّ ألماً ، وأدومّ مما كان في الدنيا .

أَقْلَمَ يَهْدِي لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ (128) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى  
 (129) فَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ  
 غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى (130) وَلَا تَمُدَّنَّ  
 عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَرِّقْ رَبِّكَ  
 حَيْرٌ وَأَبْقَى (131) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ

تَزُرُّكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى (133)

- 128- كيف يتعامون عن آيات الله ، وقد تبين لهم إهلاكنا لكثير من الأمم السالفة بسبب كفرهم ، ولم يتعظوا بهم مع أنهم يمشون في ديارهم ومساكنهم ، ويشهدون آثار ما حل بهم من العذاب؟! وإن في تلك المشاهد لعظات لأصحاب العقول الراجحة .
- 129- ولولا حكم سبق من ربك بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى - هو القيامة - لكان العذاب لازماً لهم في الدنيا كما لزم كفار القرون الماضية .
- 130- فاصبر - أيها الرسول - على ما يقولونه في رسالتك من تكذيب واستهزاء ، وتزهر ربك عما لا يليق به بالثناء عليه ، وعبادته - وحده - دائماً ، وخاصة قبل أن تشرق الشمس وقبل أن تغرب ، وتزهره وابعده في ساعات الليل ، وفي أطراف النهار بالصلاة ، حتى تدوم صلتك بالله ، فلتطمئن إلى ما أنت عليه ، وترضى بما قدر لك .
- 131- ولا تتعدَّ بنظرك إلى ما متَّعنا به أصنافاً من الكافرين ، لأن هذا المتاع زينة الحياة الدنيا وزخرفها ، يمتحن الله به عباده في الدنيا ، ويدخر الله لك في الآخرة ما هو خير وأبقى من هذا المتاع .
- 132- ووجه أهلك إلى أن يؤدُّوا الصلاة في أوقاتها ، فالصلاة أقوى ما يصلهم بالله ، ودوام على إقامتها كاملة ، لا نكفك رزق نفسك فنحن متكفلون برزقك ، وإن العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة مكفولة لأهل الصلاح والتقوى .
- 133- وقال الكافرون في عنادهم : لماذا لا يأتينا محمد بدليل من ربه يلزمنا الإيمان به؟! فكيف يحدون القرآن - وقد جاءهم به مشتملاً على ما في الكتب السابقة من أنباء الأمم الماضية ، وإهلاكهم بسبب تكذيب الرسل - وليس محمد يدعاً في ذلك!

(2/36)

---

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَتَخْزَى (134) قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى (135)

- 134- ولو عاجل الله هؤلاء الكافرين بالإهلاك قبل أن يرسل إليهم محمداً لاعتذروا يوم القيامة قائلين : يا ربنا لم ترسل إلينا رسولا في الدنيا مؤيداً بالآيات لتنبهه قبل أن ينزل بنا العذاب والخزي في الآخرة . ولكن لا عذر لهم الآن بعد إرسال الرسول .
- 135- قل - أيها الرسول - لهؤلاء المعاندين : إننا جميعاً منتظرون لما يؤول إليه أمرنا وأمركم ، وستعلمون حقاً أي الفريقين صاحب الدين الحق والمهتدي بهدى الله؟ .

(2/37)

---

أَفْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ  
مُحَدِّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (2)

- 1- دنا للمشركين وقت حسابهم يوم القيامة ، وهم غافلون عن هوله ،  
معرضون عن الإيمان به .
- 2- ما يأتيهم قرآن من ربهم مُجَدِّدَ نزوله ، مذكر لهم بما ينفعهم ، إلا استمعوه  
وهم مشغولون عنه بما لا نفع فيه ، يلعبون كما يلعب الأطفال .

(2/38)

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ  
السَّحَرَ وَإِنَّكُمْ تُبْصِرُونَ (3) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (4) بَلْ قَالُوا أَضْعَافٌ أُحْلَامٌ بَلْ أَفْتِرَاءُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ قَلْبًا يَأْتِي  
كَمَا يُرْسِلُ الْأُولُونَ (5) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (6) وَمَا  
أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7)  
وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (8) ثُمَّ صَدَقْنَاَهُمُ الْوَعْدَ  
فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (9)

- 3- لاهية قلوبهم عن التأمل فيه ، وبالغوا فى إخفاء تأمرهم على النبی وعلى  
القرآن ، قائلين فيما بينهم : ما محمد إلا بشر مثلكم ، والرسول لا يكون إلا  
ملكاً . أتصدقون محمداً فتحضرون مجلس السحر وأنتم تشاهدون أنه سحر؟!!
- 4- قال الرسول لهم - وقد أطلعه الله على حديثهم الذى أسروه - : ربي يعلم  
كل ما يقال فى السماء والأرض ، وهو الذى يسمع كل ما يُسمع ، ويعلم كل ما  
يقع .
- 5- بل قالوا : إنه أخلط أحلام رآها فى المنام ، بل اختلقه ونسبه كذباً إلى الله  
، ثم أعرضوا عن ذلك ، وقالوا : بل هو شاعر يستولى على نفوس سامعيه ،  
فليأتنا بمعجزة مادية دالة على صدقه ، كما أرسل الأنبياء الأولون مؤيدون  
بالمعجزات .
- 6- لم تؤمن قبلهم أمة من الأمم التى أهلكناها بعد أن كذبت بالمعجزات  
المادية ، فهل يؤمن هؤلاء إذا جاءهم ما يطلبون؟! .
- 7- وما أرسلنا إلى الناس قبلك - أيها النبی - إلا رجالاً من البشر ، نوحى إليهم  
الدين ليبلغوه الناس ، فاسألوا - أيها المنكرون - أهل العلم بالكتب المنزلة إن  
كنتم لا تعلمون ذلك .
- 8- وما جعلنا الرسل أجساداً تخالف أجساد البشر يعيشون دون طعام ، وما  
كانوا باقين مخلدين .
- 9- ثم صدقناهم ، وحققنا لهم الوعد ، فأنجيناهم وأنجينا معهم من أردنا نجاتهم  
من المؤمنين ، وأهلكنا الكافرين المسرفين فى تكذيبهم وكفرهم برسالة  
أنبيائهم .

(2/39)

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10) وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ  
ظَالِمَةً وَأَنْبِيَاءًا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (11) فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَنَائِنَا إِذَا هُمْ بِهَا يَرْكُضُونَ  
(12) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (13)  
قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (14) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا  
خَامِدِينَ (15) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ  
تَتَّخِذَ لَهُمْ لَهْوًا لَوَجَدْتَهُمْ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا قَاعِلِينَ (17)

- 10- لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه تذكير لكم إذا علمتموه وعملتكم بما فيه ، فكيف تعرضون وتكفرون به؟! أبلغ بكم العناد والحمق إلى ما أنتم عليه فلا تعقلون ما ينفعكم فتسارعون إليه؟
- 11- وكثير من أهل القرى أهلكتناهم بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم ، وأنشأنا بعد كل قوم منهم قوماً غيرهم أحسن منهم حالا ومالا .
- 12- فلما أردنا إهلاكهم ، وأحسوا بما يقع عليهم من شدة عذابنا وقدرتنا على إنزاله؛ سارعوا إلي الهرب والتماس النجاة بما يشبه عمل الدواب .
- 13- لا تسرعوا - أيها المنكرون - فلن يعصمكم من عذاب الله شئ ، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من نعيمكم ومساكنكم ، لعل خدمكم وأشياءكم يسألونكم المعونة والرأى كما كان شأنكم ، وأنى تستطيعون؟ .
- 14- قالوا - وقد سمعوا الاستهزاء بهم منادين هلاكهم موقنين به - : إنا كنا ظالمين حين أعرضنا عما ينفعنا ، ولم نؤمن بآيات ربنا .
- 15- فما زالت هذه الكلمات يرددونها وبصيحون بها ، حتى جعلناهم - بالعذاب - كالزرع المحصود خامدين لا حياة فيهم .
- 16- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما - بهذا النظام المحكم والصنع البديع - نلعب بها ، بل جعلناها لحكم عالية يدركها المتأملون .
- 17- لو أردنا أن نتخذ ما نلهم به لما أمكن أن نتخذة إلا من ملكتنا الذي ليس فى الوجود ملك غيره ، إن كنا ممن يفعل ذلك ، ولسنا ممن يفعله لاستحالته فى حقنا .

(2/40)

بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18)  
وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا  
يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20) أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ  
الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كَانِ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَقَبِدْنَا فُسْبَحَانَ اللَّهِ رَبِّ  
الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (23)

- 18- بل أمزنا الذى يليق بنا هو أن نقذف الحق فى وجه الباطل فيُدْهِبُه ، ولكم - أيها الكافرون - الهلاك بسبب افتراءكم على الله ورسوله .
- 19- ولله - وحده - كل من فى السموات والأرض خلقاً ومُلْكاً ، فمن حقه - وحده - أن يُعبد ، والمقربون إليه من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته والخضوع له ، ولا يشعرون بالإعياء والملل من طول عبادته بالليل والنهار .
- 20- يُتَزَّهونه جل شأنه عما لا يليق به ، لا يتخلل تنزيههم هذا فُتُور ، بل هو تنزيه دائم لا يشغلهم عنه شاغل .



21- لم يفعل المشركون ما يفعله المقربون من إخلاص العبادة لله ، بل عبدوا غيره ، واتخذوا من الأرض آلهة لا تستحق أن تعبد ، وكيف يُعبد من دون الله من لا يستطيع إعادة الحياة؟! .

22- لو كان فى السماء والأرض آلهة غير الله تُدبّر أمرهما لاختلّ النظام الذى قام عليه خلقهما ، ولما بلغ غاية الدقة والإحكام ، فتنزيهاً لله صاحب الملك عما ينسب إليه المشركون .

23- لا يُحاسب - سبحانه - ولا يُسأل عما يفعل ، لأنه الواحد المتفرد بالعزة والسلطان ، الحكيم العليم ، فلا يخطئ فى فعل أى شئ ، وهم يُحاسبون ويُسألون عما يفعلون؛ لأنهم يخطئون لضعفهم وجهلهم وغلبة الشهوة عليهم .

(2/41)

---

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (24) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْفِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (29)

24- لم يعرفوا حق الله عليهم ، بل اتخذوا من غيره آلهة يعبدونها دون دليل معقول أو برهان صادق . قل - أيها النبى - هاتوا برهانكم على أن لله شريكاً فى الملك يبرر إشراكه فى العبادة . هذا القرآن الذى جاء مذكراً لأمتى بما يجب عليها ، وهذه كتب الأنبياء التى جاءت لتذكر الأمم قبلى تقوم كلها على توحيد الله . بل أكثرهم لا يعلمون ما جاء فى هذه الكتب ، لأنهم لم يهتموا بالتأمل فيها ، فهم معرضون عن الإيمان بالله .

25- وما أرسلنا إلى الناس قبلك - أيها النبى - رسولا ما ، إلا أوحينا إليه أن يبلغ أمته أنه لا يستحق العبادة غيرى ، فأخلصوا لى العبادة .

26- وقال بعض كفار العرب : اتخذ الرحمن ولدا بزعمهم أن الملائكة بناته . تنزّه عن أن يكون له ولد . بل الملائكة عباد مُكْرَمُونَ عنده بالقرب منه ، والعبادة له .

27- لا يسبقون الله بكلمة يقولونها ، قبل أن يأذن لهم بها ، وهم بأمره - دون غيره - يعملون ، ولا يتعدون حدود ما يأمرهم به .

28- يعلم الله كل أحوالهم وأعمالهم - ما قدّموه وما أخرّوه - ولا يشفعون عنده إلا لمن رضى الله عنه ، وهم من شدة خوفهم من الله تعالى وتعظيمهم له فى حذر دائم .

29- ومن يقل من الملائكة : إنى إله يعبد من دون الله فذلك نجزيه جهنم . مثل هذا الجزاء نجزي كل الذين يتجاوزون حدود الحق ، وبظلمون أنفسهم بالشرك وادعاء الربوبية .

(2/42)

---

